

الشيخ حسين كوراني

في معراب كربلاء حوادث الكوفة

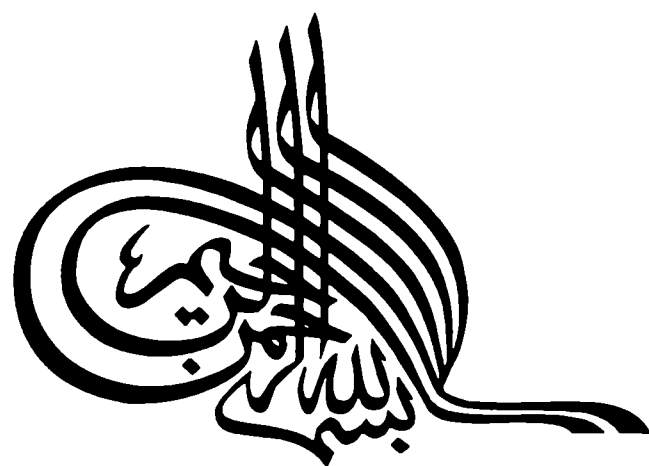


دار الهدى للطباعة



في محراب كربلاء

حوادث الكوفة



في محراب كربلاء

حوادث الكوفة

الشيخ حسين كوراني

دار الفکر الإسلامي

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٨ م - ٢٠٠٧ م

978-9953-490-95-3

دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع



هاتف: ٥٥٠٤٨٧ / ٥١ - ٨٩٦٣٢٩ / ٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب. ٢٨٦ / ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: <http://www.daralhadi.com>

الإهداء

إلى الذين كانوا المخاطبين أولاً وبالذات
بهذه الأحاديث
مجاهدي المقاومة الإسلامية في لبنان
الواصلين منهم والمنتظرين
أهدي ثواب هذا القليل
إن كان.

المقدمة

حول مادة الكتاب

كانت أيام من عمر الجهاد الحسيني بصفحته الخمينية، تظل الصدارة ملازمة لها وإن تواصل الجهاد.

تماهى زخم انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وزخم أخبار «الجبهة» في الحرب المفروضة، حرب الدنيا كلها ببرقع صدامي ضد الإسلام، مع زخم تصاعد عمليات المقاومة الإسلامية في لبنان، فتشكلت لوحة فريدة لمناخ نسيج وحده، فإذا الغيب يقود الخطى، والبصيرة نافذة، والدنيا بحجمها، مزرعة نائية بالقياس إلى عالم الشهادة، وذرة تائهة لاترى بعين القلب المجردة بالقياس إلى الواقع الموضوعي الذي يشكل الغيب فيه الأصل والمحور والأساس، والذي تظل هذه الدنيا - رغم ما تقدم - الطريق الحصري إلى ذراه.

وكانت غربة المجاهدين المصقولة بالتنكر والإستهداف، المناخ الأفضل لتبلور جوهرة ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فإذا بأواصر التوحيد بلا شوائب الفتح، والمحمدية بلا مطامع، والعلوية بلا موارد، تقدم هذا النموذج الذي سيظل على فرادته.

في هذا المناخ كانت «إذاعة النور» صوت الحق والهدى في غابة من الإعلام المضلل الماجن.

وكان من أصول «الإلتزام» في تلك المرحلة تواصل أذني القلب مع هذه الإذاعة التي بدأت متواضعة، وبقيت كذلك لفترة ليست قصيرة.

كان الأستوديو الذي كان يقال له ذلك، كقطعة قصيرة من زقاق ضيق، وضعت على جدرانه قطع إسفنجية كبيرة، بطريقة غير منتظمة.

ورغم ذلك كله كان الدور الذي أدته «إذاعة النور» تاريخياً مميّزاً يرقى إلى الإسهام بقوة في تأسيس حالة المقاومة وثقافتها وجمهورها.

ومتى كان العطاء يقاس بالإمكانات المادية؟ ونحن كأمة نتاج معركة فرضت، يذكر أن المسلمين كانوا يملكون فيها سيفين، ومئات من سعف النخيل.

وتعاظمت ثقافة المقاومة، وتنامت إمكانات «إذاعة النور» فاستقرت في موقعها الجديد.

في هذه المرحلة طلب مني مدير الإذاعة الأخ المجاهد السيد يوسف نور الدين على أبواب شهر محرم عام ١٤١١ للهجرة ١٩٩٠ للميلاد تقديم برنامج يومي حول المناسبة، يستمر طيلة شهر محرم.

أسجل هنا أنني مدين لمبادرته الكريمة هذه التي ألزمتني بشرف البحث حول كربلاء.

وتم الإتفاق على أن يكون البرنامج باسم «في محراب كربلاء» وأن يكون البدء به قبل الأول من محرم بأيام، تهيئة للجو بالحديث عن المناسبة بشكل عام.

وقد وفق الله تعالى لاستمرار هذا البرنامج لمدة خمس سنوات متتالية - وكان في السنوات التالية يستمر طيلة شهري محرم وصفر - وقد توزع الحديث فيه كما يلي:

* السنة الأولى ١٤١١ هجرية: تم استعراض النهضة المباركة باختصار مع نظرة تحليلية، وقد شمل الحديث ما وقع منذ خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة، إلى رجوع السبايا إليها^(١).

* السنة الثانية ١٤١٢: تم فيها استعراض حوادث الكوفة بالتفصيل مع ترجمة عدد من أصحاب سيد الشهداء عليه السلام.

* السنة الثالثة ١٤١٣: مواصلة تراجم الشهداء الأصحاب.

* السنة الرابعة ١٤١٤: ترجمة القتلة لما في تراجمهم من دروس بليغة حول تبدل المواقف، وسوء العاقبة.

* السنة الخامسة ١٤١٥: حركة التوابين.

وكان المعدل العام لكل سنة - ماعدا الأولى - حوالي اثنتين وستين حلقة، تبدأ كل سنة بحديث لأيام كما مرت الإشارة حول عاشوراء عموماً.

وقد لوحظ في مادة الأيام الأولى أن تتكفل خلال سنوات البرنامج بتناول أهم العناوين العامة حول المناسبة، من قبيل: عاشوراء عند رسول الله وأهل البيت صلى الله عليه وعليهم، وثواب البكاء، وإحياء الذكرى وماشابه، فجاءت الحلقات الإفتاحية التمهيدية متكاملة^(٢).

ولم يقدر لباقي مادة هذا البرنامج - باستثناء السنة الأولى - أن يطبع، فظلت حبيسة الأشرطة والأوراق.

وما بين يديك هو أكثر مادة السنة الثانية، اقتضى تخصيصها

(١) وقد طُبعت مادة هذه السنة خطأ تحت عنوان «في رحاب كربلاء».

(٢) تم حذف هذه الحلقات التمهيدية لطبع لاحقاً بحوله تعالى كمادة مستقلة تجمع ماتفرق على سنوات وذلك مراعاة لوحدة الموضوع.

بأحداث الكوفة، إلحاق بعض تراجم الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم، وقد كان في الأصل في سياق تراجمهم التي ستقدم إلى الطبع لاحقاً بحوله تعالى.

المنهج المعتمد

١ - أعدت النظر جذرياً في المادة التي كانت قد أعدت سابقاً، فرجعت إلى كثير من المصادر بالأناة التي لا يتيحها برنامج يومي، خاصة وأن الجو العام آنذاك كان للجميع جوّ انشغال ضاغط.

٢ - كان الظرف الذي تم فيه تقديم المادة في الإذاعة حافلاً بعمليات المقاومة الإسلامية، مضمخاً بدماء الشهداء، مثقلاً بغربة المجاهدين بكل مافي حديثها من شجون وشجون، وكان من الطبيعي أن تحظى الدروس الكربلائية بما يشمل الكوفية بعناية خاصة، حرصت في تقديمها الآن على الإحتفاظ بها ليبقى المنحى العملي - لا التنظيري - الطابع العام.

٣ - يمكن اعتبار ما يأتي من حديث بداية تراجم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، ويمكن اعتباره خاصاً بأحداث الكوفة، وذلك لأن معظم هذه الأحداث إن لم تكن كلها عبارة عن ترجمة شهيدين: هما مسلم وهانيء رضوان الله عليهما.

٤ - ستجد في مطاوي هذه الأحاديث الحرص على التعريف بكل شخص يرد اسمه في سياق أحداث كربلاء، موالياً كان أو معادياً، لما في ذلك من فوائد جمّة، أما بالنسبة للموالين فذلك واضح، وأما غيرهم فلأن العبرة بليغة جداً حين نعرف مثلاً أن شَبَث بن رِبعي كان أحد القادة الميدانيين في معسكر الإمام في صفين! علماً بأنني لم أكتف في الترجمة للقتلة بما ورد في سياق مجريات الكوفة، بل أفردت للحديث عنهم جزءاً

خاصاً - كما مر - عسى أن يوفق الله تعالى لطبعه، بعد إنجاز القسم الخاص بالأصحاب.

٣ - وقد حرصت على الإستقصاء في الترجمة لشهداء كربلاء، من أجل تقديم كل التفاصيل التي يمكنني الحصول عليها حولهم، حريصاً على التمييز بين المصدر الرئيس، والثانوي، وما ليس مصدراً، وللتفصيل في ذلك مجال آخر.

٤ - وبالنسبة لأصحاب الحسين عليه السلام، الذين استشهدوا في الكوفة، كان لا بد من ترجمة الشهيد ميثم التمار الذي لا يذكر في عداد أصحاب سيد الشهداء إلا نادراً، وكذلك الوقوف عند تراجم عدد ممن قيل إنهم استشهدوا ولم تثبت شهادتهم، وقد جاء ذلك كله في سياق تحليل أحداث الكوفة بدءاً بمراسلة أهلها الأولى للإمام، وحتى استشهاد القائدين مسلم وهانيء رضوان الله عليهما، وما نتج عنه مما يتيح فهم تسلسل الأحداث، وتوقع ردات الفعل، ثم تقويمها والبناء عليها بشكل أدق.

وقد كنت في ترجمتهم - أي الشهداء في الكوفة - بين هذا الخيار، وخيار الإقتصار على تراجمهم، مما يعني اجتزاء أحداث حارة ومنتالية، وتغيب الجو العام، الذي احتضن الأشخاص والمواقف، وهو ما يجعلنا أمام تراجم مبتورة، تثقلها كثرة الحلقات المفقودة.

وأعتقد أن الأسلوب المعتمد كثير الفائدة، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

٥ - وأشير هنا الى أننا لا نملك في الكثير من المفاصل الحرجة من أحداث الكوفة - ولا أقصد حوادث الشهادة في ساحة كربلاء فلها حديث مختلف - التفاصيل الشافية حول حقيقة ماجرى، ومثال ذلك:

انتقال مسلم إلى بيت هانيء، أو اقتراح اغتيال ابن زياد، فرغم وجود النصوص التي تتسبب كثرتها بالمشكلة، إلا أنها لتضاربها لا ترقى إلى مستوى ملأ الفراغات الكثيرة، وأعتقد أن ذلك غالباً يرجع إلى أسباب متعددة، منها:

أ - أن أبرز أبطال أكثر تلك الأحداث استشهدوا خلال شهر وبضعة أيام، ما بين أوائل ذي الحجة والعاشر من محرم.

منهم: عبد الله بن بقطر، قيس بن مسهر، مسلم بن عقيل، هانيء بن عروة، مسلم بن عوسجة، أبو ثمامة الصائدي، حبيب بن مظاهر، عابس بن أبي شبيب. وينبغي أن نلاحظ وفاة شريك بن الأعور في هذا السياق.

ب - انتقال عدد كبير من «الأبطال» إلى معسكر الأعداء، وهو ما يفرض عليهم التنكر لمواقفهم السابقة وعدم التطرق إليها من قريب أو بعيد. منهم: عمرو بن الحجاج، شيب بن ربيعي، عزرة بن قيس.

ت - تخاذل عدد منهم، ليشكل التخاذل بالتالي سبباً للكتمان، خصوصاً في ظل الوضع الأمني غير المؤاتي. منهم: سليمان بن صرد، عبد الله بن حازم، عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي، العباس بن جعدة الجدلي.

ث - استمرار الظروف الأمنية الحذرة حوالي ست سنوات إلى حركة المختار، كانت دواعي الكتمان فيها متوفرة جداً، وقد استشهد خلالها عدد من المعنيين بدرجة كبيرة بتلك الأحداث، وأقصد بالخصوص شهداء التوابين في وقعة عين الوردية، وهو عامل شديد الأهمية في ما كان يستتبع انكشافه عقاباً إما من النظام، أو من الرأي العام.

ج - عدم وصول عدد كبير من كتب المقاتل الأقدم التي أرخت

لهذه الفترة، والتي كان بإمكانها حصر الأضرار الناجمة عن العوامل المذكورة.

وقد نتج من ذلك:

أ - صعوبة التعرف على الخطط: وبديهي أن المراد عدم توفر المعطيات التي تضيء على كل جوانب الخطة بما يحسم النزاع.

إن بإمكان المتابع لأحداث الكوفة معرفة الخطوط العامة لتحرك كل من الطرفين: النظام والمعارضة، من خلال ماجرى ميدانياً، أما الخطط التي كانت الوقائع الميدانية ترجمة لها فقد بقيت طي الكتمان وإن تبدى في الأقوال بعض ما يدل عليها، وظهرت آثارها في المسار العملي.

والمثال الأبرز لذلك خطة ابن زياد لتفكيك المعارضة، وكيف استطاع أن يفرغ مذحجاً بالخصوص من مضمونها، فبالرغم من وجود معطيات كثيرة، إلا أنها في أحسن الحالات عبارة شديدة الإجمال يمكن وصفها بالإشارة المبهمة إلى الخطة، أو ما يصطلح عليه بـ«السياسة العامة» التي تشكل المنطلق للخطة التي اعتمدت، من قبيل قول ابن زياد يقصد مسلماً وهانثاً: وإني جعلت عليهما العيون، ودست إليهما الرجال، وكدتها حتى استخرجتهما.

ثم لانجد ممن استمالهم الطاغية من مذحج إلا عمرو بن الحجاج وكثير بن شهاب، مع أن من المقطوع به أنهما لا يكفيان لتفسير كل هذا النكوص المذحجي العجيب.

وكذلك غياب ما يوضح خطة المعارضة في الإستيلاء على الكوفة، التي يشير استبعاد اقتراح اغتيال ابن زياد إلى الثقة بها والركون إليها.

ب - غياب المعطيات الدقيقة في كثير من الوقائع العامة أو الفردية: مثال الأول: تفرق الناس عن مسلم، ومثال الثاني: أين كان قادة جيش

مسلم حين تفرق الناس؟ لئن أمكن احتمال التخاذل في حق بعضهم، فإن مسلم بن عوسجة وأبا ثمامة ليسا من هذا المعدن، ويؤكد ذلك أنه لم يصدر منهما أو من أحد غيرهما أدنى إشارة إلى ذلك، وكان اشتراكهما في كربلاء اشتراك من لم يشب جهاده شائبة.

ولا يعني ذلك أن الباحث يواجه مأزقاً في الوصول إلى حقيقة الأحداث الكوفية، التي لا تختلف مصادرها عن غيرها من الأحداث المشابهة إلا بتلك العناية المميزة بها عبر القرون، وإنما يعني بالتأكيد ضرورة مضاعفة الجهد، والأناة، والمثابرة، فإن المتوفر كثير غني الدلالات، إلا أن العوامل المتقدمة تجعل محاولة التعرف على الخطط أو حقائق الوقائع محفوفة بالمخاطر والمنزلقات، قد يستند فيها الباحث إلى ما لا ينبغي الإستناد إليه من مصدر هامشي يعزز بالمنطلقات الخاطئة، أو يظن أن ما اطلع عليه من معطيات يسوغ له التخمين.

إن بإمكان الباحث إذا تجنب المنزلقات، أن يقدم الأدلة التي تقطع الشك باليقين، إلا أنها مهمة مضيئة، يتوقف الوصول فيها إلى نتائج نهائية على تضافر جهود الباحثين وتراكمها، ولا يستطيع عمل فردي مهما حالفه التوفيق إلا أن يكون مساهمة تختلف مرتبتها باختلاف المنطلقات والجهد.

٦ - من بين أبعاد كربلاء التي لم تحظ حتى الآن بالعناية الكافية، بعد أصحاب الحسين، كما سماهم هو عليه السلام، ولولا بعض الدراسات القليلة والجادة، لظل هذا البعد بكرراً لم يمس، علماً بأن هذه الدراسات لم تتكفل استقصاء سيرتهم جميعاً، ولا كل ما توفر مما يرتبط بمن شملته منهم.

والأمر الذي ينبغي أن نعنى به في مقام استلهام الدروس من هؤلاء العظماء رضوان الله تعالى عليهم، هو أن نعرف كل ما يمكننا الوصول

إليه من سيرتهم، كما يحب أن يعرف أحدنا قدوته بعد المعصوم، في مختلف الظروف والمراحل، في ضعفه وقوته، وفي الشدة والرخاء، كيف يفكر؟ ما هي نظرتة إلى المال والولد وسائر الشؤون الشخصية؟ وما هي نظرتة إلى الحاكم الفاسق؟ ما هو رأيه في الإمامة والولاية؟

نريد أن نتعرف على «خير الأصحاب» من هذا المنطلق لنعيش معهم وتخفق قلوبنا بحبهم، ونحاول أن نعرف هل نفكر كما فكروا، فنكون كربلايين، أم نفكر بطريقة أخرى فنكون - والعياذ بالله - كوفيين.

كان لكل منهم له دنياً كما لكل منا، وكانت لهم علائقهم، التي كانوا يفكرون بها شأن أي إنسان، إلا أن طريقتهم في التفكير مكنتهم من حفظ توازنهم أمام كل دوائر الجذب هذه، ولم يستطع الشيطان إغواءهم فوقفوا المواقف الكربلائية.

كيف وصل هؤلاء العظماء إلى هذه القمة؟

وكيف يمكننا أن نستلهم منهم الدروس؟ ونشحن العزائم، لنقف المواقف الكربلائية، عندما يخيم الموقف الكوفي؟

لابد لمن يريدون أن يكونوا أنصار أبي عبد الله عليه السلام في مختلف العصور، أن يضعوا في طليعة أولوياتهم معرفة أصحابه «الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام».

وتشكل الأجواء التي خيمت على الكوفة المناخ الأمثل لمعرفة الأصحاب سواء الذين استشهدوا في الكوفة، أو الذين خرجوا منها والتحقوا بسيد الشهداء عليه السلام، وكذلك من لم يكن منهم من سكان الكوفة أو أهلها، لأن دراسة الموقف الكربلائي بمعزل عن مناخه، لا تتيح استلهامه بنفس المرتبة التي تمكن منها دراسة المناخ وموقع الموقف منه.

٧ - وقد جاءت مادة الكتاب في خمسة فصول، وأوردت في آخر

الفصل الخامس ترجمة رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة، وذلك بلحاظين: أن الظرف الذي وقعت فيه حادثة شهادته في البصرة، مساوق لانطلاقة الأحداث في الكوفة، وأنه الشهيد الكربلائي الأول لتقدم زمن استشهاده على شهادة مسلم رضوان الله عليهما.

كما أضفت ملحقين في تحديد «المضيق من بطن الخبت» وخرائط حوله وحول مسجد الكوفة وقصر الإمارة.

والله تعالى أسأل أن يجعل ذلك مقبولاً بمنه وكرمه، إنه ولي الإحسان والنعمة.

حسين محمد كوراني

بيروت - لبنان

السبت ٢٢ ذ.ح ١٤٢٤ هجرية

١٤ شباط ٢٠٠٤ م

kourani@hotmail.com



الفصل الأول

المعارضة في الكوفة



* مهمة الشهيد مسلم: الجو العام

كان الجو السياسي العام، يتلخص في أن يزيد أصبح «خليفة» المسلمين.

وهي كلمات تقال ولكن كيف أصبح يزيد خليفة؟!!

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان «الفاسق المعلن بالفسق والفجور» أصبح «في موقع» رسول الله ﷺ!!

كان المجتمع الإسلامي يزخر بالنعيين من الصحابة الذين كانوا ما يزالون في قيد الحياة، وقد تربوا على يدي رسول الله ﷺ مباشرة، ومن المفترض أن تكون لديهم الحساسية المفرطة من حكم مثل يزيد، ولم يكن عددهم آنذاك قليلاً. وإلى جانب الصحابة كان التابعون بأعداد كبيرة، ومع ذلك فلم يمتنع عن بيعة يزيد إلا اثنان، مع الفارق الكبير بينهما، وهما الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير المبغض لأهل البيت عليهم السلام الذي كان يقول: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة^(١). ورغم هذا فقد كان أساسياً لأنه قاد تحركاً سياسياً وعسكرياً، وخطب باسمه حتى على منابر دمشق وجوارها وكاد أن يقضي على الحكم الأموي، ثم قضى عليه الأمويون.

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣/ ٨٠ (ط: دار الأندلس، بيروت). وليلاحظ أن معظم المصادر المعتمدة هي بحسب نسخة برنامج المعجم الفقهي (قرص مغنط) الإصدار الثالث. ولم ألتزم بذكر مشخصات الكتاب الذي أرجع إليه فيه.

صحيح أن عبد الله بن عمر امتنع عن بيعة يزيد، لكنه لم يكن يُهتَم بموقفه، ولا يؤبه له^(١).

بلى وما عشت أراك الدهر عجباً.

صار يزيد ملكاً، ولقد أجاد السيد الحلبي في التعبير عن ردة الفعل الطبيعية لأي مسلم، على ذلك حيث يقول:

لم أدر أين رجال المسلمين مضوا وكيف صار يزيد بينهم ملكاً^(٢).

ما هي هذه النفس البشرية التي تشهد تقلباتها قفزات نوعية فتسجم مع العظائم، التي هي بحجم أن يصبح معاوية بن أبي سفيان ويزيده وأمثالهما «خلفاء» الرسول! وبحجم رمي أبي طالب حامي الرسول وكافله بالكفر، ولعن ابنه على المنابر مائة عام، والإعراض العملي عنه حتى يومنا هذا؟

ولا يمكن فهم حقيقة نهضة سيد الشهداء ما لم تستقص هذه النقطة بالذات، ما هي الأسباب الحقيقية التي أوصلت يزيد إلى ادعاء خلافة رسول الله ﷺ؟

وما العلاقة بين ذلك وبين حديث القرآن الكريم عن حركة الذين مردوا على النفاق، وعن الانقلاب على الأعقاب؟

وتتوقف الإجابة على هذه الأسئلة ونظائرها على الخروج من أسر الإسقاطات والتعميمات، ووهم القداسة، إلى النظر في التاريخ ببصيرة قرآنية ووعي محمدي يستلهم كتاب الله تعالى في السنن الاجتماعية، ورسوله المصطفى ﷺ في الإخبار بما يجري من بعده، وبديهي أن

(١) أنظر: الطبري ٢٥٤/٤: وكانوا لا يتخوفونه.

(٢) للسيد جعفر الحلبي رحمه الله. انظر: الدر النضيد للسيد الأمين ٢٤٢ (ط: مطبعة الإلتقان - دمشق ١٩٤٦م).

لذلك منهجيته الخاصة التي تركز إلى قاعدة عقلية لاجدال فيها هي الرجوع إلى المختص.

وقد بين الذكر الحكيم وأوضح الرسول الأعظم ﷺ أن مرجع الأمة الذي يدور الهدى مداره، هم أهل البيت عليهم السلام.

ولم يكن الانقلاب على الأعقاب إلا الإصرار على تنكب سبيل الهدى.

ودارت دورة الزمن بمعزل عن سفينة النجاة فأوغل المجتمع الذي كان إسلامياً في متاهات الملك العضوض.

وكما هو الفرد يستقيم ثم يعوج وقد يرجع إلى الإستقامة ثم يعاود الإعوجاج، فكذلك هو المجتمع.

وكما هي اندفاع الفرد في مهاوي الردى لا يمكن لجمها أو كبح جماحها، كذلك هي اندفاع المجتمع، ولكنها مضاعفة مرتين: مرة بعدد الأفراد، وثانية بحجم الجو العام - بكل ضجيجه وبهارجه، ووسائل إعلامه وإعلانه، ورنين دراهمه، وقعة سلاحه، وناغم ملمس ترفه، ودوائر جذب سلطته - الناشيء من تضايف كل هؤلاء الأفراد على الخطأ، ويبلغ ذلك الحد الذي يصبح معه الخروج من أسر هذا الجو، إلى رحاب التفكير بموضوعية ضرباً من الجنون!

وبمقدار ما تكون الإندفاع في دروب الفضيلة يكون السقوط بعد الانقلاب على الأعقاب. إنه الإرتكاس الرهيب من أعلى القمة إلى الوادي السحيق، الذي لا يبقى ولا يذر.

وقد تؤدي محاولة الحد من هذه الإندفاع في غير أوانها إلى ما هو أسوأ منها، وهو ما يحتم العمل وفق الممكن، وانتظار الفرصة المؤاتية.

كان اليهود يوماً مضرب المثل في التقوى والورع، ثم صاروا مضرب المثل في كل نقيصة.

وكان النصارى موحدين، ثم غلب الشرك فكان التثليث.

ولم تكن الديانتان اليهودية والنصرانية الصيغة الخاتمة التي يجب أن تحفظ من التحريف.

وجاء الإسلام بصيغته المحمدية الخالدة، فركب المسلمون من بعده سنن الذين من قبلهم حذو القذة بالقذة، ولكن القرآن لم يحرف، فهو كما نزل على رسول الله ﷺ، تتلوه الأجيال، وتستضيء بنوره القلوب إذا عرفت من هم «أهل الذكر» وأهل «المودة في القربى» والذين هم «أمان لأهل الأرض».

ويكشف التدبر في حديث المصطفى الحبيب ﷺ عن الوقائع التي ستكون بعده، أن اندفاع الأمة في دروب الضلال لا يمكن التصدي لها بما يؤدي إلى إعادتها إلى الصراط المستقيم، بمعنى القضاء على التنكر لحقائق العقيدة وثوابت الإسلام، بل إن ما يمكن فعله إنما هو في خط وعد الله تعالى بحفظ دينه من التحريف، وهذا يعني أن يتكفل الأئمة من أهل البيت ﷺ القيام بواجب حفظ نقاء الدين على مستوى النظرية وبقائه كذلك في متناول بصائر كل الأجيال.

ولقد كان ظرف وصول يزيد إلى موقع الخلافة علامة فارقة في محاولة تشويه الإسلام، اقتضت علامة فارقة في حفظه من التحريف ليبقى له نقاؤه الإلهي المحمدي.

وقد أحرز سيد الشهداء النصر المؤزر الذي منح لأجله ذلك الوسام الإلهي الأسمى على لسان رسول الله ﷺ: حسين مني وأنا من حسين. إنه النصر العزيز والفتح المبين الذي تظهر آثاره في الدنيا بأجلى

صورها يوم يحقق الله تعالى الحكومة العالمية الواحدة، على يد وصي المصطفى الحبيب، تحت شعار: يا ثارات الحسين.

وهو بعدُ الفتح الذي يدركه بعقله وقلبه من لم يكن في زمن الحسين عليه السلام، فيصل به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن لا يدركه فقد تخلف ولم يبلغ الفتح.

* يزيد: البيعة أو القتل

من الخطأ أن يحمل ازدراؤنا ليزيد لعنه الله تعالى، على الإستخفاف ببطشه وعدم التقدير الدقيق لقوته العسكرية والسياسية، فإن ذلك سيحجبنا تلقائياً عن وعي الظروف السياسية التي انطلقت فيها نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وسيحرماننا تبعاً لذلك من استلهام المواقف الكربلائية في ما نواجهه من تحديات.

أمسك يزيد بأزمة دولة الإسلام آنذاك، وكانت دولة مترامية الأطراف، ثنيت فيها الوسادة من قبله لأبيه «ملك الوقت» كما وصفه الديار بكري صاحب «تاريخ الخميس» الذي يقول:

«وقد استشارت النبي صلى الله عليه وآله امرأة في أن تتزوج بمعاوية فقال صلى الله عليه وآله: إنه صعلوك لا مال له، ثم بعد هذا القول بإحدى عشرة سنة صار نائب دمشق ثم بعد الأربعين صار ملك الدنيا تحت حكمه من حدود بخارى إلى القيروان من المغرب، ومن أقصى اليمن إلى حدود قسطنطينية. وملك إقليم الحجاز واليمن والشام ومصر والمغرب والعراق والجزيرة وأرمينية وأذربيجان والروم وفارس وخراسان والجبال وما وراء النهر»^(١).

(١) الديار بكري (الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ٣٦٩. (مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع).

كان معاوية إذاً، يحكم بحسب المصطلح الحديث «دولة عظمى» وقد صار يزيد ملك الوقت بعده فحكم هذه المناطق الواسعة التي كانت جميعها خاضعة له، وقد بذل أبوه قسارى جهده ليُذِل له رقاب البلاد والعباد.

وفي المقابل كانت الكوفة وحدها، تشهد مخاض الرفض والإعتراض، إلا أن الكوفة ليست إلاّ بلداً في منظومة كبيرة من الحواضر والبلاد، وإن كان ثقلها العسكري والجغرافي في ذروة التمايز.

يزيد الحاكم لهذه الدولة الكبيرة، يصر على أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام قسراً، والإمام يمتنع، ولم تكن ثمة أي إرهاصات اعتراض إلا في الكوفة بكل ثقلها العسكري والسياسي كما سيأتي.

هكذا نستطيع أن ندرك أبعاد الجوّ السياسي ونقدّر الوضع القائم آنذاك بشكل أفضل، ويمكننا عندما نتكلم عن تخاذل أهل الكوفة أن نعرف ما هي أسباب التخاذل، ونستطيع أن نعيش على مقربة من الحقائق إذا لم نستطع أن نعيشها.

امتنع الإمام عن البيعة، وخرج إلى مكة، وليس امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن البيعة كغيره، مهما علا كعبه.

لقد امتنع عبد الله بن الزبير عن البيعة، وخرج إلى مكة وبقي فيها، إلا أنه لا يُسَجَل للسلطة أيّ موقف جادّ منه قبل شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

كان الحكم الأموي يدرك أن العدو الأساسي له، هو الإمام الحسين عليه السلام، لتعاطف الناس الكبير معه حيث إنه يشكل الإمتداد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله، لذلك فإن خروج الإمام من المدينة، بعد أن امتنع عن البيعة، كان يعني للنظام الكثير.

أما بقاؤه عليه السلام في المدينة، فكان يعني البيعة، أو القتل، ولذلك بمجرد أن استدعاه والي المدينة لم يذهب وحيداً وإنما أخذ معه ثلاثين من أنصاره، ليكونوا على الباب فيمنعونه إذا علا صوته^(١) وبحسب بعض المصادر فإن ذلك قد حصل فعلاً^(٢).

ولا يمكن فهم حقيقة موقف السلطة من الإمام الحسين بمعزل كذلك عن حقيقة موقفها من قبل من أخيه الإمام الحسن عليه السلام.

والملاحظ هنا أن مطلب أخذ البيعة من كل منهما، ثم العمل على قتله إن لم يبايع، كان الهدف المصيري والوجودي للنظام، إدراكاً من معاوية قبل موته ومن الحزب الأموي عموماً قبله وبعده، أنه لا مجال لاستمرار حكم في الوسط الإسلامي، مع وجود الإمام الحسن أو الإمام الحسين، إلا ببيعتهم ولو ادعاء، بمعنى أن شبهة البيعة منهما للنظام كانت كافية لدوامه.

إذا أمكن ذلك «أخذ البيعة» يصبح بالإمكان تأخير الإستهداف بالقتل للفرصة الأنسب، أما إذا لم يمكن ذلك فالقتل هو الخيار والهدف، بالغاً ما بلغ.

ويرتبط ذلك جذرياً بالمكانة التي ثبتها رسول الله صلى الله عليه وآله لسبطيه في عقول المسلمين وقلوبهم.

(١) الطبري ٤ / ٢٥١ والسيد ابن طاوس، اللهوف ١٧. والدينوري، الأخبار الطوال ٢٢٧. وابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٢٢٦.

(٢) أورد السيد المقدم في مقتل الحسين ١٣٠ نقلاً عن الخوارزمي قوله «فهاجم تسعة عشر رجلاً قد انتضوا خناجرهم وأخرجوا الحسين إلى منزله» ولم أجد ذلك في المطبوع منه (تحقيق الشيخ محمد السماوي، تصحيح دار أنوار الهدى بقم) بل وجدت قوله: «قال أي ابن أعثم: «وسمع من بالباب صوت الحسين وقد علا فهموا أن يقتحموا عليهم بالسيوف، ولكن خرج إليهم الحسين، فأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم، وذهب إلى منزله». الفصل العاشر ٢٦٧.

كان معاوية يحمل بالدرجة الأولى هم بقاء الإمام الحسن على قيد الحياة، لأن موت معاوية سي طرح رجوع الأمر إليه، حتى على أساس شبهة موافقة الإمام الحسن على حكم معاوية التي روج لها الأمويون، ولذا عمل معاوية على قتل الإمام الحسن بالسّم للتخلص من أحد الخطرين على حكم يزيد.

وكان يحمل كذلك هم عدم بيعة الإمام الحسين عليه السلام، ولا أشك في أن معاوية بذل جهوداً مضمّنية لقتل الإمام الحسين عليه السلام بالسّم أو غيره، لأن داهية مثله لا يمكن أن يترك هذا الأمر المركزي دون أقصى العناية والاهتمام، غير أنني لم أجد ما يثبت ذلك، وإن كانت الأدلة وافية حول أن معاوية كان قد أوصى يزيد بقتل الحسين عليه السلام خلافاً لما يراد للسّدج تصديقه، وسيأتي في تولية ابن زياد على الكوفة ما يكفي.

قال الطبري:

«بويع ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه للنصف من رجب في قول بعضهم وفي قول بعض لثمان بقين منه على ما ذكرنا قبل من وفاة والده معاوية فأقر عبيدالله بن زياد على البصرة والنعمان بن بشير على الكوفة وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف ولي يزيد في هلال رجب سنة ٦٠ وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وأمير الكوفة النعمان بن بشير الانصاري وأمير البصرة عبيدالله بن زياد وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ولم يكن ليزيد همة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وأنه ولي عهده بعده، والفراغ من أمرهم. فكتب إلى الوليد بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد فان معاوية كان عبداً «إلى أن يقول الطبري»: وكتب إليه في صحيفة كأنها

أذن فأرة أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا»^(١).

ولئن كان تعبير رواية الطبري «أخذاً شديداً ليست فيه رخصة» يشير - على أقل تقدير - إلى القتل، فإن ما يرويه غيره صريح في ذلك، فقد ورد فيه قول يزيد: «فإن أبي عليك فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه»^(٢).

كان هذا هدف يزيد، وفي المقابل كان الهدف المصيري والوجودي للإمام الحسين عليه السلام، أن لا يسمح له باكتساب أية شبهة مشروعية، لأن بقاء الإسلام رهن هذا الموقف.

وبديهي أن الإمام الحسين عليه السلام، كان أعلم الناس بما يرمي إليه يزيد من طلب البيعة، وهو يفسر - كما تقدم - شدة احتياطه، حين توجه إلى والي المدينة، الذي كان يريد إخباره بهلاك معاوية وأخذ البيعة منه ليزيد، وقد كان عليه السلام عالماً بذلك، بما آتاه الله تعالى، وقد أخبر به من كان معه، قبل أن يخبره به والي المدينة^(٣).

كان عليه السلام في المسجد النبوي «ثم قام وصار إلى منزله، فدعا بماء، فتطهر واغتسل، وصلى ركعتين، ودعا ربه بما أحب أن يدعو به، فلما انفتل من صلاته أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته، وأعلمهم شأنه وقال: «كونوا بباب هذا الرجل، فإني ماضٍ إليه ومكلمه، فإن سمعتم صوتي وكلامي قد علا مع القوم، وصحت بكم: يا آل الرسول، فاقتحموا بغير إذن، ثم اشهروا السيوف ولا تعجلوا،

(١) الطبري ٢٥٠/٤.

(٢) السيد ابن طاوس، اللهوف ١٦. وعنه: المجلسي، البحار ٣٢٤/٤٤. وابن نما، مشير الأحزان ١٣. والسيد الأمين، لواعج الأشجان ٢٤.

(٣) انظر: الطبري ٢٥١/٤. والخوارزمي (م. م) ٢٦٤.

فإن رأيتم ما تخشون، فضعوا سيوفكم فيهم، واقتلوا من أراد قتلي»^(١).

كان النظام يدرك جيداً أن الحسين لن يبايع، ولذلك فإن قرار قتله كان قد اتخذ مسبقاً.

وتسأل - على قاعدة أن فرض المستحيل ليس مستحيلاً - : لو أن الإمام بايع هل كان يقتل؟

والجواب: كان ذلك ربما آخر المواجهة، إلا أنه لا يلغيها، باعتبار أن بيعة الإمام - على فرض المستحيل - لا تلغي الخطر الذي يمثله على النظام. هذه هي باختصار النتيجة التي يخرج بها المتبع للنصوص، المقارن بينها.

وقد تبنى ذلك العلامة المجلسي، فأكد أن الأمويين لم يكونوا يهدفون أن يبايعهم الإمام الحسين عليه السلام، وإنما كان هدفهم قتله، لأنه ما دام على قيد الحياة فهو يشكل خطراً عليهم.

* يقول رضوان الله عليه:

«و لقد رأيت في بعض الكتب المعتمدة، أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص، في عسكر عظيم، وولاه أمر الموسم «موسم الحج» وأمره على الحاج كلهم، وكان قد أوصاه بالقبض على الحسين عليه السلام سراً، وإن لم يتمكن منه فبقتله غيلة، ثم إنه دسّ مع الحاج تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام، على أي حال اتفق، فلما علم الحسين عليه السلام، بذلك حلّ من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة».

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٦٦ برواية أحمد بن أعثم الكوفي.

* يضيف العلامة المجلسي رحمه الله تعالى: «وقد روي بأسانيد أنه عليه السلام، عندما نصحه أخوه محمد بن الحنفية بعدم الخروج إلى الكوفة قال: والله يا أخي لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلونني. بل الظاهر أنه عليه السلام، لو كان سالمهم أو بايعهم لما تركوه لشدة عداوتهم، وإنما كانوا يعرضون البيعة عليه لعلمهم بأنه لن يقبل ذلك»^(١). ثم يؤيد ذلك بكلام مروان مع والي المدينة وغيره.

وقد أورد السيد ابن طاوس نقلاً عن مقتل الحسين الذي لم يصل إلينا لمعمر بن المثنى (١١٤ - ٢١٠)^(٢) ما يلتقي مع ما ذكره المجلسي، وهو كما يلي:

«وروي معمر بن المثنى في مقتل الحسين عليه السلام، فقال: ما هذا لفظه، فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى مكة في جند كثيف قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه أو يقاتله إن قدر عليه. فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية»^(٣).

وينبغي التنبيه إلى أن «يقاتله» في النص تصحيف «يقتله» كما هو واضح.

إذاً، كان الإمام الحسين عليه السلام - بعد تحييد البيعة، وليست خياراً أصلاً - أمام خيارين: إما أن يقتل وحده اغتيالاً أو شبه اغتيال، وإما أن يقتل في جمع من الأمة يمكنه أن يستنفرهم ويجمعهم فتكون كربلاء.

(١) البحار ٩٩/٤٥ - ١٠٠. تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المصادر تتحدث عن أن الأمر صدر إليهم أن يقتلوه عليه السلام، وإن وجد متعلقاً بأستار الكعبة، وما في المتن يشملها، بل هو نوع تصريح به.

(٢) أنظر: السيد محمد ترحيني، مصادر النهضة الحسينية حتى القرن العاشر الهجري. بحث مقدم لمؤتمر: المجالس الحسينية وآفاق الدور المنشود. أقامته الوحدة الثقافية المركزية لحزب الله، في بيروت.

(٣) السيد ابن طاوس، اللهوف ٣٩

وإن شئت قلت: كان عليه السلام بين خيارين، إما القتل وإما القتل، ولو أنه قتل غيلة فربما بادر النظام إلى استثمار ذلك لصالحه بإظهار الحزن عليه، وهو ما حاول يزيد تكلفه فافتضح، رغم حمل الرأس الشريف إليه بأمره، فكيف كان سيتصرف في ما عدا ذلك؟

أما أن يستشهد عليه السلام في مواجهة مدروسة فقد كان السبيل الوحيد الممكن لتحقيق الأهداف النبوية بأفضل صورها، فاختار عليه السلام ما يخدم الرسالة والأمة، فهو قد حال دون أدنى غطاء من الشرعية كان يزيد يحرص عليه، وهز ضمير الأمة، وحفظ بإذن الله تعالى الإسلام والقرآن من التحريف، واجتث جذور الشجرة الملعونة في القرآن، فكان الإسلام حسيني البقاء.

ولقد كان ذلك يحتم أن يربح الإمام الوقت ويتصل بالمسلمين في مختلف المناطق، ويجمع أصحابه ويختار ساحة المواجهة بما ينسجم مع أهداف «طلب الإصلاح» في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وعندئذ تكون كربلاء.

ورغم أن السلطة كانت ملحة جداً في تعجيل قتله^(١) كما تدل عليه بوضوح رسالة يزيد إلى والي المدينة كما تقدم، وكلام مروان في مجلسه^(٢) فقد استطاع عليه السلام بمغادرته المدينة المنورة أن يستثمر الفترة الواقعة بين أواخر رجب والعاشر من محرم، كما استطاع بإرسال الشهيد مسلم إلى الكوفة، ثم بتوجهه إلى العراق أن يحقق كل ما كان بالإمكان تحقيقه في مثل تلك الظروف، وبأفضل صورة ممكنة.

غادر عليه السلام المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠^(٣)

(١) أنظر: الطبري ٤/٣٤٣ «لاتنام إليه شيعته». والذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/٢٩٩.

(٢) أنظر: الطبري ٤/٢٥٠ - ٢٥٢.

(٣) الطبري ٤/٢٥٢ و ٢٨٦.

ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية^(١) فلما دخل مكة قال: ^(٢) ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ (القصص ٢٢).

استطاع الإمام في تلك الفترة أن يتصل بالبصرة والتحق به بعض المؤمنين منها، وظلوا معه حتى استشهدوا في كربلاء، وتابع مستجدات الكوفة، ولا بد وأن يكون قد اتصل بكل من يمكن الإتصال به في جميع المناطق - وإن لم نجد نصوصاً حول ماعدا البصرة والكوفة - ولم تكن هناك استجابة واضحة له إلا تلك الإستجابة التي كانت في الكوفة، وتليها استجابة البصرة.

في هذا الجو بدأت كتب الكوفيين تتوالى على الإمام الحسين عليه السلام.

* ماذا جرى في الكوفة؟

بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فكثرت الكلام والطعن في خلافة يزيد وبلغهم امتناع الإمام الحسين عليه السلام، عن بيعة يزيد.

يتحدث أحد المشاركين في أول لقاء حول ذلك في الكوفة فيقول:

«اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فذكرنا هلاك معاوية فحمدنا الله عليه فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد قبض على القوم ببيعته وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته وشيعة

(١) الطبري ٤/٢٨٦.

(٢) الطبري ٤/٢٥٤.

أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصرته ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتهم الوهن والفشل فلا تغفروا الرجل من نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه. قال: فاكتبوا إليه فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

سلامٌ عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيأها وتأمّر عليها بغير رضئ منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جابرتها، وأغنيائها فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك.

قال الراوي: «ثم سرّحنا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني^(١) وعبد الله بن وال وأمرناهما بالنجاء فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر مضيّن من شهر رمضان بمكة»^(٢).

(١) مختلف في اسمه، واسم من كان معه، وبرواية الخوارزمي هو عبد الله بن سبع الهمداني، والذي كان معه هو عبد الله بن مسمع البكري، وأما عبد الله بن وال فقد كان في من حملوا رسالة أخرى. الخوارزمي ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) الطبري ٣٦١/٤ - ٢٦٢ وانظر: المسعودي، مروج الذهب ٥٤/٣ (ط: دار الأندلس) والدينوري، الأخبار الطوال ٢٢٩ وأبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين ولم يورد الثلاثة نص الرسائل. وابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٦/٢ وابن نما، مثير الأحزان ١٥.

وبعد إرسال هذا الكتاب إلى الإمام بيومين، بعث جماعةً كبيرة منهم كتباً مع عدّة أشخاص، منهم: قيس بن مشهر الصيداوي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي، وعمارة بن عبيد السلولي، ومعهم نحو من ثلاثمائة وخمسين صحيفة، من الرّجل والإثنين والأربعة، ثمّ بعد يومين أرسلوا رسالة جديدة عامة، جاء فيها: «أما بعد، فحيّاهلاً، فإن الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك، فالمعجل المعجل، والسلام عليك»^(١).

ثمّ «كتب شَبَث بن ربيع وْحَجَّار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي: أما بعد فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار وطمّت الجمام فإذا شئت فاقدّم على جند لك مجند والسلام عليك»^(٢).

ويلاحظ في النص ما يلي:

- ١ - أن احتمال التخاذل وارد، وأن سليمان بن صرد نفسه لم يحضر كربلاء ولكنه قاد حركة التوابين فيما بعد وأبلى فيها بلاءً حسناً.
- ٢ - والثلاثة - من عدا حبيب بن مظاهر - لم يحضروا كربلاء لكنهم قادوا فيما بعد حركة التوابين.
- ٣ - يستجل لهم وعيهم للظرف، وحقيقة معاوية وعدم صلاحية يزيد، وحضور عدالة توزيع الثروة في الخطاب الكربلائي.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٣٦-٣٩. الطبري ٤/٢٦٢، واللفظ للطبري. وفي اللهوف ٢٤/ أنه عَلَيْهِ السَّلَام قد ورد عليه في يوم واحد ستمائة رسالة، وفي مشير الأحران ٢٤ اكتمل «عنده اثناعشر ألف كتاب». ثم يذكر أنه قدم عليه رسولان بآخر الكتب.

(٢) المصدر. وفي اللهوف ٢٤ بدلاً من «وطمّت الجمام: «وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار. والجَم: ما اجتمع من ماء البئر، والجمّة المكان الذي يجتمع فيه ماءه والجمع جمام. (صحاح الجوهري). انظر: المجلسي، البحار ٤٤/٣٣٤، ومقتل أبي مخنف (ج: الغفاري) ١٦/.

٤ - أن ابن وال لم يشارك في كربلاء، وقد استشهد في ما بعد في معركة التوابين.

٥ - وبمقدار ما تطفح من هذين النصين روح الولاء، كانت مواقف غالب أصحابها متخاذلة، بل وعدوانية حتى أن بعضهم كانوا في طليعة قتل سيد الشهداء عليه السلام.

ولقد نادى الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، بعض موقعي الرسالة الأخيرة هنا بأسمائهم:

«يا شبت بن ربي ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جندك مجند فأقبل؟ فقالوا له: لم نفعل، فقال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم»^(١).

بل إن أكثر قادة المعركة الميدانيين كانوا من هؤلاء.

كان قيس بن الأشعث قائد كندة في المعركة، وكان عمرو بن الحجاج قائد الميمنة، وعروة بن قيس قائد الخيالة «الفرسان» وشبت بن ربي قائد المشاة^(٢).

يطرح ذلك بمنتهى الجد هول الهوة بين النظرية والتطبيق، بين الكلام والموقف، وهو المقصود لدى الحديث عن حسن العاقبة، أو سوءها.

* * * *

(١) الطبري ٣٢٣/٤ والشيخ المفيد، الإرشاد ٩٨/٢.

(٢) الطبري ٣٢٠/٤ - ٣٢١. والإرشاد ٩٥/٢ - ٩٦.

توالت كتب الكوفيين إلى الإمام، واجتمع الرسل عنده، وكان الحصار يشتد عليه، إذا بقي في مكة، فالإغتيال، أو الإعتقال ليحمل إلى يزيد فيرى فيه رأيه، ويؤكد ذلك أنه لم يتمكن من مغادرة مكة إلا بجهد فقد «اعترضه يحيى بن سعيد العاص ومعه جماعة أرسلهم إليه عمرو بن سعيد^(١). فقالوا له: انصرف (يريدون منعه من مغادرة مكة) أين تذهب؟ فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً ومضى الحسين عليه السلام»^(٢).

وكان غدر أهل الكوفة أشهر بين الناس آنذاك من كفر إبليس، فلا نجد أحداً علم بنية الإمام على التوجه إلى الكوفة إلا وتحدث عن غدر الكوفيين وتخاذلهم ومواقفهم مع أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام، ولقد كان سيد الشهداء عليه صلوات الرحمن أعرف الناس على الإطلاق بأهل الكوفة، فقد خبرهم، وتجرع غصصهم، وعانى منها ما لم يعانه أحد في عصره، وخصوصاً كل أولئك الذين تباروا في التنظير له عليه السلام، فضلاً

(١) هو الذي أنفذه يزيد تلك السنة في عسكر عظيم وولاه أمر الحج، وقتل الإمام، كما تقدم عن السيد ابن طاوس والمجلسي. ويعرف بالأشدرق لاعوجاج أصابه في شدقه من كثرة سبه لأمير المؤمنين عليه السلام. أنظر: المقدم، مقتل الحسين ٣٣٥ نقلاً عن معجم الشعراء للمرزباني ٢٣١. وقيل غير ذلك. أنظر: الزبيدي، تاج العروس ٦/٣٩١. والقرشي، حياة الإمام الحسين ٢/٣١٦ نقلاً عن الجاحظ في البيان والتبيين. ويلقب بـ«لطم الشيطان» أنظر: ابن الدمشقي، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ٢/٢٩٩. وابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٣/٢٠٩. وقد ذكر ابن أبي الحديد، في شرح النهج ٢٠/٢٠٢ أنه سمي لطم الشيطان لأنه كان مَلْفُوقاً، أي مصاباً باللقوة، وهي اعوجاج الفم، وهو يقوي مانقله المقدم عن معجم الشعراء، وعمرو هذا من مردة شياطين بني أمية وفراعنتهم، ولاه يزيد المدينة بعد أن امتنع الوليد عن قتل الإمام الحسين عليه السلام، وكان عمرو هذا والي مكة، فجمع له مكة والمدينة، وولاه موسم الحج لقتل الإمام عليه السلام، وقد أرسل إليه يزيد الرأس الشريف، فقال وهو على المنبر: يا رسول الله يوم بيوم بدر. ابن أبي الحديد، شرح النهج ٤/٧٢. وكان يزيد قالها قبله. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣/٢٦٠. وكذلك ابن زياد. الشيخ الصدوق، الأمالي ٢٢٩. وقد تصدى عمرو الأشدرق للخلافة وكاد الأمر أن يستتب له، ثم قتله عبد الملك بن مروان. أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ٣/١٣٦. وابن أبي الحديد، شرح النهج ١١/١٢٥. والطبري ٤/٣٠١.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٦٨. الطبري ٤/٢٨٩. واللفظ للطبري.

عن أولئك الذين جاؤوا بعد قرون فظنوا أنهم عرفوا الحقيقة، فانطلقوا مع أسلافهم من ذات الموقع الكوفي ليطلقوا أحكاماً جائرة، ويخطبوا خبط عشواء.

كان - بآبائنا هو والأمهات - محاصراً، ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، إذا بقي في مكة اشتد الحصار، وإذا دخل الكوفة أسلمه أهلها، لذلك كان لابد أن يحافظ على هامش حرية الحركة المتاح له دون أن يتخلى عن تلك الإرهاصات التي كانت تتراكم في الكوفة، رغم علمه بما يؤول إليه أمرها، الأمر الذي يحتم أن يختار قائداً، مقداماً، مدبراً، يوفده إلى الكوفة على جناح السرعة.

وهكذا كان، فأرسل مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه.

ومن الطبيعي أن يطرح هنا السؤال التالي:

لماذا كان عليه إذاً أن يرعى تحرك الكوفيين، ويرسل موفداً إليهم؟

ولن أدخل هنا في السياق العقائدي، الذي هو بحث جذري ومتشعب، يتكفل وحده بتقديم أوفى إجابة على هذا السؤال وغيره، بل سأعتمد السياق التاريخي، الروائي، والتحليلي.

وسأكتفي هنا بذكر سببين رئيسين لرعاية التحرك الكوفي:

١ - هل كان إهمال هذا التحرك أولى، أم أن الأولى رعايته ليسهم في إعطاء ما يمكنه من زخم لحركة الإمام ونهضته، في وعي الأمة؟

وهل يصح في منطلق «الثورة» و«التغيير» إهمال من يعرف التغييريون أنه سينسحب في منتصف الطريق أوفى أوائله، فضلاً عن أواخره؟ أم أن الموضوعية في هذا المنطق تقضي بالإفادة من كل بحسبه؟

وهل كربلاء التي نعرف كانت ستمثل في وعي كل الأجيال ما تمثله

من دون بلوغ الكوفة مشارف تغيير وجه العالم والتاريخ قبل انقلابها على الأعتاب؟

٢ - ولو أن الإمام لم يفعل كل ما بوسعه لرعاية تحرك الكوفيين، ألم يكن ثمة مجال للإعتراض بأنه قد أهمل حركة اعتراض جادة، بل ثورة حقيقية في حاضرة هي من أهم حواضر العالم الإسلامي آنذاك، مع تميز في الموقع الجغرافي والثقل العسكري؟

٣ - وهل كان بوسع «كربلاء» أن تحفر عميقاً إلى يوم القيامة في وجدان كل صاحب ضمير حي؟

ألا يكفي هذا وذاك دليلاً على أهمية رعاية الإمام لإرهاصات الثورة في الكوفة، دون أن يدخلها؟ .

ثم إن إرسال موفد، وعدم مبادرته عليه السلام، بالتوجه إلى الكوفة، ينبغي أن يكون الجواب الشافي على كل تعابير التشكيك بعلمه عليه السلام بحقيقة مواقف أهل الكوفة.

وينبغي أن يلحظ هنا بعناية أن الإمام عليه السلام لم يكن في كل مراحل الطريق من مكة إلى المدينة يُجَدُّ السير ليصل إلى الكوفة بسرعة، ولذلك استغرق وصوله إلى كربلاء أربعة وعشرين يوماً هي الفترة الفاصلة بين مغادرته مكة في الثامن من ذي الحجة ووصوله كربلاء في الثاني من محرم^(١) وهو ما يعني أن وصوله إلى مشارف العراق كان قبل ذلك بيومين أو ثلاثة، وأن المدة الباقية كلها قد أمضاها عليه السلام في الطريق، وتزيد بكثير على المدة التي كان يحتاجها المسافر من مكة إلى العراق، بل

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب ٣/٦٠. (ط: دار الأندلس، بيروت). والشيخ المفيد، الإرشاد ٢/

تكاد تبلغ ضعفها^(١) وهو ما يدل على أنه كان في بعض هذه الفترة يتمهل السير.

ولا ينافي ما تقدم ما ورد في رسالته عليه السلام التي ذكر أنه بعث بها مع الشهيد قيس بن مسهر، والتي ورد فيها: «وأنا قادم عليكم، وحثيث السير إليكم»^(٢). وذلك لأمرين:

الأول: احتمال أن يكون عليه السلام قد حث السير في بعض مسافة الطريق دون البعض الآخر، بدليل ما تقدم من طول المدة التي استغرقها مسيره بين مكة والعراق.

الثاني: عدم الركون إلى أن مضمون الرسالة قد عرف كي ندعن لنقله، فقد مزق الشهيد قيس الرسالة، كما يأتي في ترجمته.

ويأتي في الحديث عن مهمة الشهيد مسلم في الكوفة مزيد إيضاح حول رعاية الإمام للإرهاصات الكوفية.

(١) يأتي في ترجمة الشهيد قيس بن مسهر أن المدة التي كان يستغرقها السفر بين مكة والعراق حوالي العشرة أيام. وفي بعض المصادر تصريح بأن المسافة بين المدينة والشام كانت تطوى في اثني عشر يوماً للراكب المجد، . انظر: الشيخ اليوسفي، مقتل أبي مخنف ٧٦ (ط: جماعة المدرسين) . ، هامش التحقيق رقم ١، نقلاً عن الطبري ٤٨٢/٥ . والمسافة الى العراق أقصر بحوالي اليومين على الأقل (٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤٥.

الكوفة: الحاضرة الإسلامية الأبرز

ماذا كانت تمثل الكوفة التي انتشرت فيها إرهابات حركة اعتراض

متنامية؟

لاشك أن تسليط الضوء على هذه النقطة، شديد الصلة بالفهم السليم لحقيقة الأحداث، فإن الإكتفاء بمتابعة توجه مسلم إلى الكوفة، دون امتلاك صورة ولو مجملة وكلية عما كانت تمثله في مختلف الأبعاد العمرانية والعسكرية والسياسية، يترك كل متابع وصورته التي كونها، وهي في الغالب لاتفي ببعض الغرض.

تمصير الكوفة

اتخذت الكوفة بلداً ومصرأ عام ١٧ للهجرة^(١) بعد أن خاضت الجيوش الإسلامية جولات حامية الوطيس، أحرزت فيها انتصارات تاريخية على القطبين اللذين كانا القوتين الأعظم على المستوى العالمي آنذاك، وهما الروم والفرس.

وقد أسست هذه الإنتصارات لجولات الحسم النهائي لمعادلة القوة لا في هذه المنطقة فحسب بل على مستوى العالم كله.

(١) الطبري ١٤٤/٣. والحموي، معجم البلدان ٤/٤٩٠. وفيهما أقوال أخرى. وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون. ق٢ج١١١/٢.

وكان تحصين هذه الانتصارات والإستعداد لما يليها يحتم إقامة الجيش في موقع يمكنه التعامل مع الهدفين بيسر، فكانت الكوفة^(١).

ورغم وجود أعداد كبيرة من الجيوش الإسلامية في كل من البصرة والشام، إلا أن الثقل العسكري الأبرز كان للكوفة بلا منازع، فهي «كوفة الجند»^(٢) والثكنة العسكرية الأولى التي تشكل الإحتياطي والمدد لمختلف المناطق حين يستدعي الأمر.

وقد نزلت الكوفة أعداد كبيرة من القبائل العربية المختلفة، عدا من التحق بهم من الفرس، والنبط، ومن النصارى واليهود كما سيأتي.

قال الطبري:

«اختطت الكوفة حين اختطت على مائة ألف مقاتل»^(٣). «فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء، المسجد، . . .» فاخطوه . . . وأعلموا على الصحن بخندق لثلا يقتحمه أحد بنيان وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مائتي ذراع وجعل فيها بيوت الأموال وهي قصر الكوفة اليوم . . .» ونهج في الودعة من الصحن خمسة مناهج (شوارع) وفي قبلته أربعة مناهج وفي شرقه ثلاثة مناهج وفي غربيه ثلاثة مناهج . . .» وبنوا مناهج دونها تحاذي هذه ثم تلاقيها آخر تتبعها وهي دونها في الذرع. المحال من ورائها وفيما بينها وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن»^(٤). (أنظر خرائط الكوفة في الملحق الخاص).

(١) أورد الحموي في معجمه ٤/٤٩٠ آراء عديدة في سبب تسميتها الكوفة، إلى أن قال: «وقال ابن الكلبي: سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة موضعها وكان هذا الجبل مرتفعا عليها فسميت به».

(٢) الحموي، معجم البلدان ٤/٤٩١. واستشهد بييت عبدة بن الطبيب: «إن التي وضعت بيتاً مهاجرة * بكوفة الجند غالت وُدّها غول».

(٣) الطبري ٣/٢٤٣.

(٤) الطبري ٣/١٤٨ - ١٤٩.

وقد قُسمت هذه القبائل بأعدادها الغفيرة على عشرة أقسام، ثم على سبعة، واستقر الأمر في زمن زياد وبعده على أربعة أقسام، وهو المراد بالأعشار والأسباع والأرباع، حيث كان يدرج كل عدد من القبائل في قسم خاص، تسهيلاً للمهام العسكرية والإدارية المختلفة، وكان لكل عدد منهم عريف هو بمنزلة «مدير الناحية» في بعض النظم الإدارية الحديثة، ولكل عدد من العرفاء منكب، هو بمثابة القائم مقام، ولكل عدد من المناكب نقيب هو بمنزلة المحافظ^(١).

وقد ذكر الطبري أسماء القبائل مع تحديد المنطقة التي استوطنتها كل قبيلة، مما يجعلنا بوضوح أمام مدينة كبيرة مترامية الأطراف.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن عدد البطون التي سكنت الكوفة بلغت أربعمئة بطلاً من قبائل مختلفة^(٢).

قال الحموي:

- (١) أنظر: الطبري ٣/ ١٥١ - ١٥٢. وقد جاء فيه قوله: «وعرفوهم على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة وكل عيل على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم ثم على هذا من الحساب وقال عطية بن الحارث قد أدركت مائة عريف وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء فيدفعونه إلى أهله في دورهم». والمناكب مفردها منكب وهو أيضاً اسم رتبة إدارية، اختلفت المصادر بين كونه أعلى من العريف أو هو دونه، فقيل إن لكل عدد من العرفاء منكباً يدير عملهم، وقيل هو معاون للعريف، والأول أرجح. والنقيب: أيضاً رتبة إدارية، وقيل: هو العريف، والأرجح أنه رأس الهرم بين الثلاثة، ويشهد به تسلسلها في بعض النصوص، وملاحظة موارد استعمالها، ومعانيها اللغوية. أنظر: ابن قتيبة، غريب الحديث ٢/ ٩. وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٥/ ١١٣. والخليل الفراهيدي، العين ٥/ ٣٨٥.
- (٢) البراقى (المؤرخ الشهير السيد حسين بن السيد أحمد البراقى النجفي المتوفى سنة ١٣٣٢، تاريخ الكوفة ٢٠٥). (حرره وأضاف إليه أكثر المواضيع المهمة العلامة الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم. ط: دار الأضواء، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م).

«وذكر «القرشي» أن فيها خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب وستة آلاف دار لليمن «..» وقال الشعبي: كنا نعد أهل اليمن اثني عشر ألفاً وكانت نزار ثمانية آلاف»^(١).

وكانت الكوفة في المرحلة الأولى عبارة عن تجمعات خيم موزعة «توزيعاً عسكرياً يتألف من سبعة أفواج». ثم استعمل القصب لبناء البيوت في مرحلة ثانية^(٢) فكانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبني أخصاصاً من قصب إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها فإذا عادوا بنوها فكانوا يغزون ونساؤهم معهم، فلما كان في أيام المغيرة بن شعبة بنت القبائل باللبن من غير ارتفاع ولم يكن لهم غرف، فلما كان في أيام إمارة زياد بنوا أبواب الآجر فلم يكن في الكوفة أكثر أبواب الآجر من مراد والخزرج، وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم، فخط على أربعين ألف إنسان، فلما قدم زياد زاد فيه عشرين ألف إنسان»^(٣).

«ولما تم تمصير الكوفة شقت فيها شوارع وسكك، وكان عرض السكة خمسين ذراعاً، وكانت السكك تنور أثناء الليل بالمشاعل، وقد وصل إلينا من السكك، سكة البريد»..» وسكة دار الروميين قريبة من قصر الإمارة»..». وأهم سكك الكوفة سكة البريد، وموقعها بين الجسر الذي كان في الجانب الشرقي، وبين القصر وبين الكناسة»..»^(٤).

(١) الحموي، معجم البلدان ٤/٤٩٢.

(٢) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٤١. نقلاً عن: مجلة الإعتدال النجفية ج١/٤١ من المجلد ٤ تحت عنوان «عروبة المتنبى، للشيخ علي الشرقي. بتصرف».

(٣) الحموي، معجم البلدان ٤/٤٩١.

(٤) المصدر ١٤٣ عن: الشيخ علي الشرقي، في مجلة الإعتدال. وتجدر الإشارة إلى أن مراده بالشوارع والسكك واحد، وليلاحظ أن العرض المذكور يختلف عما ذكره الطبري عن عرض كل منهج حسب ما كتبه عمر إلى سعد، حيث قال. أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق أنه أمر=

* غير العرب والمسلمين

رغم أن جميع الذين نزلوا الكوفة حين مصرت كانوا من الجيوش الإسلامية القادمة من شبه الجزيرة وسائر المسلمين العرب، إلا أنها في مرحلة تالية قد شهدت تعدد الأعراق والأديان، لتصبح تركيبها السكانية كما يلي:

١ - «كان أول الوافدين إليها بعد العرب الفرس، وكان عددهم^(١) أربعة آلاف يسمون جند شهنشاه. فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا، ويحالفوا من أحبوا، ويفرض لهم في العطاء، فأعطوا الذي سألوه، وحالفوا زهرة بن حوية السعدي من بني تميم، وأنزلهم سعد بحيث اختاروا، وفرض لهم في ألف ألف، وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم، فقبل حمراء ديلم. ثم إن زياداً سير بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية، فهم بها يدعون الفرس. وسيرا منهم قوماً إلى البصرة...»^(٢).

ونزلها كذلك «النبط»^(٣) قادمين إليها من ضواحيها أو ما ابتعد عنها، حيث كانوا ينزلون ما بين العراقيين، البصرة والكوفة، وقد وقع الخلاف في كونهم من العرب أو من الفرس، إلا أنه روي عن الإمام علي عليه السلام أن نبي الله إبراهيم منهم. فهم أصل قريش^(٤).

= بالمناهج أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين وبالأزقة سبع أذرع ليس دون ذلك شئ وفي القطائع ستين ذراعاً إلا الذي لبني ضبة أنظر: الطبري ١٤٨/٣.

(١) د. كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة ٢٦. (م. م).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ٣٤٣/٢. والصحيح في تسمية الفرس المذكورين: جند شاهنشاه: أي جند الشاه أو الملك.

(٣) د. كاظم الجنابي، تخطيط الكوفة ٤٣.

(٤) أنظر: السمعاني، الأنساب ٤٥٤/٥. والحموي، معجم البلدان ٣١٠/١: كانوا ينزلون ببابل. و٢/٤٢: كانوا ملوكاً بالعراق قبل الفرس و٣٢٩/٢ في أن الحيرة من مراكزهم وكذلك الأنبار. و٣/٢٧٩ و٢٨١ في أنهم السريانيون. و٤٨٨/٤ في أن نبي الله إبراهيم عليه السلام منهم فهم أصل قريش.

٢ - نزلها السريان^(١)، وهم الذين كانوا يسكنون المناطق النصرانية القريبة منها في أطراف الحيرة والنجف. يقول ماسينيون: كان في الكوفة أسقفان، أحدهما نسطوري، والآخر يعقوبي، وكان نصارى الكوفة طائفتين: نساطرة وهم الحضرة، ويعاقبة وهم البدو^(٢). «وانتقل إليها قوم من نصارى نجران باليمن»^(٣). وكان أغلبهم صيارفة استوطنوا في محلة بالكوفة تسمى النجرانية»^(٤).

٣ - ووفد إلى الكوفة أيضاً وحل بها من نجران باليمن بعض اليهود^(٥) ويذكر أن بدء قدوم اليهود إليها كان «سنة ٢٠ للهجرة ثم ازداد عددهم في ما بعد، حتى بلغ سبعة آلاف يهودي»^(٦).

ولم يكن وجود غير المسلمين في الكوفة هامشياً، فقد تمكنوا من التحكم بالوضع الإقتصادي من خلال خبرتهم في مجال «الصيرفة» التي كانت «عملاً كبيراً ورابحاً في الكوفة لأنها كانت تمون المؤامرات

= وانظر: السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب ٢٦٠: بفتحتين قوم من العجم. والخليل، العين: سموا به لأنهم أول من استنبط الأرض. وقال: قوم ينزلون سواد العراق. وابن قتيبة، غريب الحديث ٢/٣٣٠: سمي النبط نبطاً لاستخراجهم المياه، والجوهري، الصحاح: بطائح النبط بين العراقين. وأورد القرشي في حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢/٤٣٨ عن «الحضارة الإسلامية ٩٧ أنهم من العرب وأن لغتهم الدارمية، وأنهم كانوا يستوطنون بلاد العرب الصخرية وانتقلوا منها إلى العراق. وقد روي أن أم الشهيد مسلم بن عقيل كانت منهم، كما تقدمت الإشارة في ترجمته.

(١) للاحظ أن التفريق بين السريان والنبط إنما هو بناء على ماورد في المصادر الخاصة بالكوفة من التفريق بينهما، وهو غير ثابت في ضوء ما تقدم عن النبط في الهامش السابق.

(٢) د. الجنابي، تخطيط الكوفة ٢٦، نقلاً عن: ماسينيون، خطط الكوفة ٢٥. بتصرف يسير. وانظر: القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢/٤٣٨.

(٣) المصدر ٤٣. بتصرف.

(٤) المصدر ٢٦، نقلاً عن البلاذري، أنظر: فتوح البلدان ٧٨. قال: ونزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة، وبهم سميت.

(٥) المصدر.

(٦) المصدر ٤٣. بتصرف جمع بين المتن وبعض الهامش الذي أورد فيه كلاماً للرحالة اليهودي بنيامين التطلبي الأندلسي في كتابه «الرحلة» ١٤٦. ترجمها عن العبرية عزرا حداد. ط: بغداد ١٩٤٥.

والأحداث بصفقات رابحة، وكان المسلفون والصرافون يمتلكون ناصية البلد بعملهم هذا «..» وقد أتقنت الكوفة عمل الصيرفة، ونظمتها على شبه (المصارف اليوم) «..» وكانت أكبر محلات الصيرفة في الكوفة للمسيحيين الذين كانوا في الحيرة^(١) ثم انتقلوا إليها.

«وقد اشتملت بعض الأحياء القبلية بعد تخطيطها، على بيع وأديرة لأهل الذمة الذين كانوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية..»^(٢).

* حدودها

من الطبيعي أن تختلف مساحة الكوفة بعد قرون عما كانت عليه عند تمصيرها، ولئن كان التحديد الأوضح الذي وصلنا يرجع إلى أوائل القرن الرابع، إلا أن الظاهر أن الفرق بينه وبين البدايات لم يكن كبيراً جداً خصوصاً إذا لاحظنا الإقطاعات التي كانت عبارة عن مساحات يقطعها الخليفة لمن يشاء، والتي كانت تحيط بالكوفة من جهاتها وبينها البعيد عن الكوفة جداً، كإقطاع أحد الشيخين لأبي عبيدة^(٣) والد المختار «لقفا» بناحية خطرنية» التي قدم المختار منها عند خروج الشهيد مسلم في الكوفة، كما سيأتي.

وقد ورد في تحديد الكوفة أنها كانت تمتد على مساحة شاسعة جداً، «تتصل قراها وجباناتها إلى الفرات الأصلي، وقرى العذار، فهي تبلغ ستة عشر ميلاً وثلثي ميل»^(٤) (حوالي ٤٢ كلم مربع) وأن «أحد

(١) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٤٨. وقد ذكر القرشي في حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢/٤٤٤ أن ابن زياد اقترض منهم الأموال فوزعها على وجوه الكوفة وأشرفها.

(٢) د. كاظم الحنابي، تخطيط الكوفة ٩٤. نقلاً عن البلاذري. أنظر: البلاذري، فتوح البلدان ٣٤٧ و٣٤٨.

(٣) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٤٦. بتصرف. والظاهر أنه من كلام البحثة الشيخ علي الشرقي.

(٤) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٣٤. ود. كاظم الحنابي، تخطيط الكوفة ٣٩. وانظر: الحموي، معجم البلدان ٤/٤٩٢.

حدودها خندق الكوفة المعروف بـ«كري سعد» والحد الآخر القاضي الذي هو بقرب القائم إلى أن يصل قريباً من القرية المعروفة اليوم بـ«الشنافية» والحد الآخر الفرات الذي هو ممتد من الديوانية إلى الحسكة، إلى القرية المعروفة اليوم بـ«أبو قوارير» وهي منزل الرماحية، والحد الرابع قرى العذار، التي هي من نواحي الحلة السيفية»^(١).

المصر الأعظم

يدرك المتتبع وبمتهى اليسر أن الكوفة تشكل في التاريخ الإسلامي بدءاً من تمصيرها، المركز السياسي والعسكري الأول، فهي بحكم موقعها الجغرافي، المحور بين المدينة المنورة والبصرة والشام وخراسان وما والاهما، مما جعلها - بالإضافة إلى المدة التي اتخذها فيها أمير المؤمنين عاصمة دولة الإسلام - في موقع العاصمة الحقيقية على الدوام، ولذلك فإن الحديث عنها يتميز دائماً بما يلتقي مع ما تقدم. ومن الأمثلة على ذلك:

١ - «الكوفة مدينة العراق الكبرى، والمصر الأعظم، وقبة الإسلام، ودار هجرة المسلمين، وهي أول مدينة اختطها المسلمون بالعراق»^(٢). وكان لها ولايات كثيرة وتوابع عظيمة^(٣).

٢ - ولما تمصرت الكوفة على هذا النحو، أصبحت مركزاً للسياسات الإسلامية، وعاصمة للخلافة، فمرت عليها بتأثير مركزها أدوار متناقضة هي جملة أدوار الإمبراطورية الإسلامية، كل هذا ما جعل

(١) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٣٤.

(٢) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٢٦، نقلاً عن: يعقوبي، كتاب البلدان ٣٩ (ط: ليدن).

(٣) المصدر، مترجماً عن: المستوفي القزويني، نزهة القلوب.

لها منزلتها التاريخية اليوم وفي كل يوم التي ترتبط بتاريخ تطورات الإسلام، في أهم عصوره، وأدق ظروفه..»^(١).

ويظهر هذا الموقع المتقدم جداً للكوفة على سائر الحواضر الإسلامية من خلال المحاور التالية:

١ - أنها كانت تمتد كل المناطق التي تحتاج إلى المجاهدين بأعداد كبيرة، كما حدث في فتوح الشام، وتخوم بلاد فارس، ولئن كانت ثمة بعض المشاركات المشابهة لبعض الأمصار الأخرى^(٢) إلا أن الكوفة تبقى في الطليعة.

٢ - أن والي الكوفة كان يمتلك من الصلاحيات ما يبسط نفوذه على كل ما يعرف الآن بالعراق - ماعدا البصرة - فهو الذي يعين عامل المدائن، والموصل وقرقيسيا وغيرها، بل كان يتجاوز نفوذه ليلبغ مناطق شاسعة في ما يعرف اليوم باسم إيران، ومن الواضحات في هذا المجال أن ابن زياد كان قد عين عمر بن سعد عاملاً على الري، ثم بدا له أن يوجهه لحرب سيد الشهداء عليه السلام.

٣ - أن الكوفة كانت مفصلاً رئيساً في بسط النفوذ - عادة - على العالم الإسلامي كله، وقد بقي حكم الأمويين وحكم ابن الزبير مؤرجحاً إلى أن حسم الموقف في الكوفة لصالح الأمويين، ولا ينافي ذلك عدم تمكن المختار من حسم الموقف لصالحه رغم سيطرته على الكوفة وما

(١) المصدر. مقدمة الكتاب، للمقدس آية الله الشيخ محمد رضا المظفر.

(٢) جاء في تاريخ الطبري ٣/ ١٥٥ ما يلي: «كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكؤن إن كان، يشتها في قبلة قصر الكوفة وميسرته، ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الآري إلى اليوم، ويربها فيما بين الفرات والايات من الكوفة مما يلي العاقول فسمته الاعاجم آخر الشاهجان يعنون معلف الأمراء وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنع سوابقها ويجريها في كل عام وبالبصرة نحو منها وقيمه عليها جزء بن معاوية وفي كل مصر من الأمصار الثمانية على قدرها فإن نابتهم نابتة ركب قوم وتقدموا إلى أن يستعد الناس».

والاها، فقد كان يسبح عكس التيار، ومع ذلك فقد مكنته الكوفة من أن يصبح الرقم الصعب آنذاك.

٤ - كانت عين الحاكم المركزي في مختلف المراحل، على الكوفة بالدرجة الأولى وبشكل دائم، لما تقدم من عوامل، ولعدم القدرة على إرضاء أهل الكوفة إلا بشق الأنفس، فالكوفة المائة ألف التي كانت تقض مضجع عمر حين رآه المغيرة مهموماً هي التي كان معاوية يحمل همها في وصيته ليزيد.

سأل المغيرة عمر «هل نابك من نائب؟ قال: وأي نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير»^(١).

وجاء في وصية معاوية ليزيد: «وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل فإن عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف»^(٢).

وبين هذا وذاك وبعدهما أيضاً كان حديث الكوفة مع الولاة، وكثرة من عزل منهم، وطريقة استقبالهم الوالي المتكررة بحصبه وهو على المنبر فرع الحديث المتقدم.

وكما لم تهدأ الكوفة في زمن عمر، لم يقر لها قرار في زمن عثمان من مطالبة بخلع الوالي، إلى منع الوالي الجديد من الدخول إليها، إلى خروج آلاف منها للمشاركة في الإعتراض على اتخاذ آل أبي العاص مال الله دولاً وعباده خولاً، وحصار عثمان الذي أدى إلى قتله.

وربما كان هذا الموقع الإستراتيجي للكوفة ببعديه الجغرافي

(١) الطبري ٢٤٣/٣.

(٢) الطبري ٢٣٨/٤. وحديثه في السياق عن العراق يؤكد أنه يقصد الكوفة.

والسياسي وهذا القلق الكوفي الذي كان يشغل بال المركز أبدأ، في طليعة الأسباب التي جعلت أمير المؤمنين عليه السلام يتخذ الكوفة عاصمة له، معللاً ذلك بقوله: إن الأموال والرجال بالعراق، ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريباً منها^(١).

وقد عانى منهم أمير المؤمنين عليه السلام ماتخر منه الجبال الرواسي، وجرعوه من التهمام والغصص ما يفطر قلوب الخلائق أجمعين، ولم يكتفوا بذلك بل انبرى اثنا عشر ألفاً منهم هم الخوارج لتنصيب أنفسهم «خلفاء» و«أولي الأمر» الذين تجب طاعتهم» وحكموا بخروجه من الدين! والسبب أنه قبل مكرهاً - حفظاً لما يمكن حفظه من مصلحة الإسلام - ما أصروا عليه في صفين بعد أن أوضح لهم خطأهم.

ولئن كانت النهروان قد قضت على أربعة آلاف منهم، فقد بقي ثمانية آلاف يحملون ثارات النهروانيين.

وينبغي أن تترك هذه الثارات إلى ثارات الملأ والمترفين وأثرياء الحرب والإقطاعات في الكوفة، وليس الفصل بينهما في المطلق موضوعياً فقد كان شيب بن ربعي مثلاً خارجياً ومن أثرياء الكوفة.

ولم يختلف شأن الكوفة بعد علي عليه السلام عما كان عليه في عهده ومن قبل، إلا بضراوة الهلع في النفسية الكوفية وشراسة التعبير عنه بالمواقف المتناقضة التي تتراوح بين أدنى الذل والوضاعة، وغاية التجبر والإفتراس.

هذه المدينة العجيبة، والعاصمة العاصفة - «التي كانت بتركيبتها الطبقيّة، والحزبية والقبلية تتبدى في مشاهد تتعاقب، كما البركان يقذف

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ١٤٣.

فورات الدخان، وسورات اللهب الجهنمي المتفجر حمماً، ليشكل اللهب والدخان بتلك الألوان الصفراء والحمراء، والبنفسجية والسوداء في لوحة الأفق مشاهد عجيبة لاتوصف»^(١). - هي التي كانت تشهد إرهابات حركة تغيير، وهي التي لم تخف حقيقتها على سيد الشهداء عليه السلام، ولم تغب عنه لحظة، فنفس أبيه بين جنبيه، والمقاساة التي تحدث عنها أبوه وأخوه واحدة، ومع ذلك فقد قرر أن يرسل إليها الشهيد مسلم بن عقيل وهو يرجو له درجة الشهادة، كما قال له عند الوداع ويأتي في ترجمته.

(١) ميرزا خليل كمره إي، عنصر شجاعت يافداكاري هفتاد ودو تن، ويك تن (فارسي) ج٤ / ١١٥ .
بتصرف . (نسخة مصورة عن نسخة مكتبة السيد المرعشي النجفي بقم . الرقم ١١٥٤٤) .

من هو الشهيد مسلم بن عقيل؟

* على أعتابه

نحن هنا على أعتاب شيخ جليل القدر من شيوخ بني هاشم، وعالم من علمائهم، ومعلم بارز من معالم الجهاد في صدر الإسلام، وهو - بعد المولى علي الأكبر - «أشبه ولد عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه (وآله) وسلم»^(١).

خرج الشهيد مسلم من المدينة مع الإمام الحسين عليه السلام^(٢) فهو من أركان النهضة المباركة منذ البدايات.

وعندما اختاره سيد الشهداء، ليكون في قلب لهوات الكوفة، فقد اختار الشيخ الذي عرك التجارب ولم تفتّ من عضده شيئاً، والفارس الذي شهدت له ساحات الفتح بأن روح أبي طالب بين جنبيه، والله در أبي طالب! لو ولد الناس كلهم كانوا شجعاناً، كما قال رسول الله ﷺ^(٣).

ولئن كان الجزم بحدود انتشار صورة مختلفة عما تقدم متعسراً، فإن بالإمكان الجزم بأن هذا الشهيد القائد لم يُظلم من الكوفيين

(١) ابن حبان، الثقات ٣٩١/٥. وانظر: البخاري، التاريخ الكبير ٢٦٦/٧ بلسان أبي هريرة.

(٢) انظر: الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٠.

(٣) الإريلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (الوفاة ٩٦٣هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢/

٢٣٥ (ط: مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)

وحدهم، لأنه بكل تأكيد مايزال أبرز مصاديق «الجندي الحسيني المجهول» و«القائد الكربلائي الطليعي» المفترى عليه.

ولعل الإمام الحسين عليه السلام، حين قلده وسام «ثقتي من أهل بيتي» كان يحترز مسبقاً من هذه الظلامة.

ولكن عندما يبلغ بنا الجهل المركب حدوده القصوى المقنعة ببراقع الموضوعية، والبحث العلمي، والتحليل التاريخي، نكون قد وصلنا إلى حيث العجز عن فهم الإمام الحسين عليه السلام، وتصبح الجرأة على الشهيد مسلم، أبسط تعابير التجني «العلمي»!

وكم لنا معاصر الإسلاميين المعاصرين من هفوات، يجب أن تعالج بالبحث الجاد الحقيقي لا المدعى، قبل أن يبدأ الحديث عن هفوات غير الإسلاميين.

لم يكن الشهيد مسلم شاباً كما يذكر البعض وبالتالي لم تكن تنقصه التجربة، كما ربما يتصور بعض آخر.

ولا كانت رسالته إلى الإمام من الطريق يستعفيه، كما تُعرض.

ولم يخطيء التقدير في الكوفة إطلاقاً في أي من مراحل وجوده فيها، سواء، عندما لم يقتل ابن زياد - إن ثبت أصلاً وجود تلك المحاولة - أو عندما كتب إلى الإمام يطلب منه القدوم، أوفي تأخير الهجوم على القصر.

وهذا ما يتم الحديث عنه في ما يأتي بحوله تعالى.

* وتجدر الإشارة هنا إلى أن سيرة الشهيد مسلم تحظى بالإهتمام - عادة - في الأيام الأولى من عاشوراء، إلا أن من المهم أن نتنبه إلى أن أحداث نهضة الإمام الحسين وملايساتها استمرت من أواخر رجب وحتى آخر صفر، فلقد دخل عليه السلام مكة كما تقدّم في الثالث من شعبان ذكرى

مولده الشريف، وكان رجوع السبايا إلى المدينة أواخر شهر صفر - فيما يبدو - وكانت فترة مسلم منها ما بين النصف من شهر رمضان اليوم الذي خرج فيه من مكة^(١) وحتى التاسع من ذي الحجة يوم استشهاده، وهو اليوم الذي غادر فيه سيد الشهداء مكة، وفي الطريق وعندما وصل إلى «زرود»^(٢) أو «زباله»^(٣) بلغه نبأ استشهاده رضوان الله تعالى عليه، والمراد طبعاً وصول الخبر إليه عليه السلام، عبر الطرق العادية والمتعارفة.

وبناء عليه فإن أيام الحزن على مسلم رضوان الله عليه، تبدأ من قبل يوم عيد الأضحى، ومن اليوم الثامن من ذي الحجة بالتحديد، حيث إن الناس تفرقوا عنه في هذا اليوم، ثم استشهد في التاسع من ذي الحجة^(٤) فقبل أيام عاشوراء ينبغي استشعار الحزن على مسلم الذي بكاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يأتي، إن شاء الله تعالى.

* محاور التعريف بالشهيد

تتوزع هذه المحاور كما يلي:

١ - الأسرة.

٢ - السُّرب

٣ - في حروب الفتح؟

٤ - مهمته في الكوفة.

٥ - الشهادة.

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٤.

(٢) الطبري ٤/٢٨١.

(٣) الخوارزمي ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ٣/٦٠. (م. م). والشيخ المفيد، الإرشاد ٢١٩. وانظر: الطبري ٤/٢٨٦.

* في المحور الأول: الأسرة.

أ - الأب:

أبوه عقيل بن أبي طالب الذي كان أكبر من أخيه لأبيه وأمه، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بعشرين سنة كما يأتي.

وفي ترجمة والده عقيل، قال السيد الخوئي:

عقيل بن أبي طالب: من أصحاب علي عليه السلام، «...» وروى الصدوق - قدس سره - في الخصال بإسناده إلى ابن عباس قال: كان بين طالب وعقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر عشر سنين، وبين جعفر وعلي عليه السلام عشر سنين، وكان علي عليه السلام أصغرهم «...»^(١). وروى الصدوق - قدس سره - بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: قال علي عليه السلام، لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ﷺ إنك لتحب عقيلاً! قال: إي والله إنني لأحبه حبين، حباً له وحباً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك...»^(٢).

* وقال البروجردي:

عقيل بن أبي طالب، أخوه (أي الأمير) عليه السلام معظم، لا يحتاج إلى التوصيف، بل هو أجل من أن يسطر ويحرر، جليل عند أخيه عليه السلام وفي النبوي في جواب علي عليه السلام إنك لتحب عقيلاً؟ قال: إي والله لأحبه حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب الحديث^(٣).

(١) أنظر: الشيخ الصدوق، الخصال: باب الثلاثة، ثلاثة إخوة بين كل واحد منهم وبين الذي يليه عشر سنين.

(٢) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ١٢/١٧٤.

(٣) البروجردي، السيد علي، طرائف المقال ٢/١٠٠.

ب - الأم

معرفة عقيل بالأنساب مشهورة، وكذلك اقتراحه «أم البنين» على أمير المؤمنين عليه السلام، مما يفتح الباب أمام التساؤل عن العلاقة بين اختيار أم الشهيد مسلم ونهضة سيد الشهداء، إلا أنه مجرد تساؤل لا يعضده الدليل، غير أنه في غاية الوجاهة، حيث لم يكن التمهيد لكربلاء منحصراً بأهل البيت عليهم السلام، بل كان يتجاوزهم إلى من هو منهم أو معهم كسلمان الفارسي، أو الباهلي الذي هيا الشهيد زهير بن القين لوقفته الكربلائية، والشهداء ميثم وحبيب ورشيد وغيرهم.

ألا يطرح ذلك احتمال أن يكون الشهيد مسلم كأبي الفضل، قد لوحظ عند اختيار عقيل والدته، المهمة الكربلائية التي سيقوم بها؟
ثم ألا يطرح هذا الإحتمال نفسه بالنسبة لسائر الشهداء في كربلاء من أولاد عقيل؟

وبناء عليه يمكن تقدير المقومات العقلية والخلقية والروحية عموماً في من تم اختيارها فكانت أم الشهيد مسلم التي «لم يعطها التاريخ حقها كما لم يعط حق ولدها المعظم الثابت له»^(١).

والشاهد وإخوته وأخواته لأمهات شتى، إلا أن إخوة الشهيد مسلم لأمه - علي ما ذكر ابن سعد - الثلاثة المذكورون بعده كما يأتي وهم: عبدالله، وعبد الرحمن، وعلي الأصغر، وأمهم خليلة.

وحول أم الشهيد هناك اختلاف في المصادر في أكثر من مورد - منها الإسم - والمهم منها حكاية عليلة مؤداها أن معاوية اشتراها لعقيل

(١) المقدم، السيد عبد الرزاق الموسوي، الشهيد مسلم بن عقيل ٣٤ (حسب نسخة مؤسسة البعثة، المنشورة في موقع hawzah.net).

بطلب من الأخير، حين قدومه عليه في الشام، وسيكشف الحديث عن عمره الشريف أنه ولد قبل أن يتظاهر معاوية بالإسلام، ويقدم بعض المتتبعين أدلة وافية حول اختلاق هذه الحكاية من قبل شبكة التضليل الأموية، وأن أم الشهيد لم تكن أمة «أم ولد» بل هي حرة من المنطقة الواقعة بين العراقين الكوفة والبصرة، فهي بالتالي من أصول إيرانية^(١). والأرجح أنها من النبط الذين روي عن علي عليه السلام، أنهم قوم نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهم بالتالي أصل قريش، كما مر في الحديث عن تمصير الكوفة.

ج - الإخوة:

وكان لعقيل بن أبي طالب رضوان الله عليه من الأولاد:

- ١ - «يزيد وبه كان يكنى.
- ٢ - وسعيد.
- ٣ - وجعفر الأكبر.
- ٤ - وأبو سعيد الأحول وهو اسمه.
- ٥ - ومسلم بن عقيل وهو الذي بعثه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من مكة يبايع له الناس.
- ٦ - وعبد الله بن عقيل.
- ٧ - وعبد الرحمن.
- ٨ - وعبد الله الأصغر.

(١) أنظر: ميرزا خليل كمره إي، عنصر شجاعت يافداكاري هفتاد ودو تن ويك تن (فارسي) ج٤/٦١ - ٦٣ (نسخة مصورة عن نسخة مكتبة السيد المرعشي النجفي بقم. الرقم ١١٥٤٤). وانظر: المقدم، الشهيد مسلم بن عقيل ٣٦ - ٤٨ بحسب نسخة rafd.net

٩ - وعلي لا بقية له .

١٠ - وجعفر الأصغر .

١١ - وحمزة .

١٢ - وعثمان .

١٣ - ومحمد .

١٤ - ورملة .

١٥ - وأم هانيء .

١٦ - وأسماء .

١٧ - وفاطمة .

١٨ - وأم القاسم .

١٩ - وزينب .

٢٠ - وأم النعمان^(١) .

والحاجة إلى معرفة إخوة الشهيد، أكبر من مجرد اقتضاء ترجمة أخيهم، فقد كان حضور آل عقيل في كربلاء مميزاً، وقد اشتهر قول الشاعر:

عين جودي بعبرة وعويل واندبي إن ندبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وتسعة لعقيل^(٢)

(١) أنظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٤/٤٢ - ٤٣ . وقد أورد الفارق بين سن كل من أولاد أبي

طالب رضوان الله عليه كما تقدم من السيد الخوئي، وكذلك أورد ابن قتيبة في المعارف/٢٠٣ .

(٢) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم، ٢١٣ - ٢٧٦ هـ) المعارف/٢٠٤ (ط: دار المعارف بمصر،

الطبعة الثانية) . ورواية البلاذري: وستة لعقيل، قال «وروي: وخمسة لعقيل». أنساب الأشراف ٧٠ .

* وفي ترجمة الشهيد مسلم، قال السيد الخوئي:

«مسلم بن عقيل: ابن أبي طالب، من أصحاب الحسن عليه السلام. رجال الشيخ. وقال ابن داود من القسم الأول: مسلم بن عقيل بن أبي طالب (عده الشيخ في أصحاب الحسن والحسين عليهما السلام) انتهى. والظاهر أن ما في نسخته هو الصحيح، فإن كون مسلم بن عقيل من أصحاب الحسين عليه السلام وسفير(ه) إلى أهل الكوفة وأول مستشهد في سبيله أظهر من الشمس، وكيف كان، فجلالة مسلم بن عقيل وعظمته فوق ما تحويه عبارة، فقد كان بصفين في ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، ذكره ابن شهر آشوب في المناقب: الجزء ٣، في حرب صفين. وقال المفيد - قدس سره - ثم كتب (الحسين عليه السلام) مع هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله وكان آخر الرسل إلى أهل الكوفة: «واني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل»، وروى الصدوق - قدس سره - عن «...» ابن عباس، قال: قال علي عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنك لتحب عقيلاً؟ قال: إي والله إنني لأحبه حبين، حباً له وحباً لحب أبي طالب له، وإن ولده مقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله ﷺ حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي»^(١).

ولنتذكر من كلامه عليه الرحمة والرضوان، نقطتين نحتاجهما

لاحقاً:

(١) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ١٩ / ١٦٥ - ١٦٦. وقد ذكر مصدر رواية الشيخ الصدوق، الأمالي، المجلس (٢٧) الحديث (٣). وتجدها في ط: مؤسسة الأعلمي، ص ١١١، كما تجد الرواية أيضاً في البحار ٤٤ / ٢٨٧ - ٢٨٨.

١ - أن الشهيد مسلماً كان في صفين في ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام .

٢ - أنه لم يصف الرواية هنا بضعف السند كما فعل في ترجمة عقيل المتقدمة .

وقال الشيخ المامقاني ، في ترجمة الشهيد مسلم :

« . . من أصحاب الحسن والحسين عليهما السلام ، هو سيد السعداء ، وأول الشهداء ، ^(١) وسفير سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة ، وجلالته مما لا يفي بها قلم ، ولا يحيط بها رقم ، وقد روى الصدوق عن « . . » ابن عباس : قال علي عليه السلام : يا رسول الله : انك لتحب عقيلاً ، قال : إي والله إنني لأحبه حبين ، حباً له وحباً لحب أبي طالب له وإن ولده لمقتول في محبة ولدك فدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون ، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جرت دموعه على صدره ثم قال : إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي ، وكان عمره الشريف حين استشهد ثمانية وعشرين سنة ، عاش مع أبيه ثمانية عشرة سنة ، وبعد أبيه إلى أن قتل عشر سنين ، واستشهد في اليوم الثامن أو التاسع من ذي الحجة سنة تسع وخمسين ^(٢) .

وسيتضح أن بعض النقاط الواردة في كلامه رضوان الله عليه ، لا يساعد عليها الدليل ، والعبارة الأخيرة حول تحديد سنة شهادته ، هي من سهو القلم .

(١) الشهيد مسلم أول الشهداء في الكوفة ، ويأتي أن أول شهداء كربلاء ، هو رسول الإمام إلى البصرة .
(٢) المامقاني (آية الله الشيخ عبدالله) تنقيح المقال ٢١٢/٣ (ط: المطبعة المرتضوية ، النجف ، ١٣٥٢ هـ) .

* وفي المحور الثاني: السُّرب

يجزم المتأمل في سيرة الشهيد مسلم، وبمتهى اليسر أنه من معدن «أهل البيت» عليه السلام، وليس كل الطالبين من هذا المعدن، ولا كل من وقف في المفاصل مع علي وآله عليهم السلام على نسق واحد، هو نسق الحمزة أسد الله وأسد رسوله، أو جعفر الطيار ذي الجناحين، إلا أن الشهيد مسلماً من هذا السرب والنسق، وهو ما يتضح بالوقوف عند المرتكزات التالية:

أولاً: ما يجب أن يكون القاعدة الرئيسة التي لا بد من الإنطلاق منها للوصول إلى تصور موضوعي ينسجم مع عظمة هذا الشهيد وجلالة قدره، وهي كلمة سيد الشهداء التاريخية في حقه: «ثقتي من أهلي» والتي رواها الشيعة والسنة كما سنرى.

ثانياً: وعند شواهد نادرة أفلتت من قبضة التزوير والتعتيم لتقدم لنا مؤشرات هامة على ملامح من شخصيته العظيمة.

ثالثاً: وعند التفاصيل الوافية حيناً و«المتاحة» أحياناً عن ظروف استشهاده، رضوان الله تعالى عليه.

وسأقف هنا عند المرتكز الأول والثاني تاركاً الحديث عن الثالث إلى موقعه الطبيعي في تسلسل الأحداث.

* أخي وثقتي من أهلي

أجمع عدد من كبار المؤرخين من الفريقين الشيعة والسنة على أن الإمام الحسين عليه السلام وصف الشهيد مسلماً بأنه ابن عمه وأخوه وثقته من أهل بيته، ولا يخفى أن دلالة وصفي «أخي وثقتي من أهل بيتي» على عظيم منزلة هذا الشهيد القائد جديرة بأن تكون القاعدة لكل مقارنة لأبعاد شخصيته المحمدية النوعية.

لذلك سأقف عند مصادرها بشيء من التفصيل، مقتصرأ على ذكر العبارة المتعلقة بذلك من رسالة سيد الشهداء عليه السلام كما وردت في هذه المصادر.

قال الشيخ المفيد:

«وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل»^(١).

وقال ابن شهرآشوب:

«وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي»^(٢).

وقال الشيخ الطبرسي:

«وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل»^(٣).

وقال الطبري:

«وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي»^(٤).

وقال الدينوري:

«وإني باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل»^(٥).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٣٩ وقد أورده نقلاً عنه: المجلسي، البحار ٤٤/٣٣٤ والبحراني، العوالم:

الإمام الحسين عليه السلام ٨٤. والسيد الخوئي ١٩/١٦٥ - ١٦٦.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب ٣/٢٤٢.

(٣) الشيخ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى ١/٤٣٦.

(٤) الطبري ٤/٢٦١.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٠.

وقال ابن قتيبة:

«وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي»^(١).

وقال ابن خلدون:

«وقد بعثت إليكم ابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل»^(٢).

* ملامح من شخصية الشهيد

١ - من أشبه الناس برسول الله ﷺ

بالإضافة إلى «أخوة» الإمام الحسين ﷺ، و«ثقته» وبالإضافة إلى كل ما تأسى فيه الشهيد مسلم بسيد الشهداء ﷺ، من الغربة والعطش في الكوفة وفي كبد الصحراء، والجهاد والشهادة، فهو يُذكر مع الحسين عليه صلوات الرحمن في عداد «أشبه الناس برسول الله ﷺ».

ورغم أن شبه الحسنين بجدتهما ﷺ مستفيض في المصادر فإنني أورد ما ذكره ابن حجر في الإصابة حيث يقول: «ومن حديث ابن سيرين عن أنس قال كان الحسن والحسين أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(٣).

وأما شبه الشهيد مسلم بالمصطفى الحبيب ﷺ، فقد قال فيه ابن

حيان:

«مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو داود وكان أشبه ولد عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم»^(٤).

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، تحقيق الشيري ٢ / ٨.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ٢٢ / ٣.

(٣) ابن حجر، الإصابة ٢: ٦٩.

(٤) ابن حبان، الثقات ٥ / ٣٩١.

وقد أورد ذلك أيضاً ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري، وتحدث مطولاً عن أشبه رسول الله ﷺ وذكر «مسلم بن عقيل» في عدة موارد^(١).

٢ - العالم

ليس كل من يروى عنه علم بعالم، إلا أن من ثبت له من سمو المنزلة بعض ما ثبت للشهيد مسلم، يجدر التوقف عند ما يرد في كتب العلماء من قولهم فيه: سمع منه، أو روى عنه، مع ملاحظة من روى عنه بالواسطة.

قال البخاري: «صفوان بن موهب سمع مسلم بن عقيل، روى عنه عمرو بن دينار وعطاء»^(٢).

وقال الرازي: «صفوان بن موهب مكّي روى عن مسلم بن عقيل»^(٣).

وقال ابن حبان: «أدرك جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم روى عنه صفوان بن موهب»^(٤).

ولا ضرورة إلى تأكيد أن قول ابن حبان «أدرك جماعة من أصحاب النبي» ليس تعبيراً دقيقاً، فسيوضح من خلال التحديد التقريبي الوجيه جداً لعمره الشريف أنه أدرك أكثر الصحابة.

(١) ابن حجر، فتح الباري ٧/٧٤ - ٧٧ و ٣٩٠.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير ٤/٣٠٧، وانظر: ٧/٢٦٦.

(٣) الرازي، الجرح والتعديل ٤ / ٤٢٣ . و ٨ / ١٩٠.

(٤) ابن حبان، الثقات ٥ / ٣٩١.

٣ - الزاهد

ليس الزهد إلا حسن الإشتباك بالدنيا، ومقياس الحسن والقبح شرعي، فيما أن أصل الإشتباك لا بد منه، فليكن حسناً، ولا حسن اشتباك بالدنيا إلا بتجنب الدخول حتى في ما يجمل اجتنابه وعدم الدخول فيه، وترتبط درجة الزهد بدرجة هذا الإجتنا.

من هنا كان اجتناب المتصدي للمسؤولية العامة تناول شيء ولو يسير من المال العام، يكشف عن درجة متقدمة من الزهد، وكلما كان الثمن الذي يدفعه نتيجة هذا الإجتنا أكثر كانت درجة هذا الزهد أكبر.

والإشارة إلى زهد الشهيد يحملها النص الذي يتحدث عن وصيته على أبواب الشهادة حين قال لابن سعد عن مبلغ استدانه وهو ما تجمع مصادر أساسية على أصله وتفصيله وإن اختلف بعضها في كيفية التفصيل، فجاء ذلك كما يلي:

في تاريخ الطبري:

«فقال له إن عليّ بالكوفة ديناً استدانته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني»^(١).

وفي الأخبار الطوال:

«فقال له: أتقبل وصيتي؟ قال: نعم. قال مسلم: إن عليّ هاهنا ديناً، مقدار ألف درهم، فاقض عني»^(٢).

(١) الطبري ٢٨٢/٤.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤١.

وَفِي الْإِرْشَادِ:

«فَقَالَ لَهُ: إِنَّ عَلِيَّ بِالْكُوفَةِ دِينَاً اسْتَدْنْتَهُ مِنْذُ قَدَمْتَ الْكُوفَةَ سَبْعَ مِائَةِ دَرْهَمٍ، فَبِعَ سَيْفِي وَدَرْعِي فَاقْضِهَا عَنِّي»^(١).

وَفِي مِقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ:

«فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ: إِنَّ عَلِيَّ بِالْكُوفَةِ دِينَاً اسْتَدْنْتَهُ مِنْذُ قَدَمْتَهَا تَقْضِيهِ عَنِّي حَتَّى يَأْتِيكَ مِنْ غَلْتِي بِالْمَدِينَةِ»^(٢).

وَلَعَلَّ أَهْمَ إِشَارَتَيْنِ يَحْمِلُهُمَا النَّصْرُ بِصَيْغِهِ الْوَاحِدَةَ تَقْرِيْباً - مَا عَدَا الْآخِرَةَ - هُمَا: أَنَّ الشَّهِيدَ لَمْ يَتَنَاوَلَ شَيْئاً مِنَ الْمَالِ الْعَامِ رَغْمَ أَنَّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ اسْتَدْعَى تَعْيِينَ شَخْصٍ لِقَبْضِ الْمَالِ، وَشِرَاءِ السَّلَاحِ، وَهُوَ الشَّهِيدُ أَبُو ثَمَامَةَ الصَّائِدِي^(٣) وَأَنَّ سَيْفَهُ وَدَرْعَهُ كَانَا مِلْكَاً شَخْصِيّاً لَمْ يَبْعُهُمَا بَدَلَ أَنْ يَسْتَدِينِ عِنْدَمَا احْتِاجَ إِلَى ذَلِكَ بِحُجَّةٍ أَنْ فِي مَتَنَاوَلِهِ مِنَ السَّلَاحِ الْكَثِيرِ، وَإِذَا كَانَ سَبَبَ اسْتَدْنَاتِهِ هَذَا الْمَبْلُغُ هُوَ شِرَاؤُهُ السَّيْفَ وَالذَّرْعَ فَالذَّلَالَةُ أَبْلَغُ بِكَثِيرٍ.

٤ - الْعَابِدُ

أَذْكَرُ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَرْبَعَةَ نَصُوصٍ تَحْمِلُ إِشَارَاتٍ هَامَةً:

الأول: «فَلَمَّا سَمِعَ مُسْلِمٌ صَهِيلَ الْخَيْلِ عَجَلَ فِي دَعَائِهِ الَّذِي كَانَ مَشْغُولاً بِهِ»^(٤)

(١) الشَّيْخُ الْمَفِيدُ، الْإِرْشَادُ ٦١/٢. وَنَقْلًا عَنْهُ: الْمَجْلِسِيُّ، الْبَحَارُ ٣٥٦/٤٤.

(٢) أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ، مِقَاتِلُ الطَّالِبِيِّينَ ٦٧.

(٣) الشَّيْخُ الْمَفِيدُ، الْإِرْشَادُ ٤٦/٢. وَنَقْلًا عَنْهُ: الْمَجْلِسِيُّ، الْبَحَارُ ٣٤٢/٤٤ وَالسَّيِّدُ بَحْرُ الْعُلُومِ، الْفَوَائِدُ الرَّجَالِيَّةُ ٢٠/٤. وَالطَّبْرِيُّ ٢٧١/٤.

(٤) الْمَحْدِثُ الْقَمِي (الشَّيْخُ عَبَّاسٌ) نَفْسُ الْمَهْمُومِ ١٠٨. (ط: الْخِيَامُ. ن: مَكْتَبَةُ بَصِيرْتِي، قَم ١٤٠٥). وَنَقْلًا عَنْ: كَامِلِ الْبَهَائِيِّ ٢٧٥/٢. وَقَدْ أوردَهُ نَقْلًا عَنْ نَفْسِ الْمَهْمُومِ: السَّيِّدُ الْمَقْرَمُ، مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ أَوْ حَدِيثُ كَرْبَلَاءَ ١٥٨ (ط: دَارُ الْكِتَابِ الْإِسْلَامِيِّ، بَيْرُوتُ ١٣٩٩هـ/١٩٩٧م). وَفِي مَقْدَمَةِ نَفْسِ =

وفي إضافة لبعض المحققين: «بعد صلاة الصبح»^(١).

الثاني: عندما هجموا عليه في بيت طوعة «كان يقاتلهم وهو

يرتجز:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع فأنت بكأس الموت لا شك جارح
فصبراً لأمر الله جل جلاله فحكم قضاء الله في الخلق ذابح

وهو رجز بوردي، يذكر بوردي عمه المولى أمير المؤمنين عليه السلام عندما لم يبق غيره - وإن قيل: ونفر يسير - ليحمي به الوطيس يوم بدر: يا هو يا من لا هو إلا هو. وهو ورده أيضاً يوم صفين^(٢).

الثالث: عندما أثنى بالجراح وأعطى الأمان - بناء على ثبوت ذلك

- ثم لاحت علائم الغدر، قال:

«أين أمانكم إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى. فقال له عمرو بن عبيدالله بن عباس إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك قال إني والله مالنفسي أبكي ولا لها من القتل أرثي وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي! أبكي للحسين وآل الحسين. ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله إني أراك والله ستعجز عن أماني فهل عندك خير، تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً فإني لا أراه إلا قد خرج اليكم اليوم مقبلاً أو هو خارج غداً، هو وأهل بيته. وإن ما ترى من

=المهموم، قال المحدث القمي: الكامل البهائي في السقيفة، للشيخ العالم الماهر الفقيه المطلع الخبير الجليل المحدث النبيل، عماد الدين الحسن بن علي بن محمد الطبري، المعاصر للمحقق والعلامة، رفع الله مقامه، ألفه لبهاء الدين محمد بن شمس الجويني المشهور بصاحب ديوان، وفرغ منه سنة ٦٧٥.

(١) المقدم ١٥٨.

(٢) الشيخ ابن فهد الحلبي، عدة الداعي ٢٦٣.

جزعي، لذلك، فيقول: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسير لا يرى أن يمسي حتى يقتل وهو يقول إرجع بأهل بيتك»^(١).

وروح العبادة لدى التأمل حب الله تعالى، ومحوره ودليله حب رسول الله ﷺ، وجوهره حب الحسين عليه السلام بشكل خاص باعتبار أنه الإمتحان الذي يكشف عن النجاح في حب أهل البيت جميعاً عليهم صلوات الرحمن، وبالتالي في حب المصطفى الحبيب وحب الله تعالى.

الرابع: النص الذي يتحدث عن لحظة صعودهم بالشهيد مسلم إلى أعلى القصر، وهو كما يلي: «فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وخذلونا».

يضيف النص: «نزل الأحمر بن بكير بن حمران الذي قتل مسلماً فقال له ابن زياد: قتلته؟ قال نعم. قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر فلما أدنيت له لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا»^(٢).

٥ - القائد الجهادي

يأتي الحديث بالتفصيل عن مواجهته البطولية النادرة حين أحيط به في الكوفة، إلا أن ما أريد الإشارة إليه من التذكير بهذه المواجهة أنها تكشف عن فارس صقلته التجارب، فأين كانت هذه التجارب، وما هي ميادينها؟

وهو سؤال شديد الحساسية لأن الجواب عليه سوف يلقي بضوئه

(١) الطبري ، ٤ / ٢٨٠ .

(٢) الطبري ٤ / ٢٨١ - ١٨٢ . وقد ورد في المصدر في كلام الشهيد «وأذلونا» وهو تصحيف «خذلونا» بقريئة آخر النص وقرائن الحال .

على تحديد تقريبي لعمره الشريف، وبالتالي على مجمل أبعاد شخصية الشهيد مسلم رضوان الله تعالى عليه.

إن كان قد شارك في صفين، واكتسب منها بعض تلك التجارب التي ظهرت جلية في مواجهته الميدانية في الكوفة، بحيث إن أحد قادة الحملة ضده عبّر عنه بأنه «سيف من أسياف محمد بن عبدالله» أو بما يلتقي معه، كما سيأتي^(١).

وإن كان قد شارك في حروب الفتح، فالتجربة أطول مكابدة وأصلب عوداً.

والحديث هنا عن مشاركته في صفين، ويأتي تحت عنوان في حروب الفتح ما يتعلق بذلك.

في معرض حديثه عن حرب صفين، قال ابن شهر آشوب:

فلما استهل صفر سنة سبع وثلاثين «..» عبأ (علي عليه السلام) عسكره فجعل على ميمته الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى ميسرته محمد بن الحنفية، ومحمد بن أبي بكر، وهاشم بن عتبة المرقال، وعلى القلب عبد الله بن العباس، والعباس بن ربيعة بن الحارث، والأشتر والأشعث، وعلى الجناح سعد بن قيس الهمداني، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ورفاعة بن شداد البجلي، وعدي بن حاتم، وعلى الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعامر بن وائلة الكناني، وقبيصة بن جابر الأسدي^(٢).

(١) ابن أعمش (الوفاة ٣١٤ هجرية) الفتوح ٥/٥٣: الشيري، ط: دار الأضواء، بيروت، أولى ١٤١١ - ١٩٩١م). وعنه: الخوازمي (الوفاة ٥٨٦ هجرية) مقتل الحسين ٣٠١ (ت: الشيخ محمد السماوي. ط: أنوار الهدى، بيروت. أولى ١٤١٨). وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣/٢٤٤. وليلاحظ أن اللفظ الوارد في المتن قد نقله السيد المقدم في مقتل الحسين ١٥٩ عن المنتخب للطريحي، الليلة العاشرة، ويأتي مزيد إيضاح في الحديث عن «المواجهة».

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢/٣٥٢.

ويكفي لإثبات أهمية هذا النص أن الذي أورده هو العالم الجليل الإمام الحافظ ابن شهر آشوب الذي هوفي عداد كبار علمائنا الأجلاء^(١). وقد مر استشهاد السيد الخوئي بهذا النص نقلاً عنه.

كما استشهد به عدد من المحققين.

وبعد أن أورد السيد المكرم هذا النص عقب قائلاً:

«و من المعلوم أن من يجعله أمير المؤمنين في صف أولاد عميه البالغين نحواً من خمس وثلاثين سنة لا بد وأن يقاربهم في السن كما قرن بين ابن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهما متقاربان في السن فإن محمد بن الحنفية ولد سنة ١٦ وله يوم صفين إحدى وعشرون سنة ومحمد بن أبي بكر ولد عام حجة الوداع بذي الحليفة أو بالشجرة حين توجه رسول الله للحج وقتل سنة ٣٨ وله يوم صفين ٢٧ سنة، وحينئذ لا أقل أن يقدر عمر مسلم بن عقيل (عند مشاركته في صفين) بالثلاثين أو الثمان وعشرين وتكون ولادته أما سنة سبع أو تسع وله يوم شهادته أكثر

(١) انظر بعض أقوال العلماء فيه، في مقدمة كتابه «معالم العلماء». وقد قال فيه السيد المكرم: «ابن شهر آشوب الحافظ الثبت الثقة بنص الفريقين من الشيعة والسنة». ثم أشار إلى ترجمته في المصادر التالية: «بغية الوعاة للسيوطي ص ٧٧، ولسان الميزان لابن حجر ج ٥ ص ٣١٠، وطبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي المالكي، والبلغة للفيروز آبادي، والوافي بالوفيات للصفدي، ومن علماء الشيعة أتى عليه العلامة الحلي في الخلاصة، وميرزا محمد في منهج المقال، أبو علي الحائري في منتهى المقال، والتفريشي في نقد الرجال، والأغا البهباني في التعليقة، والحر العاملي في أمل الآمل، والسيد في روضات الجنات». الشهيد مسلم بن عقيل ٤١. (من المتن والهامش). وقد أوضح ابن شهر آشوب في مقدمة كتابه مناقب آل أبي طالب طريقته في التأليف وهي تكشف عن عالم ثبت متبحر أحاط بأسناد كتب الفريقين، وقد أورد طرقه إلى جميع الكتب المعروفة والمؤلفين الأبرز من السنة والشيعة، وقال: «فاستصوبت من عيون كتب العامة والخاصة معاً لأنه إذا اتفق المتضادان في النقل على خبر فالخير حاكم عليهما، وشاهد للمحقق في اعتقاده منهما». كما أنه رضوان الله تعالى عليه قد اعتنى بالأسانيد عناية خاصة وإن لم يوردها، مكثفاً بما يدل عليها، وقال في ذلك: «وحذفت أسانيدنا لشهرتها، وأشرت إلى روايتها وطرقها والكتب المتزعة منها لتخرج بذلك عن حد المراسيل وتلحق بباب المسندات». انظر: مقدمة المناقب.

من خمسين سنة وعلى هذا التقدير في ولادته أين ولاية معاوية في الشام وأين مسير عقيل اليه، بل أين إسلام معاوية؟ فإنه أسلم بعد سنة تسع قبل وفاة النبي ﷺ . بأشهر^(١) .

وما ينبغي تصحيحه في هدي حضور الشهيد مسلم في صفين ومشاركته القيادية فيها، هو التالي:

أولاً: ما تقدم عن الشيخ المامقاني، ولعله المركوز في الأذهان، من أن الشهيد كان شاباً، واستشهد في الثامنة والعشرين، فبالرغم من أن العمر بالنسبة للإستثنائيين من الناس لا يقع ضمن مقومات الشخصية - وليس من يصفه سيد الشهداء ﷺ بأخيه، وثقته من أهل بيته إلا في طليعة الإستثنائيين - إلا أن الصحيح أنه رضوان الله تعالى عليه كان عند شهادته في الخمسينات أو على مشارفها، على أقل تقدير، وسيأتي في الحديث عن ولديه الشهيدين في كربلاء، وولديه الآخرين الشهيدين في سياقها، مزيد تأكيد لذلك.

ثانياً: سحب خرافة شراء معاوية لعقيل الجارية التي ولدت مسلماً من التداول، حيث أنها متفرعة على ما يحكى من وفود عقيل على معاوية بعد أن تسلل إلى الحكم، ولم يتحقق له ذلك إلا بعد صفين، وقد كان الشهيد مسلم من قادة مواجهته فيها، فكيف يتداول بما يتحدث عن ولادته بعد سنين.

ثالثاً: إعادة النظر في كل مقاربة تحليلية لأحداث توجه الشهيد مسلم إلى الكوفة وما جرى معه فيها، من منطلق أننا أمام شاب تنقصه

(١) المقرم (السيد عبد الرزاق الموسوي) الشهيد مسلم بن عقيل ٤١ (بحسب نسخة صفحة rafed.net). وانظر: النمازي، (الشيخ علي) مستدرك سفينة البحار/٥/١٣٧ - ١٣٩ فقد أورد ما يقرب من كلام السيد المقرم.

التجربة، فلا ينسجم ذلك مع شخصية ثقة الحسين وأخيه - بصرف النظر عن العمر كما سبقت الإشارة - وليس ذلك صحيحاً في حد ذاته .

ولعل من المفيد الإلفات إلى أن مراد السيد المقرم من أن معاوية «أسلم بعد سنة تسع» . . «بأشهر» أنه «تظاهر بالإسلام» قبل وفاة الرسول ﷺ بأشهر، حددها غيره بخمسة، فالحق أن معاوية وزمرته لم يسلموا أبداً، وقد أخبر بذلك سيد الأوصياء ونفس رسول الله ﷺ بنص القرآن الكريم حين قال في صفين، عن معاوية وابن العاص وأضرابهما: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسرؤوا الكفر، فلما وجدوا عليه أعواناً أظهروه»^(١) .

وفي ذلك اليوم قال الصحابي الجليل عمار بن ياسر الذي شهد له رسول الله ﷺ بحسن العاقبة: «يا أهل الشام، أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين . فلما أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله أتى إلى النبي ﷺ فأسلم، وهو والله فيما يرى راهب غير راغب . ثم قبض الله رسوله، وأنا والله لنعرفه بعداوة المسلم، ومودة المجرم! ألا وإنه معاوية، فقاتلوه والعنوه، فإنه ممن يطفىء نور الله ويظاهر أعداء الله»^(٢) .

٦ - والد الشهداء الأربعة

بحسب أكثر المؤرخين^(٣) فإن الشهيد صاهر عمه أمير المؤمنين عليه السلام مرة، وقد استشهد اثنان من أولاده مع سيد الشهداء في كربلاء، وبحسب بعض المؤرخين، فقد صاهر الشهيد عمه مرتين،

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٣١/٤ .

(٢) المصدر ٣٠ .

(٣) لا يتبنى ذلك بعضهم . انظر: العصفري، تاريخ خليفة بن خياط ١٧٩ .

واستشهد من أولاده أربعة اثنان منهم في كربلاء، واثنان بعدها وتبدأ قصة استشهادهما عند الهجوم على معسكر سيد الشهداء بعد شهادته عليه صلوات الرحمن.

قال السيد المقرم:

«تزوج مسلم . عليه السلام . رقية بنت أمير المؤمنين . عليه السلام . فولدت له عبد الله وعلياً، و(من أولاده) محمد من أم ولد، وأما مسلم وعبد العزيز فلم يعين ابن قتيبة أمهما، وله بنت اسمها حميدة أمها أم كلثوم الصغرى بنت أمير المؤمنين، وحيث لا يصح الجمع بن الأختين فلا بد من فراق إحداهما أو موتها، وتزوج حميدة ابن عمها وابن خالتها عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، وأمه زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين، وولدت حميدة محمداً أعقب من خمسة القاسم وعقيل وعلي وطاهر وإبراهيم.

فأولاد مسلم الذكور خمسة: عبد الله ومحمد استشهدا يوم الطف، واثنان قتل بالكوفة، ولم نقف على شيء من أمر الخامس.

وكان من حديث المقتولين بالكوفة ما يحدث به الشيخ الصدوق عن رجاله قال: أسر طفلان من عسكر الحسين، فجيء بهما إلى ابن زياد، فدفعهما إلى رجل، وأوصاه الخ^(١).

وقال البلاذري:

وولد مسلم بن عقيل عبد الله وعلياً، أمهما رقية بنت علي بن أبي

(١) المقرم، الشهيد مسلم بن عقيل ١٥٧. وحول أن لمسلم بنتا اسمها حميدة يقول ابن ماكولا: «ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، فيه العقب، أمه حميدة بنت مسلم بن عقيل بن أبي طالب». إكمال الكمال ٦ / ٢٣٥.

طالب - ومسلم بن مسلم - أمه من بني عامر بن صعصعة - وعبد الله لأم ولد - ومحمداً^(١).

وقال البغدادي:

وصاهره مسلم بن عقيل مرة أخرى تزوج رقية الصغرى بنت علي^(٢).

وقال الذهبي:

«وقتل مع الحسين، ابن أخيه القاسم بن الحسن، وعبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب»^(٣).

ونخرج مما تقدم بنتيجتين:

١ - النتيجة الأبرز وهي أن الشهيد صهر أمير المؤمنين عليه السلام، وأن اثنين من أولاده في عداد شهداء كربلاء.

وينبغي التنبه إلى أن المؤرخين قد تحدثوا عن استشهاد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام وكان في مقتبل العمر، ولم يذكر أحد منهم ذلك حول أحد من الشهداء العقيليين، وهو يكشف أن الشهيدين ابني الشهيد مسلم كانا في عداد «الرجال» ولا يدل ذلك على أقل من العشرين ونيف، وهي نقطة لا بد من الوقوف عندها في التحديد التقريبي لعمر الشهيد مسلم رضوان الله تعالى عليه.

٢ - والنتيجة الثانية بدرجة تالية أن الشهيد قد صاهر عمه عليه السلام مرتين، وأن الشهداء من أولاده، أربعة، اثنان في ساحة المواجهة،

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٧٠ - ٧١.

(٢) البغدادي (محمد بن حبيب) المحبر ٥٦.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/٣٢٠.

وفتيان صغيران قتلها من طمع بجائزة ابن زياد، بعد فرارهما بتسهيل من السجنان، وقد أورد الشيخ الصدوق قصتهما مسندة في أماليه^(١).

ولا يؤثر الإقتصار على النتيجة بمستواها الأبرز على الإنتاج التقريبي لعمر الشهيد، كما أنه يضيف عنصراً آخر في أبعاد شخصية هذا الشهيد الجليل، وهو أنه والد شهيدين، والراجح في ضوء أن الشيخ الصدوق هو الذي تحدث عن الشهيدين الآخرين من أبنائه أن الشهيد مسلماً هو والد الشهداء الأربعة.

وفي المحور الرابع: حروب الفتح

يعتمد جميع من تحدثوا عن مشاركة الشهيد مسلم في حروب الفتح على ما ورد في كتاب فتوح الشام المنسوب إلى الواقدي، ولعل أول من أشار إلى ذلك في ما بين يدي هو آية الله الكمره إي^(٢).

ويستدعي بيان هذه المشاركة الوقوف في ثلاث محطات:

الأولى: الواقدي و«فتوح الشام»؟

الثانية: قيمة نصوص «فتوح الشام».

الثالثة: استعراض أهم ما يرتبط منها بالشهيد مسلم بن عقيل.

* الواقدي و«فتوح الشام»؟

يتحدث هذا الكتاب كما هو واضح من اسمه عن فتوح الشام إلا أن فيه ملحفاً حول فتوح مصر، وهو محل الشاهد حيث وردت فيه

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي ١٤٤. وعنه المحدث القمي، نفس المهموم (ن: بصيرتي) ١٥٦.

(٢) انظر: ميرزا خليل كمره إي، عنصر شجاعت يافداكاري هفتاد ودو تن ويك تن (فارسي) ج ٤ / القسم الأول، مسلم بن عقيل وأسرار الكوفة، العاصمة العاصفة ٩٧ - ١٠٦. (نسخة مصورة عن نسخة مكتبة السيد المرعشي النجفي بقم).

تفاصيل وافية في أماكن متعددة عن دور رئيس ومتقدم للشهيد مسلم بن عقيل في هذه الفتوح، بالإضافة إلى نص يتحدث عن تعيينه عاملاً على إحدى المناطق المصرية كما سيأتي.

وينسب هذا الكتاب إلى الواقدي، مؤرخ المغازي الشهير والذي يُعتبر ابن سعد صاحب الطبقات امتداداً له، بل قال فيه ابن النديم: إنه «ألف كتبه من تصنيفات الواقدي»^(١).

قال ابن سعد:

محمد بن عمر بن واقد ويكنى أبا عبد الله الواقدي مولى لبني سهم من أسلم وكان قد تحول من المدينة فنزل بغداد وولي القضاء لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين بعسكر المهدي أربع سنين وكان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح وباختلاف الناس في الحديث والأحكام واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه وقد فسر ذلك في كتب استخراجها ووضعها وحدث بها»^(٢). «وتوفي وهو على القضاء في ذي الحجة سنة سبع ومائتين وصلى عليه محمد بن سماعه التميمي وهو يومئذ على القضاء ببغداد في الجانب الغربي وأوصى محمد بن عمر إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين فقبل وصيته وقضى دينه وكان لمحمد بن عمر يوم مات ثمان وسبعون سنة قال محمد بن سعد أخبرني أنه ولد في أول سنة ثلاثين ومائة»^(٣).

* وقد تراوحت كلمات العلماء في الواقدي بين المدح والذم المفرطين، وبين من يقبل ما أورده في المغازي ويرد عليه مارواه من

(١) مقدمة تحقيق الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠/١.

(٢) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٤٢٥/٥.

(٣) المصدر ٤٣٣.

الحديث^(١). ولعل أبلغ ما يلخص الإختلاف حوله قول «الشاذكوني»: إما أن يكون أصدق الناس وإما أن يكون أكذب الناس^(٢). و لكن المحصلة التي لا يختلف فيها هي أن الواقدي مصدر رئيس في المغازي بل هو مع امتداده ابن سعد «مدرسة» تفرض حضورها في الكثير من أمهات المصادر.

ويطعن المحدثون على الواقدي من الناحية المنهجية بأمرين:

١ - «شيء اتبعه ابن سعد تلميذه أيضا وهو جمع أسانيد كثيرة وإيراد متن واحد لها، وإدخال حديث الرجال بعضهم في بعض، مبتغياً الإيجاز إذا كثرت الروايات وتشابهت»^(٣).

(١) انظر: النجاشي، رجال النجاشي ١٤. وأحمد بن حنبل، العلل ٢٦٤/٣. والبخاري، التاريخ الكبير ١٧٨/١. والبخاري، الضعفاء الصغير ١٠٩. والنسائي، كتاب الضعفاء والمتروكين ٢٣٣. والعقيلي، ضعفاء العقيلي ١٠٨/٤. وابن حبان، كتاب المجروحين ٢٩٠/٢. وأبو نعيم الأصبهاني، كتاب الضعفاء ١٤٦. والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٢١٣/٣ - ٢٢١. ومقدمة التحقيق للطبقات الكبرى لابن سعد ١١/١ - ١٤. ومما جاء فيها: كان موثقاً عند فريق كبير من المحدثين فكان ابن سلام الجمحي يقول: «محمد بن عمر الواقدي عالم دهره» وكان الامام مالك يسأله إذا أشكل عليه أمر، وقال فيه الدراوردي «ذلك أمير المؤمنين في الحديث» وقال مصعب الزبيري «والله ما رأينا مثله قط»، إلى غير ذلك من شهادات الأئمة الأعلام فيه. وقد كان الواقدي ذا إحساس عميق بمهمة المؤرخ وواجبه وحدوده، وحسبنا شاهداً على ذلك أنه عند تأريخه المغازي لم يترك موضعاً حدث فيه غزاة إلا كان يذهب لمعاينته، وقد شهد بعضهم أنه رآه وهو ذاهب إلى حنين ليرى موضع الوقعة. (. . .) على أن اعتماد مغازي موسى بن عقبة وابن إسحاق وأبي معشر ورواة الواقدي من المدنيين حقيقة هامة يمكن أن نرى فيها ما يسمى «مدرسة المدينة» في السيرة، وهذه المدرسة التي انتقل مركز الثقل فيها من المدينة إلى بغداد بانتقال ابن إسحاق وأبي معشر والواقدي، ثم انضم إليها ابن سعد نفسه بدراسته على الواقدي، قد عملت في ظل الخلافة العباسية وكان بعض أفرادها ينتمون إلى العباسيين بالولاء كأبي معشر وابن سعد، وكان بعضهم يجد الحظوة التامة لدى العباسيين كابن إسحاق والواقدي. ومما جاء في ذمه «كذاب» وعن علي بن المدني: الهيثم بن عدي أوثق عندي من الواقدي ولا أرضاه في الحديث ضعيف ولا في الانساب ولا في شيء». ضعفاء العقيلي ٣٥٢.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٢٢٠/٣.

(٣) أ. إحسان عباس، مقدمة الطبقات الكبرى ١١/١.

٢ - «وروايته للشعر وبخاصة في السيرة» والإكثار منه في المغازي^(١).
وأعتقد أن ما تمس الحاجة إليه في ما أنا بصدده لا يتعدى حدود ما تقدم، فيكفي لتكوين فكرة عمّن ينسب إليه كتاب «فتوح الشام» أن نعرف موقعه وشيئاً عن منهجه بصورة مجملة.

* المحطة الثانية: قيمة نصوص «فتوح الشام»

لا يمكن اعتماد نصوص هذا الكتاب، ولا يمكن نفي نسبه مطلقاً إلى الواقدي، بل يمكن نفي نسبه إليه بصيغته الحالية، وهو ما يعني بوضوح احتمالاً جاداً حول أن الكتاب في الأصل للواقدي، إلا أن «حكواتياً» سليط اللسان أضاف إليه من عنده الكثير.

يؤكد عدم الإعتماد على نصوصه بالمطلق أمور أهمها:

١ - التهافت البين في مصادره فهو ينقل عمّن تأخرت ولادته عن الواقدي بقرون، كما ينقل عن الواقدي نفسه في عداد سائر المصادر.

٢ - الأسلوب الأسطوري على غرار قصص الزير أبي ليلي المهلهل.

٣ - أن أكثر ما ورد فيه - حول فتوح مصر - لا عين له في سائر المصادر ولا أثر.

* ويلح بالإعراض عنه على حسرة، وتزايد احتمال أن يكون لهذا الكتاب أصل لعبت به يد الجهل والتحريف، أمور أهمها:

١ - أطلال متانة في الفكرة والنص، لا تملك حياها الجزم بأنه لا يؤبه به.

(١) المصدر ١٤ بتصرف.

وأشير هنا إلى أن بين يديّ صورة مخطوطة يدعى أنها لمقتل أبي مخنف^(١) تشبه إلى حد كبير الأسلوب المعتمد في «فتوح الشام» حيث ينقلك من قوة الصورة والسبك، وجزالة اللفظ، إلى هزال الفكرة والصياغة وضحالة التعبير.

٢ - أن محوره فتوح فرعية تندرج تحت عنوان «فتوح مصر» مما يعني أن سكوت الآخرين عما ورد فيه لا يحتم عدم وجود موضوعه، وعدم وقوع أحداثه بما يمكن أن يكون مضمونه - في الأصل - صورة عنها، خصوصاً مع وجود الحديث في المصادر عما يصلح أن يكون كليات تصدى لتفصيلها هذا النص المنسوب للواقدي^(٢).

٣ - استبعاد - غير جازم - لاحتمال أن يكون كل ما فيه - خصوصاً حول الشهيد مسلم وسائر غير العباسيين - مختلقاً، وذلك لأن دواعي الإختلاق المتوفرة آنذاك كانت تستدعي الإختلاق حول العباسيين لا العقيليين وأمثالهم من بني هاشم.

٤ - ومما يلح على الباحث بعدم تجاوز هذه النصوص أن من الثابت أن الشهيد مسلم بن عقيل كان على ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، ومن المستبعد أن يوكل لشخص مثل هذه المهمة النوعية دون أن تكون له من قبل مشاركات جهادية تؤهله لذلك، كما أن من الثابت أن قيادته للجيش في الكوفة ومحاصرة قصر الإمارة، ثم نوعية مواجهته للذين حاصروه على كثرتهم كل ذلك يكشف أننا بين يدي من عرك التجارب العسكرية وعركته، وعندما نجد مثل هذا الحديث عن مشاركته في الفتح، فكأننا أمام حلقة مفقودة تم الكشف عنها. والله العالم.

(١) تكرم بإعطائي هذه النسخة الأخ المحقق الحاج حامد الخفاف، وهي عن نسخة «معهد إحياء المخطوطات العربية» f ٢٣٣ رقم الفيلم ١٢ باسم: مقتل الحسين، برواية أبي مخنف.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان ١/ ٢٥٤.

والنتيجة النهائية هي كما تقدمت الإشارة عدم اعتماد نصوص «فتوح الشام» وحصر التعاطي معها في دائرة الإطلاع والإستئناس بها احتمالاً لا يمكن إثباته ولكن لا يجمل أبداً تجاوزه، فلعل عدم التجاوز هذا يؤدي في النتيجة إلى توفر دليل عليه بتراكم أبحاث المعنيين.

ولكن لا بد من التنبه إلى أن ما يتعلق بفتح مصر في «فتوح الشام» لا ينسجم مع اسم الكتاب، ولعله ألحق به لما ورد فيه من الإهتمام بفتح استشهاد فيه عدد كبير من الصحابة كما يدل عليه قوله: «و خرج خالد بمن معه الى الصعيد ولم يزل يفتح مدينة بعد مدينة الى آخر الصعيد الى عدن وسواكن وليس مقصدنا في هذا الكتاب الا فتوح البهنسا خاصة التي عليها مدار فضائل السادة الشهداء لأن بتربتها خمسة آلاف صحابي وحضر فتح البهنسا نحو سبعين بدرياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، وفي زيارتها تعظم الأجور وقد زارها جماعة من العراق مثل بشر الحافي وسري السقطي ومالك بن دينار وسحنون، وزارها من أقصى المغرب أبو مدين وشعيب وأبو الحجاج وأبو عبد الله وزارها الفضيل بن عياض»^(١).

* المحطة الثالثة: استعراض أهم ما في نصوص «فتوح الشام» حول الشهيد مسلم بن عقيل

ويتم هذا الإستعراض باختصار، وعلى قاعدة ما تقدم، وذلك ضمن نقاط:

١ - تقع المنطقة التي يتحدث عنها الكتاب متفرداً بنصوص مشاركة الشهيد مسلم في فتحها والولاية عليها كما سيأتي، في منطقة «المِنيا» في

(١) الواقدي؟ فتوح الشام ٢/٣٠٨ - ٣٠٩. نسخة برنامج «مكتبة التاريخ والحضارة» الإصدار ١. ٥ الخطيب للتسويق والبرامج [url www.turath.com](http://www.turath.com)

الصعيد وهي إحدى محافظات مصر الست والعشرين بحسب التقسيم الجغرافي الحالي لمصر وما زالت هذه المنطقة التي كانت - بحسب فتوح الشام - مسرحاً لمواجهات حاسمة في أيام الفتح تحتفظ باسمها القديم «البهنسا»^(١).

٢ - يتحدث عن استشارة عمرو بن العاص من معه في ما ينبغي فعله بعد فتح قسم من مصر - كما هي الآن - وكتب بذلك إلى عمر فجاءه الجواب ومما كان فيه: «وأنَّ بمصر مدينتين كما بلغني إحداهما يقال لها أهناس قريبة من مصر والثانية يقال لها البهنسا أمنع وأحصن»، «فلا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا هاتين المدينتين»^(٢).

٣ - يُعنون الكتاب الحديث عن هذه الفتوح ويذكر بعض كبار من حضرها فيقول:

«ذكر فتح البهنسا وما فيه من الفضائل وما وقع فيه للصحابة رضي الله عنهم. قالت الرواة بأسانيد صحيحة عن حضر الفتح من أصحاب السير والتواريخ مثل الواقدي وأبي جعفر الطبراني وابن خلكان في تاريخ البداية والنهاية ومحمد بن اسحاق وابن هشام وكل منهم دخل حديثه الآخر لما في ذلك من اختلاف الرواة ممن حضر الفتوحات وشاهد الوقعات من الصحابة رضي الله عنهم قالوا وحضر ذلك معظم الصحابة وكبرائهم مثل عبد الله بن عمرو بن العاص أمير الجيوش على مصر وأخيه محمد وخالد بن الوليد وابنه سليمان وقيس بن هبيرة المرادي

(١) انظر: محافظات مصر - عالم سمس على موقع: www.geocities.com وموقع: www.tourism.egnet.net وفي أخبار الزمان للمسعودي ٢٠٥ أن «البهنسا» بنيت في زمن الملك «أشمون» قال: «وفي زمانه بنيت البهنسا، وأقام بها مطراناً، وجعل فوقها مجلساً من زجاج أصفر وعليه قبة مذهب، وكانت الشمس إذا طلعت ألفت شعاعها على المدينة».

(٢) المصدر ٢/٢٢٢.

والمقداد بن الأسود الكندي وميسرة بن مسروق العبسي والزبير بن العوام
الأسدي وابنه عبد الله وضرار بن الأزور ومن بني عم النبي صلى الله عليه
(وآله) وسلم مثل الفضل بن العباس وجعفر بن عقيل ومسلم بن عقيل
وعبد الله بن جعفر»^(١).

٤ - جمع ابن العاص الجيش الإسلامي للتوجه إلى هاتين
المدينتين، وأخذ يختار القادة واحداً بعد الآخر ويدفع لكل منهم رايته
ويؤمره على خمسمائة فارس وفي هذا السياق يرد قوله: «استدعى من
بعده جعفر بن عقيل وأمره على خمسمائة فارس»^(٢). وهو أخو الشهيد
مسلم، ثم قال: «ثم استدعى من بعده أخاه الفضل وأمره على خمسمائة
فارس وسلمه الراية»^(٣). وهو أيضاً - بناء على هذا النص - أخو الشهيد
مسلم؟ الذي لا يذكر هنا بالإسم حيث لم يذكر جميع القادة، بل ذكر
عدداً منهم بدليل قوله: «ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم وقد
اقتصرننا في أشعارهم خوف الإطالة وكل واحد يسلمه راية ويؤمره على
خمسمائة فارس»^(٤).

٥ - ويتحدث عن حصار الجيش الإسلامي لمدينة «البهنسا»
فيقول:

وكان المسلمون لا يظهرون فيهم لكثرتهم ولا يعرف بعضهم بعضا
الا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وقد صبر الفضل صبر
الكرام فلله در الفضل لقد اصطلى الحرب بنفسه فكان تارة يقلب الميمنة

(١) الواقدي؟ فتوح الشام ١/٥

(٢) المصدر ٢٢٥. والشهيد جعفر بن عقيل من شهداء كربلاء بين يدي سيد الشهداء عليه السلام. انظر:

القاضي النعمان، شرح الأخبار ٢/٣٢٨ وابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٥

(٣) المصدر ٢٢٦. ولم أجد اسم الفضل بين أسماء إخوة الشهيد مسلم.

(٤) المصدر ٢٢٧.

على الميسرة وتارة يقلب الميسرة على الميمنة ويقاقل والراية بيده ولله در مسلم بن عقيل وأخويه لقد قاتلوا حتى صارت الدماء على دروعهم كقطع أكباد الابل»^(١).

٦ - إلى أن يتحدث عن تنصيب الشهيد مسلم بن عقيل أميراً على تلك المنطقة فيقول:

«وأما خالد ..» فإنه بعد شهر ترك أناساً من الصحابة بأرض البهنسا من جميع القبائل وخرج بألفي فارس الى أرض الصعيد وكانت القبائل من بني هاشم وبني المطلب وبني مخزوم وبني زهرة وبني نزار وبني جهينة وبني مزينة وبني غفار والأوس والخزرج ومذحج وفهر وطى وخزاعة وكان الأمير عليهم مسلم بن عقيل وأحاطوا بالمساكن وجعلوا بالمدينة أسواقاً وشوارع وسكن أكثر الصحابة في جانب البحر الیوسفی وخلوا (كذا) من الآخر الى الجانب الغربي شارعاً واحداً لاجل أن تسبح دوابهم في البحر وأقام مسلم بن عقيل والياً عليها إلى خلافة عثمان بن عفان «،» فتولى محمد بن جعفر بن أبي طالب بعده ومضى مسلم وترك أولاده وإخوته بها ولم يزل في المدينة حتى قتل في خلافة الحسن (كذا) في الكوفة رضي الله عنه»^(٢).

ولعل المراد في سبيل خلافته عليه السلام.

وثمة نصوص غيرها إلا أنني أقتصر على ما تقدم، وهو يدل بوضوح على عدم إمكان تجاوز ما ورد في كتاب «فتوح الشام» وإن كان لا يمكن البناء عليه.

(١) المصدر ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) المصدر ٣٠٨/٢

* المحور الخامس: مهمة الشهيد مسلم في الكوفة

توجه مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه إلى الكوفة، لينفذ مهمة محددة رسمها له الإمام الحسين عليه السلام، فبعد أن اجتمعت عند الإمام كتب الكوفيين، كتب مع هانيء بن هانيء وسعيد بن عبد الله^(١) وكانا آخر الرسل:

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملائمة من المسلمين والمؤمنين، أما بعد، فإن هانياً وسعيداً قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم علي من رسلكم وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة جللكم: إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك علي الهدى والحق، وإنني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي (وأمرته أن يكتب إلي بحالكم ورأيكم) فإن كتب إلي انه قد اجتمع رأي ملاكم وذوي الحجى والفضل منكم علي مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق، الحابس نفسه علي ذات الله والسلام^(٢).

وينبغي الوقوف حول مهمة الشهيد مسلم في الكوفة عند نصين:

الأول: ما أورده الدَّيْنَوْرِي حيث يقول: كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة إلى مكة، فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عم، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة، فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا علي ما

(١) قال السيد بحر العلوم: «ولم يعلم حال هاني بن هاني السبيعي إلى أين انتهى، ولم يذكر في عداد أصحاب الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه في المعركة». الفوائد الرجالية ٤/٥١. وأما سعيد بن عبد الله فهو الحنفي الشهيد عند صلاة الظهر.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٣٩. والطبري ٤/٢٦٢. واللفظ للشيخ، وما بين القوسين إضافة من الطبري. والبحار ٤٤/٣٣٤. وانظر في مهمة مسلم: المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٤.

أتني به كتبهم، فعجل علي بكتابك لأسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى، فعجل الإنصراف»^(١).

وهو نص يضيف إلى ما هو معروف عن الشهيد مسلم، وإلى تحديد المهمة، أن الشهيد كان في صلب نهضة سيد الشهداء عليه السلام منذ خروجه من المدينة، وهو ما يسلط مزيداً من الضوء على سمو منزلته رضوان الله تعالى عليه.

الثاني: قال الخوارزمي: «ثم طوى الكتاب وختمه ودعا بمسلم بن عقيل، فدفع إليه الكتاب، وقال: إني موجهك إلى أهل الكوفة، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي، فعجل علي بالخبر، حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى. ثم عانقه الحسين وودعه وبكيا جميعاً»^(٢).

وهو يضيف أن الإمام يلمح - على الأقل - إلى شهادته وشهادة مسلم.

ومن الواضح أن الجانب المعلن في مهمة مسلم، هو استطلاع وضع الكوفة فالإمام يقول في رسالته: فإن كتب إلي - مسلم - انه قد اجتمع رأي ملائكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، إلا أن هذا لا ينافي أن يكون في صلب مهمة مسلم، إعداد الكوفة للحرب - وعلى الأقل - لمواجهة ما قد يستجد من تطورات، وهو ما سنلحظه في ما تم تنفيذه في الكوفة.

(١) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٠

(٢) ابن أعثم، الفتوح ٣١/٥. والخوارزمي، مقتل الحسين ٢٨٤ (الفصل العاشر).

كان على الشهيد مسلم أن ينفذ هذه المهمة في وضع أمني وسياسي شديد التعقيد، فقد كان عليه أن يدخل الكوفة سرّاً لأنها في الظاهر تحت سلطة يزيد، وأهل الكوفة رغم كل اندفاعهم للإمام الحسين عليه السلام، كانوا متكتمين على موقفهم ضدّ بني أمية، ثم ان الإمام الحسين عليه السلام أوصاه بسرية التحرك. قال الشيخ المفيد والطبري:

«ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيدائوي وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وأمره بتقوى الله وكتمان أمره والल्पف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك»^(١).

وأول ما يطالعنا هنا علو همة مسلم، وروح أبي طالب المتوثبه بين جنبيه، ولا غروفي ذلك بعد ما تقدم من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الله در أبي طالب لو ولد الناس كلهم كانوا شجعانا»^(٢).

أصرّ مسلم رضوان الله عليه، أن يفتح مساره الكربلائي متبركاً بزيارة المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله، فتوجه من مكة الى المدينة التي لم يكن دخوله إليها في مثل تلك الظروف أمراً سهلاً، إلا أن نفسه الكبيرة أتعبت جسده، يحمله على ذلك حنين شجي ينبعث فواره من إحساس عميق - وربما العلم - بأنها آخر مرة يدخل فيها المدينة المنورة.

أو لم يتقدم أن سيد الشهداء عليه السلام قال له: وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء.

لابد إذاً من تجديد العهد برسول الله صلى الله عليه وآله ووداع من يختار وداعه من أهله نظراً لظرفه الأمني «فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلى في

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٣٩/٢. والطبري ٢٦٣/٤. باختلاف واللفظ للشيخ.

(٢) الأربلي، كشف الغمة ٢٣٥/٢

مسجد رسول الله ﷺ وودع من أحب من أهله ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به يتنكبان الطريق^(١). أي يتجنبان الطريق العام لأن طبيعة المهمة تقتضي ذلك.

أشير هنا إلى أن قيس بن مسهر وعبد الرحمن الأرحبي اللذين كانا مع مسلم في هذه الرحلة^(٢) قد استشهدا في ما بعد، الأول في الكوفة والثاني في كربلاء.

* في الطريق؟

كان خروج الحسين عليه السلام من المدينة، قد أثار حفيظة النظام، فاستنفر أجهزته لرصد تحركه، وقد أتاحت المدة التي أمضاها الإمام في مكة منذ دخولها وحتى إرسال مسلم إلى الكوفة، فرصة للنظام لتضييق حلقة الحصار، وبث العيون، الأمر الذي يحتم أن تحاط مهمة مسلم منذ انطلاقتها بالسرية التامة.

لذلك كان لابد من تنكب الطريق العام حذراً من عيون النظام، ولئن مرت الرحلة بسلام بين مكة والمدينة، إلا أن الأمر بين المدينة

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد/٢-٣٩ - ٤٠.

(٢) ثمة اختلاف في المصادر حول من كان مع الشهيد مسلم لدى توجهه إلى الكوفة، ويبدو أن أكثر هذا الاختلاف ناشيء من التصحيف. جاء في هامش البحار: «في المصدر - أي الإرشاد للشيخ المفيد - : وعبد الله وعبد الرحمن ابنا شداد الأرحبي . وفي المناقب ج ٤ ص ٩٠ وهكذا تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي ص ١٣٩ و ١٤٠ نقلاً عن ابن اسحاق «وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي» ولعله الصحيح لما سيجئ بعد ذلك أنه عليه السلام أرسل مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمان بن عبد الله الأزدي [الأرحبي] فإن الظاهر أنهم هم الذين جاءوا من الكوفة رسلاً إليه». البحار ٤٤/٣٣٣ الهامش. وأما عمارة بن عبيد السلولي فلم يعلم له أثر في أحداث كربلاء بعد دخوله الكوفة مع الشهيد مسلم إلا أنه في بيت هانيء اقترح على الشهيد قتل ابن زياد، وسيأتي ذلك في الحديث عن «الإغتيال». انظر: اليوسفي، ت: مقتل أبي مخنف ٩٢/٩٣ الهامش. والطبري ٥/٣٥٤ و ٣٦٣ (ط: دار التراث - بيروت). وانظر: الطبسي (الشيخ نجم الدين) الأيام المكية من عمر النهضة الحسينية هامش ٤٢ - ٤٣ (الطبعة الأولى، دار الولاة، بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

والكوفة كان مختلفاً، إذ تعرضت لانتكاسة حادة لم يتم تجاوزها إلا بعد موت الدليلين عطشاً، وإشراف الباقيين على الهلاك، ولذلك تأخر الوصول إلى الكوفة أياماً.

كتب مسلم بن عقيل رحمة الله عليهما من الموضع المعروف بالمضيق مع قيس بن مشهر^(١): أما بعد فإنني أقبلت من المدينة (وفي التعبير دلالة على أنه كان قد استأذن الإمام بالتوجه إلى المدينة أولاً) مع دليلين فجازا عن الطريق فضلاً واشتد عليهما العطش فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت وقد تطيرت من وجهي هذا فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري والسلام.

فكتب إليه الحسين عليه السلام:

أما بعد فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ في الإستعفاء من الوجه الذي وجهتك إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك فيه والسلام. فلما قرأ مسلم الكتاب قال: أما هذا فلست أتخوفه على نفسي^(٢). ثم مضى نحو الكوفة.

(١) يأتي مزيد بيان حول الرسول في ترجمة الشهيد قيس فلاحظ.
(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٤٠ والمجلسي، البحار ٤٤٤/٣٣٥. وفي مناقب ابن شهر آشوب ٣/٢٤٢: إلا الجبن والفشل». وفي الطبري ٤/٢٦٣ الخبيث. وهو تصحيف، والخبت بفتح أوله وتسكين ثانيه، وآخره تاء مثناة (. . .) ما تطامن من الأرض وغمض فإذا خرجت منه أفضيت إلى سعة وهو بصحراء بين مكة والمدينة. الحموي، معجم البلدان ٢/٣٤٣. وقال السيد المكرم: «في الطبري ج ٦ ص ١٩٨، وابن الأثير ج ٤ ص ٩ الخبيث بالخاء المعجمة والباء الموحدة ثم المثناة من تحت وبعدها المثناة من فوق، . (أقول: انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٨/١٦٣ (نسخة المعجم) وفيه: بطن خبيث) أضاف السيد المكرم: وفي إرشاد الشيخ المفيد الخبت بالخاء المعجمة ثم الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوق، وفي نص الأخبار الطوال ص ٢٣٢ الحريث بالحاء والراء المهملتين ثم الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة وهو غير مراد قطعاً لأن الحريث كما في تاج العروس ومعجم البلدان نبت طيب، . (أقول: في الأخبار الطوال ٢٣٠ من نسخة المعجم: بطن الحريث بالياء المثناة قبل التاء لا الباء=

ويورد الدينوري نصاً آخر لجواب الإمام عليه السلام وهو: «أما بعد، فقد ظننت أن الجبن قد قصر بك عما وجهتك به، فامض لما أمرتك فإني غير معفيك، والسلام»^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن العبارة الأولى من رسالة الإمام عليه السلام قد وردت في البحار: «أما بعد فقد حسبت»^(٢) ويحتمل فيها التصحيف كما يحتمل في «خشيت» فليلاحظ.

ولابد هنا من طرح سؤالين:

- ١ - لماذا أرسل الشهيد إلى الإمام يستعفيه من التوجه إلى الكوفة.
- ٢ - لماذا قال له الإمام عليه السلام «فقد خشيت - أو ظننت - أن لا يكون حملك ..» إلا الجبن؟

وتتوزع آراء المتأخرين من المعنيين بتدوين مراحل النهضة الحسينية في هذه الحادثة - التي هي منشأ هذين السؤالين - على أربعة آراء:

- ١ - فمنهم من ينفىها باستدلال^(٣) يمكن المناقشة فيه بأنها وردت في نصي الشيخ المفيد والطبري، ولا مسوغ لرد بعض النص وقبول الباقي إلا بدليل على بطلانه.

=الموحدة، وهو مطابق لما نقله عنه في هامش البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ .) أضاف السيد المقرم: وأما ما في الإرشاد فيمكن إرادته لأنه في تاج العروس ج ١ ص ٦١٤ ذكر من معانيه المتسع من الأرض والوادي العميق الوطيء ينبت العضاة وقرية لزبيد في البر مشهورة وماء لكلب كما أن الأول يمكن إرادته لأن الخبيت كما في معجم البلدان والمعجم مما استعجم للبكري ماء لبني عبس وأشجع يقع في العالية وهي الحجاز، وفي المستعجم أنه موضع على بريرين من المدينة».

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٠.

(٢) المجلسي، البحار ٤٤/٣٣٥.

(٣) الطبسي (الشيخ نجم الدين) الإمام الحسين في مكة المكرمة ٥٢. فقد استعرض رأي الشيخ القرشي ورجحه. انظر: القرشي (الشيخ باقر شريف) حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢/٣٤٣ - ٣٤٤ (ط: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٢ - ومنهم من يقبل أصل الحادثة وسائر تفاصيلها ويرفض نسبة التطير والجبن إلى الشهيد مسلم^(١). وهما منفيان عنه في السياق الذي يأتي بيانه.

٣ - ومنهم من يسوقها كما هي دون توضيح كما هو دأب المصادر الأساسية.

٤ - ومنهم من قدم إيضاحات وافية حولها تستحق العناية^(٢).

وهو ما يستدعي الوقوف عند ما ورد أنه جرى لمسلم في الطريق إلى الكوفة بشيء من التفصيل، ليشمل الحديث إمكان أن يطلب الشهيد مسلم من سيد الشهداء إعفائه من التوجه إلى الكوفة، ويشمل أيضاً وقوع الحادث وأين وقع وكيف، لأن بعض من ينفي هذه الحادثة يستند إلى عدم إمكان مثل ذلك للشهيد مسلم، غير أنني أرجح البدء بالحديث حول الوقوع ليكون الحديث عن الإمكان في ضوئه.

ولدى التأمل في ما روي عن هذه الحادثة ومحاولة التعرف على المنطقة التي ذكر أنها وقعت فيها، يتضح أن الشهيد قد غادر المدينة متوجهاً إلى العراق، وضلّ الدليلان الطريق وبعد مرور فترة لم تحدد مات الدليلان ونجا الباقيون وقد أشرفوا على الهلاك، وتبين أنهم قد وصلوا إلى منطقة تقع بين مكة والمدينة، أي أنهم كانوا متوجهين شمالاً وبعد كل هذه المسافة التي قطعوها تبين أنهم في بعض فترة التيه هذه - إن لم يكن أكثرها - كانوا يسرون باتجاه آخر بعضه - على الأقل - باتجاه الجنوب.

(١) انظر: المقدم، الشهيد مسلم بن عقيل ٦٤ - ٨٠.

(٢) الكمره إي، (الميرزا خليل) عنصر شجاعت (م. م) ٤ / القسم الخاص بـ «مسلم وأسرار الكوفة»، العاصمة العاصفة ٣٩٦ فما بعدها.

وبعبارة ثانية: تبعد المدينة عن مكة حوالي الأربعمئة كلم، وقد قطعوا خلال هذه الفترة مسافة تفوق المائة والخمسين كلم فمن المفترض أن يصلوا إلى منطقة تبعد عن مكة حوالي الخمسمئة والخمسين كلم، إلا أنهم وجدوا أنفسهم على بعد حوالي المائتين والخمسين كلم منها، فقد وصلوا إلى منطقة يمكن اعتبارها من توابع الجحفة، الميقات المعروف! (انظر الملحق الخاص بذلك في آخر الكتاب).

كان الراكب بأمر الحاجة إلى التوقف لبعض الوقت لاستعادة النشاط، وهو الوقت الكافي لوصول رسول إلى مكة وعودته بالجواب، وكان من الطبيعي جداً أن يتواصل الشهيد مسلم مع سيد الشهداء عليه السلام، وقد خطر له أن يستشيريه حول إمكانية أن يبعث إلى الكوفة غيره، رغم أنه كان مستعداً لمواصلة السير.

إلى هنا يتضح جلياً أنه لم يكتب إلى الإمام الحسين عليه السلام من تخوم العراق مثلاً، أو بعد أن اجتاز أكثر من نصف مسافة الطريق وإنما كتب له من منطقة تعتبر نسبياً قريبة من مكة.

يبقى - في الإجابة على السؤال الأول - توضيح سبب طلب الشهيد مسلم الإعفاء من التوجه إلى الكوفة.

وأعتقد أن من الموضوعية والدقة أن نضع هذا الطلب في سياق تأكيد عميق معرفة سيد الشهداء وثقته من أهل بيته بعدم المراهنة على الكوفيين، وأن الشهيد قد توجه إلى الكوفة في جو عدم المراهنة هذا، ولم يكن إطلاقاً في وارد أن الكوفيين سيغيرون مجرى الأحداث، ولا ينافي ذلك أنه كتب من الكوفة في ما بعد يستعجل الإمام القدوم، فقد بلغ التوثب الكوفي الكاذب الحد الذي يخدع بمثله غير المعصوم كائناً من كان، وهذا هو المختار بن أبي عبيدة الذي لا يصطلى بناره في عمق

التحليل واقتناص الفرص يدخل الكوفة محارباً ويجد نفسه في ساحتها مكشوفاً من أدنى شائبة حنكة، وعندما طولب بهذا الجنون الذي يقترف قال: أصبح رأيي مرتجاً لعظم خطيئتك^(١) كما سيأتي بتفصيله.

لم يكن الشهيد مسلم يثق بأهل الكوفة، ولا كان قد سمع من سيد الشهداء ما يحمله على الثقة بهم، وعلى هذا الأساس توجه إليها ممثلاً لأمر الإمام، وبعد ما جرى له رأى أن يسأل بأدب إذا كان إعفاؤه ممكناً فقال: وقد تطيرت من وجهي هذا فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري.

وقد سأل ذلك وهو مرابط لمواصلة المسير.

أما السؤال عما ورد في جواب الإمام الحسين عليه السلام، وهو قوله: فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إلي في الإستعفاء من الوجه الذي وجهتك إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك فيه، فينبغي الجواب عليه في ضوء ملاحظة المتكلم والمخاطب كأي نص آخر يتعامل معه بمنهجية سليمة، فإن فصل النص عن سياقه يفتح الباب أمام تأويلات لا تنسجم معه، وهو أصل في التلقي من النص تظهر آثاره الهامة في حسن التدبر في خطاب الله تعالى للأنبياء، وخطاب المعصوم للخوادم، وكل خطاب مماثل.

ونحن هنا أمام تعبير الإمام الحسين عليه السلام عن «خشية» أن يكون السبب في طلب الشهيد مسلم الإستعفاء هو «الجبن».

أما المتكلم فهو سيد الشهداء عليه السلام و«نفس أبيه بين جنبيه» ومقياسه في الشجاعة والجبن هو المقياس الذي يجعله يقول ذلك لمن هو كمالك الأشر ومحمد بن الحنفية أو مسلم بن عقيل، ولقد قال أمير

(١) الطبري ٤/٤٤١.

المؤمنين عليه السلام للمعلم الجهادي الشامخ محمد بن الحنفية من قبل في يوم الجمل: أدركك عرق من أمك^(١)، فلم يناف ذلك أن محمد بن الحنفية كان محمدي الجولات وعلويها، ولا يدل كلام الإمام في حقه على «جبن» من النوع الذي نعهده فينا وفي سائر الناس حتى المتميزين منهم بشجاعة لا ترقى على علو شأنها إلى أن تبلغ سفح شجاعة محمد بن الحنفية.

وأما المخاطب فهو «أرجل ولد عقيل، وأشجعها»^(٢) وقد عرفت في الثابت من سيرته رضوان الله تعالى عليه أنه كان في صفين جديراً بقيادة الميمنة بأمر أمير المؤمنين عليه السلام، في جيش هو الأول على مستوى العالم آنذاك، كما أثبتت مواقفه في الكوفة أنه رضوان الله تعالى عليه كان قمة في الشجاعة ورباطة الجأش حتى عندما قدم لتضرب عنقه صبراً.

وفي رسالة الإمام عليه السلام شهادة ضمنية بهذه الشجاعة لأن تعبير «خشيت» أو «ظننت» ينسجم مع استبعاد «الجبن» بعد احتمال لا لأن من احتُمل في حقه يتصف بذلك بل لأنه لا وجود لأي احتمال آخر مما يجعل الأمر منحصرأ بهذا الاحتمال، وكأن الإمام يقول لمسلم: إنني لم أجد مبرراً وجيهاً لترددك إلا الجبن وهو مستبعد في حقلك «فامض

(١) المسعودي، مروج الذهب ٢/ ٣٦٦ (ط: دار الأندلس - بيروت) وقد ورد فيه عن حرب الجمل: «ثم بعث (علي عليه السلام) إلى ولده محمد ابن الحنفية، وكان صاحب رايته: إحمل على القوم، فأبطأ محمد بحملته، وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاذ سهامهم، فأتاه علي عليه السلام فقال: هلا حملت؟ فقال: لا أجد متقدماً إلا على سهم أو سنان، وإنني منتظر نفاذ سهامهم وأحمل. فقال: احمل بين الأسنة، فإن للموت عليك جنة. فحمل محمد فشك بين الرماح والنشاب فوقف، فأتاه علي عليه السلام، فضربه بقائم سيفه وقال: أدركك عرق من أمك، وأخذ الراية وحمل، وحمل الناس فما كان القوم إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٧٧.

لوجهك الذي وجهتك فيه». وفي بعض المصادر المتأخرة: «فقد خشيت أن يكون حملك على هذا غير ما تذكر»^(١).

يضاف إلى ذلك أن الطابع الأمني لرسالة الشهيد مسلم وجواب الإمام عليه السلام، ينبغي أن يلحظ، فلم يكن بالوسع الحديث بوضوح عن أهل الكوفة وحقائقه وموقفهم، إلا أن رسالة الشهيد تشير إلى ذلك بالحديث عن التطير، وجواب الإمام عليه السلام يلزم بتنفيذ المهمة رغم ما يشير إليه الشهيد، وقد جاء التعبير عن ذلك باللغة التي تنفي وجود أي مسوغ للتردد.

* دخول الكوفة

دخل مسلم الكوفة في الخامس من شوال^(٢) ونزل في دار «أوثق أهلها» كما كان الإمام الحسين عليه السلام قد أوصاه، وقيل إنه «المختار»^(٣) ثم بدأ الشيعة يزورونه «وأقبلت الشيعة تختلف إليه فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم، قرأ عليهم كتاب الحسين بن علي عليه السلام وهم يبكون»^(٤).

ويقف الشهيد الجليل عابس بن أبي شبيب الشاكري رضوان الله تعالى عليه قائلاً لمسلم: «أما بعد فإنني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله».

وقام بعده الشهيد حبيب بن مظاهر، فأكد كلام عابس قائلاً:

(١) السماوي، إِبصار العين.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ٥٤.

(٣) الإرشاد ٢ / ٤١. والطبري ٤ / ٢٦٤. وسيأتي توضيح في استبعاد ذلك.

(٤) الطبري ٤ / ٢٦٣. وانظر: الشيخ المفيد، الإرشاد ٢ / ٤١ باختلاف. واللفظ للشيخ.

«رحمك الله، قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه»^(١).

ثم تكلم الشهيد سعيد بن عبد الله الحنفي بمثل كلامهما رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ومن الطريف هنا أننا نجد نصاً نادراً يوضح لنا ما كان يعتمل في نفوس بعض الحاضرين في هذا المجلس التاريخي: «قال الحجاج بن علي - راوي الحديث المتقدم - فقلت لمحمد بن بشير - الذي كان حاضراً وسمع ما تقدم ونتمله - فهل كان منك أنت قول؟ فقال: إن كنت لأحب أن يُعزَّ الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب»^(٢).

* هل نزل مسلم في دار المختار

أغلب الظن أن الدار التي نزل فيها مسلم رضوان الله تعالى عليه لم تكن آنذاك للمختار، ويبدو أن المختار تملكها لاحقاً وأصبحت تعرف باسمه وعندما دوّنت أحداث فترة دخول مسلم إلى الكوفة كانت هذه الدار قد أصبحت معروفة باسم غيره، وهو ما يشعر به ما أورده كل من الشيخ المفيد والطبري اللذين يبدو أنهما معاً اعتمدا نص أبي مخنف^(٣) فقد قالوا: «فنزل دار المختار بن أبي عبيد وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب»^(٤).

(١) الطبري ٢٦٤/٤. ولم يورد الشيخ المفيد خبر هذا المجلس.

(٢) المصدر.

(٣) لا يمكنني الجزم بأن الشيخ المفيد قد اعتمد نص الطبري كما يتبناه بعض المحققين، وإن كان التشابه بين النصين يبلغ حدود التطابق غالباً إلا أن ذلك يرجع إلى اتحاد المصادر التي أخذ منها الشيخ المفيد والطبري، بل يمكن ترجيح أن الشيخ لم يعتمد نص الطبري أبداً. ويؤكد ذلك أن مثل الشيخ المفيد لا يمكن أن يعتمد في مثل الحديث عن كربلاء سيد الشهداء مصدراً فرعياً بالنسبة إلى عصره وإلى المدائني والكلبي اللذين صرح الشيخ المفيد في بداية سرد وقائع كربلاء باعتمادهما. انظر: الشيخ المفيد، الإرشاد ٣٢/١.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤١/٢. والطبري ٢٦٤/٤.

ويشعر بذلك بدرجة أقوى - على الأقل - ما أورده الدينوري حيث قال: «ونزل في الدار التي تعرف بدار المختار بن أبي عبيدة، ثم عرفت اليوم بدار المسيب»^(١).

إلا أن بين النصوص القديمة ما يذكر نزول الشهيد في بيت المختار دون إضافة ما يشعر أن يكون المراد من «دار المختار» الدار التي تعرف الآن بدار المختار، فقد قال ابن حبان: «ودخل الكوفة فلما نزلها دخل دار المختار بن أبي عبيد»^(٢).

إلا أن هذا النص وما شابهه لا يخرج البحث من دائرة الإلتباس، ولا ينفي احتمال أن يكون صاحبه قد انساق مع السائد في ما بعد أي في فترة الإخبار بأحداث الكوفة عند دخول مسلم إليها، وأن تلك الدار كانت آنذاك تعرف بـ«دار المختار» خاصة وأن المختار قد اشتهر في الكوفة وغيرها بعد حركة التوابين، وقد يعزز ذلك، وجود نص قديم مختلف عن السائد، وهو ما أورده ابن شهر آشوب حيث يقول: «فسكن في دار سالم بن المسيب»^(٣).

ولكن أبا مخنف كوفي، وهو أدري بشعابها، وقد تفرد ابن شهر آشوب بذكر «سالم بن المسيب» بدلاً من مسلم، ولعله تصحيف، والظاهر أنه اقتصر على الإسم الذي كانت الدار تعرف به لاحقاً كما ذكر أبو مخنف.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣١.

(٢) ابن حبان (الوفاة ٣٥٤) الثقة ٣٠٧/٢.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢٤٢/٣. وقال القتال النيسابوري في روضة الواعظين/١٧٣:

«فأقبل مسلم حتى أتى الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيدة، وهي التي تدعى دار سلام بن المسيب وهكذا نكون أمام: مسلم وسالم وسلام والأرجح أن المراد: مسلم بن المسيب الذي كان والياً على شيراز وقتل عام ١٢٨ كما في الطبري ٣٩/٦».

وعلى أي حال فينبغي الوقوف ملياً عند ثلاث نقاط هامة تجعل من البعيد جداً أن يكون الشهيد مسلماً قد نزل في بيت المختار، وهي:

١ - احتمال أن يكون تعبير «دار المختار» بمعنى الدار التي تعرف حين سرد الحادثة بهذا الإسم، بقريئة نص أبي مخنف ودلالة نص الدينوري، وكون النصوص حول تحديد البيت الذي نزل فيه الشهيد مسلم متعارضة، كما تقدم.

٢ - أن سيد الشهداء عليه السلام قد أوصى الشهيد بأن ينزل في الكوفة عند «أوثق أهلها» ومن المستبعد جداً أن يكون هذا الوصف ينطبق على المختار في ذلك الوقت، فقد روي أن المختار كان في زمن الإمام الحسن عليه السلام قد اقترح على عمه تسليم الإمام الحسن إلى معاوية^(١) كما روي التحاق المختار لبعض الوقت بعبد الله بن الزبير، مما يجعل من الصعب إثبات استقامة المختار في الفترة الواقعة بين ما عرف بصلح الإمام الحسن عليه السلام، وانتهاء حركة التوابين حيث أننا في ما يبدو لا نملك ما يصب في صالح استقامته في هذه الفترة إلا نصين:

الأول: أنه دخل الكوفة قادماً من «قرية له»، وكان ومن معه في وضع قتالي، وعلم بفشل هجوم الشهيد مسلم على قصر الإمارة، فركز رايته بباب عمرو بن حريث مظهراً أنه جاء للدفاع عنه، ثم اعتقل^(٢). ويأتي ذلك في «حصار القصر».

الثاني: أنه كان في السجن مع الشهيد ميثم التمار الذي قال

(١) الطبري ٤/١٢٢.

(٢) الطبري ٤/٢٨٦.

للمختار: وأنت تخرج نائراً بدم الحسين عليه السلام، وتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدمك على وجنتيه»^(١).

وهي شهادة نوعية للمختار رضي الله عنه، ولكنها شهادة مستقبلية، ويأتي بعض تفصيل ذلك في ترجمة الشهيد ميثم.

٣ - أنه لم يسجل على الإطلاق أن المختار أدين أو اتهم بنزول مسلم في داره، ومن الواضح أن مثل هذا الأمر لا يبقى طي الكتمان بعد الإنهيار الكوفي العاصف، وقد كان الذين التقوا الشهيد مسلم آفاً مؤلفة، اتضح أن أكثرهم شيعة آل أبي سفيان وتوجهوا لحرب الإمام عليه السلام.

هذه النقاط مجتمعة تلخ باستبعاد أن يكون الشهيد مسلم قد نزل في دار المختار.

ولعل نصّ المسعودي يكشف لنا عن اسم صاحب الدار عند نزول مسلم فيها فقد قال: «فنزل على رجل يقال له عوسجة، مستراً»^(٢). وهو ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام من سرد موجز لأحداث نهضة سيد الشهداء عليه السلام - أورده الطبري - وجاء فيه قوله: «فنزل على رجل من أهلها يقال له عوسجة»^(٣).

وقد أورده أيضاً ابن حجر في الإصابة، فقال: «فنزل على رجل يقال له عوسجة»^(٤).

(١) المقدم (السيد عبد الرزاق الموسوي) مقتل الحسين أو حديث كربلاء ٣٣٠ نقلاً عن شرح النهج. انظر: ٢٩٣/٢ قول ميثم للمختار ونقلاً عن الإرشاد. انظر: ١/٢٣٤ كسابقه، ونقلاً عن البحار. انظر: المجلسي، بحار الأنوار ٣٥٣/٤٥. وانظر ابن نما، ذوب النصار ٦٩ والبحراني، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام ٦٧٢. ويأتي تفصيل ذلك ومصادره، في «تداعيات الإنهيار الكوفي» وترجمة الشهيد ميثم.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٤.

(٣) الطبري ٤/٢٥٨ و٢٥٩. وابن حجر، تهذيب التهذيب ٢/٣٠١. والإصابة ٢/٦٩.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/١٥.

وقد ذكر المحدث القمي في هامش نفس المهموم^(١) احتمال أن يكون عوسجة هذا والد مسلم بن عوسجة، مما يجعلنا أمام احتمال أن يكون هذا هو السبب الذي من أجله ركز معقل على مسلم بن عوسجة ليصل من طريقه الى مسلم، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

بل إن هناك تصريحاً بأن الشهيد قد نزل في دار مسلم بن عوسجة، فقد قال ابن كثير ما يلي: «فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي، وقيل نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي فالله أعلم»^(٢).

والمحصلة النهائية هي أن نزول الشهيد في بيت المختار مستبعد جداً، إلا أن نزوله في البيت الذي عرف في مرحلة تالية بدار المختار هو الأرجح، ويبدو أنه كان منزل «عوسجة» الذي يغلب على الظن أنه والد الشهيد مسلم بن عوسجة.

وينبغي أن يدخل في القرائن المرجحة لذلك أن معقلاً الذي تظاهر للشهيد مسلم بن عوسجة بأنه من المواليين، كان قد سمع الناس يقولون عن ابن عوسجة إنه يبايع للحسين، حيث يشير ذلك إلى علاقة خاصة ومبكرة للشهيد مسلم بن عوسجة بالشهيد مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليهما.

* بيعة الكوفيين

حلّ مسلم في الكوفة متكتماً، وبدأ يأخذ البيعة من أهلها للإمام الحسين عليه السلام بأسلو بين، مباشرة، وعبر معتمدين انتدبهم لذلك، فقد ورد حول عدد من الشهداء الكربلايين عبارة «و كان يأخذ البيعة» كما

(١) الشيخ عباس القمي، نفس المهموم ٨٣ (مكتبة بصيرتي - قم، ١٤٠٥).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٣/٨. وقد نبه إلى رأيه السيد المكرم.

يأتي في تراجمهم، وقد اختلفت الأقوال في عدد المبايعين، ولعلّ السبب في ذلك يرجع الى أطراد حركة البيعة وازديادها المستمر كما هو صريح عبارة «المناقب» عند ذكره الرقم الثاني، مما يجعل كل رقم يعبر عن مرحلة من مراحل البيعة، ومن الأرقام التي ذكرت:

أ. اثنا عشر ألفاً^(١) ب. ثمانية عشر ألفاً^(٢) ج. خمسة وعشرون ألفاً^(٣) د. أربعون ألفاً^(٤).

وفي بعض المصادر حديث عن أنصار الإمام في الكوفة - لا مبايعيه - وأنهم على ما كتب أهل الكوفة إلى الإمام «مائة ألف سيف»^(٥). وسيأتي في بعض نصوص رسالة الشهيد مسلم إلى الإمام «جميع أهل الكوفة معك».

* رسالته إلى الإمام

لقد وجد مسلم أهل الكوفة مجتمعين على الإمام الحسين، يلهجون بذكره، مبادرين إلى بيعته، وبعد أن أخذ بيعة اثني عشر ألفاً^(٦) أو ثمانية

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٤. وابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٢. والطبري ٤/٢٥٨. وابن حجر، الإصابة ٢/٦٩ وكلاهما برواية الدهني عن الإمام الباقر عليه السلام. والمزي، تهذيب الكمال ٦/٤٢٤.

(٢) المصدر (المسعودي) بصيغة: وقيل. والشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٤١. وابن حبان، الثقات ٢/٣٠٧. والدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٥/٢٤١. والقندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى ٣/٥٥.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٢. عن مرحلة ما بعد انتقاله إلى دار الشهيد هانيء. وانظر: الدينوري الإمامة والسياسة ٢/٤ (أكثر من ثلاثين ألفاً).

(٤) ابن نما الحلبي، مثير الأحزان ١٧. وليلاحظ أنه يورد ذلك عن الفترة التي سبقت وصول الشهيد مسلم إلى الكوفة. والسيد الأمين، لواعج الأشجان ٣٨ عن الشعبي. والذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٧ في عدد من خرج مع الشهيد مسلم لمحاصرة دار الإمارة.

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٧١. وابن نما، مثير الأحزان، وعنه: البحار ٤/٤٤٣.

(٦) الطبري ٤/٢٥٨ - ٢٥٩.

عشر ألفاً^(١) كتب إلى سيد الشهداء عليه السلام يخبره بما رأى في الكوفة، وفي المصادر حديث مضطرب عن الرسائل التي ذكر أن الشهيد بعث بها إلى الإمام، وهذه عمدة النصوص في ذلك:

١ - «أما بعد فإنني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة كذا فإذا أتاك كتابي هذا فاعجل العجل فإن الناس معك وليس لهم في يزيد رأي ولا هوى»^(٢).

٢ - «وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام كتاباً أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله وإن جميع أهل الكوفة معك وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين تقرأ كتابي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»^(٣).

٣ - «وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، ومضمونه: أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي هذا والسلام عليكم»^(٤).

٤ - «أما بعد: فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام»^(٥).

ولا يمكن الجزم بترتيب هذه الرسائل وأيها الأولى، خاصة مع

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤١/٢ دون ذكر نص الرسالة.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٣/٣.

(٣) ابن نما، مشير الأحزان ٢١.

(٤) الطبري ٢٩٧/٤ وسيأتي نص آخر أورده أيضاً، وابن كثير، البداية والنهاية ١٨١/٨. باختلاف يسير، واللفظ للأخير.

(٥) الطبري ٢٨١/٤. وقد ذكر الشيخ المفيد أن مسلماً كتب إلى الإمام قبل شهادته بسبع وعشرين ليلة لكنه أيضاً لم يورد نص الرسالة. انظر: الإرشاد ٧١/٢.

وجود التصريح بأن النص الوارد أعلاه أولاً هو نص الرسالة التي حملها الشهيد عبد الله بن بقطر وأنها أخذ منه لدى اعتقاله، وأن ذلك قد حدث عند رجوع ابن زياد من بيت الشهيد هانيء وكان في عيادة شريك بن الأعور^(١) والراجع هو أن ما تورده المصادر عبارة عن رسالتين بعث الشهيد إحداهما بعد دخوله الكوفة بفترة، والثانية قبل شهادته بسبع وعشرين ليلة وهذا يعني أن تاريخها كان حوالي الثاني عشر من ذي القعدة، وإذا افترضنا أن الرسالة الأولى كانت بتاريخ الخامس عشر من شوال - أي بعد دخوله الكوفة بعشرة أيام - فهذا يعني أن هناك رسائل أخرى متبادلة في الفترة الواقعة بين الخامس عشر من شوال والثاني عشر من ذي القعدة، ويبدو أن الشهيد عبد الله بن بقطر قد حمل في هذه الفترة بالذات رسالة من الإمام إلى الشهيد مسلم وأوصلها إليه ثم حمل رسالة من الشهيد مسلم فاعتقل كما يأتي في ترجمته.

* رسالة الإمام، بعد البيعة

وقد كتب عليه السلام إلى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإنني أحمد إليكم الله الذي لا اله الا هو، أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملاكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم

(١) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/ ٢٤٣.

وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

ولم تصل هذه الرسالة إلى مسلم لأنه رضوان الله تعالى عليه استشهد في اليوم التالي لكتابتها، ولم تصل كذلك إلى أهل الكوفة، فإن فورتهم كانت قد خمدت، وألقي القبض على الرسول فألقي من أعلى القصر^(٢) بعد أن وقف موقف الأبدال.

وتسأل: إذا كان الإمام يعرف ما يؤول إليه أمر الكوفيين، فلماذا توجه إلى العراق؟ ولماذا اهتم برعاية الحراك الكوفي الذي يعلم أنه سيذهب أدراج الرياح؟

ويقتضي الجواب على ذلك - الذي تقدمت إشارة موجزة له مع وعد بمزيد بيان - الوقوف عند نقطتين: الإفادة من الممكن، وإتمام الحجة.

* الإفادة من الممكن

من أبعاد غربة الإمام الحسين عليه السلام بيننا، تلك الغفلة المنكرة عن الهدف المركزي الذي يجب التنبيه له جيداً عند تناول تواصل الإمام عليه السلام مع أهل الكوفة، وهو الإفادة من أي تحرك في الأمة يصب في ضرب أركان النظام الأموي الفرعوني ويخدم بالتالي ولو على المدى البعيد حفظ أصالة الإسلام ونقاء مفاهيمه من كل لوثة تحريف، ويخدم بالتالي تحرر الأمة من الملك العضوض، ووعيتها لإشكالية الحاكم والمحكوم.

(١) الطبري ٢٩٧/٤. وابن كثير، البداية والنهاية ١٨١/٨. وانظر الإرشاد ٧٠/٢ وفيهما: فاكتموا أمركم.

(٢) الطبري ٢٩٨/٤. وابن كثير، البداية والنهاية ١٨١/٨ والإرشاد ٧٠/٢ وفيهما أن الذي حمل الرسالة هو الشهيد قيس، ولكن الشيخ المفيد - ذكر أن الذي حملها هو الشهيد عبد الله بن بقطر، أو الشهيد قيس بن مسهر.

كان معاوية قد شوه البنية الفكرية العامة في المجتمع الإسلامي إلى حد أنها أصبحت لا ترى في وصول يزيد إلى موقع الخليفة ما يحمل على الجهاد لإحقاق الحق، وكان الهدف المركزي لسيد الشهداء عليه السلام أن يسقط من أذهان الأمة أي شائبة شرعية لمثل هذا النظام، ولم يكن في الأمة من يسهم في تظهير هذا الهدف إلا ثلة مجاهدة هي الأصحاب الأبرار الذين بذلوا مهجهم دون الحسين لأنه من رسول الله ورسول الله منه، وكانت هناك إمكانية حراك في الكوفة يعرف القاصي والداني سلفاً أنها فورة لا تلبث أن تستلب، فهل من الحكمة أن يصرف النظر عن هذه الفورة، أم أن الحكمة كل الحكمة في رعاية هذا الحراك - الفورة، ليخدم أهداف الأمة والإسلام إلى آخر لحظة ممكنة؟

وكان ثمن هذه الرعاية أن يبرز الشهيد مسلم بن عقيل، لينازل الخذلان الكوفي في عقر داره، ويستشهد في الكوفة، بدلاً من أن يبرز في ميدان المعركة في كربلاء ويستشهد فيها.

وقد حقق هذا الخيار الفريد المتمثل بإصرار الإمام الحسين عليه السلام على الإفادة الممكنة من بوادر حركة الاعتراض والممانعة في الكوفة، جميع الأهداف المرجوة من مثله، وهي كما يلي:

١ - إظهار أن الكوفة ما بين لابتيها وقبل الاستبدال، لا ترى في يزيد إلا الحاكم الجائر المتسلط بالقهر، والكوفة آنذاك هي الحاضرة الإسلامية الأبرز في المسار العملي، فهي دار الجند، ومركز تجمع جيوش الفتح في القادسية وغيرها، وانطلاقاتها التالية إلى سائر الجهات كما تقدم، والموقف فيها يلقي بظلاله على سائر الحواضر.

٢ - إظهار أن استعادة يزيد - عبر ابن زياد - للإمساك بزمام الأمور، تحقق بالأساليب الملتوية: استدراج هانيء والغدر به، تخاذل

المذحجين، تواطؤ عدد من شيوخ القبائل كمحمد بن الأشعث، وتدليس شريح الخ.

٣ - تقديم التفسير الظاهري المقبول إجمالاً لتوجه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، وضواحي الكوفة، لتجري أحداث كربلاء في قلب العالم الإسلامي، وعلى مشارف العاصمة العسكرية الأبرز.

٤ - جعل الكوفة المختبر الذي يكشف تفاعلات النفس البشرية حين توضع أمام خيارى الجهاد والعودة، وإثراء حركة الممانعة بالدروس العملية، وهو ما مكن عدداً من كبار القادة العسكريين «فرسان المصر» من اللحاق بسيد الشهداء عليه السلام، وترك الباب مفتوحاً على مصراعيه للأجيال القادمة، فكانت حركة التوابين وحركة المختار، وكانت وما تزال كل التجليات الكربلائية.

٥ - تقديم التفسير الظاهري لاصطحاب الإمام الأهل والعيال معه، وهو ما مكنهم من إيصال رسالة كربلاء إلى المسلمين في عصرهم وفي كل عصر، ولولم يكن إلا الخطب الثلاث للسيدة زينب والإمام السجاد عليه السلام، في الكوفة والشام لكفى.

ولو أن الإمام عليه السلام لم يقدم كل ما يمكنه لرعاية بوادى المعارضة في الكوفة وتناميها، لكان من الطبيعي أن يستشهد في مكة، أوفي غيرها بما يشبه الإغتيال ولو كان عبارة عن مبارزة تتوفر دواعي كتمان أحداثها.

هكذا ندرك بوضوح كيف تتجلى روعة التخطيط في كل مفصل أقدم عليه سيد الشهداء عليه السلام، وندرك أن هذه الرعاية الدقيقة للحراك الكوفي كانت ضرورة لابد منها، بل كان من شأن الإعراض عنها أن يلحق بالنهضة الحسينية أفدح الخسائر.

* إتمام الحجّة:

كان الإمام الحسين عليه السلام أعرف الناس بأهل الكوفة، فمراراتهم ما تزال في لهاته، وكان لا بد من إلقاء الحجّة عليهم، وإتمامها، ولو أنه بايعه منهم أضعاف من بايعه لما تغيّر رأيه فيهم، هذا ما ينبغي الجزم به، دون أدنى تردد، انطلاقاً من معتقدنا في علم الإمام، وهذا الحشد الهائل من النصوص التي تقف بنا عند العديد من تفاصيل ما دار بين الإمام وكل من نصح بعدم التوجه إلى الكوفة، وهو حافل بالكثير مما تناقله الرواة من أقواله عليه السلام التي يصرّح فيها بعلمه باستشهاده، وخذلان أهل الكوفة له، ومن ذلك ما حدّث به بعض الرواة فقال: حجبت فتركت أصحابي، وانطلقت أتعسف الطريق وحدي، فبينما أنا أسير إذ رفعت طرفي إلى أخبية وفساطيط، فانطلقت نحوها حتى أتيت أدناها فقلت: لمن هذه الأخبية؟ فقالوا: للحسين عليه السلام، قلت: ابن علي وفاطمة؟ قالوا: نعم، قلت: في أيها هو؟ قالوا: في ذلك الفسطاط، فانطلقت نحوه فإذا الحسين عليه السلام متكّ على باب الفسطاط يقرأ كتاباً بين يديه، فسلمت فرد علي، فقلت: يا ابن رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما أنزلك في هذه الأرض القفراء التي ليس فيها ريف ولا منعة؟ قال: إن هؤلاء أخافوني، وهذه كتب أهل الكوفة، وهم قاتلي، فإذا فعلوا ذلك ولم يدعوا لله محرماً إلاّ انتهكوه، بعث الله إليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذلّ من قوم الأمة^(١).

وفي بعض مراحل الطريق قال عليه السلام لمن أشار عليه بعدم التوجه إلى الكوفة إلا بعد سيطرة من يدعي نصرته عليها: يا عبد الله ليس يخفى

(١) المجلسي، البحار ٤٤/٣٦٨. والزرندي الحنفي، نظم درر السمطين ٢١٤. باختلاف، وفيه «قرم الأمة» وتفسيره نقلاً عن الأصمعي بخزقة الدورة الشهرية للمرأة إذ تلقى. وانظر: المحدث القمي، نفس المهموم ١٧٦ نقلاً عن البحار وفيه توضيح نقلاً عن السيد ابن طاوس وغيره.

عليّ الرأي، وإن الله تعالى لا يغلب على أمره، ثم قال عليه السلام والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم^(١).

إلى غير ذلك من نصوص مشهورة، تكشف بوضوح أن بيعة الكوفيين له لم تكن لتغير من رؤيته صلوات الله عليه، للأمور على الإطلاق. وقد تقدم في الحديث حول ظروف إرسال الشهيد مسلم مزيد إيضاح، كما تقدم في ترجمة الشهيد مسلم قول الإمام له: «وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء»^(٢).

وفي ساحة المعركة في كربلاء، الكثير من تصريحه بعلمه عليه السلام بما انطوت عليه أضلاع الكوفيين، فقد خاطبهم بقوله: «أجل والله الخذل فيكم معروف (غدر فيكم قديم) وشجت عليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم. وفي رواية: وشجت عليه عروقكم وتوارثته أصولكم وفروعكم وثبتت عليه قلوبكم و(غشي) صدوركم فكنتم أخبث ثمر، شجاً للناظر وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فانتم والله هم»^(٣).

وهو تصريح واضح الدلالة بأن هذا رأيه فيهم أولاً وآخراً، فهو لم يفاجأ بانقلابهم على الأعقاب، لأنه لم يخدع بهم بل انخدع لهم، أي أنه جاراهم فظن الجاهل أنه لا يعرف حقيقتهم، وإنما دعاه إلى ذلك ألا تكون لهم الحجة، ومن فرائد ما روي عنه في هذا المجال، ما أجاب به

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٧٦.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٨٤ (الفصل العاشر).

(٣) جاء النص مضطرباً في مظانه التي أوردته، إلا أنه لا يقدح في وضوح المعنى العام. أنظر: ابن شعبة الحراني، تحف العقول ٢٤١. والمجلسي، البحار ٨/٤٥. والسيد محسن الأمين، لواعج الأشجان ١٣. واللفظ له بتصريف يسير.

عمر بن سعد حين لَمَّح له إلى غدر أهل الكوفة، وذلك عند اجتماعه به في كربلاء، فقال عليه السلام: «من خادعنا في الله انخدعنا له»^(١).

وخلاصة القول: إن الإمام عليه السلام كان يريد أن تستفيد الأمة من الممكن من الحراك الكوفي، وكان يريد أيضاً إتمام الحجة حتى لا يقال إن فرصة ذهبية ضاعت ولم تحظ بالرعاية المطلوبة.

* تنفيذ المهمة: الخطوط العامة

ولا ينفصل الحديث عن إتمام الحجة عن مهمة الشهيد مسلم في الكوفة، ولا يصعب أبداً الجزم بأن مهمة الشهيد كانت تتجاوز ظاهر ما ورد في رسالة الإمام، لتشمل ما حدثه الإمام به، وما يقتضيه أن الشهيد هو «أخو الإمام وثقته» فقد يفرض تطور مسار الأحداث اتخاذ إجراء معين لا يدخل في باب التعرف على حقيقة موقف أهل الكوفة، بل يدخل في باب السيطرة على الوضع فيها تمهيداً لقدم الإمام.

إن من أوضح الواضحات أن إتمام الحجة لا ينسجم مع تعريض أهل الكوفة لشفرة الجزار دون العمل في كل مرحلة من مراحل تواجد الشهيد مسلم بما ينسجم مع تصاعد حركة البيعة وتفاعل أخبار ذلك ولو كانت من حيث المبدأ طي «الكتمان» فإن الكتمان في الحركة الإجتماعية نسبي.

كان إتمام الحجة على أهل الكوفة يعني: التعرف إلى حقيقة موقفهم عن كذب، وأخذ البيعة منهم، وإعدادهم للمواجهة، وكان الشهيد مخولاً بتوقيت هذه المواجهة واتخاذ القرار المناسب، إلا أن المحور في ذلك كله هو رأي أهل الكوفة.

(١) سبط ابن الجوزي (٥٨١ - ٦٥٤هـ). تذكرة الخواص ٢٤٨. (المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، ط: النجف، أفست: مكتبة نينوى الحديثة، طهران، ناصر خسرو).

ولا يستند ذلك إلى التخمين بل يستند إلى الثابت مما قام به الشهيد مسلم في الكوفة، فهو بالإضافة إلى تدارس الوضع مع المعنيين في اجتماعات دورية، قد عيّن من يأخذ البيعة ممن يريد أن يبايع، كما عين من يقوم بمهمة استلام الأموال وشراء السلاح.

ولماذا المال والسلاح إذا كانت المهمة تقتصر على دراسة الوضع وتكوين صورة دقيقة عنه؟

قال الشيخ المفيد والطبري حول الشهيد أبي ثمامة الصائدي: «وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً ويشترى لهم السلاح، وكان بصيراً وفارساً من فرسان العرب ووجوه الشيعة»^(١).

وقد قال ابن زياد للشهيد هانيء: «جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك»^(٢).

ولئن كان شراء السلاح لا يدل على توقيت للسيطرة على الكوفة، فإن جمع الرجال «في الدور حولك» مختلف الدلالة جذرياً، فهو ينبىء عن قرب موعدٍ كان التداول فيه قائماً.

وكان الشهيد مسلم بن عقيل يرى المبادرة إلى الخروج على النظام، إلا أنّ الكوفيين لم يوافقوا على ذلك. يقول ابن شهر آشوب: «لما دخل مسلم الكوفة سكن في دار سالم بن المسيب فبايعه اثنا عشر ألف رجل، فلما دخل ابن زياد انتقل من دار سالم إلى دار هانيء في جوف الليل ودخل في أمانه وكان يبايعه الناس حتى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل فعزم على الخروج، فقال هانيء: لا تعجل»^(٣).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٦/٢. والطبري ٢٧١/٤.

(٢) المصدران: الإرشاد ٤٨ والطبري ٢٧٣.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢٤٢/٣.

وربما كان الفشل هو النتيجة الطبيعية لتضييع هذه الفرصة الفريدة،
ولله أمر هو بالغه .

لئن كان الإعداد اللازم استدعى تأخير السيطرة على الكوفة في آخر
أيام النعمان بن بشير - الوالي آنذاك كما سيأتي - فما هو مسوِّغ تأخير
ذلك في أول أيام دخول ابن زياد إلى الكوفة .

ولست هنا بصدد إدانة الشهيد هانيء، فهو أجل قدراً من أي
تشكيك فيه من حيث سلامة المعتقد، بل أنا بصدد الإلفات إلى ما يرجح
أنه قد نتج عن اختيار التأخير، فقد كان الإطمئنان إلى أن الكوفة طوع
البنان، أكثر مما ينبغي، ولذلك فإن هذا التأخير قد أفسح في المجال -
على ما يبدو - لهذا الانقلاب المدوي على الأعقاب .

ينبغي أن يسجل لثقة الإمام الحسين عليه السلام أنه لم يخطيء التوقيت،
وأن الكوفة تجرعت غصص عدم إصغائها لحسن اختياره، فجرعت الأمة
غصصاً تبقى حرارتها في قلوب المؤمنين إلى يوم الدين .

ولم أجزم بأن الفشل كان نتيجة ذلك وإنما رجحته لاحتمال أنه كان
بالإمكان أن يتصرف الكوفيون لو أمروا بمهاجمة القصر في هذه المرحلة
كما تصرفوا بعد اعتقال الشهيد هانيء، فيتسللون لواداً تاركين الأمر
للسلاطين . و«ما لهم وللسلاطين»!

الفصل الثاني

حبّ الدنيا يلوّن الكوفيين

النعمان بن بشير

كان النعمان هذا والي الكوفة عندما دخلها مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه^(١).

وكما تجب معرفة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين وقفوا معه، يجب أن نعرف أعداء الإمام الحسين وأصحاب النبي وآله صلى الله عليه وعليهم، ونعرف أعداءهم عموماً، فإن الإطلاع على أحوال هؤلاء وتبدل مواقفهم سلباً وإيجاباً بالغ الأهمية في صناعة الوعي للأحداث والمواقف والأشخاص في الماضي والحاضر والمستقبل.

والنعمان بن بشير من الذين وقفوا ضد الإمام عليه السلام لكن بطريقته الخاصة كما سيأتي.

* أمه هي أخت عبد الرحمن بن رواحة الذي استشهد مع جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة^(٢).

* ولد في المدينة المنورة بعد أن دخل الرسول ﷺ وكان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار^(٣).

(١) تفرد ابن سعد في الطبقات ٥٣/٦ بخلاف ذلك. أنظر: بالإضافة إلى الطبري في موارد عديدة: البخاري، التاريخ الكبير ٥٣٣/٦ والدينوري، الأخبار الطوال ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٣ وابن حبان، الثقات ٣٠٧/٢. وهو مستفيض في المصادر.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥٣/٦.

(٣) المصدر.

* أبوه بشير بن سعد، أول من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر فبايعه، ثم توالى بيعة الأنصار^(١).

هذه هي النشأة والجو، أما المعتقد والهوى فكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي عليه السلام، وقد شهد صفين مع معاوية، ولم يكن معه من الأنصار غيره، وكان أثيراً عنده، وكذلك عند يزيد^(٢) ورغم كل هذا فإن النعمان بن بشير، كان ينظر نظرة إيجابية إلى الإمام الحسين عليه السلام عند دخوله الكوفة إذ قال لمن ظن أنه الحسين: ما أنا بمؤدِّ إليك أمانتي، يا ابن رسول الله!

وفي رواية: «أنشدك الله إلا ما تنحيت، فوالله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من إرب»^(٣).

فهو «يحتاط» بأن لا يسلم «أمانة» يزيد إلى ابن رسول الله!!

كما أنه «يحتاط» فلا يوغل في عداوته، كما فعل غيره!

وينسب إلى النعمان قوله: لابن بنت رسول الله أحب إلينا من ابن بحدل^(٤).

وبحدل هذا نصراني وهو جدّ يزيد لأمه ميسون التي ظلت على النصرانية^(٥) وهي إحدى أربع نصرانيات تزوجهن «أربعة خلفاء»^(٦) ولعل النعمان يعرض بكونها نصرانية.

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ١٢٤/٢. والطبري ٤٥٨/٢.

(٢) المحدث القمي، نفس المهموم ٨٦ - ٨٧.

(٣) المقدم، مقتل الحسين ١٤٩. وانظر: الطبري ٢٦٨/٤.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ج ٢ | ٨ (تحقيق الشيري) ونفس المهموم | ٨٧ وفيه «من ابن بنت بحدل». وانظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار ١٤٧/٣.

(٥) محمود أبو رية، شيخ المضيرة، أبو هريرة ١٧٧. وانظر: history. al-islam. com في ترجمة ميسون، فقد ورد فيه التصريح ببقائها على النصرانية.

(٦) عبد المعين الملوحي، الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي. الناشر: دار الكنوز الأدبية=

إزاء هذا القلق الذي كان يطبع شخصية النعمان نتيجة ولائه ليزيد وركونه إليه من جهة، وتهيبه لخوض مواجهة مع الإمام الحسين عليه السلام فإنه رغم علمه بوجود مسلم في الكوفة وتردد الناس إليه في أجواء البيعة وقف موقفاً لينا كما نجد في النص التالي:

«فبلغ النعمان بن بشير ذلك وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية، فأقره يزيد عليها، فصعد المنبر، فحمد الله سبحانه، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيها يهلك الرجال ويسفك الدماء وتغتصب الأموال، إني لا أقاتل من لا يقاتلني ولا آتي علي من لم يأت علي ولا أئنه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف، ولا الظنة، ولا التهمة، ولكنكم ان أبتدتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو ان يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل^(١).

وطبيعي أن يستفز هذا الموقف من الوالي أشياع يزيد والأمويين في الكوفة، وقد بادروا فعلاً إلى الإنكار على النعمان، ثم كتبوا إلى يزيد مطالبين أن يولي غيره الكوفة، وممن كتب إلى يزيد في ذلك: عمر بن سعد، عبد الله بن مسلم الحضرمي، عمارة بن عقبة بن الوليد^(٢).

=بيروت. عرض: الدكتور محمد عبد الرحمن يونس على موقع: [www. ofouq. com](http://www.ofouq.com)
و«الخلفاء» الأربعة هم: عثمان، معاوية، الوليد بن يزيد، المتوكل.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤١/٢. والطبري ٢٦٤/٤.

(٢) المصدران، وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢٤٢. وكان أشدهم خطراً عمارة بن عقبة وهو أخو الوليد بن عقبة الفاسق، وكان عيناً لمعاوية على الكوفة أيام الأمير عليه السلام، وقد تزوج ابن زياد ابنته حين قدم الكوفة وقبل اعتقال هانيء.

وتدخل سرجون الرومي وهو من نصارى الشام وكان مستشاراً لمعاوية ثم ليزيد في مصالح الدولة^(١) فنصح يزيد بتولية ابن زياد الكوفة، وأخرج له كتاباً من معاوية كان - على ذمة سرجون ويزيد وبعض المؤرخين - قد كتبه بهذا الشأن^(٢).

وكان ابن زياد آنذاك في البصرة والياً عليها، فكتب إليه يزيد مع مسلم بن عمرو الباهلي - جد عبد الله بن مسلم «بن قتيبة» بن مسلم بن عمرو، صاحب «الإمامة والسياسة»^(٣) - الذي ستردد اسمه بشكل بارز في الأحداث التي أدت إلى شهادة مسلم وهانيء، كما سيتكرر الإستشهاد بكلام حفيده.

وأنفذ يزيد مع كتابه كتاب أبيه الذي أخرجه سرجون، فأصبح ابن زياد والي العراقين، البصرة والكوفة.

وأكتفي هنا بالإشارة إلى أن موقع هذا النصراني وأضرابه من إدارة شؤون المسلمين لا تحظى بالعناية التي تتناسب مع خطورتها، والأدهى من ذلك أن دور اليهود والنصارى في مؤازرة الأمويين وغيرهم ضد الإسلام والمسلمين يكاد يكون البحث فيه مغيباً.

وليس ما تقدم إلا مجرد نفثة بمناسبة الحديث عن «كتاب» ادعى وجوده نصراني وكان له في مسار الأحداث ذلك الأثر الكبير، ولئن كان من المحتمل أن يكون معاوية قد كتبه، إلا أن ذلك لا يلغي الإحتمال

(١) هامش مقتل المقرّم ١٤٨ نقلًا عن: محمد كرد علي - الإسلام والحضارة العربية ج٢ / ١٥٨ وانظر: التاريخ الإسلامي على موقع: www.islamlampedia.com وفيه، وكان سرجون صاحب أمره - أي معاوية - ومدبره ومشير.

(٢) الطبري ٤ / ٢٦٥.

(٣) أنظر: المسعودي، مروج الذهب ٣ / ٥٩. والقمي، نفس المهموم ٨٦ و ٨٧.

الآخر، ولا يلغي السؤال عن وجود مثل هذا النصراني في مثل هذا الموقع، كما لا يلغيه وجود يزيد نفسه في موقعه المدعى.

* ابن زياد، إلى الكوفة

ولكي يضبط ابن زياد وضع البصرة قبل انتقاله إلى الكوفة فقد هدد أهل البصرة بالبطش فيما لو حاول بعضهم الإستجابة لتحرك الإمام الحسين.

في هذه الأثناء كان الإمام عليه السلام قد أرسل كتاباً إلى وجهاء البصرة، ومن جملتهم والد زوجة ابن زياد، المنذر بن جارود العبدي، فوشى المنذر بالرسول والكتاب إلى ابن زياد، قبل خروجه إلى الكوفة، فقتل الرسول، وعين أخاه عثمان بن زياد والياً بالنيابة^(١) ثم خرج مع خمسمائة شخص من أهل البصرة إلى الكوفة، بناءً على ما في بعض المصادر^(٢).

ويقف هنا بعض الباحثين عند ظاهرة الشلل الذي كان مستشرياً في الناس حينها، فهناك حالة رفض لحكم يزيد ولكنها لا تصل إلى حد الإقدام على أي موقف جريء، ألم يكن باستطاعة هؤلاء الخمسمائة الذين قدموا مع ابن زياد أن يقتلوه؟ مع ذلك نجد أنّ خيرهم الذي يبدو أنه كان شريك الأعور تمارض في الطريق لعل ابن زياد يتأخر في الوصول إلى الكوفة.

ولم يكن شريك وحده الذي تمارض وسقط إلى الأرض بهذا الهدف، فقد قال الطبري: وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوي عليهم (يرجع إليهم) عبید الله، ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط، حتى دخل الكوفة^(٣).

(١) أنظر تفصيل ذلك في ترجمة رسول الإمام إلى البصرة، الشهيد أبي رزين، في آخر الكتاب.

(٢) الطبري ٢٦٧/٤.

(٣) الطبري ٢٦٧/٤. وانظر: السيد محمد تقي بحر العلوم، مقتل الحسين أو واقعة الطف ٢٢٠ (مكتبة العلمين العامة. النجف - العراق. رقم ١٧. ط: دار الزهراء - بيروت، ١٤٠٥ هجرية ١٩٨٥ م).

كان ابن زياد في منتهى التهالك للوصول إلى الكوفة بأسرع وقت ممكن لأسباب عديدة يأتي الحديث عنها في ترجمة رسول الإمام إلى البصرة، ومن تلك الأسباب أن في كتاب يزيد الذي جمع له المصرين: «إن كان لك جناحان فطر إلى الكوفة»^(١).

وينبغي الإشارة هنا إلى استبعاد أن يكون ابن زياد اصطحب معه «خمسة من أهل البصرة»، لقرائن عديدة، وأدلة، في طبيعتها أن كل من كان معه في القصر، بعد أيام من وصوله، وبعد زواجه، حوالي خمسين من الشرطة ورؤوس الضلال^(٢) وبناءً على ذلك فإن الأرجح هو الرواية الأخرى من روايتي الطبري، والتي تذكر أن من كانوا مع ابن زياد هم مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك، وحشمه وأهل بيته^(٣). وإن كان الراجح إضافة عبيد الله بن الحارث، وسيأتي في ترجمته مزيد بيان.

كما تجدر الإشارة إلى أنه لا وجه لما ذكره الطبري من أن مسلم بن عقيل دخل الكوفة قبل ابن زياد بليلة^(٤) فقد كان مسلم دخلها قبل ذلك بكثير، وأصبح الناس ينتظرون قدوم الإمام الحسين عليه السلام، ولم يولّ يزيد ابن زياد إلا بعد وصول الرسائل إليه بدخول الشهيد مسلم الكوفة، وكان بين وصول بعض الرسائل إليه وبعضها الآخر يومان^(٥) ثم كتب يزيد مع عمرو بن مسلم الباهلي إلى ابن زياد بالتوجه إلى الكوفة والياً عليها، وهذا يعني بجلاء أن الشهيد قد دخل الكوفة قبل ابن زياد بحوالي عشرة أيام على أقل تقدير، وربما كانت المدة أطول بكثير.

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج ٣/ ٢٩٩

(٢) الطبري ٢٧٦/٤.

(٣) الطبري ٢٦٦/٤.

(٤) المصدر ٢٦٨.

(٥) المصدر ٢٦٥.

* كيف دخل الكوفة؟

كان دخول ابن زياد مدينة الكوفة من الجهة التي يدخل منها القادم من الحجاز آنذاك وبتعبير أدق من جهة النجف^(١) ليظن الناس أنه قادم من جهة الجنوب، وقد لبس عمامة سوداء.

يقول ابن الصباغ المالكي:

«فلما قرب من الكوفة تنكر ودخلها ليلاً، وأوهم أنه الحسين، ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز...»^(٢).

ويبدو من ضمّ النصوص إلى بعضها، مع ملاحظة مقتضى الحال، أنه لم يبق معه ممن خرج بهم من البصرة إلا عدة أشخاص، فقد تساقط خلال الطريق أكثر من كانوا مع ابن زياد، فلم ينتظر أحداً منهم، ومضى مسرعاً، وقيل إنه في آخر الطريق بقي وحيداً^(٣) حتى قدم الكوفة في الليل «وذلك في ليلة مقمرة، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو يسلم عليهم، وهم لا يشكّون في أنه الحسين بن علي، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشيرهم بالحسين ما ساءه»^(٤). وتزايد عدد المستقبلين المرافقين له بشكل ملحوظ، فقد «خرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم»^(٥) وساروا خلفه في ما يشبه التظاهرة «ومعه الخلق يضحجون»^(٦).

(١) المسعودي، مروج الذهب ٥٧.

(٢) ابن الصباغ المالكي (الوفاة ٨٥٥) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ١٨٤ (مطبعة العدل، النجف، أوفست: منشورات الأعلمي، طهران).

(٣) الطبري ٤/٢٦٨.

(٤) السيد بحر العلوم (محمد تقي) مقتل الحسين | ٢٢١ عن نهاية الإرب ٢٠ / ٣٩٠ وانظر: المجلسي، البحار ٤٤ / ٣٤٠ وأبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين ٦٣.

(٥) الطبري ٤/٢٦٨.

(٦) نفس المصدر.

وتختلف المصادر في تحديد طريقة معرفة أهل الكوفة بأن هذا القادم هو ابن زياد على أقوال:

١ - أنهم لم يعرفوا ذلك إلا بباب قصر الإمارة عندما نادى ابن زياد النعمان بن بشير: إفتح لا فتحت فقد طال ليالك، وسمعها أحدهم خلفه فقال: يا قوم ابن مرجانة والذي لا إله غيره^(١).

ويبدو أن هذا عرفه بلكنته، فقد كان يلفظ الحاء هاءً لأن أمه أعجمية^(٢).

٢ - أن مسلم بن عمرو الباهلي لم يتحمل ترحيب الناس بالحسين، فصاح بهم: «هذا الأمير عبيد الله بن زياد»^(٣).

٣ - أن ابن زياد نفسه تبرم بما سمع فحسر اللثام وقال: أنا عبيد الله، فتساقط القوم ووطيء بعضهم بعضاً^(٤) وحصبه الناس بالحصى حين عرفوه^(٥) فدخل القصر مسرعاً، وضرب الباب في وجوه الناس، فانفضوا^(٦).

* الإستبدال الكوفي

كيف تبدلت مواقف أهل الكوفة جذرياً، من مدينة مغلقة للإمام الحسين عليه السلام، إلى مدينة مغلقة ضده، باستثناء القمم الكربلائية، ومن ألقى بهم في غياهب السجون.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٤٤. والطبري ٤/٢٦٨.

(٢) السيد المقرم، مقتل الحسين (م. م) ١٥٠ نقلاً عن، الجاحظ، البيان والتبيين ١/٧٥ وأورد عنه كان ألكناً يقلب الحاء هاءً قال لهارون بن قبيصة: أهروري يريد: أحروري. ويقلب القاف كافاً يقول: قلت له يريد قلت له.

(٣) الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى ١/٤٣٨.

(٤) ابن نما، مشير الأحزان ١٩ وعنه: المجلسي، البحار ٤٤٤/٣٤٠.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ٥٧.

(٦) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٤٤. والطبري ٤/٢٦٨.

ما بين «جند لك مجندة»^(١) وبين «قاتلوا من مرق عن الدين»^(٢) أبعد مما بين الثريا والثرى، إنها مسافة ما بين الإيمان والكفر، والولاية والتبري، إلا أنّ حب الدنيا ودعتها والسلامة قطع هذه المسافة بأهل الكوفة كلمح البصر، خلال خفقات قلوب مظلمة ألحت - وما تزال - على الأحشاء بالزفرات.

وهذا التبدل الكوفي، إثر دخول ابن زياد، هو الدرس الأعظم لكل الحالات المشابهة التي تهدد بتبدل الموقف.

مهم جداً - إذاً - أن نقف عند هذه المرحلة من مراحل ثورة الإمام الحسين عليه السلام وندخل إلى ثنايا النسيج الإجتماعي في الكوفة، لنكوّن فكرة دقيقة عن تركيبة ذلك المجتمع.

كان ابن زياد يعرف الكوفة جيداً، فقد كان أبوه مع أمير المؤمنين عليه السلام ثم انحرف وتولى الكوفة في عهد معاوية، وسيرته الفرعونية فيها معروفة، طافحة بالبطش والتنكيل.

ولقد عاش عبيد الله مع أبيه شطراً وافيةً من تجربته الحافلة في الكوفة، الأمر الذي مكّنه من متابعة أخبار الكوفة، في ضوء رصيد معرفته بها، حتى أصبح خبيراً بالتركيبة السياسية والاجتماعية، وخبائبا النفسية الكوفية.

وعندما اقترح سرجون على يزيد أن يوليه الكوفة، فقد كان يعرف بأنه يرشح الشخص القادر على أن يضبط الوضع في تلك المرحلة.

دخل ابن زياد الكوفة ليلاً، وفي تلك الليلة، بادر إلى عقد اجتماع

(١) من رسالة عدد من قادة الكوفة إلى الإمام الحسين، ومنهم عمرو بن الحجاج كما تقدم.

(٢) شعار رفعه في كربلاء أحد هؤلاء القادة عمرو بن الحجاج، قائد ميمنة ابن سعد!.

عام في المسجد^(١) وكان ذلك أول تحرك سياسي ينذر بالخطر الدايم، ويهدف إلى تسجيل أول اختراق لإجماع الكوفة على بيعة الإمام الحسين عليه السلام.

أمر ابن زياد المنادي أن ينادي الصلاة جامعة فحضر الناس وهذا يدل على المدى الذي بلغه التخاذل بمجرد انتشار خبر وجود ابن زياد في الكوفة، فإن مجرد الإستجابة لدعوة ابن زياد، مؤشر كبير على أن الوضع بدأ يميل لصالحه، فضلاً عن كون ذلك أول اختراق لإجماع الكوفة، كما تقدم.

صعد ابن زياد المنبر فقال: «أما بعد فإن أمير المؤمنين ولأني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم (يلاحظ أنه يخاطب النفسية الكوفية التي يعرف حساسيتها المفرطة تجاه المال، وصحيح أنها خصوصية بشرية عامة - إلا من عصم الله - لكن أهل الكوفة لم يتركوا عذراً لمعتذر عنهم) والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وأمرني بالشدة على مريبكم وعاصيكم وأنا متبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده وأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على من خالف أمري وترك عهدي (بدأ أسلوب التهديد والترهيب) فلينبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبيء عنك لا الوعيد»^(٢). (أي أن عملي هو الذي سيؤكد مدى سطوتي وبطشي، لا التهديد بالكلام. وهذا أبلغ من أي تهديد آخر، خاصة ممن يعرف بالبطش، ولمن يعرف بالتخاذل).

وفي رواية أخرى ورد قوله: «فأبلغوا هذا الرجل الهاشمي مقاتلي، ليتقي غضبي»^(٣).

(١) الطبري ٢٦٧/٤. «المانزل القصر نودي: الصلاة جامعة». . «فاجتمع الناس».

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٤/٢. والطبري ٢٦٧/٤.

(٣) ابن نما، مشير الأحزان ٢٠.

ويلاحظ في هذه الخطبة والزيادة، أنه تجنب التصريح باسم مسلم، لأنه لم يكن قد سيطر على الوضع في الكوفة، والأرجح بالرجوع إلى سائر النصوص، أنه لم يستعمل في هذه المرحلة إلا مصطلح «بغية أمير المؤمنين» أو «طلبة أمير المؤمنين» كما سيأتي، وأن مصطلح «الرجل الهاشمي» استعمل في مرحلة تالية.

وفي نص ملفت، نجد أن ابن زياد طمأن أهل الكوفة إلى أنه لم يعرف أحداً ممن استقبله مرحباً به حين دخل متنكراً، وظن الناس أنه الحسين عليه السلام:

«وأصبح فجلس على المنبر فقال: أيها الناس، إني لأعلم أنه قد سار معي وأظهر الطاعة لي من هو عدو للحسين حين ظن أن الحسين قد دخل البلد وغلب عليه، والله ما عرفت منكم أحداً ثم نزل»^(١).

أراد بهذا التطمين أن يحد من طريقه هؤلاء الذين انكشفت أوراقهم أمامه، حتى لا يتصرفوا على أساس أن مواجعتهم له هي خيارهم الوحيد.

وقد حدد الطاغية في خطابه الأول الجانب العلني من الخطوط العامة لسياسته في الكوفة التي أوضحتها ممارساته، ومكنته بالتالي من تحقيق الإستبدال الكوفي، فكانت بمجموعها عبر أساليب أربعة:

* الأسلوب الأول: إعلان الأحكام العرفية

والتي تعني أن هناك وضعاً استثنائياً: رقابه مشددة، ومفارز على السكك، أي حواجز على الطرق، ومداهمات، وما تقتضيه مصلحة النظام من البطش الشديد والقتل على الظن والتهمة.

(١) الطبري ٤/٢٦٨.

يوضح هذه السياسة، ما ورد من أنه بعد أن نزل عن المنبر مطمئناً الناس إلى أنه لم يعرف أحداً: «أخذ العرفاء أخذاً شديداً»، (العرفاء جمع عريف وهو في النظام الإداري آنذاك كالمختار، المكلف إدارياً بشؤون فريق من الناس في منطقة معينة)^(١) فقال: أكتبوا لي الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية (الخوارج) ومن فيكم من أهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، ثم يجاء بهم لنرى رأينا فيهم، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عرفته، ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلالاً لنا دمه وماله، وأيما عريف وجد في عرفته من «بغية أمير المؤمنين» أحد، لم يرفعه إلينا صلب على باب داره وألغيت تلك العرافة من العطاء وسيّر إلى موضع بعمان الزارة»^(٢).

ونجد هنا بوضوح ما يقتضيه الحال من أن هدف ابن زياد هو إلقاء القبض على مسلم بن عقيل، وسيكرر تعبير بغية أمير المؤمنين، في ما بعد كإشارة إلى مسلم الذي أطلق كل ذلك التهديد من أجله.

وكما تقدمت الإشارة فإن إعلان الأحكام العرفية يتلازم عادة مع سياسة البطش، وقد اعتمد ابن زياد هذه السياسة متشدداً في تطبيقها إلى أبعد الحدود: «وأمسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في تلك الساعة»^(٣).

(١) قال السيد الأمين رحمه الله: «العرفاء: جمع عريف كأمر وهو الرئيس والظاهر أنه كان يجعل لكل قوم رئيس من قبل السلطان يطالب بأمورهم يسمى العريف كما هو متعارف إلى اليوم وكان يجعل للعرفاء أيضاً رؤساء يقال لهم المناكب». لواعج الأشجان ٤٥ الهامش. وقدمر مزيد إيضاح في الحديث عن تمصير الكوفة.

(٢) الطبري ٢٦٧/٤ والإرشاد ٤٤ - ٤٥ باختلاف يسير، والزارة قرية كبيرة في البحرين كما ذكر المامقاني، تنقيح المقال ٢٦١/٣ وأنها هي التي كان زياد وابنه ينفيان من شاءا نفيه إليها من أهل البصرة والكوفة، ويظهر من الحموي في معجم البلدان أنها اسم مكان في البحرين، وعمان، ولعل السبب عدم وجود حدود بينهما آنذاك.

(٣) المحدث القمي، نفس المهموم ٩٤ نقلاً عن: الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي. أنظر: ١٨٥.

* الأسلوب الثاني: العمل الأمني

وهو يقتضي نشر المخبرين في أوسع نطاق لرفع التقارير إلى قصر الإمارة حول ما يجري في الكوفة، وبصورة خاصة ما يقود إلى معرفة مكان تواجد الشهيد مسلم، ومن البديهي أن العمل الأمني في مثل تلك الظروف بالإضافة إلى أنه ضرورة ملحة، فإن باستطاعته تغيير مسار الثورة وهو ما حصل.

ورغم أننا نواجه ضحالة في النصوص التي تكشف لنا تشعب المخبرين والجواسيس وكثرتهم، فإن من الطبيعي جداً أن هؤلاء كانوا مبثوثين في كل مكان، سيما في المفاصل الاجتماعية والسياسية، ولم يكن معقل إلا واحداً من هؤلاء، تفرّد من بينهم بالوصول إلى مسلم والدخول عليه يومياً، والتواجد عنده أو على مقربة منه حتى المساء، كما سيأتي.

ويدل على ذلك ماورد في رسالة ابن زياد ليزيد بعد أن سيطر على الوضع في الكوفة، فقد أخبره فيها إجمالاً عن الخطة التي اعتمدها لضرب المعارضة والقضاء عليها، فقال:

«أخبر أمير المؤمنين «..» أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانيء بن عروة المرادي وإنى جعلت عليهما العيون ودست إليهما الرجال وكدتكما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما»^(١).

فإن التعبير واضح الدلالة على عدد من المخبرين من الطبيعي أن يكون كبيراً.

ويبدو أن الفارق بين العين والدسيس في كلام ابن زياد، هو في

(١) الطبري ٤/٢٨٥.

بعض مظاهره الفارق بين المخبر العادي، وبين شيخ العشيرة أو الوجه الإجتماعي البارز يكلف بمهمة خاصة.

*** الأسلوب الثالث: استعمال الأداة الرخيصة، وعاظ السلاطين، وقد استهم المزيفة**

ولقد كان في أحداث الكوفة أشد الأساليب فتكاً كما هو حاله في الغالب، فقد كان للدمية «شريح القاضي» وأضرابه، الدور الطبيعي في تفجير حركة الإعتراض من الداخل، ولم تكن «معلومات» معقل، ولا تهالك عمرو بن الحجاج وسائر اللاهثين خلف سراب هوى النفس لتؤثر شيئاً لولا ذلك الموقف الذي وقفه شريح على شرفة قصر الإمارة كما سيأتي.

ولم أذكر هذا الأسلوب أولاً ولا أعطيته عنوان «الإستمالة» بل الإستعمال لأن هذه الكائنات الشوهاء أحط قدرأ من أن يبذل الطاغوت جهداً لتوظيفها لخدمة مصالحه، أو أن تستمال، وإنما موقعها الإستعمال عند الحاجة، ولئن كان غيرها يحصل على فتات من فضلات الطاغوت فإنها لا تحصل من ذلك إلا على القراضة.

*** الأسلوب الرابع: شراء رؤساء العشائر والوجهاء**

ولا ينفصل هذا في العمق عن العمل الأمني، إلا فصل اختصاص - كما تقدمت الإشارة حول الفرق بين العين والدسيس - ويظهر الدور الكبير لهؤلاء الوجهاء عند إعلان مسلم لثورته على ابن زياد، فسوف نجد أن هؤلاء هم الذين أجهضوا ثورة مسلم في الكوفة وهم الذين كانوا سباقين إلى قتل الإمام عليه السلام، وأن شخصاً مثل شيبث بن ربعي الذي كتب إلى الإمام الحسين بلهجة ملؤها الثقة والولاء (فإنما تقدم على جند لك مجندة) كان من الواقفين بباب قصر الإمارة يثبط الناس عن مسلم بن عقيل، ولم يكن غيره أفضل حالاً منه.

ومن الوثائق التاريخية حول هذه الإستمالة أو الشراء لافرق، ما حدث به أحد شهداء كربلاء حين وصل ومن معه إلى الإمام الحسين عليه السلام وكانوا قادمين من الكوفة «فقال لهم الحسين أخبروني خبر الناس وراءكم فقال له مجمع بن عبد الله العائذي، وهو أحد نفر الأربعة الذين جاءوه: أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم يستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم إلب واحد عليك، وأما سائر الناس بعد فان أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك»^(١).

والغرائر جمع الغرارة، وهي الكيس الكبير من الصوف أو الشعر^(٢) وفي التعبير دلالة واضحة على المبالغ الطائلة التي عبر عنها بقوله «أعظمت رشوتهم» ليوضح أنها أكثر مما قد يتصور بالحديث عن عظم الرشوة.

وقد كان غالب الوجهاء ورؤساء العشائر في الكوفة على نمطين:

١ - أسرى العقد النفسية من عدل أمير المؤمنين عليه السلام كأولاد الأشعث بن قيس وشريح القاضي اللذين حاول الإمام علي عزلهما، فلم يساعده الظرف^(٣) وعمرو بن حريث الذي قال فيه الإمام وفي بعض من كان معه: «ليحشرن قوم يوم القيامة وإمامهم ضب»^(٤) إلى غير هؤلاء من

(١) الطبري ٣٠٦/٤.

(٢) قال الجوهرى في الصحاح: والغرارة واحدة الغرائر التي للتبن، وأظنه معرباً. وفي معجم الفقهاء لقلعجي: الغرارة بكسر الغين ج غرائر، الكيس الكبير من الصوف أو الشعر. وقال الشيخ إبراهيم سليمان في الأوزان والمقادير ٨٥: «الغرارة المتعارفة في لبنان وسوريا ونواحيهما الآن (سنة ١٣٦١) هي اسم لاثني عشر كَيْلاً متعارفاً (الكيل ٦ أمداد) فهي اثنان وسبعون مداً من الامداد المتعارفة في لبنان وسوريا ونواحيهما، وهذا شئ معروف متفق عليه، وقد نص عليه في حلية الطلاب (ص ٥٤) ويعرفه حتى العوام».

(٣) حول عزل شريح، أنظر: المامقاني، تنقيح المقال ٨٣/٣ وفيه: «لأن أهل الكوفة قالوا له: لاتعزله لأنه منصوب من قبل عمر. . . وحول الأشعث، أنظر: ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين ١٣٧.

(٤) الحر العاملي، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ٤٢٦/٢. في حادثة طويلة معروفة.

المعقدين الذين ضاق بهم عدل أمير المؤمنين، فكان الجور عليهم أضيقت.

٢ - أسرى مراكز النفوذ، وهم أصحاب المراكز الذين يخافون عليها، وأولئك الطامحون لها وهم لا يرون سبيلاً للوصول إليها إلا باقتناص الفرص والتزلف لمن يحتملون الحظوة عنده، حتى إذا كان الشيطان نفسه.

والمثال البارز بين هؤلاء شبت بن ربيعي من الخائفين، وكثير بن شهاب، وعمرو بن الحجاج من الطامحين.

بهذه الأساليب الأربعة (إعلان الأحكام العرفية، العمل الأمني، إستعمال وعاظ السلاطين وقداستهم المزيفة، شراء الوجهاء) استطاع ابن زياد أن يجعل مؤشر ميزان القوى يميل لصالحه وبشكل سريع، وقد ساعده العمل الأمني - بقسميه - بشكل فعال، وكان دور شريح الفتيل والصاعق.

وغني عن البيان أن إعلان الأحكام العرفية هو مناخ الترهيب، والإستمالة هي الترغيب، الذي يشكل الترهيب مناخه المثالي لاجتياح كل «معاقل» ضعاف النفوس واليقين، والعمل الأمني بشقه المعلوماتي عصب ذلك كله، ولكن بشرط تأمين الغطاء من باعة الضمير «وعاظ السلاطين» خصوصاً في المجتمع الكوفي آنذاك وكل حالة مماثلة، وسنرى كيف تضافرت هذه العوامل فأجهضت كل الآمال العراض.

ومن الواضح أن هذه الأساليب تتضافر جميعاً لتصب في ما يعرف ب «الحرب النفسية» التي يشكل إعلان الأحكام العرفية مناخها العام، الذي تتوقف الإفادة منه على حسن أداء شبكة المخبرين والجواسيس، وعلى إضفاء طابع القداسة على سياسة النظام، وتبني المفاصل

الإجتماعية الحقيقية أو المخترعة لهذه السياسة، للجم اندفاع الجماهير باتجاه المعارضة.

كانت هذه خطة النظام في مواجهة المعارضة، فماذا كان يجري في المقابل، وكيف كانت المعارضة تخطط لمواجهة النظام.

تتوقف معرفة ذلك بجلاء على معرفة الشهيد هانيء بن عروة، وما كان يمثله في الكوفة، وما كان يجري في بيته والدور من حوله، حيث استقر الشهيد مسلم بن عقيل بعد دخول ابن زياد الكوفة.

في بيت الشهيد هانيء بن عروة

* إلى بيت هانيء

طبيعي جداً أن دخول ابن زياد إلى الكوفة كان إيذاناً ببدء مرحلة جديدة للنظام والمعارضة على حد سواء، وطبيعي أيضاً أن ترتفع وتيرة حذر الشهيد مسلم ليتجلى ذلك قبل كل شيء بالانتقال إلى مكان جديد تتوفر فيه المواصفات الأمنية والعسكرية الخاصة.

وكانت هذه المواصفات تنطبق على بيت الشهيد هانيء بن عروة المرادي، فانتقل الشهيد مسلم إليه.

ولا ينبغي أن يؤبه بما في بعض المصادر من أن مسلماً انتقل دون علم هانيء مسبقاً فكره مكانه حين رآه، فقال له مسلم: «أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال: رحمك الله لقد كلفني شططا ولولا دخولك داري وثقتك بي لأحببت أن تنصرف عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل. أدخل. فأواه»^(١).

والدليل على عدم الإعتناء بهذا النص ما يلي:

١ - عند دخول ابن زياد الكوفة، وانتقال الشهيد مسلم إلى بيت الشهيد هانيء، لم يحدث انهيار في الموقف الكوفي بمستوى أن يضطر الشهيد مسلم إلى البحث عن مأوى يلجأ إليه، فيتوجه إلى بيت بدون علم صاحبه.

٢ - وهل كان مسلم ليقبل الدخول إلى بيت هانيء وهو يعامله كلاجيء مهيض الجناح.

٣ - قال الطبري نفسه: «وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار

(١) الطبري ٤/ ٢٧٠. ويبدو أن في مقالة هانيء الأخيرة اضطراباً في النص. وانظر: الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٣ باختلاف. ويلتقي معهما ما أورده المحدث القمي، نفس المهموم ١٢٥ نقلاً عن: السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٤/ ٤١ - ٤٩. وقد شد ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٨/ ٢ (ت: الشيري) في ما أورده من لجوء الشهيد مسلم إلى بيت الشهيد هانيء بعد أن أعلن الثورة وتفرق الناس عنه.

هانيء»^(١). وتجمع المصادر على ذلك، وهو يشعر بأن نزول الشهيد مسلم كان طبيعياً لا يشوبه من الشهيد هانيء حذر غير اعتيادي، يؤدي إلى المنع أو التضييق.

٤ - استفاض في المصادر الحديث - كما سيأتي - عن جمع الرجال والسلاح في الدور المجاورة لبيت الشهيد هانيء، سواء ما ورد على لسان ابن زياد، أو ما ورد في سياق الحديث عن خروج الشهيد مسلم لمحاصرة قصر الإمارة، وبديهي أن ذلك لا يتم بدون علم الشهيد هانيء وتدبيره، وهو لا يتناسب مع كونه قد قبل استضافة الشهيد مسلم على مضض. ويخلص ما تقدم إلى نتيجتين:

١ - لا يمكن تقييم النصوص التي تغمز من قناة الشهيدين في هذه الحادثة، بمعزل عن أجواء الرعب والإنكسار التي خيمنت على المخلصين من آل الشهيد هانيء وذويه، وطال ليلها، فجعلتهم يروون قصة دخول مسلم إلى دارهم بما ينسجم مع ما ذكره هانيء نفسه رضوان الله تعالى عليه في مجلس ابن زياد، بدافع التقية.

٢ - أن أمر الإمام الحسين لسفيره الشهيد مسلم أن ينزل عند أوثق أهل الكوفة ليس خاصاً بالمنزل الأول الذي اختاره عند وصوله إلى الكوفة، بل يشمل أي منزل يختاره كما يشمل أن يكون هذا «الأوثق» من صلب حركة الممانعة والاعتراض، مستعداً للتضحية بالغالي والنفيس. وكذلك كان الشهيد هانيء ولهذا اختاره ثقة الحسين أوثق أهل الكوفة في هذه المرحلة.. فحلّ في داره.

لهذا كله فإن من الطبيعي جداً أن يكون انتقال الشهيد مسلم إلى بيت الشهيد هانيء قد تم بعلمه مسبقاً، واستعداده التام لكل ما يترتب على ذلك. ويتوقف معرفة ما جرى في بيت الشهيد هانيء على معرفة صاحب البيت، فمن هو الشهيد هانيء بن عروة؟ وماذا كان يمثل في الكوفة.

الشهيد هانيء بن عروة

* على أعتابه

ويبقى إسمه الوداع رمز مفصل بارز في غرائب حركة التاريخ.

كيف يواجه الحب بالحق، والأمانة بالخيانة، والنصيحة بالغدر؟

لا تجد الإجابة على ذلك كله إلا لدى عمرو بن الحجاج وعمرو بن الحجاج وعمرو بن الحجاج، الذي لا يُعرف من خاتمته إلا الهرب من الكوفة ولكن لا يدرى هل اختطفته السماء، أم ساخت به الأرض من هول جريمته النكراء^(١).

ولولاه - وشريح - لكان معقل وحتى محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وحتى الطامح اللاهث كثير بن شهاب، أعجز من أن تهوي على أيديهم هذه القمة الشامخة.

ولكان ابن زياد أثر الهرب ملتقطاً العرض بأن يترك الكوفة «فإنه قد جاء من هو أحق من حقك وحق صاحبك».

* ضبط الإسم

هانيء بن «عروة بن نمران بن عمرو بن فعاس^(٢) بن عبد

(١) أبو الحسن حسام الدين أحمد بن محمد المحلي (٥٨٢ - ٦٥٢) الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ١٢٨ (ط: حجرية. الناشر: دار أسامة، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م).

(٢) أورد السماوي في إِبصار العين ٨١ «قعاس» بقاف في أول الإسم وسين مهملة في آخره، إلا أن السمعاني في الأنساب ٤/٥٣١ قال: «القعاصي: بكسر القاف أو ضمها والعين المهملة المفتوحة وفي آخرها الصاد المهملة بعد الألف. هذه النسبة إلى قعاص، وهو اسم لجد: يحيى بن هانيء بن عروة بن قعاص المرادي الكوفي القعاصي، من أهل الكوفة، من أشرف العرب».

يغوث بن محدش بن عصر بن غنم بن مالك بن عوف بن منبه بن غطيف المرادي ثم الغطفي»^(١).

و«مراد» بطن من مذحج، مثال مسجد: أبو قبيلة من اليمن، وهو مذحج بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ^(٢) ويتفرع من هذا البطن أفخاذ كثيرة، منها: النخع، بنو الحارث بن كعب، مراد، سعد العشيرة بن مذحج، الأشعر بن مذحج، طيء بن مذحج، مالك بن مذحج. وكان أغلبهم يسكنون اليمن^(٣).

والصحيح في لفظ «هانيء» أنه بالياء المهموزة، أما «هاني» بدون الهمزة فتجوّز ويُسَرُ تناول^(٤).

* أبرز الملامح

* كان أبوه من وجوه الكوفة الذين وقفوا مع الشهيد حجر بن عدي، وكانت لزياد يد عنده في التدخل لصالحه عندما أراد معاوية قتله^(٥).

* وكان ابنه هانيء من أشرف الكوفة وأعيان الشيعة^(٦).

(١) ابن حجر، الإصابة ٩٦/٥. في ترجمة أبيه عروة. وانظر: الإصابة ٥٤٤/٦. في ترجمة الشهيد هانيء، إلا أن ابن حجر أورد نسبة مغايراً لما ذكره في ترجمة أبيه، فأوردت النسب من ترجمة الأب، وهو الأرجح، وليلاحظ أن ابن حجر نفسه أورد في ترجمة هانيء الغطفي وأورد هنا «الغطفي» والنسبة إلى: «غطيف» مصغراً الغطفي، قال ابن ماكولا: «الغطفي أوله غين معجمة مضمومة تليها طاء مهملة مفتوحة وقبل آخره فاء فجماعة ينسبون إلى بطن من مراد منهم علقمة بن يزيد بن عمرو بن سلمة بن منبه بن ذهل بن غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد المرادي ثم الغطفي. إكمال الكمال ١٥٠/٧.

(٢) الجوهرى، الصحاح مذحج.

(٣) الدكتور عمر كحالة، معجم قبائل العرب ١٠٦٢/٣.

(٤) في صحاح الجوهرى: وهانيء اسم رجل وفي المثل: إنما سميت هانثاً لتهناً. قال الأصمعي: لتهنيء بالكسر.

(٥) الشيخ محمد السماوي، إبصار العين ٨١ نقلاً عن المبرد في الكامل، وغيره.

(٦) السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ١٨٤/٤ نقلاً عن «حبيب السير».

* وروي أنه أدرك النبي ﷺ وتشرف بصحبته وكان يوم قتل ابن
تسع وثمانين سنة^(١)، وقيل إنه جاوز التسعين.

قال ابن حجر:

«واستدعى (ابن زياد) بهانئ بن عروة فأدخل عليه القصر وهو ابن
بضع وتسعين سنة فعاتبه، ثم طعنه بالحربة وحز رأسه ورمى به من أعلى
القصر. والقصة مشهورة في جزء مقتل الحسين والغرض منها قوله إنه
جاوز التسعين فيكون أدرك من الحياة النبوية فوق الأربعين فهو من أهل
هذا القسم، وقد مضى ذكر أبيه عروة في القسم الثالث أيضاً^(٢).

* تشرف بصحبة أمير المؤمنين عليه السلام وكان شديد الولاء له وشارك
معه في حرب الجمل، وينقل عنه أنه ارتجز فيها:

يا لك حرباً حشها جمالها قائدة بنقصها ضلالها
هذا علي حوله أقيالها^(٣)

والأقيال: جمع قيل، وهو الرئيس الأعظم، والنافذ قوله، والمعنى
هذا علي وحوله الرؤساء والقادة الكبار^(٤).

(١) المصدر.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ٥/٤٤٥. ومراده من القسم الثالث ما جاء في مقدمة الإصابة ١/
١٢٦: أي «الذين ذكروا في الكتب من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خبر
قط أنهم اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا رأوه، سواء أسلموا في حياته أم لا. وهؤلاء - ليسوا
صحابة باتفاق أهل العلم بالحديث على الرغم من أن بعضهم قد ذكر في كتب معرفة الصحابة، لكن
مصنفها أفصحوا بأنهم لم يذكروهم إلا بمقاربتهم لتلك الطبقة، ولم يجزموا بأنهم من أهلها».

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ٢/٣٤٥. مصححاً في موردين على ما في كتب اللغة، وما أورده الشيخ جعفر
النقدي، الأنوار العلوية ٢١٨.

والموردان: «حشها» بمعنى أوقدها، أنظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث ٣/٤٢٤ قال
الشاعر: إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بأبيض طعان إلى الموت يرفل. الحاكم النيسابوري،
المستدرک ٣/٣٦٣. و«قائدة بنقصها» يعني الجمال الذي هو صاحبة الجمل.

(٤) قال الجوهري: أصل قيل قتل، بالتشديد، مثل سيد من ساد يسود كأنه الذي له قول أي ينفذ قوله، =

* كان موقعه الاجتماعي والسياسي والعسكري في الكوفة مميزاً، فهو أحد الأعمدة الأساسيين والقلائل الذين كان يقوم بهم بنيان هذه الحاضرة الأم، يقول المسعودي: هانيء بن عروة المرادي، شيخ مراد، وزعيمها، وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع، وثمانية آلاف راجل وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها، كان في ثلاثين ألف دارع^(١).

ويكشف ما قاله محمد بن الأشعث لابن زياد، وهو يستعطفه مخافة على نفسه ليصفح عن هانيء، عن عظيم منزلة هانيء ومدحج في الكوفة، فقد قال: «إنك قد عرفت منزلة هانيء بن عروة في المصر وبيته في العشيرة،...» (و) هم أعز أهل المصر وعدد أهل اليمن^(٢).

والراجح أن الكوفة آنذاك كانت تعبيء مائة ألف مقاتل بل أكثر من ذلك، مما يعني أن هانئاً رضوان الله تعالى عليه كان يعادل في الظروف الطبيعية ثلث الكوفة - على أقل تقدير - وقد اختلف الأمر جذرياً بعد هلاك معاوية، ثم ها هو مسلم بن عقيل يتحول إلى داره، ليصبح هانيء يمثل - قبل الإنهيار - كل الكوفة، وتطلعات الممانعة والتغيير.

* نحن إذاً أمام شيخ جليل، طاعن في السن، شديد الولاء لأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، ومن الضروري استحضار ذلك، ونحن نتابع دخوله على ابن زياد - ابن الثلاثين أو حواليتها -^(٣) ونتأمل مواجهته التطورات المتسارعة الحرجة، ونرصد من خلالها ولاءه، والمودة في القربى.

=والجمع أقوال وأقيال أيضاً، ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدداً «...» وهم الأقوال والأقيال، الواحد قيل، فمن قال أقيال بناه على لفظ قيل، ومن قال أقوال بناه على الأصل. ابن منظور، لسان العرب ١١/٥٧٦. وانظر الصحاح.

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٩.

(٢) الطبري ٤/٢٨٤.

(٣) أنظر: المقدم، مقتل الحسين ١٤٩ - ١٥٠ فقد أورد ترجمته عن عدد من أمهات المصادر.

* اعتراضات مردودة

ثمة تضارب شديد في النصوص حول الشهيد هانيء، وإذ يُحاول بعضها الغمز من قناته، يتكفل البعض الآخر الدفاع والتنزيه. ويرجع السبب في ذلك إلى أن أكثر المسائل التي اختلف فيها أنها صدرت عن هانيء أم لم تصدر، هي من الأمور التي تتوفر الدواعي للكتمان فيها بسبب الظروف الإستثنائية التي كان يعيشها هانيء، وتعيشها الكوفة عموماً، في الفترة التي هي مسرح أكثر هذه النصوص، وقد استمر ذلك لسنين.

وخلاصة ما تتحدث عنه المصادر المختلفة في هذا المجال، أن هناك أربعة اعتراضات على هانيء بن عروة، تناولها المرجع الجليل السيد بحر العلوم^(١) مثبتاً أنها لا تنسجم مع شخصية هانيء ومواقفه الرائدة.

* الإعتراض الأول: أن هانيء بن عروة كان يزور ابن زياد بعد دخول الأخير إلى الكوفة. ويُردُّ هذا الإعتراض بأن عدم ذهابه إلى ابن زياد خلاف المصلحة لأن معرفة الأشخاص الموالين لمسلم سوف تعرّضهم للإعتقال، وتسهم بالتالي في إجهاض محاولة السيطرة على الكوفة، قبل أي تحرك فعلي إضافة إلى أن هانيء من الشخصيات المعروفة والتي يعني حضورها، أو غيابها الشيء الكثير لوالٍ جديد كابن زياد في ذلك الظرف المتفجر.

* الإعتراض الثاني: أن هانيء بن عروة نهى مسلماً عن الخروج على ابن زياد، والجواب أن ذلك لا يُعد سبباً للإنتقاص من هانيء،

(١) السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٤١\٤ - ٤٩. بتصرف. وانظر: المامقاني، تنقيح المقال ٢\٢٨٩. والقمي، نفس المهموم ١٢٣ - ١٢٤.

فلعله وجد مصلحة في تأخير الخروج ولم يسجل بأن مسلم قد اعترض على هذا الرأي أو أنه حصل خلاف بينه وبين هانيء، وغاية الأمر أن يكون قد أخطأ في تحديد المصلحة.

*** الإعتراض الثالث:** أن هانئاً منع مسلماً من قتل ابن زياد في بيته . وسيأتي تضارب النصوص في هذا المجال وأن التدبير لقتل ابن زياد في بيت هانيء ليس أمراً ثابتاً إضافة إلى أن هناك بعض النصوص تشير إلى أن هانيء كان هو المدبر لقتل ابن زياد في بيته إلا أن زوجة هانيء تعلقت به ومنعته من ذلك وعندما علم هانيء بما فعلت، قال: يا ويلها قتلتني، وقتلت نفسها، والذي فرت منه وقعت فيه. أضف أيضاً أنه نوع تقدير للموقف.

*** الإعتراض الرابع:** أنه ذهب مع كندة إلى معاوية ودار بينه وبين معاوية كلام طويل ومن جملة ما ينقل في هذه القصة أن هانيء بن عروة طلب من معاوية أن يتولى أخذ البيعة ليزيد، ويناقش السيد بحر العلوم هذه الرواية فيعتبرها متهافة باعتبار أن أولها يعارض آخرها ولا يمكن القبول بها ولم ترد إلا في مصدر واحد.

والطريف هنا أن هذه الرواية نفسها تسجل موقفاً لهانيء ينسجم مع سيرته ومما ورد «أن هانيء بن عروة المرادي وكان سيداً في قومه قال يوماً في مسجد دمشق والناس حوله العجب لمعاوية، يريد أن يقسرننا (يجبرنا) على بيعة ابنه يزيد، وحاله حاله، وما ذاك والله بكائن، وكان في المجلس فتى قرشي، فمضى ونقل كلام هانيء رضوان الله عليه إلى معاوية، الذي كان يعرف موقع هانيء ومكانته فأراد أن يحذره من هذا السلوك بطريقة غير مباشرة فقال للشاب القرشي ترجع إلى هانيء وتنظر حتى يتفرق الناس من حوله وتقول له هذه الكلمات وترد إليّ جوابه. قل

له: «أيها الشيخ قد وصلت كلمتك إلى معاوية ولست في زمن أبي بكر وعمر ولا أحب أن تتكلم بهذا الكلام فإنهم بنو أمية وقد عرفت جرأتهم وإقدامهم ولا يدعونني إلى هذا القول إلا النصيحة لك والإشفاق عليك».

وذهب الشاب إلى هانيء فقال له هذه الكلمات، لكن هانئاً أدرك بثاقب رؤيته أن هذا الكلام هو لمعاوية فقال: والله يا ابن أخي ما بلغت نصيحتك كل ما أسمع، وإن هذا الكلام لكلام معاوية وأنا أعرفه، فقال الفتى: وما أنا ومعاوية والله ما يعرفني. فقال: ولا عليك إذا لقيته فقل له يقول لك هانيء: والله ما إلى ذلك من سبيل، إذهب يا ابن أخي راشداً، فقام الفتى فدخل على معاوية فأعلمه، فقال: نستعين بالله عليه^(١).

* التقييم النهائي: وبعد أن تناول السيد بحر العلوم رضوان الله تعالى عليه، هذه الاعتراضات وفنداها، قال:

«وهذه الأخبار على اختلافها في أمور كثيرة قد اتفقت وتطابقت على ان هانيء بن عروة قد أجار مسلماً وحماه في داره وقام بأمره وبذل النصرة له، وجمع له الرجال والسلاح في الدور حوله، وامتنع من تسليمه لابن زياد لعنه الله، وأبى عليه كل الإباء، واختار القتل على التسليم، حتى أهين وضرب، وعذب، وحبس، وقتل صبراً، على يد الفاجر اللعين. وهذه جملة كافية في حسن حاله وجميل عاقبته ودخوله في أنصار الحسين عليه السلام وشيعته المستشهدين في سبيله.

ويستشهد السيد بنصين لهانيء بن عروة يكشفان عميق ولائه لأهل البيت عليهم السلام:

(١) السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٤٦٤.

الأول: عندما قال الشهيد لابن زياد: لقد جاء من هو أحق من
حقك وحق صاحبك.

الثاني: عندما قال له أيضا: والله لو كانت رجلي على طفل من
أطفال آل محمد ﷺ ما رفعتها حتى تقطع.

ومما يدل أيضا على جلالة قدر هانيء رضوان الله عليه - كما نبه
على ذلك السيد أيضا - أن الإمام الحسين عليه السلام عندما أتاه خبر شهادته
وشهادة مسلم قال مراراً: رحمة الله عليهما، وله عليه السلام قول آخر: أتانا
نبأ فظيع شهادة هانيء ومسلم، وكذلك قوله عليه السلام عندما بلغه شهادة عبد
الله بن بقطر وقد وصل ذلك إليه بعدما وصل خبر شهادة مسلم وهانيء:
اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من
رحمتك إنك على كل شيء قدير.

ومما يستشهد به السيد بحر العلوم لجلالة قدر هانيء، زيارته التي
يزار بها في الكوفة، وانتشارها بين علمائنا وهذه الزيارة تتضمن المدح
الكبير، وهذه بعض فقراتها:

«سلام الله العظيم، وصلواته، عليك يا هانيء بن عروة، السلام
عليك أيها العبد الصالح، الناصح لله، ولرسوله، ولأمير المؤمنين،
والحسن والحسين، أشهد أنك قتلت مظلوماً ..» أشهد أنك لقيت الله
وهو راض عنك، بما فعلت ونصحت وأشهد أنك بلغت درجة الشهداء»
ويختم السيد قائلاً:

وذكروا - أي العلماء - له صلاة بعد الزيارة ووداعاً بما يودع به
مسلم بن عقيل، ويبعد أن يكون مثل هذا عن غير نص وارد وأثر ثابت
«..» وقد وجدنا شيوخ أصحابنا كالمفيد - رحمه الله - وغيره يعظمونه
في كتبهم ويعقبون ذكره بالترضية والترحم، ولم أجد أحداً من علمائنا
طعن عليه أو غمز فيه.

* البيت وما حوله

كان التجمع السكاني في الكوفة قليلاً، أي كانت القبيلة كلها تنزل في منطقة واحدة، ومن هذه القبائل «مراد» التي تتفرع من قبيلة «مذحج» والتي كان رئيسها الشهيد هانيء بن عروة، كما تقدم «شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع، وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع»^(١).

ومعنى ذلك أن البيت الذي حل فيه الشهيد مسلم هو مركز الثقل الأول في الكوفة بلا منازع، خصوصاً في الفترة الممتدة بين هلاك معاوية واستدراج الشهيد هانيء إلى قصر الإمارة، وهي الفترة التي كان غلب فيها على الكوفيين «وهم الثورة» كنتيجة طبيعية لمعاناتهم من الولاة في عهد معاوية وفي طليعتهم سوء عهد زياد ابن أبيه وشدة بطشه.

لقد تنفس الكوفيون الصعداء عند هلاك معاوية ومن الطبيعي أن يجدوا في الشهيد هانيء الشخصية القيادية التي تقودهم في هدي أهل البيت إلى الغد المشرق، بعد مخاض عسير طال ليله.

ولئن لم نجد اسم الشهيد هانيء في عداد الذين تحلقوا في منزل سليمان بن صرد وكتبوا إلى الإمام ولا في أي من رسائل الكوفيين إليه عليه السلام، فقد وجدنا هائناً محور الشيعة في الكوفة عندما ادلهم الأفق ولاحت فيه سحب الشيطان عبر دخول ابن زياد والياً عليها.

في هذا الظرف بالذات أصبح بيت الشهيد هانيء والدور من حوله القلعة المدججة بموقع مذحج في المصر وبالرجال والسلاح بانتظار ساعة الصفر.

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٩.

ورغم أن الأمور قد اتخذت مسارها المأساوي، إلا أن هذا يكشف عن ثقة المعارضة آنذاك قيادة وقاعدة بالشهيد هانيء، كما يكشف عن موقع الشهيد هانيء المركزي في حركة المعارضة.

ويكشف أيضا أن بين ابن زياد ومهاجمة بيت الشهيد هانيء عقبات كؤداً دون اجتيازها بالقوة العسكرية خرط القتاد، بل إن مجرد محاولته ذلك يهدد وجوده بالإقتلاع.

* شريك بن الأعور

وفي هذا البيت أيضا نزل ضيف آخر جليل القدر عظيم المنزلة، وهو من كبار القادة المذحجين، مما يرفع من مستوى استعداد مذحج - لولا موت شريك والخيانة التي أفرغتها من محتواها - لتكون بمستوى خوض اللجج لإحقاق الحق، وقد جاء هذا الضيف القائد مع ابن زياد من البصرة إلى الكوفة.

إنه شريك بن الأعور الحارثي الذي تقدم أنه تمارض في الطريق كما ورد في المصادر لكي يؤخر ابن زياد عن الوصول إلى الكوفة.

كان مرض شريك حقيقياً، ولا ينافي أنه تظاهر بعدم تحمل مواصلة السير، ثم اشتد به المرض، وتوفي في بيت هانيء، وكان صديقاً لابن زياد يكرمه هذا الأخير، إلا أن شريكاً كان سليم المعتقد، شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وربما يكون اصطحاب ابن زياد له بهدف الإستعانة به في الكوفة على المذحجين بشكل خاص، أو بهدف إفراغ البصرة من مثله، أو للهدفين معاً، ويقوى الإحتمال الثاني إذا صح أن الوفد المرافق لابن زياد بلغ الخمسمائة، وقد تقدم استبعاده.

* وكان شريك بن الأعور من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه الجمل وصفين^(١).

* وتذكر في بعض المصادر مساجلة ملفتة بينه وبين معاوية، قال شريك إثرها:

أيشتمني معاوية بن صخر وسيفي صارم ومعني لساني
وحولي من ذوي يمن ليوث ضراغمة تهش إلى الطعان
فلا تبسط علينا يا ابن هند لسانك أن بلغت ذوي الأمان
وإن تك للشقاء لنا أميرا فإننا لا نقر على الهوان
وإن تك من أمية في ذراها فإنني في ذرى عبد الممدان^(٢).

* وقد ولاء معاوية كرمان، لأن ثقله الإجتماعي كان يفرض نفسه، ولأنه لم يكن يظهر ولاءه لأهل البيت عليهم السلام، ولذلك اصطحبه ابن زياد معه من البصرة - كما تقدم - وعندما اشتد عليه مرضه، قرّر زيارته في بيت هانيء.

* وينبغي التنبه إلى أن شريكاً ليس ابن الحارث الهمداني الشهير بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المميز بحبه له، فإن شريكاً مذحجي، والحارث همداني، ويوقع في الإشتباه وصف الحارث بالأعور الهمداني، ووصف شريك بابن الأعور الحارثي الهمداني، ويسهم البيت الأخير - من الأبيات المتقدمة - في إيضاح سبب وصف شريك بالحارثي فإن عبد الممدان ينسب إلى الحارث المذحجي، أما وصف شريك بالهمداني فسببه غير واضح، وذكر في توجيهه أنه نزل فيهم^(٣).

(١) المامقاني، تنقيح المقال ٢/٨٤.

(٢) المصدر.

(٣) نفس المصدر والمقرّم، - مقتل الحسين ١٥١.

وتظهر فائدة هذه الخصوصية التي تكشف لنا عن مذحجية شريك، حين نستعرض ما تناقلته المصادر عن تخطيط شريك لإغتيال ابن زياد، فهو لم يكن مجرد ضيف عند زعيم المذحجين في الكوفة، بل هو من زعماء المذحجين وأركانهم، ولذلك نزل عندهم، كما أنها تزيل أهم أسباب استغراب نزوله في بيت هانيء، فلو «كان ابن الحارث الهمداني لنزل عنده، في بيت أبيه، فقد كان الحارث حياً آنذاك وتوفي عام ٦٥ للهجرة»^(١).

* إغتيال ابن زياد: فكرة أم محاولة؟

نحن هنا أمام نقطة شديدة الغموض في حركة مسلم بن عقيل رضوان الله عليه، وسأرجع أولاً إلى أربعة نصوص لعلها أقدم ما وصلنا، لأعود بعد ذلك إلى محاكمتها في ضوء غيرها مما ورد حول نفس الموضوع أو حول ما يرتبط به.

وهذه النصوص الأربعة على قسمين، اثنان منها يصرحان بمجيء ابن زياد مرتين إلى بيت الشهيد هانيء، مرة لعيادة صاحب البيت، ومرة لعيادة ضيفه شريك، وفي كليهما طرحت فكرة الإغتيال، ولم يوافق عليها الشهيد هانيء، واثنان يصرحان بأن مجيء ابن زياد كان مرة واحدة، ويختلفان، فيصرح أحدهما بأنه جاء لعيادة هانيء، وأن هانئاً هو صاحب فكرة الإغتيال، ولا يذكر شيئاً عن شريك نهائياً، بينما يصرح الثاني بأن ابن زياد جاء لعيادة شريك الذي طرح الفكرة ولم يوافق عليها الشهيد هانيء. وهذه النصوص كما يلي:

(١) المصدر ١٥٢.

١ - قال الطبري: ^(١) (الوفاة ٣١٠). .

«ثم قال له: (أي مسلم بن عوسجة لمعقل) إختلف إلي أياماً في منزلي فأنا طالب لك الإذن على صاحبك (أي مسلم بن عقيل) فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن، فمرض هانيء بن عروة فجاء عبيد الله عائداً له، فقال له عمارة بن عبيد الله السلولي^(٢): إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، فقد أمكنك الله منه فاقتله، فقال هانيء: ما أحب أن يقتل في داري، فخرج، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور، وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء، وكان شديد التشيع، فأرسل إليه عبيد الله إني رائح اليك العشية.

فقال لمسلم إن هذا الفاجر عائدي العشية، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله، ثم اقعده في القصر ليس أحد يحول بينك وبينه، فإن برئت من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتك أمرها.

فلما كان من العشي أقبل عبيد الله لعيادة شريك، فقام مسلم بن عقيل ليدخل وقال له شريك: لا يفوتك إذا جلس، فقام هانيء بن عروة إليه فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري، كأنه استقبح ذلك.

فجاء عبيد الله بن زياد فدخل فجلس فسأل شريكاً عن وجعه وقال: ما الذي تجد ومتى اشتكيت، فلما طال سؤاله إياه ورأى أن الآخر (مسلم) لا يخرج خشي (شريك) أن يفوته، فأخذ يقول: ما تنظرون بسلمي أن تحيوها، إسقنيها وإن كانت فيها نفسي، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله ولا يفتن ما شأنه: أترونه يهجر؟ فقال

(١) أورد الطبري هذا النص عن هشام عن أبي مخنف عن المعلى بن كليب عن أبي الوداك. أنظر السند: الطبري ٢٦٩/٤.

(٢) تقدم أنه كان من رسل أهل الكوفة إلى الإمام بمكة، ثم يظهر هنا ويختفي أثره.

له هانيء: نعم أصلحك الله، ما زال هذا ديدنه قبيل عماية الصبح حتى ساعته هذه.

ثم قام فانصرف، فخرج مسلم، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ فقال: خصلتان، أما إحداهما فكراهة هانيء أن يقتل في داره، وأما الأخرى، فحديث حدّثه الناس^(١) عن النبي ﷺ أن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن، فقال هانيء: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً، ولكن كرهت أن يقتل في داري، ولبث شريك بن الأعور بعد ذلك ثلاثاً ثم مات، فخرج ابن زياد فصلى عليه. وبلغ عبيد الله بعدما قتل مسلماً وهانئاً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يحرض مسلماً ويأمره بالخروج إليك ليقتلك، فقال عبيد الله: والله لا أصلي على رجلٍ من أهل العراق أبداً والله لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً.

ثم إن معقلاً مولى ابن زياد الذي دسه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه اختلف إلى مسلم بن عوسجة أياماً ليدخل على ابن عقيل فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور^(٢).

وقد أورد الطبري نفسه هذه الحادثة برواية أخرى، عن غير أبي مخنف^(٣) وليس فيها ذكر لمرض هانيء ولزيارة ابن زياد له، وهي أسوأ

(١) أورد مسكويه (٣٢٠ - ٤٢١) في تجارب الأمم ٢/ ٤٥ هذه الفقرة كما يلي: فحديث سمعته من علي عن النبي صلى الله عليه: أن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن. وهو يكثر النقل عن الطبري. أنظر مقدمة الجزء الأول (ت: د. أبو القاسم إمامي. ط: دار سروش للطباعة والنشر، طهران ١٩٨٧م).

(٢) الطبري ٤/ ٢٧٠ - ٢٧١. ولم يذكر الشيخ المفيد في الإرشاد هذه المحاولة كما لم يذكرها المسعودي في مروج الذهب.

(٣) الطبري ٤/ ٢٦٧ - ٢٦٨. وقد أوردها عن: عمر بن شبة عن هارون بن مسلم عن علي بن صالح، عن عيسى بن يزيد الكناني، وعن الطبري أخذ الكثيرون، ومن الأقدمين: مسكويه (٣٢٠ - ٤٢١هـ) تجارب الأمم ٢/ ٤٤ - ٤٥ (تحقيق: د. أبو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ١٩٧٨م).

حالا من هذه الرواية، ويكفي لإهمالها أنها تنص على تفتن مهران لمحاولة الإغتيال وأنه حدث ابن زياد بذلك وهما يغادران البيت «وهو يطرد به»، وسيأتي أن هذا ينافي الرواية الأخرى كلياً، وينافي أن ابن زياد لم يجعلها محور «محاكمة» الشهيدان هانيء ومسلم.

٢ - وقال البلاذري: (القرن الثالث):

«ومرض هانيء بن عروة المرادي فأتاه عبيد الله بن زياد عائداً، فقبل لمسلم بن عقيل: أخرج إليه فاقتله. فكره هانيء أن يكون قتله في منزله فأمسك مسلم عنه. ونزل شريك بن الأعور الحارثي أيضاً على هانيء بن عروة، فمرض عنده فعاده ابن زياد، وكان شريك شيعياً شهد الجمل وصفين مع علي فقال لمسلم: إن هذا الرجل يأتيني عائداً فاخرج إليه فاقتله. فلم يفعل (مسلم) لكراهة هانيء ذلك. فقال شريك: ما رأيت احداً أمكنته فرصة فتركها إلا أعقبته ندماً وحسرة وأنت أعلم؟! وما على هانيء في هذا لولا الحصر!!! ومات شريك بن الأعور، في دار هانيء من مرضه ذلك. واسم الأعور الحارث»^(١).

٣ - وقال الدينوري: (الوفاة ٢٨٢):

«ومرض شريك بن الأعور في منزل هانيء بن عروة مرضاً شديداً، وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فأرسل إليه يعلمه أنه يأتيه عائداً. فقال شريك لمسلم بن عقيل: إنما غابتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه، هو صائر إلي ليعودني، فقم، فادخل الخزانة حتى إذا اطمأن عندي، فاخرج إليه، فاقتله^(٢) ثم صر إلى قصر الإمارة، فاجلس فيه، فإنه لا ينازعك فيه أحد من الناس، وإن رزقني الله العافية

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٧٩.

(٢) في المصدر: فقاتله والظاهر أنه تصحيف.

صرت إلى البصرة، فكفيتك أمرها، وبائع لك أهلها. فقال هاني بن عروة: ما أحب أن يقتل في داري ابن زياد. فقال له شريك: ولم؟ فوالله إن قتله لقربان إلى الله. ثم قال شريك لمسلم: لا تقصّر في ذلك. فبينما هم على ذلك إذ قيل لهم: الأمير بالبواب. فدخل مسلم بن عقيل الخزانة، ودخل عبید الله بن زياد على شريك، فسلم عليه، وقال: ما الذي تجد وتشكو؟. فلما طال سؤاله إياه استبطأ شريك خروج مسلم، وجعل يقول، ويُسَمع مسلماً:

ما تنظرون بسلمي عند فرصتها فقد وفي ودها واستوسق الصرم.

وجعل يردد ذلك. فقال ابن زياد لهانيء: أيهجر؟ - يعني يهذي - قال هانيء: نعم، أصلح الله الأمير، لم يزل هكذا منذ أصبح. ثم قام عبید الله وخرج، فخرج مسلم بن عقيل من الخزانة، فقال شريك: ما الذي منعك منه إلا الجبن والفشل؟.

قال مسلم: منعني منه خلتان: إحداهما كراهية هانيء لقتله في منزله، والأخرى قول رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: إن الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن. فقال شريك: أما والله لو قتله لاستقام لك أمرك، واستوسق لك سلطانك. ولم يعش شريك بعد ذلك إلا أياماً، حتى توفي، وشيع ابن زياد جنازته، وتقدم فصلى عليه^(١).

٤ - وقال اليعقوبي: (الوفاة ٢٨٤):

«وقدم عبید الله بن زياد الكوفة، وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هانيء بن عروة، وهانيء شديد العلة، وكان صديقاً لابن زياد، فلما قدم ابن زياد الكوفة أخبر بعله هانيء، فأتاه ليعوده، فقال هانيء لمسلم بن عقيل

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٤.

وأصحابه، وهم جماعة: إذا جلس ابن زياد عندي وتمكن، فإني سأقول أسقوني، فاخرجوا فاقتلوه، فأدخلهم البيت وجلس في الرواق. وأتاه عبيد الله بن زياد يعوده، فلما تمكن قال هانيء بن عروة: اسقوني! فلم يخرجوا، فقال: اسقوني، ما يؤخركم؟ ثم قال: اسقوني، ولو كانت فيه نفسي، ففهم ابن زياد، فقام، فخرج من عنده، ووجه بالشرط يطلبون مسلماً^(١).

وهذه النصوص الأربعة رغم اختلافها، متفقة على عدم موافقة الشهيد هانيء على الإغتيال، وإذا أضفنا إليها رواية الطبري الأخرى فهي - على تهافتها - توحى بأن التداول بين شريك ومسلم، حول الإغتيال قد تم دون علم هانيء، فلا دليل فيها على موافقته، وهي تصرح بأن الذي ضيَّع فرصة الإغتيال هو مهران، ويأتي مزيد إيضاح.

ولدى الرجوع إلى المصادر الأخرى المختلفة، نجد أن التضارب بلغ ذروته، إلى حدٍ يصبح معه التشكيك في أصل الحادثة وارداً، خصوصاً وأن الشيخ المفيد والمسعودي لم يذكرها هذه القصة ولا أشارا إليها من قريب أو بعيد، ولئن كان المسعودي يعتمد الاختصار في موجه، محيلاً إلى «أخبار الزمان» فليست الإشارة إلى مثلها مما يسوغه الاختصار خاصة من مؤرخ عالم ثبت مثله، وليس الاختصار دأب الشيخ المفيد في الإرشاد.

وإليك تلخيصاً بالنقاط الأساسية التي أوردتها المصادر السابقة وغيرها:

١ - أن ذلك حدث مرة واحدة في بيت هانيء، باقتراح من شريك^(٢).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٤٣/٢. والملفت تطابق هذه الرواية مع ما أورده ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٩/٢.

(٢) ابن نما، مشير الأحزان ٢٠. وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣/٢٤٢ - ٢٤٣.

٢ - أن ذلك حدث مرتين في بيت هانيء، وقد طرح الفكرة على مسلم وهانيء، عمارة السلولي مرة، وشريك مرة، فلم يصدر من مسلم ما يدل على موافقته، وكره هانيء أن يقتل ابن زياد في داره^(١).

٣ - أن ذلك تم في بيت هانيء بموافقته التي تفهم من طلب شريك منه أن يكون مسلم عنده للتنفيذ، وكان^(٢).

٤ - أن المحاولة كانت في بيت شريك، الذي طرح فكرة الإغتيال على هانيء وأخذ موافقته، وطلب منه أن يرسل مسلماً ليكون عنده للتنفيذ، وذلك في بيت شريك الذي انتقل إليه مسلم بعد أن كان في بيت هانيء^(٣).

٥ - أنها كانت عند عيادة ابن زياد لهانيء، وأن الذي طرح الفكرة هو الشهيد هانيء، دون ذكر لشريك أبداً^(٤).

٦ - أن التنفيذ كان سيتم على يد مجموعة فيهم الشهيد مسلم^(٥).

٧ - أن مسلماً كان في الدار الذي كان فيه شريك، لا في نفس الغرفة^(٦).

٨ - أن مسلماً كان في نفس الغرفة التي فيها شريك (في الخزانة)^(٧).

(١) رواية الطبري عن أبي مخنف.

(٢) رواية الطبري الأولى ٢٦٨/٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٤/٨ - ١٦٥.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢٤٣/٢. وابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٩/٢.

(٥) المصدران.

(٦) رواية الطبري الأولى، ويفهم ذلك من رؤية الجارية لمسلم. وابن نما، مشير الأحزان ٢١. ويفهم ذلك

من تعلق امرأة بمسلم ليمتنع عن قتل ابن زياد.

(٧) مشير الأحزان، والأخبار الطوال.

- ٩ - أن مهران غلام ابن زياد فطن لمحاولة الإغتيال من تكرار شريك طلب الماء، فغمز ابن زياد، فقام مسرعاً ومهران يستحبه على الخروج، كي لا يصغي لمقالة شريك أريد أن أوصي إليك^(١).
- ١٠ - أن ابن زياد نفسه «توهم وخرج»^(٢).
- ١١ - أن جارية خرجت بقدرح^(٣) أو بكوز ماء ثلاثاً وكانت ترى مسلماً في الخباء فترجع «ففهم مهران الغدر فغمز مولاه»^(٤).
- ١٢ - أن ابن زياد علم بذلك بعد موت شريك وصلاته عليه^(٥).
- وعندما تصل المصادر إلى الإجابة على سؤال: لماذا لم ينفذ مسلم محاولة الإغتيال، فإنها تعود مجدداً إلى التضارب مقدمة لنا الإجابات التالية:
- ١ - كراهة هانيء، أو نهيء، وحديث الإيمان قيّد الفتك^(٦).
- ٢ - زوجة هانيء تعلقت به ورجته أن لا يقتله في بيتهم^(٧).
- ٣ - الجبن^(٨).
- ٤ - كان من أشجع الناس، ولكن أخذته كبوة^(٩). (أو: كبوة)^(١٠).

(١) رواية الطبري الأولى.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٣/٣: فتوهم ابن زياد وخرج. ويمكن الجمع بينه وبين ماسبق إلا أنه أعم.

(٣) رواية الطبري الأولى ٢٧١/٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٥/٨.

(٥) رواية الطبري الثانية.

(٦) الطبري كما تقدم، والدينوري في الأخبار الطوال، ٢٣٥ وابن شهر آشوب ٢٤٣/٣. وأبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين ٦٥.

(٧) ابن نما، مشير الأحزان ٢١.

(٨) ابن كثير البداية والنهاية ١٦٥/٨. والأخبار الطوال ٢٣٤. كما تقدم.

(٩) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٩/٢ (ت: الشيري).

(١٠) هكذا أورد اللفظة السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٣٦/٤. مفسراً ذلك بالترفع عن الفتك، أي الأنفة. أنظر: الهامش «منه رحمه الله». وفي الصحاح للجوهري تفسير الكبوة بما يلتقي مع ذلك.

وإزاء هذا القلق البيّن في نصوص هذه النقطة، كان لابد من تسجيل ملاحظاتٍ أساسية:

١ - إن الرواة الحقيقيين لهذا التداول - على فرض وقوعه - هم: شريك وهانيء ومسلم، ومن البعيد أن تتسع دائرته ليشمل هذا وذاك من الأنصار، فضلاً عن أن يوضع في متناول المرأة والجارية، وعليه فإن أكثر ما قيل حول هذه الحادثة - إن لم يكن كله - يبدو أنه من باب التخمين.

٢ - لنفترض أننا الآن في الكوفة عام ٦٠ للهجرة، في نفس ذلك الظرف فهل الأفضل أن تتم محاولة اغتيال ابن زياد في عقر دور المذحجين، وفي بيت زعيمهم، أو فقل في عرين الثورة، فيتحمل المذحجيون والثورة تبعه الفشل، أم أن الأفضل أن تتم المحاولة في مكان آخر - ولو كان في الطريق ذهاباً أو إياباً - حتى لا تتحمل المعارضة ومدحج بالخصوص عواقب الفشل.

٣ - ثم لماذا ينبغي أن توكل هذه المهمة إلى رأس «الثورة» في الكوفة، ثقة الحسين عليه السلام من أهل بيته مسلم بن عقيل؟ وأين الأربعة آلاف مذحجي الذين كانوا مجاورين لبيت زعيم المذحجين هانيء؟ وإذا كانت المصلحة تقضي بتحديد المذحجين عن التنفيذ، فأين الثمانية عشر ألفاً الذين بايعوا في مراحل الثورة الأولى؟

٤ - ولا يقل غرابة عن ذلك تبرير عدم إقدام مسلم على اغتيال ابن زياد بحديث الإيمان قيّد الفتك، مع وفرة الروايات عن سرايا الفتك التي بعثها رسول الله ﷺ لقتل أشخاص حادوا الله ورسوله، ولم يكن خطرهم يبلغ خطورة ابن زياد، ففي تاريخ الخميس - مثلاً - نجد

الحديث عن سرية عمر بن عدي لقتل العصماء اليهودية^(١) وسرية محمد بن مسلمة لقتل كعب الأشرف^(٢) وسرية عبد الله بن أنيس لقتل سفيان بن خالد^(٣).

٦ - لو أن ابن زياد قد لمح أي تصرف غير اعتيادي حين عيادته شريكاً، كما تدل عليه جميع النصوص التي تتحدث عن تنبه مهران لمحاولة الإغتيال، لأدرك تلقائياً أنه كان على حافة الموت، ولطالب بذلك هائناً ومسلماً، في حين أنه لم يظهر شيء يدل على ذلك في محاورتيه لهما رغم طولهما وحساسيتهما، ولقد اضطر ابن زياد إلى الإفتراء والإختلاق في حديثه مع مسلم حين اتهمه بشرب الخمر، ولو كان ثمة أي مؤشر على محاولة اغتياله لجعلها محور الحديث والأخذ والرد، بدلاً من الإختلاق.

ومن هنا يتضح مدى التهافت في الأول من نصي الطبري الذي يحدثنا بأن غلام ابن زياد «فطن» لمحاولة الإغتيال فغمزه وخرجا مسرعين، فلو أن ذلك حصل، لأدرك ابن زياد قطعاً بمجرد أن أخبره معقل بأن مسلماً في بيت هانيء، أن ثمة أمراً كان قد دُبّر له.

وتسأل: ألم يقل ابن زياد لهانيء: «فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلاً ليقتلني؟»^(٤).

والجواب: إن المقصود قطعاً، إخفاء مسلم عنده وجمع الرجال والسلاح تمهيداً للثورة عليه، بدلالة السياق:

(١) الديار بكري، تاريخ الخميس ٤٠٦/١ (م. م).

(٢) المصدر ٤١٣.

(٣) نفس المصدر ٤٥٠.

(٤) الطبري ٢٦٩/٤.

«فكان جزائي أن خبأت في بيتك رجلاً ليقتلني؟ قال: (أي هانيء) ما فعلت فأخرج التميمي (أي معقل) الذي كان عيناً عليهم فلما رآه هانيء علم أن قد أخبره الخبر»^(١). ويؤكد أن الراجح من روايتي الطبري نفسه قد ورد فيه التصريح بأن ابن زياد لم يعلم بمحاولة قتله في بيت هانيء إلا بعد مقتل هانيء ومسلم، كما سيأتي.

٧ - وإذا رجحنا النص الثاني للطبري وجعلناه مقياساً بلحاظ روايته عن أبي مخنف وأهل مكة أدري بشعابها، فإن ذلك يمكننا من الإجابة على ما تقدم من عدم مطالبة ابن زياد لهانيء ومسلم بمحاولة اغتياله، لأن رواية الطبري هذه تنص على أن ابن زياد لم يعرف بذلك إلا بعد مقتلها، فقد ورد فيها: «وبلغ عبيدالله بعدما قتل مسلماً وهانئاً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يحرض مسلماً ويأمره بالخروج إليك ليقتلك فقال عبيدالله والله لا أصلى على جنازة رجلٍ من أهل العراق أبداً والله لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً»^(٢). إلا أن المشكلة التي تواجهنا - كما سبقت الإشارة بإيجاز، مشكلة تضمن هذا النص - وما يلتقي معه - مجيء ابن زياد مرتين، مرة لعيادة هانيء ومرة لعيادة شريك، وهو لا ينسجم مع تصريح ابن زياد بأنه لو علم بمرضه لعاده، كما نص على ذلك الطبري نفسه^(٣) والشيخ المفيد^(٤) بلفظ واحد يبدو أنه لفظ أبي مخنف^(٥) وهو: وخاف هانيء بن عروة عبيدالله بن زياد

(١) المصدر.

(٢) الطبري ٢٧١/٤.

(٣) الطبري ٢٧٢/٤.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٦/٢ - ٤٧.

(٥) عندما يتحد لفظ الشيخ في الإرشاد ولفظ الطبري فالراجح أن السبب وحدة مصدرهما وهو أبو مخنف، كما تقدمت الإشارة.

على نفسه فانقطع من حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه:
ما لي لا أرى هائناً؟ فقالوا: هو شك، فقال: لو علمت بمرضه لعدته.

وتطرح هذه الخصوصية السؤال التالي:

إذا كان ابن زياد قد عاد هائناً فلماذا يقول: لو علمت بمرضه لعدته؟

ويمكن الإجابة على ذلك بأن الطبري بعد أن أورد هذه الرواية،
أورد رواية لأبي مخنف بسند آخر جاء فيها قول ابن زياد: «قد بلغني أنه
قد برأ وهو يجلس على باب داره»^(١). وهو ينسجم مع أنه كان مريضاً
فعاده وبلغه أنه «قد برأ».

ولكن هذا الجواب لا يحسم الخلاف لأن أبا مخنف يروي كلام
ابن زياد في الموردين عن راوٍ واحد باختلاف الوساطة في الموردين^(٢)،
وهو ما يضعنا أمام استحكام الإضطراب في نصوص أبي مخنف حول
عيادة ابن زياد لهانيء، والترجيح بينها في مثل هذه الحال تحكم،
خصوصاً إذا لاحظنا استبعاد كون ابن زياد يتحدث بقوله: «لعدته» عن
«عيادة» ثالثة لبيت هانيء.

وبناءً على كل ما تقدم فإن السؤال الذي يجب أن يطرح، هو
التالي:

هل كانت هناك محاولة اغتيال حقاً، أم أنها كانت مجرد فكرة
طرحها مرة عمارة بن عبيد الله السلولي وطرحها بإصرار أكثر، شريك،
إلا أن مسلماً لم يوافق عليها، وصرح هانيء برفضه لها؟

(١) الطبري ٢٧٢/٤ قال أبو مخنف: وحدثني نمر بن وعلة عن أبي الوداك.

(٢) الطبري ٢٦٩/٤ كما تقدمت الإشارة وهو كما يلي: «وذكر هشام عن أبي مخنف عن المعلى بن كليب
عن أبي الوداك». وعندما تقارن بين هذا السند وبين السند المذكور في الهامش السابق تجد أن أبا
مخنف يرويها معاً عن أبي الوداك، بتوسط نمر بن وعلة تارة وتوسط المعلى بن كليب تارة أخرى.

وما تحدثنا عنه النصوص التي يمكن اعتمادها، لم يكن في الحقيقة محاولة اغتيال وإنما هي فكرة طرحت، وتبناها شريك بقوة، أو طرحها هو وتبناها، ولم يوافق عليها الشهيدان هانيء ومسلم، وكل ما في الأمر أن شريكاً لقوة شخصيته، كان يتصرف وكأنه صاحب البيت، ومن الطبيعي أن ترتبط موافقة مسلم بموقف هانيء.

ولم يسجل أي من المصادر - ماعداً أحدها من القرن السادس^(١) - أن الشهيد مسلماً وافق على عملية الإغتيال. أو مال إلى قبولها في ما سجلت بوضوح إعتراض هانيء وإصراره على موقفه بعد مغادرة ابن زياد بيته رغم قناعته بأن مسلماً لو قتله لقتل «فاسقاً فاجراً غادراً كافراً» إلا أنه لم يستسغ أن يحصل ذلك في بيته.

والملاحظة الهامة التي يتساوى تجاهلها مع «الإسقاط» وتجنب البحث العلمي، هي أنه ينبغي أن يدرس امتناع هانيء عن اغتيال ابن زياد في بيته بلحاظ الوضع الذي كان قائماً آنذاك، حيث كانت الكوفة في قبضة هانيء، وليس بينه وبين طرد ابن زياد أو قتله إلا أن تحين ساعة الصفر، ويؤكد ذلك ما أشار إليه السيد المرتضى من أن الشهيد مسلم بن عقيل عندما قاد من تمكن من اللحاق به على جناح السرعة استطاع أن يشكل تهديداً جدياً لابن زياد وأن يضيق عليه الخناق لولا حدوث ما لم يكن بالحسبان على الإطلاق^(٢).

إن الفارق كبير جداً بين أن تدرس مسألة الإغتيال في ضوء ما حصل، وبين أن تدرس في ضوء ما كان قائماً، فلقد كانت «المعارضة» في غنى عن أن تقدم على ذلك.

(١) يبدو أن الطبرسي، في إعلام الوري ٤٣٩/١ قد تفرد بذكره موافقة الشهيد مسلم، من خلال قوله: ثم بدا له. وهو يعني أنه كان قد وافق.

(٢) السيد محسن الأمين، لواعج الأشجان ٢٥١، نقلاً عن تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى.

وعلى أي حال فينبغي عدم طرح هذه الفكرة في مجالس العزاء لسببين:

- ١ - أنها مجرد فكرة، ولم تكن محاولة.
 - ٢ - خصوصية الحديث المذكور في نصوصها «الإيمان قيّد الفتك» الذي يلقي شبهة في الذهن لا مبرر لها، فإن إنزال حكم الله العادل بالمفسد في الأرض ليس من باب الفتك إطلاقاً، ولذلك كان رسول الله ﷺ يرسل من يفتال بعض المفسدين وهو مجمع عليه بين المسلمين^(١).
- ويشير إلى ذلك أن الشهيد مسلماً لم يجعل الحديث السبب الأول، بل جعله ثانياً بعد كراهية هانيء للإغتيال، ولو كان يرى أن الحديث الشريف يمنع من هذا الإغتيال لجعله السبب الوحيد.
- ومن أصر على طرحها في المجالس، فليذكر أنها مجرد اقتراح، وليعالجها بما لا يتنافى مع الثوابت المتقدمة.

(١) أنظر: العظيم آبادي، عون المعبود ٧/٣٢٣. والمنائي، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣/٢٤٢. وقد تتبع المقدس الشيخ الأحمدى مظان وجود الحديث وأوضح ما لا يتنافى معه. أنظر: الأحمدى الميانجي، مكاتيب الرسول ٣/٤١ - ٤٣.

الإختراق الأمني لعرين الثورة

تقدم أن العمل الأمني أسهم إسهاماً كبيراً في انقلاب موازين القوى في الكوفة لصالح يزيد وابن زياد.

ويشكل العمل الأمني مفصلاً أساسياً لا بدّ من إدراك آثاره خصوصاً في هذه الظروف التي تشتد فيها المحاولات لمعرفة خصوصيات الحالة الإسلامية، وبشكل خاص المقاومة الإسلامية وكيف وفق الله تعالى لإنجاز العمليات الإستشهادية، وسائر العمليات النوعية من قبيل اقتحام مواقع العدو وعملائه، فإن أسرار هذه الألفاظ الغيبية، في طليعة اهتمام جهات أمنية عديدة.

فكيف يمكن أن نتعلم من عاشوراء الدقة والكتمان وحفظ أسرار الإسلام؟

لا بد وأن يكون للمسلم موقف خاص شديد الحساسية من الثروة وكشف الأسرار والإطمئنان إلى كل أحد أو الإسترسال في الحديث في حالات الإطمئنان الإجمالي للجوّ الذي يتحدّث فيه.

* معقل: جاسوس الجهاد بالمال!

حذار من المتظاهرين بالتدين، والجهاد بالمال. هذا هو الدرس البليغ الذي يجب أن نقف عنده طويلاً ونحن نتابع فصول اختراق أمني قام به فرد، فآدى إلى محاصرة الثورة في الكوفة، وتفجيرها وقتل قائديها.

«دعا ابن زياد مولى يقال له معقل فقال له: خذ ثلاثة آلاف درهم ثم اطلب مسلم بن عقيل، واطلب لنا أصحابه ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف فقل لهم: إستمعوا بها (على) حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك ووثقوا بك ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم ثم اغد عليهم ورح.

ف فعل ذلك، فجاء حتى أتى مسلم بن عوسجة الأسدي «..» في المسجد الأعظم وهو يصلي وسمع الناس يقولون: إن هذا يبايع للحسين، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته.

فقال: يا عبد الله، إني امرؤ من أهل الشام مولى لذي الكلاع أنعم الله عليّ بحب أهل هذا البيت وحب من أحبهم، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم، بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله ﷺ وكنت أريد لقاءه، فلم أجد أحداً يدلني عليه ولا يعرف مكانه، فإني لجالس آنفاً في المسجد إذ سمعت نقرأ من المسلمين يقولون: هذا الرجل له علم بأهل هذا البيت وإني أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلي على صاحبكم فأبايعه وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه»^(١).

وينبغي أن يلاحظ هنا ما يلي:

أولاً: أن ابن زياد اختار للمهمة شامياً، والسبب أن من السهل التعرف على حقيقة شخص من أهل الكوفة يدعي الولاة.

ثانياً: تستر الجاسوس معقل - كما يدل النص - بساترين أميين، أخطرهما أنه من بيعة في الشام موالية لأهل البيت ﷺ كما يأتي:

(١) الطبري ٤ / ٢٧٠ وأبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين ٦٤. والدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٦. والبلاذري، أنساب الأشراف ٧٩ - ٨٠.

الأول: أنه «مولى لذي الكلاع أنعم الله عليّ بحب أهل هذا البيت».

الثاني: المال، ويدل على استعماله ساتراً قول ابن زياد: «فإنك لو قد أعطيتها إياهم اطمأنوا إليك».

وبحسب رواية الشيخ المفيد، فقد اعتمد ساتراً ثالثاً هو «التباكي» فقد أضاف الشيخ إلى ما تقدم «وتباكي له»^(١) فإن في التباكي في مثل هذه الحال أثره البالغ عند الإرسال.

أما قول معقل: «سمعت نقرأ من المسلمين يقولون هذا الرجل له علم بأهل هذا البيت» فيحتمل أنه اختلق ذلك كي لا يشك الشهيد ابن عوسجة به لإختياره له من بين الناس وقد تقدمت الإشارة إلى احتمال أن يكون عوسجة أو ابن عوسجة هو صاحب المنزل الذي نزله مسلم بن عقيل أول دخوله الكوفة، وعليه فيكون هذا هو السبب في اختيار معقل للشهيد الجليل مسلم بن عوسجة، مستنداً في ذلك إلى معطيات أمنية أحيط علماً بها للإستعانة بها في تنفيذ مهمته، كما يحتمل أن يكون سمع بعض المثرثرين يتحدثون أن مسلم بن عوسجة يبايع لابن عقيل.

وإذا كان معقل كان قد اختلق ذلك، فنحن أمام درس «تجنب الإيقاع بنا» من قبل الجواسيس، لنفسي لهم ما عندنا من أسرار.

أما إذا كان قد سمع نقرأ من المسلمين يتحدثون عن مسلم بن عوسجة، وأنه يبايع لابن عقيل، فنحن أمام درس «اجتناب الثرثرة» التي قد تقع في أذن جاسوس يبحث عنها ليركبها فيصل بها إلى مآربه.

والساتر الأخطر من بين ذلك هو ادعاء الجاسوس أنه مولى لذي الكلاع.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد/٢/٤٦.

ولكي تتضح صورة الموقف جيداً لابد من تسليط الضوء على شخصية «ذي الكلاع» الذي ادعى معقل أنه مولى له، الأمر الذي يقتضينا الرجوع إلى صفين حيث برز اسم ذي الكلاع في حركة تشكيك بمعاوية وجيش الشام الذي كان ذو الكلاع من قاداته، إلا أنه كان الوحيد الذي يحاول أن يفكر بموضوعية ومسكة من دين، ولم يوفق.

كان ذو الكلاع الحميري قائد ميمنة معاوية بصفين^(١) وكانت الميمنة تتميز بكثرة مقاتليها وشدة بأسهم^(٢) وكان ذو الكلاع قد سمع أيام عمر بن الخطاب حديثاً من عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ حول عمار «يلتقي أهل الشام وأهل العراق وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر»^(٣) وعندما علم بوجود عمار في صفين مع علي عليه السلام هاله ذلك وأثاره مع معاوية وعمرو بن العاص وكبار قادة جيش الشام في تفاصيل ومساجلات وافية^(٤) هددت بنقض عرى جيش الشام من داخله، ولم يتنفس معاوية الصعداء إلا بعد مقتل ذي الكلاع على ضلاله المشوب بميله للحق وإمام الهدى، وقد عبر معاوية عن فرحه بهلاكه فقال: لأنا أشد فرحاً بمقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فتحها»^(٥) قال نصر بن مزاحم: لأن ذا الكلاع كان يحجز علي معاوية في أشياء كان يأمر بها»^(٦) فقد بلغت شوكة ذي الكلاع إذاً إلى حد تقييد حرية حركة معاوية، كما عبر ابن العاص عن فرحه بمقتله فقال حين قتل، ثم قتل عمار: والله يا معاوية ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً،

(١) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين ٢٠٦ و ٢١٣.

(٢) المصدر ٣٢٧ و ٣٤٧.

(٣) المصدر ٣٣٣.

(٤) المصدر ٣٣٣ - ٣٣٩.

(٥) المصدر ٣٠٣.

(٦) نفس المصدر.

والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى علي ولأفسد علينا جندنا^(١).

وكان ذو الكلاع يفضل علياً عليه السلام على معاوية فقد خاطبه - ومن معه - أحد الموالين قائلاً: أترون معاوية خيراً من علي «..» ثم أنت يا ذا الكلاع فوالله إن كنا نرى أن لك نية في الدين . فقال ذو الكلاع: «والله فاعلمن ما معاوية بأفضل من علي ولكن إنما أقاتل على دم عثمان»^(٢).

كان ذو الكلاع أقرب أهل الشام على الإطلاق إلى علي عليه السلام وأهل البيت، رغم شبهة دم عثمان، وقد التقط ابن زياد هذه النقطة بالذات لوضوحها عند أهل العراق، فأوصى معقلاً أن يتستر بها أمام الشهيد ابن عوسجة ليغطي بها شاميته، وكوفيته.

* كيف واجه مسلم بن عوسجة الموقف؟

يدل النص الذي يحدثنا عن ذلك، على وضع الكوفة في تلك المرحلة، يقول مسلم لمعقل: «لقد سرّني لقاءك إياي، لتنال الذي تحب، وينصر الله بك أهل بيت نبيّه، وقد ساءني معرفة الناس هذا الأمر مني قبل أن يتم، مخافة هذا الطاغية وسطوته»^(٣).

إذاً، حتى تلك اللحظة وهي - في ما يبدو - قبل اعتقال هانيء بأقل من عشرة أيام - لم يكن أمر ما يجري في الكوفة قد انكشف، وكانت حركة المعارضة تحظى بدرجة عالية من الكتمان تتناسب مع الطبيعي في مثل هذا الحراك الاجتماعي العريض.

(١) المصدر ٣٤١.

(٢) المصدر ٣٠٢.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢ / ٤٦ والمحدث القمي، نفس المهموم ٩٥ نقلاً عن الإرشاد والكامل ومقاتل الطالبين وفي مقتل أبي مخنف ٣٢ والطبري ٤ / ٢٧٠ «قبل أن ينمى» وهو بعيد.

قال معقل: «لا يكون إلا خيراً، خذ البيعة عليّ، فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحن وليكتمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به»^(١).

أخذ الشهيد الجليل مسلم بن عوسجة، على معقل الأيمان المغلظة ليناصحن وليكتمن، ومع ذلك ظلّ حذراً، فلم يدخله مباشرة على الشهيد مسلم بن عقيل بل أراد أن يختبره فتركه يتردد عليه بضعة أيام ليخالطه ويدرس شخصيته «ثم قال له اختلف إليّ أياماً في منزلي فأنا طالب لك الإذن على صاحبك»^(٢).

* معقل يخترق عرين الثورة

وقد استطاع معقل بعد أيام أن يقنع الشهيد مسلم بن عوسجة بمزيد من الإطمئنان إليه، فأدخله إلى عرين «الثورة» ومركز الإعداد للمواجهة في بيت الشهيد هانيء، يقول الشيخ المفيد:

«فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن فأذن له، فأخذ مسلم بن عقيل رضي الله عنه بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي فقبض المال منه»^(٣).

ويقول الطبري:

«ثم أن معقلاً مولى ابن زياد الذي دسه بالمال إلى ابن عقيل وأصحابه إختلف إلى مسلم بن عوسجة أياماً ليدخله على ابن عقيل فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور فأخبره خبره كله فأخذ ابن عقيل بيعته وأمر أبا ثمامة الصائدي فقبض ماله الذي جاء به»^(٤).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٦/٢ وهو من موارد اختلاف نص الشيخ المفيد عن الطبري .

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٦/٢ والطبري ٤/٢٧٠ .

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٦/٢ .

(٤) الطبري ٤/٢٧١ .

وينبغي التنبه هنا بامتياز إلى أن معقلاً لم يستطع اكتشاف مكان مسلم بن عقيل إلا في وقت متأخر عن قدوم ابن زياد لعيادة شريك في بيت هانيء، الذي كان قد حلّ ضيفاً عنده كما سيأتي، إذ لو كان معقل قد اكتشف من قبل أن مسلم بن عقيل في بيت هانيء، لرفض ابن زياد الذهاب إلى بيت هانيء قطعاً، ويترتب على ذلك أن رغبة الشهيد مسلم بن عقيل بالمبادرة إلى السيطرة على الكوفة عندما انتقل إلى بيت الشهيد هانيء كانت في وقت ما يزال فيه ابن زياد جاهلاً بجمع السلاح والرجال في الدور تمهيداً لإعلان الثورة، وكل ما حصل في ما بعد رهن عدم اغتنام هذه الفرصة كما تقدم، ويأتي مزيد تأكيد.

وبعد أن عرف معقل بمكان مسلم ظلّ يلزم ذلك المكان يومياً من الصباح حتى المساء.

قال الشيخ المفيد:

«وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، وهو أول داخل وآخر خارج، حتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، وكان يخبره به وقتاً فوقتاً»^(١).

وقال الطبري:

«وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم فهو أول داخل وآخر خارج يسمع أخبارهم ويعلم أسرارهم ثم ينطلق بها حتى يقرأها في أذن ابن زياد»^(٢).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٦/٢.

(٢) الطبري ٤/٢٧١ - ٢٧٢. ومن المفيد هنا ذكر ما أورده الدينوري حول معقل، فقد قال: «وخطي على عبيد الله بن زياد موضع مسلم بن عقيل، فقال لمولى له من أهل الشام يسمى معقلاً، وناوله ثلاثة آلاف درهم في كيس، وقال: خذ هذا المال، وانطلق، فالتمس مسلم بن عقيل، وتأت له بغاية التائي. فانطلق الرجل حتى دخل المسجد الأعظم، وجعل لا يدري كيف يتأت الأمر ثم إنه نظر إلى رجل يكثر الصلاة إلى سارية من سوازي المسجد، فقال في نفسه: إن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة، وأحسب=

وبذلك اكتملت دورة الأسلوب الأول بشقه المعلوماتي، ليتم تفعيل الشق الثاني منه «الأمن السياسي» لتشهد «الكواليس» بين ابن زياد وبين شيوخ العشائر الطامحين والخائفين فصول حبك مؤامرة إفراغ رصيد هانيء بن عروة من محتواه^(١).

= هذا منهم. فجلس الرجل حتى إذا انفلت من صلاته قام فدنا منه، وجلس، فقال: جعلت فداك، إني رجل من أهل الشام، مولى لذي الكلاع، وقد أنعم الله عليّ بحب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحب من أحبهم، ومعى هذه الثلاثة آلاف درهم، أحب إيصالها إلى رجل منهم، بلغني أنه قدم هذا المصر داعية للحسين بن علي عليه السلام، فهل تدلني عليه لأوصل هذا المال إليه؟ ليستعين به على بعض أموره، ويضعه حيث أحب من شيعته. قال له الرجل: وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن هو في المسجد؟ قال: لأنني رأيت عليك سيما الخير، فرجوت أن تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال له الرجل: ويحك، قد وقعت على (بغيتك) أنا رجل من إخوانك، واسمي مسلم بن عوسجة، وقد سررت بك، وساءني ما كان من حسي قبلك، فإني رجل من شيعة أهل هذا البيت، خوفاً من هذا الطاغية ابن زياد، فأعطني ذمة الله وعهده أن تكتم هذا عن جميع الناس. فأعطاه من ذلك ما أراد. فقال له مسلم بن عوسجة: إنصرف يومك هذا، فإن كان غد فائتني في منزلي حتى أنطلق معك إلى صاحبنا - يعني مسلم بن عقيل - فأوصلك إليه. فمضى الشامي، فبات ليلته، فلما أصبح غداً إلى مسلم بن عوسجة في منزله، فانطلق به حتى أدخله إلى مسلم بن عقيل، فأخبره بأمره، ودفع إليه الشامي ذلك المال، وبأيعه. فكان الشامي يغدو إلى مسلم بن عقيل، فلا يحجب عنه، فيكون نهاره كله عند (ه) فيتعرف جميع أخبارهم، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن زياد، فأخبره بجميع قصصهم، وما قالوا وفعّلوا في ذلك، وأعلمه نزول مسلم في دار هانيء بن عروة. الأخبار الطوال ٢٣٥ - ٢٣٦.

(١) ومن المناسب هنا التذكير بالحدز الأمني، وبموقع التقية من الدين، فليست التقية شأنًا شيعياً مبتدعاً وإنما هي مفهوم إسلامي، قرآني ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران ٢٨). إنها حكم العقل بحفظ النفس وأسرار المعتقد، لتفويت الفرصة على العدو، ومن لا يلتزم بالتقية، فهو يفتقر إلى الحس الأمني الذي هو من مقومات الشخصية الإسلامية. إننا الآن بأمس الحاجة لحفظ أسرار الإسلام فالجهات المختلفة تبذل قصارى جهدها، لمعرفة خصوصيات العمل الإسلامي.

وفي ما يلي بعض الروايات التي تؤكد على ضرورة رعاية البعد الأمني:

* عن أمير المؤمنين عليه السلام: الإطمئنان إلى كل أحد قبل الإختبار من قصور العقل. الشهيد دستغيب، القلب السليم ٦٠٠ عن غرر الحكم.

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان الزمان زمان جور وأهله أهل غدر فالطمأنينة إلى كل أحد عجز. ابن شعبة الحراني، تحف العقول ٣٥٧.

* وعنه عليه السلام أيضاً: امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة، كيف محافظتهم عليها، وإلى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها. المجلسي، البحار ٣٩١/٧١. وينبغي أن يتميز المسلم بكتمان أسرار العمل الإسلامي، حتى بالنسبة للصديق. يقول الإمام الصادق عليه السلام: لا تطلع صديقك من سرّك إلا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرّك، فإن الصديق قد يكون عدواً يوماً. الشيخ الصدوق، الأمالي ٧٦٧.

ولمعرفة الخطة التي اعتمدها ابن زياد إثر انكشاف حقيقة ما يجري، يجب استحضار ما تقدم عما كان يمثله بيت الشهيد هانيء بن عروة والدور التي حوله في مثل ذلك الظرف، وما يعنيه وجود الشهيد مسلم بن عقيل في ذلك الحرز الحصين.

= لا يستطيع الموالي للإمام الحسين عليه السلام : إلا أن يكون حذراً تجاه أي اظهار للمعلومات التي يعرفها عن شؤون المسلمين حتى لا يكون من الذين يطعنون العمل الإسلامي ويتسببون بتوجيه الضربات القاسية له في الوقت الذي يعتبر فيه نفسه من العاملين المخلصين وطبيعي لمن يتألم لما جرى على مسلم بن عقيل ان يستفيد من درس الجاسوس معقل ولا يسمح لنفسه أن يكون في خدمة أعداء الإسلام بسبب البساطة والسذاجة والتساهل، وعدم الحذر من المستترين بالجهاد بالمال.

الفصل الثالث

كيف تم تفكيك المعارضة؟

* التخطيط لاستدراج هانيء

تقدم أن ابن زياد زار شريكاً الحارثي في منزل هانيء بن عروة وكانت هناك فكرة لاغتياله - كما يروى - ولم تنفذ.

قال في المناقب: فتوهم ابن زياد وخرج ولما دخل القصر أتاه مالك بن يربوع التميمي بكتاب أخذه من يدي عبد الله بن بقطر فإذا فيه:

أما بعد، فإني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة كذا فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل، فإن الناس معك وليس لهم في يزيد رأي ولا هوى. فأمر ابن زياد بقتله^(١).

حتى هذه اللحظة إذاً، كان الوضع في الكوفة في مساره القوي والتصاعدي، وكان مكان تواجد الشهيد مسلم ما يزال مجهولاً، ثم كان من أمر «معقل» ما كان.

اكتشف معقل مقر مسلم بن عقيل، فكيف سيتصرف ابن زياد؟

هل يرسل رجالاً ليعتقلوا مسلماً من بيت هانيء؟ إن وضع ابن زياد العسكري لا يمكنه من ذلك، فهانيء شيخ «مراد» وزعيمها، وهي مع أحلافها أكثر من ثلث الكوفة، على أن ثلثي الكوفة الآخرين - ما عدا القليل - أصبحت في خندق الثورة التي تنمو بذرتها في بيت هانيء.

(١) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٣.

كان ميزان القوى يحتم على ابن زياد مواجهة الموقف بطريقة أخرى .

لا بد من اعتقال هانيء، تمهيداً لاعتقال مسلم، إلا أن اعتقال هانيء ليس بالأمر السهل لأن ردة الفعل من قبل رجال هانيء سوف تكون مدوية، لا يستطيع ابن زياد مواجهتها، خصوصاً وأن معلومات معقل حول الرجال والسلاح في الدور حول بيت هانيء كانت وافية ومرعبة بحيث لم يستطع الطاغية كتمان ما يبوح بأنها كانت قد أقضت مضجعه .

أول ما يجب القيام به، هو شراء رؤساء العشائر، ومراكز القوى داخل مذحج بشكل خاص، ليضمن احتواء ردات الفعل، حيث يبادر هؤلاء الرؤساء والنافذون إلى امتصاص أية نقمة تظهر إثر اعتقال هانيء وهذا ما قرره ابن زياد بالفعل وعمل على أساسه .

ورغم شراء رؤساء العشائر وخصوصاً رؤساء مذحج قبيلة هانيء فقد كان على ابن زياد أن يكون شديد الحذر في طريقة اعتقاله لهانيء، الأمر الذي يعني اعتماد الحيلة والخداع لاستدراج هانيء إلى القصر بشكل اعتيادي .

* وفي هذا السياق لا بد وأن نبحث عن دور عمرو بن الحجاج، لأنه - في ما لاحظت - صاحب الدور المحوري والخطير في اعتقال هانيء بن عروة، وامتصاص نقمة عشيرته، وتحويل المطالبة به وبإطلاق سراحه، إلى مجرد استطلاع! هل هو حي أم لا؟

كما يجب أن يلحظ بامتياز الجهد المحموم الذي بذله شيخ مذحجي آخر هو كثير بن شهاب .

إن إجهاض تحرك المذحجيين في مثل ذلك الظرف كان بمثابة تعطيل صاعق الثورة، لتمكين سائر رؤساء العشائر من السيطرة على الموقف، وهذا ما حصل .

كان فريق الشيوخ المياوم في القصر كمحمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وشيث بن ربيعي، وأضرابهم على أهبة الإستعداد للإنقضاض على المعارضة بمجرد أن تظهر عليها بوادر الوهن، يدفعهم إلى ذلك مزيج من حقد دفين على عدل رسول الله ﷺ الذي مثله علي عليه السلام إبان حكم العالم الإسلامي من الكوفة العاصمة، وخوف تضرى ناره في ضلوعهم من قلب موازين القوى لصالح غير الأمويين الذين كان غالب هؤلاء طفيلياتهم.

وكان الأخطر من بين هؤلاء على مستوى الكوفة - ما عدا مذحج - محمد بن الأشعث، و«أخو أخيه» قيس بن الأشعث^(١).

وتكفل عمرو بن الحجاج بمذحج، وقد مكنه من أن يؤدي هذا الدور الشيطاني عاملان: أنه مذحجي لأنه زبيدي وزبيد بطن من مذحج^(٢) وهو أخو زوجة هانيء على المشهور^(٣) ووالد زوجته على رأي آخر^(٤). ويلى عمرواً في الخطورة كثير بن شهاب.

(١) قال له الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء: أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل. الطبري ٣٢٣/٤. وهو يدل على تحمل ابن الأشعث مسؤولية دم الشهيد مسلم، ويكشف أيضاً عن خطورة الدور الذي قام به في أحداث الكوفة عموماً.

(٢) قال السيوطي: «الزبيدي بالفتح والكسر ومهملة إلى زيد مدينة باليمن وبالتصغير إلى زيد قبيلة من مذحج». لب اللباب في تحرير الأنساب ١٢٤. وقال السمعاني، في الأنساب ٣/١٣٥: «الزبيدي: بضم الزاي وفتح الباء المنقوطة بواحدة بعدها ياء معجمة بنقطين من تحتها وفي آخرها دال مهمل، هذه النسبة إلى زيد وهي قبيلة قديمة من مذحج أصلهم من اليمن نزلوا الكوفة واسمه منه بن صعب، وهو زيد الأكبر، وإليه ترجع قبائل زيد؛ ومن ولده منه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد، وهو زبيد الأصغر. قال ابن الكلبي إنما قيل لهم زيد لان منها الأصغر قال: من يزدني رفته؟ فأجابه أعمامه كلهم من زيد الأكبر. فقيل لهم جميعاً: زيد، فمن الصحابة أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي». وانظر: د. عمر كحالة، معجم قبائل العرب ٢/٤٦٤.

(٣) الطبري ٢٧٢/٤. وفيه أن اسمها روعة ولعله تصحيف رويحة أو الآخر تصحيفه.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٧/٢. وفيه أن اسمها رويحة.

وستلاحظ وأنت تستعرض النصوص، أن عمرو بن الحجاج كان - في رأيي - بين الذين توجهوا إلى بيت هانيء لإحضاره إلى ابن زياد، وأن عمرواً وابن الأشعث كانا يعرفان سبب الإستدعاء، كما ستلاحظ اختفاء عمرو عند توجه هانيء إلى القصر، وغيابه كذلك عن كل ما جرى داخل قصر الإمارة ليظهر فجأة بباب القصر يقود جموع مذحج في حركة إعتراض شكلية تفوح منها روائح التواطؤ. ثم سرعان ما يظهر داخل القصر في مجلس خاص وحميم مع ابن زياد ووالد زوجته الجديدة عمارة بن عقبة كما سيأتي.

أما مواقفه في كربلاء، فقد كانت مغرقة في الإسفاف والحققد.

لقد أمضى ابن زياد بعد أن اكتشف مقر مسلم عبر معقل، وقتاً ليس بالقصير، يعمل فيه على تحييد «فرسان مذحج ووجوهها» بالإضافة إلى مراكز القوى الأساسية في الكوفة التي كان يعمل على استمالتها منذ قدومه ولما اطمأن إلى أنه أصبح بإمكانه احتواء ردة فعل المذحجين والكوفة أرسل يستدعي هانئاً.

كانت الخطة التي كشفها التنفيذ كما يلي:

- ١ - إستمالة رؤوس مذحج.
 - ٢ - الإحتياط لردة الفعل العفوية على اعتقال هانيء والتي قد تخرج عن السيطرة، والمبادرة لاحتوائها.
 - ٣ - تحريك شيوخ العشائر الموالين للنظام لتخويف الناس بجيش الشام وسطوة ابن زياد، لنقض آخر عرى الممانعة والإعتراض.
- ولابد أن يلفت النظر ويشير الإستغراب أن ابن زياد يمضي في عتاب هانيء وتقريعه وضربه وحبسه دون أدنى حساب لردة الفعل، - أَللهم إلا موردين تأتي الإشارة إليهما مع تحليلهما - وكأن الكوفة في قبضته! فهل

نجد تفسيراً لذلك سوى الإتصالات السرية التي نشطت حتى بلغت الذروة قبل اعتقال هانيء رضوان الله عليه، ولقد كان دور عمرو بن الحجاج في هذا النشاط السري هو المحور كما سنرى.

* الإستدراج

اطمأن ابن زياد - بنسبة كبيرة - إلى احتواء ردات الفعل التي ستنتج عن اعتقال هانيء بن عروة رضوان الله عليه، فأرسل جماعة ليستدرجوه إلى القصر، بحجة أنه لم يزر القصر منذ فترة:

قال الشيخ المفيد والطبري:

«وخاف هانيء بن عروة عبيدالله بن زياد على نفسه فانقطع من حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانئاً؟ فقالوا: هو شاك. فقال: لو علمت بمرضه لعدته. ودعا محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانيء بن عروة وهي أم يحيى بن هانيء، فقال لهم: ما يمنع هانيء بن عروة من إتياننا؟ فقالوا: ما ندري وقد قيل إنه يشتكي، قال: قد بلغني أنه قد برأ وهو يجلس على باب داره، فالقوه ومروه ألا يدع ما عليه من حقنا، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشرف العرب. فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه، فقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فإنه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنه شاك لعدته، فقال لهم: الشكوى. تمعني فقالوا له: قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا. فدعا بشيابه فلبسها ثم دعا ببغلة فركبها، حتى إذا دنا من القصر كأن نفسه أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي إني والله لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟

قال: أي عم! والله ما أتخوف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلاً، ولم يكن حسان يعلم في أي شيء بعث إليه عبيدالله. فجاء هانيء حتى دخل على ابن زياد ومعه القوم، فلما طلع قال ابن زياد: أتتك بحائن رجلاه»^(١).

والحائن الهالك والحين بفتح الحاء الهلاك والموت، والمعنى: سعى الهالك إلى هلاكه برجليه، وهو مثل يضرب لمن يسعى إلى مكروه حتى يقع فيه^(٢).

ومعنى ذلك أن هائناً قد وقع في الفخ الذي نصب له.

أما كيف تم نصب هذا الفخ، فهو يستدعي ملاحظة ما يلي:

١ - من البعيد جداً أن يكون عمرو بن الحجاج بين من توجهوا إلى هانيء لاستدراجه إلى القصر، لأن اشتراكه في هذه المهمة نقيض كونه - في الظاهر - من الطرف الآخر، طرف هانيء، ومن شأن هذا الإشتراك أن يثير حوله الريبة مبكراً^(٣). ويحتمل قوياً أن يكون دور عمرو في هذه المرحلة التواجد حين وصول ابن الأشعث وأسماء لا المجيء معهما، والتدخل ليحث هائناً على التوجه إلى القصر، خصوصاً وأن في بعض المصادر القديمة: «فجاء بنو عمه - أي هانيء - ورؤساء العشائر، وقالوا: لاتجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء»^(٤).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٦/٢ - ٤٧ والطبري ٤/٢٧٢ باختلاف يسير في الثاني واللفظ هنا للشيخ.

(٢) أنظر: ابن قتيبة، غريب الحديث ١/١٤٤. وابن منظور، لسان العرب ١٢/١٣٦. وهامش الإرشاد ٢/٤٧ نقلاً عن جمهرة الأمثال للعسكري.

(٣) يبدو أن الشيخ المفيد قد دمج بين روايتي أبي مخنف كما يظهر بوضوح من المقارنة بين نصه ونص الطبري. ولم يذكر عمرو بن الحجاج كل من البلاذري، وأبي حنيفة الدينوري، والمسعودي الذي اقتصر على ذكر محمد بن الأشعث، وقد أورد الخوارزمي كلام محمد بن الأشعث هذا وفيه التصريح بأنه صاحبه أسماء جاء بهانيء إلى ابن زياد، كما سيأتي.

(٤) أبو علي مسكويه الرازي، تجارب الأمم ٢/٤٦.

وهو يشير إلى أن لبني عمه دوراً في حثه على الذهاب، ولا بد أن في طليعتهم عمرو بن الحجاج، وقد صرح الطبري بما «يمكن» اعتباره مستنداً لعدم اشتراك عمرو بن الحجاج في التوجه إلى هانيء للمجيء به، وذلك في حديثه عن المرحلة التي تلت استشهاد مسلم، حيث قال:

«قال وقام محمد بن الأشعث إلى عبيدالله بن زياد فكلمه في هانيء بن عروة وقال إنك قد عرفت منزلة هانيء بن عروة في مصر وبيته في العشيرة وقد علم قومه أنني وصاحبي سقناه إليك فأنشدك الله لما وهبته لي فإني أكره عداوة قومه «و» هم أعز أهل مصر وعدد أهل اليمن «...» فوعده أن يفعل فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان بدا له فيه وأبى أن يفني له بما قال»^(١).

ويؤكد المراد بصاحبه ما أورده الخوارزمي حيث يقول:

«فقال محمد بن الأشعث: أصلح الله الأمير، إنك قد عرفت منزلته في مصر وشرفه وعشيرته، وقد علم قومه أنني وأسماء بن خارجة جئنا به إليك»^(٢).

وقد اتضح لجميع أهل الكوفة أن أسماء بن خارجة كان متورطاً في استدراج الشهيد هانيء، واشتهر بينهم وفي كل عصر قول الشاعر:

أيركب أسماء الهماليج آمناً وقد طالبتته مذحج بذحول

٢ - يصرح ما تقدم بأن حسان بن أسماء بن خارجة، كان معهم في طريق العودة وهانيء معهم، ولا نرى بينهم - في العودة - أسماء بن

(١) الطبري ٤/٢٨٤.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٧.

خارجة أباه الذي كان أساسياً في الإستدراج، فيبدو أنه تعمد تحييد نفسه من موطن الإحراج الأشد، مكتفياً بالتغريب بابنه ليرافق هانثاً بدلاً منه .

٣ - ويصرح ما تقدم بأن حسان وحده لم يكن يعلم لماذا استدعي هانيء إلى القصر، ومعنى ذلك أن محمد بن الأشعث (شيخ كندة) وأسماء بن خارجة (شيخ فزارة) كانا يعلمان بذلك .

٤ - يكشف ما سلف عن جانب من التحضير لاعتقال هانيء تحت ستار الدعوة لزيارة الأمير، فقد كان ابن زياد بأمس الحاجة إلى موقف رؤساء العشائر الآخرين حين يبطش بهانيء، وتثور ثائرة مذحج، وفي بعض المصادر من القرن السابع: أن الذي استدرج هانثاً إلى القصر هو «عمرو بن حريث» وحده، وبملاحظة شديد ثقة ابن زياد به واعتماده إياه في المنعطفات يرجح أن يكون له دور في رسم الخطة وتوجيه ابن الأشعث وأسماء، بحيث يمكن أن ينسب الفعل له، فيظن أنه ذهب إلى هانيء واصطحبه نظير ما جرى عند مداهمة الشهيد مسلم في بيت طوعة، حيث تردد إسمه كقائد للمهاجمين وإنما هو آنذاك أمير الكوفة من قبل ابن زياد^(١) .

٥ - أما عمرو بن الحجاج فقد بدأت مهمته الفعلية بمجرد أن توجه

(١) السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٣٩/٤ نقلاً عن: الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي المشغري، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم. وفي هامشه أن المؤلف هو (تلميذ المحقق الحلبي الذي توفي سنة ٦٧٦ هـ، والمجاز من السيد رضي الدين علي بن طاووس الحلبي الذي توفي سنة ٦٦٤ هـ . . .) وترجم له أيضاً سيدنا الحجة الحسن الصدر الكاظمي - رحمه الله - في: تكملة أمل الآمل، ووصف كتابه الدر النظيم، بانه كتابٌ جليلٌ في بابهِ، وقال: «رأيت منه نسخة مصححة على نسخة الاصل مكتوبة في عصر المصنف» وقال: «كان هذا الشيخ من أجلة العلماء في عصر المحقق نجم الدين صاحب الشرائع، وهو صاحب المسائل البغدادية التي أجاب عنها المحقق» .

الشهيد هانيء إلى القصر، ليضيف جهده المفصلي الذي حان وقته إلى ما بذله في الفترة القليلة الماضية ما بين مفاتحة ابن زياد له بما يدور في بيت هانيء، وبين توجه هانيء إلى القصر.

٦ - وإذا صح - وهو وجيه - أن يحيى بن هانيء ظل ملازماً لخاله عمرو بن الحجاج خلال أحداث كربلاء، فإن ذلك يكشف عن موقع هذا الخال في بيت هانيء وبالتالي قدرته على امتصاص نقمة المذحجين، وتحويل وجهتها إلى طلب السلامة والدعة ورغد العيش.

هذه هي حقيقة ما بين سطور القسم السابق من النص، ويأتي ما يؤكدها، ولا بد من سؤال مركزي:

هل توجه الشهيد هانيء إلى القصر دون تشاور مع الشهيد مسلم أو دون إخباره؟

وليس بين أيدينا ما يضيء على ذلك، إلا أن الراجح أن مهمة ابن الأشعث وأسماء كانت تقضي بالتوجه إليه وهو جالس بباب داره، وعدم إعطائه فرصة الدخول إلى البيت، وبذل الجهد الممكن لتحقيق ذلك، وهو ما يمكن استنتاجه من مقتضى الحال، وقد يشي به قولهما له: «أقسمنا عليك لما ركبت معنا» وهو ما يورده الدينوري بقوله: «أقسمنا عليك إلا قمت معنا إليه الساعة لتسل سخيمة قلبه»^(١) ولئن كان النص المشترك بين الشيخ المفيد والطبري يتحدث عن فسحة أكبر «فدعا بشيابه فلبسها ثم دعا ببغلته فركبها» فإن نص الدينوري يوضح أنه لم يدخل بيته بل توجه معهما مباشرة «فدعا ببغلته، فركبها، ومضى معهما»^(٢).

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٧. والسخيمة: الإسوداد، وهي هنا بمعنى الكدورة والعتب.

(٢) المصدر.

* هانيء في مجلس ابن زياد

قال ابن قتيبة: «فأخرج له دابة، فركب ومعه عصاه، وكان أعرج، فجعل يسير قليلاً ويقف..»^(١).

وقال الشيخ المفيد والطبري:

فلما دنا من ابن زياد - وعنده شريح القاضي - إلتفت نحوه فقال:

أريد جِباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد^(٢)

وقد كان أول ما دخل عليه مكرماً له ملطفاً، فقال له هانيء: وما

ذلك أيها الأمير؟

قال: إيه يا هانيء بن عروة، ما هذه الأمور التي تربص في دارك

لأمير المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك

وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى

علي؟

فقال: ما فعلت، وما مسلم عندي.

قال: بلى قد فعلت.

فلما كثر ذلك بينهما، وأبى هانيء إلا مجاحدته ومناكرته، دعا ابن

زياد معقلاً - ذلك العين - فجاء حتى وقف بين يديه، فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم.

وعلم هانيء عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم،

فأسقط في يده ساعة ثم راجعته نفسه فقال: إسمع مني وصدق مقالتي،

فوالله لا كذبت، والله ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره حتى

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٢/٩.

(٢) في بعض المصادر حياته والصحيح جِباءه بكسر الحاء أي: عطاءه.

جاءني يسألني النزول فاستحييت من رده، ودخلني من ذلك ذمام فضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما كان بلغك، فإن شئت أن أعطيك الآن موثقاً مغلظاً ألا أبغيك سوءاً ولا غائلة، ولآتينك حتى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض، فأخرج من ذمامه وجواره.

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به.

قال: لا والله لا آتيك به أبداً، أجيئك بضيفي تقتله؟!

قال: والله لتأتين به.

قال: لا والله لا آتيك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره - فقال: أصلح الله الأمير، خلني وإياه حتى أكلمه، فقام فخلاً به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، وإذا رفا أصواتهما سمع ما يقولان، فقال له مسلم: يا هانيء إني أنشدك الله أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء على عشيرتك، فوالله إني لأنفس بك عن القتل، إن هذا الرجل ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان.

فقال هانيء: والله إن عليّ في ذلك للخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد، كثير الأعوان؟! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه.

فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه أبداً. فسمع ابن زياد ذلك فقال: أدنوه مني، فأدني منه فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك، فقال هانيء: إذا والله تكثر البارقة حول دارك.

فقال ابن زياد: والهدفاء عليك! أبالبارقة تخوفني؟ وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه؟ ثم قال: أدنوه مني، فأدني، فاعترض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب وجهه وأنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خده وجبينه على لحيته، حتى كسر القضيب. وضرب هانيء يده إلى قائم سيف شرطي، وجاذبه الرجل ومنعه، فقال عبيدالله: أحروري سائر اليوم؟ قد حل لنا دمك، جُرّوه، فجرّوه فألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه. فقال: إجعلوا عليه حرساً، ففعل ذلك به، فقام إليه حسان بن أسماء فقال له: أرسل غدر سائر اليوم؟ أمرتنا أن نجيثك بالرجل، حتى إذا جئناك به هشمت وجهه، وسيلت دمائه على لحيته، وزعمت أنك تقتله. فقال له عبيدالله: وإنك لهاهنا، فأمر به فلُهِز وتُعِيع، ثم أجلس ناحية. فقال محمد بن الأشعث: قد رضينا بما رآه الأمير، لنا كان أو علينا، إنما الأمير مؤدب^(١).

ويلاحظ بوضوح:

أولاً: أن شريحاً القاضي موجود قبل دخول هانيء، ومن المؤكد أن وجوده لم يكن صدفة، فقد كان الدور المرسوم له سلفاً يستدعي وجوده، وبمجرد أن دخل هانيء توجه ابن زياد بالكلام إلى شريح، سواء بالمثل الذي تمثل به^(٢) أو بالبيت، ويلاحظ أن كل الموجودين تكلموا إلا القاضي!

ثانياً: أن الشهيد هانئاً كان يحاول الإفلات من قبضة الطاغية ليتدبر الأمر، وأدرك ابن زياد ذلك فقال له: والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٨/٢ - ٥٠. والطبري ٢٧٢/٤ - ٢٧٤ واللفظ للأول. وانظر: الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٦ - ٢٣٨.

(٢) الطبري ٢٥٩/٤. في رواية عمار الدهني عن الإمام الباقر عليه السلام.

ثالثاً: ويلفت النظر تواطؤ ابن الأشعث ورضاه بما رضي به الأمير!

رابعاً: الطمأنينة المفرطة التي كان ابن زياد يدير بها الموقف ما خلا سحب خوف عابرة كانت سرعان ما تنقشع، وهو ما يحتم السؤال عن أسباب هذه الطمأنينة وهو يواجه قائداً إن مسه بأذى في ظرف اعتيادي «تكثر البارقة حول داره»؟!!

وهل كان بمقدور ابن زياد أن يطمئن إلى هذه الحدود الأبعد، لو لم يكن قد اشترى - على الأقل - أكثر مفاصل القوة عبر عمرو بن الحجاج وغيره.

حقاً، على مَ يدل الإمعان في الضرب المبرح للشهيد هانيء، ونثر لحم وجنته وتهشيم أنفه وكسر حاجبه، إلا على أن الكوفة التي كانت في الظاهر في قبضة هانيء بن عروة، قد أصبحت طوع بنان ابن زياد.

وكيف تحقق ذلك لولا الأساليب الملتوية التي تقدم ذكرها.

* الخوف من ردة الفعل

إلا أن هذا الإطمئنان على بلوغه الغاية لم يكن نهائياً، فقد كانت تعصف بابن زياد بين الحين والآخر هواجس انتفاضة مدوية تقضي عليه، فلعل في ما تأكد من إحكامه خللاً يطيح بالآمال، أو أن فتقاً في ما رتق ينفذ منه الخطر الداهم، وقد برز ذلك في بدايات حوارهِ مع هانيء، وبعد ضربه وحبسه مباشرة.

قال المسعودي:

ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث بن قيس إلى هانيء فجاءه، فسأله عن مسلم، فأنكره،

فأغلظ له ابن زياد، فقال هانيء: إن لزياد أبيك عندي بلاءً حسناً^(١) وأنا أحب مكافأته به فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟ قال:

تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقلك وحق صاحبك. فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر أنفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه^(٢).

وفي بعض المصادر: أن ابن زياد أجاب هانئاً إثر هذا الكلام، وقبل أن يضربه بقوله: «وتحت الرغوة اللبن الصريح»!^(٣) أي لقد أبديت مكنون ضميرك، وكشفت حقيقة موقفك.

ويورد الطبري رواية أخرى عن غير أبي مخنف^(٤) تلتقي مع ما ذكره المسعودي وتقدم تفصيلاً إضافياً حول ردة فعل ابن زياد على عرض الأمان عليه:

قال الطبري: فلما رأى هانيء معقلاً قال: «أيها الأمير قد كان الذي بلغك ولن أضيع يدك عني (عندي) فأنت آمن وأهلك فسر حيث شئت، فكبا عبيد الله عندها [أطرق يفكر بالعرض] ومهران (غلامه) قائم على رأسه في يده معكزة (عكاز) فقال مهران: واذلاه هذا العبد الحائك يؤمنك في سلطانك، فقال ابن زياد: خذه، فطرح المعكزة وأخذ بضميرتي (شعر) هانيء ثم أقنع بوجهه (ضربه على وجهه) ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجه هانيء وندر الزجاج فارتز في الجدار. (كان في

(١) تقدم أن عروة والد هانيء قد خرج مع حجر بن عدي، وأراد معاوية قتله فتوسط له زياد.

(٢) المسعودي مروج الذهب ٥٧/٣.

(٣) أنظر: المقدم، مقتل الحسين ١٥٥، نقلاً عن المستقصى للزمخشري ١٥/١ ط. حيدرآباد.

(٤) هي التي تقدم الحديث عن جانب منها في الحديث عن محاولة الإغتيال. أنظر: الطبري ٢٦٧/٤ -

العكاز حربة، فانفصلت عنها من شدة الضرب وكثرته، ونبتت في الجدار).

والنص واضح الدلالة على الخوف الذي كان يستبد بالطاغية، إلى حد أنه فكر بقبول أمان هانيء، ولم تخرجه من حالته هذه معادلة لصالحه أدركها، وإنما أخرجته منها استثارة مهران لحميته وعنفوانه، وهي بالنسبة إلى فرعون مثله، ضرب على الوتر الذي يجعله يستشيط غضباً فيعمى عن كل شيء، إلى أن يندر الزجاج ويرتز في الجدار أو ما يماثل ذلك من صدمة تضع حداً لفورة الفرعون.

إنها لحظة فاصلة من لحظات التاريخ المحورية، عندما كبا ابن زياد يفكر في عرض هانيء عليه أن يخرج بأهله من الكوفة سالمين. وإنها لحظة مماثلة عندما استفزه مهران لتتخذ كل الأمور منحى آخر. وهل التاريخ إلا لحظات من هذا النوع، والقليل من تلك اللحظات هو الذي يصب في المسار السليم، و«كلكم راع وكلكم مسؤول...».

* أما المرة الثانية التي برز فيها خوف ابن زياد من ردة الفعل فيحدثنا عنها أبو محنف قائلاً:

«لما ضرب عبيد الله هانئاً، وحبسه، خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشرف الناس، وشرطه وحشمه...» وسيأتي النص بتمامه.

* ويضيف المسعودي حالة ثالثة سيطر فيها الخوف على ابن زياد فيقول: «وصاح أصحاب هانيء بالباب، قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد»^(١).

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٧.

تؤكد هذه الشواهد حقيقة أن الطاغية رغم كل ما بذله لإفراغ حركة الإعتراض من مضمونها وتفجيرها من الداخل، كان يحتمل أن تجري الأمور بما ليس في الحسابان.

* عمرو بن الحجاج يمثل دوره!

قبل حبسه داخل القصر، كان هانيء رضوان الله تعالى عليه، يعتبر أن عشيرته ستمنعه، وأنها بمجرد وصول خبر اعتقاله ستخرج مطالبة به، لذلك كان من جملة ما جرى بينه وبين ابن زياد عندما هدده الأخير أن قال له هانيء: «إذن والله تكثر البارقة حول دارك».

أما بعد أن ضرب وأدمي، فنجد أن لهجته كانت - بادئ الأمر - مشوبة بالدهشة والأسى، ولكنه عندما سمع الضجة بباب القصر، استبشر، فماذا جرى، ولماذا أسلمت الكوفة شيخ المصر؟!!

لم يظهر لمذحج أي أثر، ولا سجل لها صوت خارج لعبة الكواليس.

وتتفق أكثر المصادر التي أوردت الحادثة على المضمون التالي:

وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئاً قد قتل، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم وأخذ ينادي: أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة وقد بلغهم أن صاحبهم قتل فأعظموها ذلك، فقبل لعبيد الله هذه مذحج بالباب^(١).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٥٠. واللفظ له. والطبري ٤/٢٧٤ باختلاف يسير «لم نخلع». . . . و«صاحبهم يقتل». إلا أن لفظ الشيخ أدق كما لا يخفى بلحاظ آخر النص. وانظر: السيد ابن طاووس، اللهوف ٣٣ والمجلسي، البحار ٤/٣٤٧، والدينوري، الأخبار الطوال ٣٢٨. ولم يورد البلاذري مجيء عمرو بمذحج أنظر: الأنساب ٨٠. وكذلك لم يورده اليعقوبي ٢/٢٤٢ ولم يورد اعتقال هانيء أبداً. ومثلهما ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ٢/٩. (ت: الشيري). وقال المسعودي: «وصاح =

* عالم البلاط، غطاء لباعة الضمير

وهنا جاء دور شريح القاضي للتدخل، فقال له ابن زياد: أدخل على صاحبهم فانظر إليه ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل وأنت قد رأيت.

تأمل في لهجة الحاكم مع عالم البلاط «أدخل، أنظر، أخرج، أعلمهم! أربعة أوامر في أقل من سطر والباقي تلقين ما يبلغه: أنت قد رأيت! أي وإياك أن تقول كيف رأيت.

وشريح بعد «محتاط» لا يمكن أن يبلغ أنه رآه إذا لم يره. والطاغية يلبي له هذه الحاجة لأنها من شريح وأمثاله حاجته، فهي القداسة المزيفة التي يرتكب وعاظ السلاطين بها كل جرائمهم وهم بمثل هذا الإحتياط الكاذب يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

دخل شريح على هانيء، ويحدث شريح نفسه كما نقل ذلك عنه ابنه بما رأى وجرى، فيقول:

دخلت على هانيء فلما رأني قال يا لله وللمسلمين أهلكت عشيرتي؟ فأين أهل الدين؟ وأين أهل المصر (البلد)؟ أيخلوني وعدوهم وابن عدوهم؟ والدماء تسيل على لحيته إذ سمع الرجة على باب القصر وخرجت. وأتبعني فقال يا شريح إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إن دخل علي عشرة نفر أنقذوني قال فخرجت إليهم ومعى حميد بن بكر الأحمر أرسله معي ابن زياد وكان من شرطه ممن يقوم

= أصحاب هانيء بالباب، قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بيت إلى جانب مجلسه، وأخرج إليهم شريحاً القاضي، فشهد عندهم أنه حي لم يقتل، فانصرفوا. المسعودي، مروج الذهب ٥٧/٣. وقال ابن حجر: «بلغ الخبر قومه فاجتمعوا على باب القصر فسمع عبيد الله الجلبة فقال لشريح القاضي اخرج إليهم فأعلمهم أنني ما حبسته إلا لاستخبره عن خبر مسلم ولا بأس عليه مني فبلغهم ذلك ففرقوا». الإصابة ٧٠/٢.

على رأسه وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به فلما خرجت إليهم قلت إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقاتلكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه فأتيته فنظرت إليه فأمرني أن ألقاكم وأن أعلمكم أنه حي وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاً. فقال عمرو وأصحابه فأما إذ لم يقتل فالحمد لله ثم انصرفوا^(١).

عشرة نفر فقط كان بإمكانهم حسم الموقف. وجموع مذحج بالباب، فمن هو قاتل هانيء، قبل أن يصدر ابن زياد أمره بقتله؟

وفي شغاف كل قلب ليس كالحجارة أو أشد قسوة كما هو حال قطعة الحديد الجهنمية تلك التي كان يقال لها قلب شريح، يستقر منظر هذا الشهيد الجليل، والدماء تسيل من وجهه، وهو يصارع الموت، ويستغيث بالله والمسلمين، ويتبع بعرجته شريحاً ويقول له: إني لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

إنه المنظر الذي ينبغي له أن يضيق الخناق على كل غطاء لباعة الضمير عبر القرون.

وإذا كان شريح هو القاتل، فمن هو القاتل التالي قبل الطاغية؟

هنا يأتي دور عمرو بن الحجاج المكمل لدور شريح والمتناغم معه، لتكون النتيجة أن عمرو وأصحابه انصرفوا، وعمرو يحمد الله!

وفي نص آخر: «فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم حياً فما يعجلكم الفتنة؟ انصرفوا. فانصرفوا»^(٢).

(١) الطبري ٢٧٦/٤. والشيخ المفيد، الإرشاد ٥١/٢. واللفظ لأول مصححاً في مورد جزني على ما في الثاني.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨.

وكان هذه الجموع لم تحتشد إلا لتعرف هل أن هانيء بن عروة
حي أم لا!!.

والناس ضحية جلوازين: أحدهما من على شرفة القصر في ثياب
الواعظين.

والثاني: خال أولاد هانيء، عمرو بن الحجاج، القائد لهذه
الجموع الملتفة حوله باعتباره المفجوع بخبر قتل صهره وشيخه، شيخ
المذحجين.

هكذا تخدع الجماهير، وهكذا ينحرف مسار التحرك الثوري،
وفتش دائماً عن دور النفعيين، وأسوأهم «علماء» السوء.

وفي «تذكرة الخواص» أن هانئاً يقول لشريح: «يا شريح إتق الله
فإنه قاتلي»^(١).

إلا أن المناشدة بتقوى الله تعالى تؤثر في المتقين ولم يكن شريح
منهم، لذا لم يحرك ما يسمى ضميره الحجر بل أشد قسوة، منظر شيخ
جليل، طاعن في السن، سجين، مدمى، تناثر لحم وجهه وهو يناشده
أن يتقي الله.

بل إن شريحاً تعمد الكذب حين أوحى إلى المذحجين أنه يحمل
إيهم رسالة من الشهيد هانيء كما يفهم من النص التالي:

قال شريح: فخرجت إليهم ومعهم حميد بن بكير الأحمري - أرسله
معهم ابن زياد - وكان من شُرطه وممن يقوم على رأسه (لاحظ هنا عدم
ثقة الطاغية بعالم البلاط رغم تهالكه في بيع ما يحسبه ديناً بفتات دنيا
الطاغية) ثم يحلف شريح فيقول:

(١) سبط بن الجوزي (٥٨١ - ٦٥٤هـ). تذكرة الخواص ٢٤٢.

وأيمُ الله (أي أقسم بالله) لولا مكانه (أي الشرطي) معي لكنت
أبلغت أصحابه ما أمرني به (هانيء)!

يضيف شريح: «فلما خرجت إليهم قلت: إن الأمير لما بلغه مكانكم
ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه فأتيته، فنظرت إليه، فأمرني أن
ألقاكم وأن أعلمكم أنه حي وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاً».

ومن الواضح أن الذي أمر شريحاً بالخروج إلى أنصار هانيء هو
الطاغية ابن زياد إلا أن شريحاً يوحى إلى الجموع بأن الشهيد هانئاً هو
الذي طلب منه ذلك.

ويكشف إصراره على تبرير فعلته الشوهاء هذه بوجود شرطي معه،
مدى الحضيض الذي يمكن أن يُسِفَّ إليه عالم البلاط، فبدلاً من أن
يكون كل الفراعنة أمامه ﴿كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ ولا تأخذه في
مواجهتهم في الله لومة لائم، يسلب واعظ السلطان أدنى هيبة ليرتجف
قلبه وترتعد الفرائص في محضر شرطي، يقف على رأس الطاغية! بل هو
في الحقيقة قد ارتجف أمام سراب حياة لم يبق لشريح منها إلا ظمءٌ مثل
من آتاه الله آياته فانسلك منها، وسراب ولوغ في قراضة ملذات، هو في
باطنه التقلقل بين أطباق الجحيم.

* من هو شريح؟

إنه مضرب المثل لعالم البلاط، عالم السوء، الذي يرى مصلحته
في إرضاء السلطان وفي المحافظة على الموقع والمنزلة عنده، فيشكل
بوضاعة نفسه وجهل أكثر الناس حقيقة أمره غطاءً «شرعياً» لباعة الضمير،
الذي يأتي هو في طبيعتهم فيتحول إلى قاطع طريق من نوع خاص،
يقطع طريق الله تعالى على عباده الذين يريدون الوصول إلى رضوانه
وطاعته.

وقد ورد في الحديث القدسي عن كل شريح: أولئك قطاع طريق عبادي المريرين^(١).

* يلخص الشيخ المامقاني رحمه الله ترجمة شريح القاضي هذا بكلمة فيقول: «خبث» وفي تفصيل ترجمته يقول: «شريح القاضي بالكوفة، عدّه ابن عبد البر وابن منده، وأبو نعيم، من الصحابة وكان شاعراً محسناً له أشعار محفوظة، وكان كوسجاً، لا شعر في وجهه، وقد استقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة فأقام قاضياً ستين أو خمسة وسبعين، ولما تولى المختار بن أبي عبيدة الثقفي نفاه عن الكوفة إلى قرية ليس فيها غير اليهود، فلما قتل المختار وتولى الحجاج أمارّة الكوفة رده إليها وهو شيخ هرم وأمره بالقضاء فاستعفاه حياء مما فعل به المختار وأعفاه الحجاج فلم يقض بين اثنين حتى مات. وقد ذكر المؤرخون أنه ممن شهد على حجر بن عدي بالكفر والخروج عن الطاعة وكتب زياد شهادته إلى معاوية مع سائر الشهود ويكفي في ذمه قضاؤه مع وجود أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة وأنه من قبل عمر وعثمان وأراد أمير المؤمنين عزله فلم يتيسر له لأن أهل الكوفة قالوا لا تعزله لأنه منصوب من قبل عمر...» وقد أساء الأدب مع أمير المؤمنين في مقامات منها صياحه واسنة عمراه! عند نهيه عليه السلام عن صلاة التراويح^(٢).

هذا النمط من علماء السوء يجد فيه البلاط بغيته لأن غطاء القداسة المزيفة الذي يتدثر به يمنع من انكشاف حقيقته الشوهاء لأغلب الناس،

(١) الكليني، الكافي ٤٦/١. والحر العاملي، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ٨١. والحديث بتمامه: عن رسول الله ﷺ: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريرين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم. وهو مستفيض في المصادر.

(٢) المامقاني، تنقيح المقال ٨٢/٣.

ثم إنه ليس له من الدين ما يحصنه من التهالك على أقدام الطاغية الذي يعلن الحرب على الله تعالى ورسوله ﷺ .

* وثمة ميزتان شريحتان نستطيع من خلالهما أن نعرف عالم السوء :

- إنه دائماً مع «فرعون وملأه» ضد التوجه الشعبي، ولذلك فهو يتنفر من الجمهور، ويزدري «العامة» وتأسره النخبوية. (ما هذه الرعة)
- وهو دائماً توفيقى بمعنى أنه ينطلق من التوفيق بين السائد ومصالحته، موهماً أنه يمتلك طرحاً متكاملأً مبنياً على الإحتياط المدعى، وسائر مفردات فقه القعود.

ويوضح النقطتين معاً ما ورد في رواية أخرى - غير ما تقدم - هي التي أوردها الطبري عن غير أبي مخنف، وتقدم الإستشهاد ببعض فقراتها في موارد مختلفة، وهي رواية تحاول تبرئة ساح شريح فلا تفلح. تقول هذه الرواية :

«وبلغ الخبر مذحج فأقبلوا فأطافوا بالدار وأمر عبيدالله بهانى فألقى في بيت وصيِّح المذحجيون وأمر عبيدالله مهران أن يدخل عليه شريحاً فخرج فأدخله عليه ودخلت الشرط معه فقال يا شريح قد ترى ما يصنع بي قال أراك حياً قال وحي أنا مع ما ترى أخبر قومي أنهم إن انصرفوا قتلني. فخرج إلى عبيدالله فقال قد رأيتك حياً ورأيت أثراً سيئاً. قال وتنكر أن يعاقب الوالي رعيته أخرج إلى هؤلاء فأخبرهم. فخرج وأمر عبيدالله الرجل فخرج معه فقال لهم شريح ما هذه الرعة السيئة الرجل حي وقد عاتبه سلطانه بضرب لم يبلغ نفسه فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم فانصرفوا»^(١).

وإلى يوم المحشر ستظل غربة هانيء، تحفر في وجدان كل صاحب ضمير حي مختلف جذرياً عما يسمى ضمير شريح.

ولا شك أبداً - وفق هذه المعطيات - في أن مسؤولية شريح القاضي عن دم هذا الشهيد الجليل، وما ترتب على شهادته من كل أحداث كربلاء لا تقل عن مسؤولية الطاغية ابن زياد.

كما لا شك في أن عمرو بن الحجاج كان شريكهما الأول متقدماً عليهما في تحمل المسؤولية.

ولا بد من التنبيه هنا إلى أن دور «علماء البلاط» يتكامل مع دور من يسمونهم بـ «الأشراف!».

فشريح من على القصر يثبط الناس، وعمرو بن الحجاج يقودهم نحو التراجع.

شريح يقول إن هانئاً حي، وعمرو يقول الحمد لله.

والجماهير تردد المقالتين معاً!

فهل نتعلم من كربلاء بعض دروسها؟

لم يكن ابن زياد يمتلك القوة التي يواجه فيها مذحجاً، لكن شريحاً القاضي مع عمرو بن الحجاج وأضرابهما، وعدم الوعي المطلوب في مثل هذه المنعطفات، كل ذلك تضافر فأوصل إلى هذه النتيجة.

وعندما يتوفر للجمهور من الحذر ما يحمل على التشكيك بنوايا عالم البلاط وشيوخ المصالح الخاصة وكل النفعيين من أمثال عمرو، لا يستطيع علماء السوء ولا «الوجهاء» الموالون لشهواتهم الباحثين عنها في نفايات دنيا السلطة أن يخدعوا الناس.

وكما هو احترام العالم الحقيقي المدمك الأول في صون كرامة

الأمة وسائر المقدسات، فكذلك هو المدماك الأول في حفظ الدين والناس، وروح الممانعة والإعتراض والتغيير، الحذر من «العالم» الذي لا يعمل بعلمه، الذي هو أعظم الناس حسرة يوم القيامة وأشدّهم عذاباً لأنه استأكل بالدين وتحول إلى قاطع طريق يمارس اللصوصية على المنابر وفي المسجد والمحراب، وبدلاً من أن تكون مهمته تعميق الارتباط بالله تعالى في قلوب الناس تصبح عبارة عن إخضاعهم للحاكم الطاغية في مقابل جاه زائف وفتات أو عظمة يلقي بها إليه. نعوذ بالله تعالى من سوء العاقبة.

* ومن هو عمرو بن الحجاج؟

تردد إسم هذا «الوجيه» الدمية كثيراً في ما مضى وقد اتضحت بعض معالم دوره الخطير الذي شكل مع دور شريح الثنائي الذي لا تخلو منه حركة طاغوت في مواجهة روح الممانعة والإعتراض.

ومن المناسب هنا التعريف بعمرو بن الحجاج هذا بما يحفظ وحدة السياق، فمن هو؟^(١).

في الإصابة: ذكر الطبراني أن له صحبة واستدركه ابن فتحون والله أعلم.

وكلامه ظاهر في عدم اطمئنانه إلى أنه من الصحابة.

ولم أجد لعمرو بن الحجاج ذكراً في حروب الجمل وصفين والنهروان. وأول ما يطالعنا عنه أنه أحد شهود الزور ضد الشهيد حجر بن عدي الكندي وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

(١) ما يأتي حول عمرو بن الحجاج، مقتطف - بتصرف يسير - من ترجمته الكاملة في مخطوطة للمؤلف تحت عنوان: في محراب كربلاء - القتلة.

ومن كان مستهلاً حياته السياسية زوراً بهذا الحجم، فمن الطبيعي أن يصل إلى آخر المنحدر الكوفي.

وتدور دورة الزمن، لتحط الرحال على عشية هلاك معاوية.

وإذا بالتفاعلات الإجتماعية والنفسية في الكوفة طيلة عشرين عاماً، تقدم لنا عمرو بن الحجاج شخصية تتظاهر بالتشيع، من سنخ شبت بن ربيعي وعزرة بن قيس، وسائر الذين وقَّعوا رسالة: أما بعد فقد اخضر الجنب، أولئك الذين قال الإمام الحسين عليه السلام لهم ولأمثالهم: يا شيعة آل أبي سفيان.

وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي أحد هؤلاء الموقَّعين، إلا أن الإمام الحسين عليه السلام لم يناده باسمه - كما نادى آخرين من أصحاب هذه الرسالة - يوم عاشوراء.

ويبدو أن السبب هو ما مرّت الإشارة إليه من أنه كان وضعياً رغم احتلاله صدارة كوفية تتناسب مع روغانه والتواءاته.

من شاهد زور على حجر، لأنه من أصحاب أمير المؤمنين، إلى طليعي في مراسلة سيد الشهداء.

هكذا قدمت تفاعلات النسيج الكوفي شخصية عمرو بن الحجاج.

وربما.. كان من بين الأسباب التي يرجع إليها هذا التبدل أن الشهيد الجليل الصحابي الكبير هانيء بن عروة كان صهر عمرو بن الحجاج.

وقد كانت هذه العلاقة مؤهلة لأن تلقي بظلالها على شخصية عمرو هذا.

فلقد كان الشهيد هانيء بن عروة - كما عرفت - شيخ دار الجند بلا

منازع، متميزاً بشخصيته المتماسكة الصلبة، وتاريخه الجهادي العريق، ورجاحة العقل وسداد الرأي.

وعندما تقارن بين هذه المقومات، وبين اهتزاز شخصية عمرو بن الحجاج وذليلته، تجزم بأنه كان أمام الشهيد هانيء هامشياً، وكان يتاح له أن يتواصل معه أكثر من غيره بحكم المصاهرة.

إلا أن شخصية عمرو بن الحجاج كانت زئبقية، وخاوية.

فكما لم تنفعه صحبة رسول الله ﷺ - على فرض ثبوتها - لم تنفعه - وبطريق أولى - صحبته لهانيء بن عروة، بل كانت ثمة معادلة سياسية في الكوفة لصالح الشهيد هانيء فانسجم معه، حتى إذا لاحت له فرصة للتسلق اقتنصها، وكان الثمن دم الشهيد هانيء بن عروة كما سنرى.

ويورد الطبري مساجلة جرت في مجلس ابن زياد في نفس اليوم الذي تم فيه اعتقال الشهيد هانيء، تكشف كيف كان عمرو بن الحجاج يكني عن إيقاعه بهانيء بطريقة تكشف عن مدى وضاعته ولؤمه.

ولئن كان نص الطبري قد ورد مضطرباً، فإن القراءة الداخلية فيه تجعله كما يلي:

«وقال غير أبي جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) الذي جاء بهانيء بن عروة إلى عبيدالله بن زياد عمرو بن الحجاج الزبيدي ذكر من قال ذلك: حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن العيزار بن حريث قال حدثنا عمارة بن عقبة بن أبي معيط (جاء عمرو بن الحجاج الزبيدي) فجلس في مجلس ابن زياد فحدث قال: طردت اليوم حمراً فأصبت منها حماراً فعقرته (يكني بذلك عن دوره الرئيس في اعتقال الشهيد هانيء). فقلت له: إن حماراً تعقره أنت لحمار

حائن (أي هالك) فقال ألا أخبرك بأحين من هذا كله؟ رجل جئ بأبيه كافراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به أن يضرب عنقه فقال يا محمد فمن للصبية قال النار فأنت من الصبية وأنت في النار قال فضحك ابن زياد^(١).

وهذا النص شديد الأهمية جداً، وهو يكشف أن هذه المساجلة بين عمرو بن الحجاج الزبيدي وعمارة بن عقبة في مجلس ابن زياد، قد حصلت في نفس اليوم الذي تم فيه استدراج هانيء إلى قصر الإمارة، وإلا لما أورده الطبري تحت عنوان «ذكر من قال ذلك» أي مسؤولية عمرو عن دم هانيء، ولا ينافي هذا ما تقدم من عدم وجوده - على الأرجح الأقوى - مع من توجه لاستدراج هانيء، فإن دوره أبعد من ذلك خطراً.

وكان ابن زياد قد بنى بابنة عمارة بن عقبة ليلة ذلك اليوم، وكان قد عقد عليها ليلة وصوله من البصرة كما ذكر الطبري، فعمارة عمه والد زوجته، وقد أهين في مجلسه إهانة كبيرة، مؤداها أنك ابن عقبة بن أبي مُعَيْط الذي قال النبي له إن لصبيتك النار، وأنت منهم، ومع ذلك فقد ضحك ابن زياد.

ويرجع ذلك إلى أمرين:

الأول: أن شخصية عمارة كانت هامشية كما يتضح من ترجمته.

الثاني: أن عمرو بن الحجاج الذي وجه له هذه الإهانة كان قد أسدى يداً إلى ابن زياد تعادل تسليمه مفاتيح الكوفة، ولذلك احتل منه ابن زياد ما لا يحتمل عادة، بل وأضحكه ذلك.

(١) الطبري ٢٥٩/٤. وأترك توضيح القراءة الداخلية في النص لتصحيحه لوضوحها وللمصدر الذي أخذت منه ترجمة عمرو بن الحجاج.

وفي المساجلة بعدُ إشارة إلى هامشية شخصية عمرو أيضا بحيث إن عمارة يهزأ به .

ولقد كان دور ابن الحجاج هذا في كربلاء غاية في الشراسة والحقد، ويكفي دليلاً على ذلك قوله :

يا أهل الكوفة، إلموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتال من مرق من الدين، وخالف الإمام .

فناداه سيد الشهداء عليه صلوات الرحمن :

يا عمرو بن الحجاج أعليّ تحرض الناس . . . نحن مرقنا (من الدين) وأنتم ثبتم عليه؟ أما والله لتعلمن لو قبضت أرواحكم ومثم على أعمالكم أيّنا مرق من الدين، ومن هو أولى بصليّ النار^(١) .

وقد ظل هذا القاتل يحتطب الأوزار إلى زمن ثورة المختار، فخاض الحرب ضده حتى لاحت تباشير النصر للمختار، فولى عمرو بن الحجاج هارباً، ثم فقد أثره، ولم تعرف على وجه التحديد نهايته .

قال ابن كثير :

«وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين عن الماء وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج فدعا عليهم (الحسين) بالعطش فمات هذا (. . .) من شدة العطش^(٢) .

وقال في مكان آخر: فلا يدري أين ذهب من الأرض .

وقال الطبري: وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدي - وكان ممن شهد قتل الحسين - فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة

(١) - الطبري ٣/٣٣١ .

(٢) - البداية والنهاية ٨/٧٢ .

(إسمي منطقتين في طريق الحجاز) فلم ير حتى الساعة ولا يدري أرض
بخسته (ابتلعته) أم سماء حصبته^(١).

وقال في الحدائق الوردية: «... هرب خوفاً على نفسه فلما توسط
البادية ابتلعته الأرض هو وراحلته»^(٢).

* وهانيء ينتظر

عرفت أن هانئاً سمع أصوات المذحجين وعرف أنهم جاؤوا يطالبون
به، وهذا يعني بوضوح أن أصوات المتجمهرين عند القصر كانت تبلغ
مسامعه، فماذا جرى لهذا الشهيد الغريب بعد تفرق جموع مذحج؟

هل قتل مباشرة؟ أم أنه ظل على قيد الحياة إلى ما بعد شهادة
مسلم؟ وبالتالي فقد كان يسمع ما يجري حول القصر مترقباً في كل
لحظة أن يدخل عليه من جنوده بعض تلك البارقة التي توعد ابن زياد
بأنها ستكثر حوله.

تختلف المصادر بين مؤيد للأول، ومؤيد للثاني^(٣) واختلف
أصحاب الرأي الأول بين قتله في القصر، أو قتله مباشرة ولكن في
السوق^(٤) والراجع أنه قتل في السوق بعد شهادة مسلم.

يؤكد ذلك تميز نصوصه، ووفرته، ومقتضى الحال، حيث لا
يعقل أن يقدم الطاغية على قتل شيخ الكوفة بلا منازع، قبل أن يوقن
بانعدام أي إمكانية لردة الفعل.

(١) - الطبري ٤/ ٥٢٤ - ٥٢٥.

(٢) - الحدائق الوردية ١٢٨.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/ ٦٣ - ٦٤. والطبري ٤/ ٢٨٤. والمسعودي، مروج الذهب ٣/ ٥٩.
والبلاذري، أنساب الأشراف ٨٣. وابن سعد، الطبقات الكبرى ٤/ ٤٢. والمزي، تهذيب الكمال ٦/
٤٢٦. وابن حجر، الإصابة ٢/ ٧٠.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨. وابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٢/ ٩. (ت: الشيري).

ولم يكن ابن زياد بعد قد اطمأن إلى ذلك، وإذا قتل هانيء فقد يتسرب ذلك ويجعل الوضع في الكوفة يميل لصالح مذحج، لذلك كان من الضروري أن يبقى على هانيء حياً داخل القصر، حتى يكون ورقة في يده لإحباط أي تحرك قد يواجهه، وكان من بين الإحتمالات، أن يضطر إلى إطلاق سراحه.

وهكذا ظل هانيء في القصر يسمع كل ما يجري.

تصاعدت صيحات المذحجين كما تقدم، ثم تلاشت، ولكن سرعان ما بدأت جولة جديدة تصاعدت فيها قعقة السلاح، وهانيء يتابع ويترقب، وطالت مدة الجولة الجديدة، فطال الترقب والانتظار، وهو في كل لحظة يتوقع أن يدخل عليه بعض جنده وينقذوه.

وفجأة بدأ الضجيج يتخذ منحى تنازلياً، إلى أن تلاشى كلياً كما سيتضح في ما يأتي.

* مسلم يعلن النفير

كان مسلم بن عقيل في بيت هانيء، وكان عدد كبير من أنصاره في دور المرادين المحيطة به، وقد بلغهم أن هانيء معتقل في قصر الإمارة، وأن جموع مذحج خدعت كما تقدم فيما لم تنطل الحيلة على بعض المذحجين كما سيأتي.

وبسرعة قياسية أصبحت معالم الصورة الرئيسة هذه واضحة لمسلم، فقد كانت له مصادره الخاصة، حيث كان يعتمد من يستطلع له أخبار القصر، وأخبار المسجد - الوسيلة الإعلامية الوحيدة آنذاك - ويستطلع له كذلك أخبار الناس.

ولم تكن إمكانية المبادرة الإعلامية متكافئة بين الشهيد مسلم وبين

ابن زياد فالحاكم ظاهراً هو ابن زياد. والقصر بجانب المسجد، لذا فإن بإمكان ابن زياد أن يدعو الناس للتجمع في المسجد، وينزل من القصر لمخاطبتهم حين يشاء.

أما بالنسبة إلى الشهيد مسلم فإن الطبيعة السرية لتحركه، لم تكن تسمح بالتجمع، ولذلك فإن الأخبار كانت تصل منه وإليه عبر تناقل الأفراد لها، وعبر المخبرين المعتمدين.

كان الشهيد مسلم بن عقيل قد أرسل رجلاً يدعى عبد الله بن حازم^(١) يستطلع أخبار هانيء، «قال عبد الله: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر، لأنظر ما فعل هانيء، فلما ضرب، وحبس، ركبت فرسي، فكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة لمراد مجتمعات، ينادين يا عثرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل، فأخبرته، فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: «يا منصور أميت»، فناديت، وتنادى أهل الكوفة واجتمعوا»^(٢).

وكما وصل الخبر بسرعة، فقد كان التحرك أيضاً سريعاً، حيث إن الظرف يحتم التوجه فوراً إلى قصر الإمارة، وهكذا كان.

(١) يكثر في المصادر في الموارد المرتبطة به: عبد الله بن حازم بالحاء المهملة، وفي الطبري: في أحداث الكوفة عند اعتقال هانيء: بن حازم بالمهملة، وفي خروجه مع التوابين ٤/٤٥٢. وشهادته ٤/٤٦٨: بن حازم بالمعجمة. وإذا كانت الكثرة في المصادر المختلفة في مثل هذا مرجحاً، فالراجع أنه بن حازم بالمهملة، وهو ممن خرج مع الشهيد مسلم ثم خذله كما يصرح هو بذلك: أنظر: الطبري ٤/٤٥٢. وابن نما الحلبي، ذوب النصار ٨٣، وفيهما أنه من كثير من الأزدي، وأنه خرج مع التوابين واستشهد في عين الوردية.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٥١. والطبري ٤/٧٥. واللفظ للطبري. وانظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين ٧٠.

وشعار «يامنصور أمث» هو الرمز المتفق عليه، لينادي به في ساعة الصفر للنفير العام، وهو شعار المسلمين في يوم بدر^(١).

وطبيعي أن لا يوكل إلى أي كان بإطلاق هذا الشعار عند بدء النفير العام، بل لابد من توفر شروط خاصة فيه تجعل شخصيته جزءاً من تنفيذ المهمة، وهو ما يدل على عناية خاصة من الشهيد مسلم في اختيار من أوكل إليه مهمة استطلاع أخبار القصر.

* تعبئة الجيش

كانت نواة جيش مسلم، تلك الأعداد التي جمعت في الدور المحيطة ببيت هانيء، والتي بلغ خبر تجمعها الطاغية ولأجلها استدرج هانيء إلى القصر وقد طالبه بها.

فهل شكّل ما استجد من اعتقال هانيء المناخ الطبيعي لزيادة العدد بما يفوق عدد من يتمكنون من اللحاق بالجيش في ظرف مختلف، أم أن عديد الجيش ظل في حدود هؤلاء الأربعة آلاف رجل وزيادة؟

تختلف الروايات حول ذلك، فيذكر بعض المصادر أن الجيش الذي قاده الشهيد مسلم كان أربعة آلاف^(٢) وهم الرجال المجتمعون في الدور القريبة، فيما يذكر بعضها أن الجيش كان ثمانية آلاف^(٣) أو ثمانية عشر ألفاً^(٤) وفي بعضها كان ثلاثين ألفاً^(٥). وقيل «أربعون ألفاً»^(٦).

(١) الكليني، الكافي ٤٧/٥. والحر العاملي، وسائل الشيعة ١٣٨/١٥.

(٢) الطبري ٢٧٥/٤. وسيأتي ذكر الرواية عن عباس الجدلي. والبلاذري، أنساب الأشراف ٨٠.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٣/٣.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ٥٨/٣.

(٥) السيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٣٥/٤ نقلاً عن: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة. أنظر: ٨/٢ (ت: الشيري) مع ملاحظة أن ابن قتيبة كما سبقت الإشارة يورد أن دخول الشهيد مسلم بيت هانيء كان بعد أن تفرق الناس عنه. وهو غريب.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٠٧/٣. والمزي، تهذيب الكمال ٤٢٦/٦.

وحيث أن روايتي الشيخ المفيد والطبري عن أبي مخنف تتحدثان عن الأربعة آلاف وزيادة دون تحديد، فالراجع أن العدد فاق ذلك بكثير، بحيث تبدو رواية الثمانية آلاف هي الأقرب في بدايات الطريق، كما أن رواية الثمانية عشر ألفاً طبيعية جداً في مرحلة تالية، نظراً إلى عدد المبايعين أصلاً ولحراجه الظرف بعد اعتقال هانيء، ومن الطبيعي أن يكون مسلم قد انطلق بالذين كانوا في الدور القريبة، ثم التحقت به أعداد أخرى في الطريق أو أثناء حصار قصر الإمارة حيث توالى التحاق المقاتلين به قبل الإنهيار القاصف كما سيأتي، ولا يبعد في مدينة كان عدد مقاتليها يربو على المائة ألف، أن يصل العدد في ظرف شديد الحساسية كهذا الظرف - وبعد التوثب إلى المساء - إلى الأربعين ألفاً.

وقد عبأ مسلم رضوان الله عليه جيشه «فعمد لعبيد الله بن عمر الكندي على كندة وربيعه، وقال: سر أمامي على الخيل، وعمد لمسلم بن عوسجة الأسدي على مذحج وأسد، وقال إنزل في الرجال، وعمد لأبي ثمامة الصائدي على تميم وهمدان، وعمد للعباس بن جعدة على أهل المدينة»^(١).

وإنما أوردت هذه النصوص لمعرفة الوضع داخل الكوفة آنذاك، وأن ميزان القوى بحسب الظاهر عبارة عن جيش بهذا العدد في مقابل قلة لا تكاد تذكر، فلم يكن مع ابن زياد إلا خمسون شخصاً كما سيأتي. وتنبغي الإشارة هنا إلى أن من بين القادة الذين عينهم الشهيد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه، مسلم بن عوسجة وأبو ثمامة الصائدي وهما من شهداء كربلاء رضوان الله عليهم جميعاً^(٢).

(١) الطبري ٢٧٥/٤ ولم يورد الشيخ أسماء القادة الميدانيين وأورد الباقي. أنظر: الشيخ المفيد، الإرشاد ٥٢/٢.

(٢) وتأتي ترجمة القائدين الآخرين في آخر الكتاب.

ويسجل للطاغية ابن زياد حضوره الجماهيري، فبعد أن تفرقت جموع مذبح مباشرة، ورغم أن خروجه من القصر إلى المسجد كان يشكل خطراً عليه إلا أنه خرج ليخاطب الناس، وسيتكرر منه ذلك في ما بعد.

بمجرد أن تفرق المذبحيون، أطل ابن زياد على الناس، ليوجه إنذاراً خطط له أن يكون موجزاً جداً لحراجة الظرف:

«وخرج عبيد الله بن زياد فصعد المنبر ومعه أشرف الناس وشَرَطَهُ وَحَسَمَهُ وقال: أما بعد، أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله، وطاعة أئمتكم ولا تفرقوا فتهلكوا وتذللوا وتقتلوا وتُخَفَّوْا وتُحْرَمُوا، إن أخاك من صدقك وقد أعذر من أنذر، ثم ذهب لينزل فما نزل حتى دخلت النظارة (من فريق الرصد التابع لابن زياد) المسجد من قبل باب التمارين، يشتدون (يركضون) ويقولون: قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه»^(١).

* بوادر الإنهيار

كانت المسافة بين نقطة الإنطلاق وبين المسجد قصيرة نسبياً، ومع ذلك فقد انسل الكثيرون - على ذمة عباس الجدلي - فلم يبلغ القوم القصر إلا وهم حوالي الثلاثمائة، يقول الجدلي: «خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف فلما بلغنا القصر إلا ونحن ثلاثمائة»^(٢). إلا أن ذلك لم يشكل انهياراً في جيش الشهيد مسلم، لأن الأعداد الكبيرة التي كانت تلتحق به كانت تغطي النقص الذي ينتج عن الإنسلاخ الكوفي لواداً، والذي كان ما يزال مجرد بوادر ومؤشرات إلى ما سيحدث، فبالرغم من

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٥١/٢. والطبري ٧٥/٤. واللفظ للشيخ. بتصرف يسير «وتحربوا».

(٢) الطبري ٢٧٥/٤.

تخاذل أكثر هؤلاء الأربعة آلاف الذين كانوا لأيام طويلة ينتظرون ساعة الصفر، كان تجمهر الناس ملفتاً جداً إلى حد أن ساحة المسجد والمنطقة المحيطة به اكتظنتا بالناس، وكان جوهم العام مؤيداً للشهيد مسلم معلناً العداء لابن زياد.

* الجيش يطوق قصر الإمارة

حاصر جيش مسلم بن عقيل قصر الإمارة، وأحذق الخطر الداهم بالطاغية، وبمجرد أن بلغه خبر توجه مسلم يقود الجيش بدأ يأخذ الاحتياطات اللازمة للتحصن داخل القصر. يقول الطبري: «ثم أقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الأبواب»^(١).

وطبيعي أن درجة الإحساس بالخطر كانت ترتفع كلما اقترب الجيش من قصر الإمارة، وكلما ازداد الضجيج تعاضماً ليحمل معه أخبار تجمهر الأعداد الكبيرة.

«وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس، والسوق، وما زالوا يتوثبون حتى المساء فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كُبرُ أمره أن يتمسك بباب القصر، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه»^(٢).

ويبدو بحسب بعض الخرائط أن المنطقة التي كان يقع فيها بيت الشهيد هانيء تقع شمال شرقي مسجد الكوفة وقصر الإمارة، وبعبارة ثانية تمتد من قريب مسجد الكوفة إلى المنطقة الواقعة خلف مسجد

(١) المصدر ٢٧٥.

(٢) الطبري ٤/ ٢٧٥ - ٢٧٦. مصححاً على: الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/ ٥٢.

السهلة من جهة النجف، في الجهة المقابلة لما يعرف الآن بحي كندة^(١) وهي وإن كانت بدايتها قريبة نسبياً من المسجد والقصر، إلا أنها ليست ملاصقة، ثم إن آخر امتدادها بعيد نسبياً، مما يجعل الوصول من وسطها - مثلاً - إلى القصر يستغرق وقتاً يمكن من إتخاذ بعض الإجراءات الأولية ومنها التداول لمواجهة الموقف، وذلك باستغلال بعض الثغرات القائمة أو المتصورة، والمراد بالقائمة من قبيل الحصانة التي يتمتع بها شيوخ العشائر نظراً إلى التركيبة القبلية، والمراد بالمتصورة، ملاحظة الثغرات التي يمكن من خلالها المنع من إحكام الحصار حول القصر، وذلك بملاحظة الجهة التي يقدم منها المهاجمون، والخريطة السياسية لولاء الدور القريبة من القصر، بما كانت تعنيه كلمة الدار آنذاك أحياناً من مساحة كبيرة، كما هو شأن دار الروميين التي كانت عبارة عن محلة للنصارى، وسنجد أنها شكلت الثغرة المثالية للطاغية الذي كانت فرائصه ترتعد من شدة الخوف.

وعندما نحاول معرفة المدة الزمنية التي ظل فيها هذا الوضع قائماً، تواجهنا صعوبة مصدرها الخلل في تحديد وقت ذهاب هانيء إلى ابن زياد، بالإضافة إلى عدم تحديد النصوص لساعة الصفر لثورة مسلم.

وفي المجال الأول - ذهاب هانيء - نجد تصريحاً بأنه دخل القصر

(١) أنظر: أحمد البراقى النجفي (١٣٣٢هـ) تاريخ الكوفة ١٩ (خارطة الكوفة) (الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. دار الأضواء - بيروت). وانظر: سيد أبو فاضل رضوي أردكاني، ماهيت قيام مختار (فارسي) ٣٣٨ (خارطة بالاستناد إلى الخريطة التاريخية للكوفة للمستشرق ماسينيون، نقلاً عن: كريمان، سيره وقيام زيد بن علي (فارسي). ويحدد الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٩٧ - ٢٩٨ الطريق الذي سلكه الشهيد بجيشه إلى القصر فيقول: وأقبل مسلم يسير حتى خرج في بني الحارث بن كعب، ثم خرج على مسجد الأنصار حتى أحاط بالقصر. وانظر الملحق الخاص بخرائط الكوفة في آخر الكتاب.

بعد صلاة الجمعة مباشرة^(١) كما نجد تصريحاً بأنه استدرج إليه «عشية» أي قبيل المغرب^(٢) ولا شك أن الأول لا يمكن الإعتماد عليه لضعف انسجامه مع سياق الأحداث بدءاً من انتقال مسلم إلى بيت هانيء، مروراً بانقطاع هانيء عن مجلس ابن زياد وصولاً إلى استدرج ابن زياد له عبر من كلفهم بذلك، ولوجود نص صريح في أن خروج مسلم في الكوفة كان في يوم الثلاثاء - أو الأربعاء - لثمان مضيّن من ذي الحجة^(٣) وبناءً عليه فإن اعتقال هانيء لم يكن يوم الجمعة.

والراجع بملاحظة النصوص المختلفة أن تحديد ذهاب الشهيد هانيء الذي استدعى التعجيل في تطويق القصر، بأنه كان «عشية» يراد به بعد زوال الشمس^(٤) وسواء كان معنى العشية هذا أم لم يكن فإن من الثابت قطعاً أن توجه هانيء إلى القصر واعتقاله فيه كان في وقت مبكر جداً من بعد الظهر، بحيث اتسع هذا الوقت لمجيء الموفدين لاستدرجهم وما دار بينهما، وتوجه هانيء ببطاء، والسجال الذي دار بينه وبين ابن زياد، ووصول الخبر إلى مذحج، ومجيء عمرو بن الحجاج ووجوه المذحجين، ثم أمر مسلم بالنفير ووصول الجيش وبدء التطورات المتطاولة نسبياً ومنها «وما زالوا يتوثبون حتى المساء» وخطبة كثير بن

(١) الطبري ٢٦٩/٤. عن غير أبي مخنف.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٧. والطبري ٢٧٢/٤ وفيهما: «حتى وقفوا عليه عشية، وهو جالس على باب». وقد تكررت فيهما لفظ عشية في حديثهما مع هانيء فلاحظ.

(٣) المسعودي / مروج الذهب ٦٠/٣ والطبري ٢٨٦/٤ والإرشاد ٦٦/٢ وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص ٢٤٥. وينبغي التنبيه إلى احتمال وجيه جداً في كون وقيل في يوم الأربعاء، في كل من الإرشاد والمروج والطبري، تصحيف «وقتل» لأن مقتل الشهيد مسلم كان في اليوم التالي وبعده أن يكون في نص أبي مخنف ترديد بين يومين في مثل هذا الحادث وهو من هو في توثيق أخبار بلده.

(٤) قال الجوهر في الصحاح (عشو): وزعم قوم أن العشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، وأنشدوا: غدونا غدوة سحراً بليل عشاء بعد ما انتصف النهار. وقد فرق ابن منظور في لسان العرب ٥٧/١٥ بين العشي والعشاء بأن الأول ما بين زوال الشمس إلى غروبها، والثاني أول الظلام من الليل. ونقل عن الأزهر قوله: صلاتا العشي هما الظهر والعصر.

شهاب الطويلة «حتى كادت الشمس أن تجب» أي تغيب، ولا ينسجم ذلك إطلاقاً مع أخذ لفظ «عشية» على ظاهره.

وتظهر الفائدة العملية عند ملاحظة أمرين:

الأول: أن الطاغية ابن زياد قد فقد السيطرة على الكوفة طيلة هذه الفترة، لا لساعة أو ساعتين وحسب، الأمر الذي يجعل هذا المنعطف الخطير في تاريخ الإسلام أشد إيلاماً، وأبعد فجيعة.

الثاني: أن غربة الشهيد هاني بن عروة، ومعاناته استمرت طيلة هذه الفترة، وظل التخاذل مخيماً على مذبح حتى شهادته وكانت السيطرة في هذه المدة على الكوفة، تامة، فقد حوَّصر ابن زياد داخل القصر، وانحصرت سلطته بمساحته، ومع ذلك لم تتحرك نخوة المذحجين ولا ثارت حميتهم، لا للوفاء بالبيعة، أو حماية النزول، بل للمطالبة بشيخ العشيرة هانيء!

إنه الخذلان المريب الذي يفرض التنبه إلى أمرين:

١ - أن التخاذل الكوفي الذي «وشجت عليه» العروق كما صرح سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء، كان أبعد غوراً من خذلان رسول الإمام، ولا ينافي ذلك أن بعض هذا الغدر قد نتج عن شراء أصحاب الضمائر الميتة من شيوخهم ومراكز النفوذ الأخرى فيهم.

٢ - البحث في جذور هذا الخذلان المذحجي بشكل خاص، ولن تجدها ممتدة إلى غير عمرو بن الحجاج وكثير بن شهاب كما سبقت الإشارة ويأتي بيان دوره.

ولابد من تسجيل ملاحظة هنا حول سرعة «وصول» الخبر إلى عمرو بن الحجاج! فإذا كان عبد الله بن حازم قد ركب حصانه ومضى مسرعاً ليخبر الشهيد مسلم بن عقيل، ولم يستطع أن يخبره إلا بعد

انصراف عمرو بن الحجاج ومن معه من باب القصر وهم يحمدون الله على سلامة هانيء، أو أنهم على أكثر تقدير قد انصرفوا قبل وصول طليعة جيش مسلم، فمتى وصل الخبر إلى عمرو بن الحجاج؟

ثم كيف وصله؟ أليس من المفترض أن ما كان يجري داخل القصر قد أحكمت دائرته المغلقة إلى أقصى حد ممكن؟

أغلب الظن أن عبد الله بن حازم لم يعرف بالخبر إلا من خلال تحرك عمرو بن الحجاج، أما عمرو نفسه فلم يكن بحاجة إلى أن يصله خبر هو من صانعيه، ولا بحاجة إلى أن ينتظر وصول أي خبر ولو بأن الطاغية يأمره بقيادة القوم للمطالبة بهانيء، بل كان تحركه جزء من الآلية المعدة سلفاً، وها نحن نجده في مجلس حميم مع ابن زياد في اليوم الذي قتل فيه هانيء، وربما كان ذلك في الفترة التي كان الشهيد هانيء ما يزال في القصر حياً مدمياً!

* وجاء دور رؤساء العشائر

كانت الساحات المحيطة بقصر الإمارة ومنها ساحة المسجد تزدهم بالأعداد الغفيرة المتزايدة باطراد. إنها إذاً انتفاضة عارمة بكل معنى الكلمة، وابن زياد ومن معه مختبئون داخل القصر يلفهم الرعب، وقد أفلت زمام الأمور من أيدي «الأشراف» كما أفلت من يد الطاغية، ولا مجال أمامهم إلا الفرار، إن أمكنهم، أو القتل، وقد يجتمعان، أو العمل لاستعادة السيطرة على الموقف، وقد اختار الطاغية الثالث، مرتكزاً إلى نجاح ما أنجز من خطته التي يمتلك لمواصلتها الرصيد المتوفر له من شيوخ العشائر سواء الذين هم معه في القصر أو رهن إشارته.

وقد اتخذت الأحداث في هذه الفترة المسار التالي:

١ - حصار القصر

وتدل على ذلك بوضوح العبارة المتقدمة عن أحد القادة الميدانيين في جيش الشهيد مسلم، حيث يقول: «وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر»^(١).

كما صرح به المسعودي بقوله: «فحصروه في القصر»^(٢) والدينوري بقوله: «فتقدموا جميعاً حتى أحاطوا بالقصر»^(٣).

٢ - محاولات من أعلى القصر لمنع الإقتراب منه

ولئن كانت عبارة الطبري صريحة في خلافه إلا أن عبارة الشيخ المفيد - ومصدرهما واحد - تحتمله، على أن في العبارة في المصدرين اضطراباً، أما عبارة الدينوري فتؤكدده كما يلي:

«وتحصن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشرف أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا»^(٤).

٣ - «ليشرف كل رجل منكم في ناحية من السور» ليوظف كل منهم رصيده القبلي في خدمة النظام.

قال الدينوري:

«وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشرف أهل الكوفة: ليشرف كل رجل منكم في ناحية من السور، فخوفوا القوم. فأشرف

(١) الطبري ٢٧٥/٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٥٨/٣.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨. وانظر: ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٣/٣.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨.

كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة، إتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم»^(١).

ويبدو أن هذه المهمة قد تكررت مرة ثانية بعد الجولات الميدانية التي كشفت أن أمر الناس «شديد» كما سيأتي.

٤ - خروج كثير بن شهاب في جولة في الكوفة إمعاناً في تفريق الناس.

ولئن كانت بعض المصادر لا تسميه متحدثاً بما يشعر أن أكثر من شخص قام بذلك فتقول: «وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك»^(٢).

إلا أن مصادر أخرى تسمي كثير بن شهاب كمنتدب وحيد لمهمة الركوب والتجول في الكوفة لتخذيل الناس، فقد ورد فيها: «ودعا عبيدالله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان»^(٣).

٥ - خروج بعض شيوخ العشائر من القصر، لرفع رايات الأمان لعل أحداً يلتحق بها.

وهي الخطوة المتقدمة بين إحكام الحصار وبداية كسره، ومن شأن ما سبقها التمهيد لها، كما أن من شأنها التمهيد لما يأتي:

(١) نفس المصدر ٢٣٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٦/٨.

(٣) الطبري ٢٧٦/٤. والشيخ المفيد، الإرشاد ٥٢/٢.

«وأمر (عبيدالله) محمد بن الأشعث أن يخرج في من أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي، وشبث بن ربعي التميمي، وحجار بن أبجر العجلي، وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس»^(١).

ومن الملفت أن ينحصر أمر ابن زياد في الركوب والسير في الناس بكثير بن شهاب، بينما لم يؤمر باقي الشيوخ الذين أمروا بمغادرة القصر بأكثر من رفع راية الأمان.

والسبب هو أن كثير بن شهاب مذحجي، والمعتقل في القصر الذي فجر اعتقاله الوضع هو شيخ المذحجين.

ويرجح ذلك ما رواه أبو مخنف من أنه الوحيد - من بين دمي النظام - الذي قام بجولة في الكوفة في ذلك الظرف.

ولكن لماذا لم يؤمر بهذه المهمة المذحجي الآخر عمرو بن الحجاج؟

والجواب: أما أولاً فجريمة انصرافه بمن جاء به من المذحجين إلى القصر، ماتزال حارة، فلا هو مؤهل الآن لدور آخر بحجم السير في الناس، ولا الناس كلهم مؤهلون للتغاضي عنه.

وأما ثانياً: فإن انكشاف أنّ الخطر محقق بهانيء، يجعله بحكم مصاهرة هانيء له، في موقف من ينبغي أن يتعاطف الناس معه، فهو من أصحاب «المصيبة» ولا يتناسب مع ذلك أن يتولى مهمة التثييط جهاراً نهاراً.

(١) الطبري ٢٧٦/٤. والشيخ المفيد، الإرشاد ٥٢/٢ - ٥٣.

وأما ثالثاً: فلأن دوره الأساسي في هذه المرحلة كان يستدعي بقاءه على مقربة من عائلة هانيء منعاً لاستغلال الأجواء التي كانت تعصف بهم بما يؤجج الوضع في الكوفة.

وقد كان من حصيلة جولة كثير في أرجاء الكوفة وخروج سائر الدمى الذين أمروا بذلك إلى محيط القصر، اعتقال اثنين أصبحا من طليعة شهداء كربلاء في الكوفة^(١) بالإضافة إلى التقدير الميداني الدقيق لطبيعة الموقف، وهو ما جعل كثير يقترح على مولاه ابن زياد أن يخرج إلى المواجهة، ولكن الطاغية لم يجرؤ على ذلك كما نجد في النص التالي:

«وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل، «.. فوجد رجلاً»..» يقال له عبد الأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في «بنى فتيان»، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد فأخبره خبره، فقال لابن زياد إنما أردتك. قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك. فأمر به فحبس، وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه، فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي، فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحى ويتأخر. وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد الأشعث قد حلت على ابن عقيل من الفرار، فتأخر عن موقفه، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل «دار الروميين»، فلما اجتمع عند عبيدالله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع في من أطاعهم من قومهم، فقال له كثير وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلح الله الأمير،

(١) أنظر ترجمة الشهيدين عبد الأعلى وعمارة، تحت عنوانين باسميهما في آخر الكتاب.

معك في القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبداً لله^(١).

٦ - خروج بعض شيوخ العشائر للمواجهة، حين أصبح الإنهيار واضحاً.

لماذا يعرض الطاغية نفسه للخطر، وطوع يديه ورهن إشارته من «شيوخ القوم» و«وجوه المصر» العدد الكافي:

«وعقد لشبث بن ربعي لواء فأخرجه وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويتوثبون حتى المساء وأمرهم شديد»^(٢).

وعقد اللواء يعني الخروج إلى الحرب، ولا تذكر المصادر - في ما يبدو - أنه عقد لواء لغيره، إلا أن الذين خرجوا لرفع راية الأمان لم يرجعوا كلهم، وطبيعي أن يكونوا جاهزين للمواجهة حين تدعو الحاجة، وقد روي «أن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً، وأن شبثاً جعل يقول: إنتظروا بهم الليل يتفرقوا، فقال له القعقاع إنك قد سدت على الناس وجه مصيرهم، فافرج لهم ينسربوا»^(٣).

وتضمن جميع المصادر بتفاصيل المواجهات التي حصلت، فلا تجد فيها إلا إشارات لا تكفي لتوضيح شيء من الصورة، كالإشارتين المتقدمتين عن عقد اللواء لشبث، والقتال الشديد^(٤) وكإشارة أن الشهيد مسلم بن عقيل «أثخن بالجراح»^(٥).

(١) الطبري ٤/٢٧٦ - ٢٧٧. بتصرف اقتضاه التصحيف.

(٢) المصدر ٢٧٧.

(٣) الطبري ٤/٢٨٦؟.

(٤) بالإضافة إلى ما تقدم عن الطبري، أنظر في ذلك: الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٩٨ (م. م). وابن نما، مشير الأحزان ٢٣.

(٥) الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٩٨.

وقد تفرد الطبري بما رواه بطريقين عن غير أبي مخنف بقوله: «فبلغ ذلك (ما جرى لهانيء) مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق، وأمر منادياً فنادى: يا خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظن أنه في ملأ من الناس، قال حصين فحدثني هلال بن يساف، قال لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرون في طريق يميناً ولا شمالاً إلا أن ذهبت منهم طائفة: الثلاثون والأربعون ونحو ذلك. قال فلما بلغ السوق وهي ليلة مظلمة ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون فإذا قريب خمسين رجلاً، قال: فنزل فصعد المنبر، وقال للناس: تميزوا أرباعاً، أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربعمهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة»^(١).

وهو كما ترى صريح في أن المواجهة كانت بعد تفرق الناس، والمستفيض في المصادر خلافه، إلا أنه مخالف لما تجمع عليه المصادر، بالإضافة إلى ركاكته.

٧ - تكرار مخاطبة شيوخ العشائر الناس من أعلى القصر

كانت حصيلة جولة كثير وسائر الشيوخ الدمى، قد أظهرت بوادر مشجعة، إلا أن «أمرهم شديد» كما عرفت، فكان لابد من تكرار مخاطبتهم لقبائلهم وغيرها، خاصة وأن احتمال التفرق على مشارف

(١) الطبري ٤/ ٢٩٤. وقد رواه الطبري بإسناده التالي: «حدثني الحسين بن نصر قال حدثنا أبو ربيعة قال حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال بلغنا أن الحسين عليه السلام * وحدثنا محمد بن عمار الرازي قال حدثنا سعيد بن سليمان قال حدثنا عباد بن العوام قال حدثنا حصين أن الحسين الخ».

الظلام أقوى، فلن يخجل أحد من أحد! ولذلك فلعل في التحفيز عليه ما يحققه بصورة أفضل وأسرع.

وسنجد أن أكثر هؤلاء «الأشراف» حماسة واندفاعاً وتفانياً في «المصلحة العامة!» هو كثير بن شهاب لا غيره، دون أن ننسى أن شيخه وشيخ المصر كله هائناً، بيده البيضاء عنده ولحيته البيضاء التي خضبت بالدم، ما يزال في الأسر على مقربة منه داخل القصر.

فبعث عبيدالله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس فمَنُوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخَوَّفُوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود (خروجها) من الشام إليهم (قال أبو مخنف) حدثني سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن حازم «الكثيري» من الأزد من بني «كثير» قال أشرف علينا الأشراف، فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب^(١) فقال: أيها الناس إحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممت على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم، أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها. وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرقون وأخذوا ينصرفون، (قال أبو مخنف) فحدثني المجالد بن سعيد أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول انصرف الناس يكفونك. ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول

(١) «أصل الوجوب السقوط. يقال وجبت الشمس للمغيب إذا سقطت، ووجب الحائط وجبة أي سقط». أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية ٤٠١.

غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر. انصرف، فيذهب به. فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتى ضلّبت المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً، فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفوس، خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فلما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه انسان^(١).

* قراءة في الموقف

ولا يمكن معرفة خصائص هذا المقطع من أحداث الكوفة دون معرفة الحقائق التالية:

١ - أن كثير بن شهاب كان يمّني نفسه بزعامة المذحجين، ولذلك نجده يتوقّد نشاطاً محموماً إلى الحد الذي أحرز معه قصب السبق، إن في التجول في الكوفة واعتقال الشهيد عبد الأعلى، أو في المبادرة إلى الإقتراح على ابن زياد أن يبادر إلى خوض الحرب، أو في مواصلة «الموعظة» و«إطفاء النائرة» حتى كادت الشمس أن تغيب.

كان الطابع العام لهذه المرحلة من حركة الشهيد مسلم مذحجياً بامتياز، ففي دورهم كان يجري التحضير لكل شيء، حيث لم تكن أي بيئة أخرى قادرة على احتضان هذه المهمة، وجاء اعتقال شيخهم هانيء ليعزز الربط بين حصار القصر والمذحجين، وها هو شيخهم الثاني - بعد «المصاب!» عمرو بن الحجاج - يدعو إلى التهدئة، فلماذا يزوج غير المذحجين بأنفسهم في ما لا يريده المذحجيون أنفسهم؟!!

إن ما هو أدنى من هذه «الحجة» بمراتب هو في «فقه القعود»

(١) الطبري ٢٧٧/٤. والشيخ المفيد، الإرشاد ٥٢/٢ - ٥٣. وقد وردت نسبة ابن حازم في الطبري «البكري» و«بني كبير» وهو تصحيف بدليل ما ذكره نفسه في مورد تقدم. ولم يورد الشيخ ذلك.

و«التخاذل» دليل قاطع عند ضعف النفوس والدين، خصوصاً عندما تتعملق المخاطر التي يتعين على من يواصل تحمل المسؤولية إقتحامها وخوض أقصى لججها والغمرات.

. وتمس الحاجة هنا إلى معرفة ولو إجمالية بكثير هذا.

* من هو كثير بن شهاب^(١)؟

يرجع نسبه إلى الحارث بن كعب.

ويحدث ابن قتيبة في المعارف أن قومه كانوا قبل الإسلام معروفين باعتناقهم اليهودية.

ارتدّ جده حصين عن الإسلام، فقتل.

وثأر أبوه شهاب، لجده، فقتل قاتله.

ولم يكن هو خيراً من أبيه وجده، رغم أنه ربما كان من الصحابة.

فقد عُرف بين الناس بشدة عدائه لأهل البيت، وتهالكه في التحريض ضد الإمام الحسين.

ومن قبلُ كان أحد اثنين تولّيا الإشراف على اقتياد الشهيد حجر ومن معه إلى الشام مكبلين، وحملا شهادة الزور ضدهم، وكان كثير من شهودها.

إنه القاتل كثير بن شهاب بن حصين الحارثي المذحجي.

شارك في حروب القادسية، وولي الري، وخراسان. وكان يُكثر

سب عليّ بن أبي طالب!

(١) أوردت ترجمته الوافية في الجزء الخاص بـ«القتلة». مخطوط. وما ذكر هنا مقتطفات منها.

يحدث عن عليّ عليه السلام أن السماء والأرض ستبكيان الحسين،
ورغم ذلك فقد بذل قصارى جهده لقتل الحسين.

كبت به بطنته، فسقط على أعتاب الطواغيت، بحثاً عن المال
الحرام والجاه الذي تفوح منه رائحة الغدر، ونكران الجميل.

كان شديد البخل، وقد دخل في صراع هشم وجهه من أجل سلب
قتيل (أي سلاحه وثيابه وفرسه)

سرق مال خراسان عندما كان والياً عليها في زمن معاوية، ولاذ
بالشهيد هانيء بن عروة، وهما معاً مذحجيان، فحماه ابن عروة من بطش
معاوية، فأهدر معاوية دم هانيء، ومع ذلك بقي مصراً على إجارتته.

وما ظنك بسارق مالٍ وممن؟ من معاوية!

وما ظنك بمتهالك على زعامة على أنقاض من أجاره وعرض نفسه
للقتل بسببه، رغم أن هذا المجير ربما يكون قد سمعه وهو يخطب من
على شرفة القصر!

لقد رأى كثير بن شهاب أن الجاه والمال لا يأتيانه إلا على أشلاء
هانيء، فاغتتم الفرصة مشمراً عن ساعد الجد في نصرة الطاغية ابن
زياد، حتى لا تجد في الكوفيين من يشبهه حماساً في التخذيل وطاعة
الأمير ابن مرجانة، وأمير من هم على شاكلته، يزيد بن معاوية.

وكم كانت «سعادته!» حين رأى ابن زياد يتعامل معه باعتباره شيخ
مذحج!

لم يكن مستعداً لخيانة هانيء وحده، ولا استمراً التسلق على تهشيم
وجهه وعظامه وجره في الأسواق فحسب، بل كان على أتم استعداد لحرب
الإمام الحسين عليه السلام رغم ماتقدم من روايته حول مقتله عليه السلام.

«روى البلاذري في أنساب الاشراف « . : لما سرح ابن زياد عمر بن سعد، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر أن لا يتخلف أحد منهم، وصعد المنبر فقرض معاوية وذكر إحسانه واداراه الأعطيات وعنايته بأهل الثغور، وذكر اجتماع الألفة به وعلى يده، وقال: إن يزيد ابنه المتقبل له السالك لمناهجه المحتذي لمثاله، وقد زادكم مائة مائة في أعطيتكم، فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي، فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن العسكر برئت منه الذمة. ثم خرج ابن زياد فعسكر وبعث إلى الحصين بن تميم وكان بالقادسية في أربعة آلاف، فقدم النخيلة في جميع من معه. ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث بن قيس والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمان المنقري وأسماء بن خارجة الفزاري وقال: طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والإستقامة، وخوفوهم عواقب الامور والفتنة والمعصية، وحثوهم على العسكرة فخرجوا فعزروا(كذا) وداروا بالكوفة. ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب!! فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة، ويحذرهم الفتنة والفرقة ويخذل عن الحسين!!!»^(١).

٢ - والنقطة الثانية التي يتوقف عليها فهم نصوص مرحلة حصار القصر هي الإجابة على أسئلة مركزية: لماذا لم يقتحم الشهيد مسلم القصر؟ ولماذا لم يحكم الحصار على القصر؟ وما حكاية باب الرومين؟ وما هي أبعاد التخويف بجيوش الشام؟

وهو ما تمس الحاجة إلى مقاربتة، خاصة وأن غالب ما كتب حول حركة الشهيد مسلم في الكوفة لم يول هذه النقاط ما تستحقه من عناية

(١) السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين ٣/ ٨١ - ٨٢.

رغم مفصليتها في تقدير الموقف وفك رموز الأحداث التي رافقت حصار القصر.

* لماذا لم يتم اقتحام القصر؟

وتستدعي الإجابة على هذا السؤال، إيضاح أن «قصر الإمارة» كان عبارة عن قلعة حصينة جداً لا يمكن اجتياحها، كما يصعب جداً المنع من التسلل منها وإليها حتى مع توفر الأعداد الكبيرة من المقاتلين، كما سيتضح بجلاء.

وحدث القصر طويلاً، إلا أن ما يكفي منه لتكوين صورة دقيقة عما جرى، دون أن تخرجنا من السياق، هو ملاحظة ما يلي:

أ - كتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص عندما بنى القصر: «بلغني أنك بنيت قصراً اتخذته حصناً»^(١).

ب - كان لهذا الحصن سور خارجي من أربعة جدران يبلغ طولها تقريباً ١٧٠ متراً، ومعدل سمكها أربعة أمتار، وتدعم كل ضلع من الخارج ستة أبراج نصف دائرية، باستثناء الضلع الشمالي، حيث يدعمه برجان فقط، وتنتهي الأركان الثلاثة الشمالي والجنوبي الشرقي والغربي بثلاثة أبراج، ماعدا الركن الشمالي الغربي، فإنه يتصل بسور المسجد، ويمكن أن نحدد قياس هذه الأبراج بثلاثة أمتار وستين سنتيمتراً، أما المسافات بين كل برج وبرج فكانت - ماعدا اثنين - أربعة وعشرين متراً وستين سنتيمتراً، ويبدو أن ارتفاع هذا السور بأبراجه كان يصل إلى ما يقرب من عشرين متراً^(٢).

(١) الطبري ١٥١/٣.

(٢) الدكتور كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة ١٣٨ - ١٣٩ بتصرف. (عن المصادر التاريخية والأثرية، خاصة في العصر الأموي) (ط: أولى، مطابع دار الجمهورية، بغداد ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م)

ت - كان الجيش الجرار يحاصر «قصر الإمارة» فيضطر أن يقف حوله منتظراً نفاذ المؤن في داخله واضطرار المحاصرين للإستسلام، ومن ذلك ماكان من حصار المختار لابن مطيع في هذا القصر، حيث «مكث ثلاثاً يرزق أصحابه في القصر حيث حصر الدقيق ومعه أشرف الناس ..» وولي حصار القصر، إبراهيم بن الأشتر، ويزيد بن أنس، وأحمر بن شميظ، فكان ابن الأشتر مما يلي المسجد وباب القصر، ويزيد بن أنس مما يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين، وأحمر بن شميظ مما يلي دار عمارة ودار أبي موسى، فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمه الأشرف^(١). «قال شبت الرأي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك، قال ابن مطيع والله إنى لأكره أن آخذ منه أماناً» .. «قال فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلاً بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلحق بصاحبك»^(٢).

وهذا ما حصل بالفعل فقد خرج ابن مطيع «من نحو دروب الروميين حتى أتى دار أبي موسى، وخلي القصر وفتح أصحابه الباب فقالوا يا ابن الأشتر: آمنون نحن قال: أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار»^(٣).

ويلاحظ هنا تواصل الحصار ثلاثة أيام رغم شدة شوكة المختار، كما يلاحظ أن الحديث عن التسلل من القصر طبيعي - ويأتي تأكيد له - وأنه قد تم من قبل باب الروميين، رغم أن قائداً مع قواته كان مقيماً على الحصار من جهة باب الروميين.

(١) الطبري ٥٠٦/٤.

(٢) المصدر ٥٠٦ - ٥٠٧.

(٣) المصدر.

وتزداد الصورة وضوحاً إذا عرفنا أن عديد الجيش مع المختار كان يقارب العشرة آلاف كما يدل عليه التصريح بتوزيع المختار المال على من شارك في الحصار: «وأصاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل، كل رجل خمسمائة درهم. وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين»^(١).

فالمجموع إذاً تسعة آلاف وثمانمائة مقاتل، ولم يمكنهم اقتحام القصر.

ونجد تفاصيل هامة تلقي بالمزيد من الضوء على ما نحن بصدده في قصة محاصرة مصعب بن الزبير للمختار «وقد كان حصن قصره والمسجد وأدخل في قصره عدة الحصار وجاء المصعب يسير إليه»^(٢). «ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة»^(٣). وظل مصعب وجيشه الجرار يضربون حصارهم ويضطرون أحياناً إلى مطاردة «السقاء والسقاءين فيضربون وإنما كانوا يأتونهم بالماء أنهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد»^(٤). كما أن هذا الجيش كان قد يضطر إلى مطاردة النساء اللواتي كن يأتين إلى أزواجهن المحاصرين بالطعام «فكانت معاشهم أفضلها من نسائهم، فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللفظ والماء قد التحفت عليه، فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة، وكأنها تأتي أهلها، وتزور ذات قرابة

(١) الطبري ٤/٥٠٨ - ٥٠٩.

(٢) الطبري ٤/٥٦٢.

(٣) المصدر ٥٦٧.

(٤) المصدر ٥٦٨.

لها، فإذا دنت من القصر فتح لها، فدخلت على زوجها وحميمها بطعامه وشرابه ولطفه وإن ذلك بلغ المصعب وأصحابه فقال له المهلب وكان مجرباً، إجعل عليهم دروباً حتى تمنع من يأتيهم من أهلهم وأبنائهم وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه، وكان القوم إذا اشتد عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر، ثم أمر لهم المختار بعسل فصب فيه ليغير طعمه فيشربوا منه فكان ذلك أيضاً مما يروي أكثرهم^(١).

«ثم إن مصعباً أمر أصحابه فاقربوا من القصر»^(٢). ولم يغير ذلك من طبيعة الحال شيئاً، بل إن المختار اغتنم فرصة مناسبة فخرج من القصر في مائتي رجل وشن غارة عليهم ثم عاد أدراجه وتحصن بالقصر، فلم يستطيعوا اقتحامه خلفه، وكان مع المختار في القصر أكثر من ستة آلاف رجل^(٣). وقد استمر هذا الحصار أربعين يوماً^(٤) وفي رواية أوردها الطبري، أربعة أشهر^(٥).

ومن شأن هذه التفاصيل أن تضعنا أمام حقيقة أن مصلحة حركة الشهيد مسلم كانت تركز إلى مدى تماسك جبهته وقدرتها على الصمود في محاصرة القصر، وقد كشفت التطورات أنها كانت ذات تركيبة هشة فلم تستطع أن تصمد ولو يوماً واحداً.

* لماذا لم يحكم الحصار على القصر؟

كما أن من شأن التفاصيل المتقدمة أن تضعنا في جو التعسر الشديد لإحكام الحصار على القصر، فابن مطيع خرج منه ومضى لسبيله،

(١) المصدر.

(٢) المصدر.

(٣) أنظر: المصدر ٥٦٩.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال ٣٠٧.

(٥) الطبري ٥٧٦/٤.

والسقاؤون كانوا يصلون الماء إلى من هم في داخل القصر، والنساء كن يصلن الطعام لأزواجهن في الحصار الثاني، كما أن المختار كان يخرج ليحارب ثم يعود إلى التحصن في القصر وقد تكرر ذلك منه مراراً.

ومن هذه الثغرة الطبيعية نفذ شيوخ العشائر و«الأشراف» الذين التحقوا بابن زياد في القصر، أو الذين تكرر خروجهم ورجوعهم، مع ملاحظة عاملين آخرين:

الأول: الحس القبلي الذي كان يعطي شيخ العشيرة حصانة خاصة في مثل ذلك الظرف، ولا سيما للمذحجي في مازق يواجه مذحجاً.

الثاني: معرفة ما كان يمثل «دار الروميين» فقد لعب دوراً مهماً كما لاحظت في نصوص الدخول إلى القصر والخروج منه، وهذا تذكير بذلك:

١ - تمكن بعض «الأشراف» مبكراً من الوصول إلى القصر في بداية الحصار من جهة هذا الباب نفسه «وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين»^(١).

٢ - لئن لم يورد الطبري الجهة التي خرج منها شيوخ العشائر ليرفعوا راية الأمان، فإن في بعض المصادر المعتبرة تحديد الجهة التي خرج منها هؤلاء وهي «باب الروميين»: «فبعث عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميين براية الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها فدخلوا القصر»^(٢).

٣ - كما أن محمد بن الأشعث حين وجه إليه الشهيد مسلم من يواجهه اضطر إلى التراجع

(١) الطبري ٢٧٦/٤. والشيخ المفيد، الإرشاد ٥٢/٢.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٣/٣. والطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى ٤٤١/١.

«فتأخر عن موقفه، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين»^(١).

* وما حكاية «باب الروميين»؟

والحصيلة التي يمكن الخروج بها من ملاحظة المصادر حول دار الروميين هي كما يلي:

١ - أن المراد بدار الروميين، الذي يعبر عنها أحياناً بسكة دار الروميين^(٢) هو محلة النصارى وحيهم، وهو ما يدل عليه الحديث عن منطقة في بغداد كان يطلق عليها نفس الإسم «دار الروميين» بأنها كانت يباع فيها الطعام وتضم حانة خمار، وكان يقصدها غير المتدينين من المسلمين^(٣). فهي إذاً محلة.

جاء في لسان العرب: «وأما الدار فإسم جامع للعرصة والبناء والمحلة. وكل موضع حل به قوم، فهو دارهم»^(٤).

ويورد البلاذري ما يدل على سعة مساحة ما كان يعرف بهذا الإسم في حديثه عنها ولكن في مرحلة تالية - في زمن يزيد بن عبد الملك - فيقول:

«وكانت دار الروميين مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيها القمامات والكساحات، حتى استقطعها عبسة بن سعيد بن العاصي من يزيد بن عبد الملك، فأقطعه إياها، فنقل ترابها بمائة ألف وخمسين ألف درهم»^(٥).

(١) المصدران. مع فارق في عبارة الشيخ لا يضر بالمعنى العام.

(٢) كما تقدم في وصف الطبري لحصار المختار لابن مطيع. أنظر: الطبري ٥٠٦/٤.

(٣) الحسين بن حمدان الخصيبي، الهداية الكبرى ٣٣١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ٢٩٨/٤.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان ٣٤٤/٢.

٢ - أن هذه المحلة كانت ملاصقة للقصر ويؤكد ذلك بالإضافة إلى الدلالة العامة للنصوص، ما رواه أبو الفرج الأصفهاني حول أن أم خالد بن عبد الله القسري كانت «رومية نصرانية، فبنى لها كنيسة قبله المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءاتهم»^(١).

وهؤلاء النصارى الذين يتحدث عنهم أبو الفرج، ينبغي أن يكونوا سكان «دار الروميين» الذين كان باب القصر المعروف بهذا الاسم، يفضي إلى محلّتهم، وهم حلفاء طبيعيون للأمويين، وبينهما من أواصر التجانس والمصاهرة ووحدة الهدف الكثير الكثير، وقد سبقت لمحة عن ذلك في الحديث عن سرجون صاحب «مشروع» ابن زياد والياً على الكوفة، يضاف إلى ذلك أن طبيعة العلاقة بين أقلية من هذا النوع تنتمي إلى غير الدين السائد مع حاكم من هذا النوع ينتمي إلى غير الجو العام، تقوي مشاعر التنسيق والتعاون انطلاقاً من القناعة بوحدة المصير، مما يجعل احتمال وجود طريق سرية بين القصر وبين دار الروميين احتمالاً وجيهاً.

* وما هي أبعاد التخويف بجيوش الشام؟

تقدم أن ابن زياد عندما دفع «الوجهاء» النفعيين إلى مخاطبة الناس من أعلى القصر، أدرج في تحديد مهمتهم قوله: «وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم».

(١) رضي الدين الأسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب ٢٩٣/٤ نقلاً عن أبي الفرج في الأغاني. وانظر: عبد المعين الملوحي، الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي ٣٢. تلخيص: د. محمد عبد الرحمن يونس على موقع: www.ofouq.com (م. م).

وهو بند متفق عليه في المصادر، ومنها:

«فوجه محمد بن الأشعث بن قيس وكثير بن شهاب الحارثي وعدة من الوجوه ليخذلوا الناس عن مسلم بن عقيل والحسين بن علي، ويتوعدوهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام وبمنع الأعطية وأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب ففرق أصحاب ابن عقيل عنه»^(١).

وقد نفذ «الأشراف» المهمة بحذاويرها ومنها هذا البند، فلم يتكلم أي منهم دون أن يوليه عناية خاصة «فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة، إتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم . فلما سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور. وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمه فيقول: إنصرف، فإن الناس يكفونك . وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع»^(٢).

ولا وجود لأي خبر عن تحرك جيش من الشام، أو التفكير بذلك، فلم يكن ذلك إلا اختلاقاً في سياق حرب نفسية أراد الطاغية أن يضرب به على وتر كوفي حساس، وقد نسج القوم على منواله، فهذا كثير بن شهاب كما تقدم يقول: «أيها الناس إحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً، لئن أتممت على حربيه، ولم تنصرفوا من عشيتكم، أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام».

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٨٠.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٩.

ولئن كان بعضهم قد تحدث بلغة «ولا توردوا على أنفسكم خيول أهل الشام»، والبعض الآخر عن «فصول جيوش الشام» فإن كلام كثير، بلغة «قد أقيمت» وهو يوحى بقرب وصولها.

والسؤال: لماذا التخويف بجيوش أهل الشام وما هي خلفيات ذلك وأبعاده؟

ولا يصح إطلاقاً تغييب هذه النقطة في أي قراءة لما جرى بجوار قصر الإمارة ومن على شرفاته، فقد كان لها في العمق الأثر البالغ في تفرق الناس عن مسلم بن عقيل، لأن تخويف العراقيين بأهل الشام أوقع الجرح على الجرح، وجعلهم ينفرون سراعاً من الساحات والشوارع ليخنسوا في بيوتهم.

وهي حقيقة مرة، إلا أنها الحقيقة فلا مناص من الإعراف بها.

كانت الكوفة المجاهدة سيف الإسلام ورمحه، ثم صارت النموذج الأول للتخاذل والقيود، ولم تتحقق هذه النقلة فجأة بل ضمن مسار تنازلي، كانت صفين آخر حلقاته، ويكفي لتوكيد ذلك أن كل ماروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في عدم استجابة أهل الكوفة لندائه بالجهاد إنما كان بعد صفين التي شكلت مفصلاً بارزاً بين مرحلتين من تاريخ الكوفة.

كان أهل الكوفة يعيشون الرعب الشامي بلا حدود، لا لأن أهل الشام أشد بأساً وأصلب عوداً، وقد شهدت ساحات صفين من بطولات العراقيين ما لا يخطر بالبال^(١) حتى كاد معاوية أن يركب فرسه ويولي هارباً، بل لأن قرار الكوفيين بترك الجهاد قد اكتمل على أوسع نطاق،

(١) في إحدى أبرز جولات صفين بين «همدان» من العراق، و«عك» من الشام قال عمرو بن العاص لمعاوية: لقد لقيت أسدً أسداً، لم أر كاليوم قط، لو أن معك حياً كعك، أرمع علي حياً كهمدان لكان الفناء. نصر بن مزاحم، وقعة صفين ٤٣٤. وانظر: ٢٧٠ - ٢٧١.

في صفين، والجهاد هو: «لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن ترك الجهاد في الله ألبسه الله ثوب ذلة وشمله البلاء وضرب على قلبه بالشبهات وديث بالصفار والقماء»^(١).

وكان قرار الكوفيين بترك الجهاد والرغبة عنه يعتمل في النفوس من فرط معاقرة حبها، وتتسع رقعة فيهم، إلا أنه لم يتبلور إلا تحت وطأة سيوف أهل الشام، لا خوفاً من أهل الشام في الواقع بل حباً بالدنيا مقنعاً بسيوف أهل الشام إلى حد التلقين الذي يستتبع اليقين.

لقد تعاضم حب الدنيا والإنشغال بها والركون إليها منذ مرحلة الأخواص من القصب ينقضها المجاهد إذا انتدب لمهمة ثم يبني غيرها إذا رجع، مروراً بالبيوت المخصصة ورنين الفضة والذهب، والجوائز الخطيرة، والإقطاعات بلا حساب، وشراء القيان والإماء والجواري والغلمان، وصولاً إلى بهارج الإمارة والولاية وسائر مفردات السلطة، وهو ماجعلهم يترنحون من فرط معاقرة حب الدنيا.

وليست الضربة على رأس المترنح مثلها على الثابت كالطود.

ولم تُصب الكوفة المترنحة في سكر حب الدنيا ومعاقرة ملذاتها، بمثل تلك الضربة الشامية القاتلة في صفين.

ولا يستوي المجاهد والقاعد في فتك حب الدنيا بالقلب، بل لا يستوي السابق في ميادين الجهاد مع المجاهد الإعتيادي.

وبمقدار السابقة المتميزة في الجهاد، وبلا منازع، كان فتك حب الدنيا بالكوفيين وبلا منازع.

خرج أهل الكوفة بل أهل الدنيا - في الغالب - ليحاربوا دنياهم!

(١) إبراهيم بن محمد الثقي، الغارات ٢/ ٤٧٤. من رواية لخطبة الجهاد مختلفة عما في النهج.

ولم يكن حجل الذي اكتشف أنه يبارز ابنه، كما اكتشفه ابنه، يتكلم إلا بلغة الأثرية من العراقيين والشاميين، حين قال لابنه: أي أثال، هلم إلى الدنيا! ولم يكن أثال يتكلم إلا بلغة الأقلية العراقية، حين أجاب أباه: يا أبة هلم إلى الآخرة^(١).

(١) أورد نصر بن مزاحم المنقري في بعض حوادث صفين، مانصه: وكانوا قد ثقلوا عن البراز حين عضتهم الحرب، فقال الأثر: يا أهل العراق، أما من رجل يشري نفسه [لله]؟! فخرج أثال بن حجل فنادى بين العسكريين: هل من مبارز؟ فدعا معاوية حجلًا فقال: دونك الرجل. وكانا مستبصرين في رأيهما، فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه فبدره الشيخ بطعنة قطعته الغلام، وانتمى فإذا هو ابنه، فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال له الأب: أي أثال، هلم إلى الدنيا. فقال له الغلام: يا أبة، هلم إلى الآخرة، والله: يا أبة، لو كان من رأي الإنصاف إلى أهل الشام لوجب عليك أن يكون من رأيك لي أن تنهاني. واسوأته، فماذا أقول لعلي وللمؤمنين الصالحين؟! كن على ما أنت عليه، وأنا أكون على ما أنا عليه. وانصرف حجل إلى أهل الشام، وانصرف أثال إلى أهل العراق، فخير كل واحد منهما أصحابه. وقال في ذلك حجل:

إن حجل بن عامر وأثالا
أقبل الفارس المدجج في النقع
دون أهل العراق يخطر كالفحل
فدعاني له ابن هند وما زال
فتناولته ببادرة الرمح
فاطعنا وذاك من حدث الدهر
شاجراً بالقناة صدر أبيه
لا أبالي حين اعترضت أثالا
فافترقنا على السلامة والنفس
لا يراني على الهدى وأراه
فلما انتهى شعره إلى أهل العراق قال أثال، وكان مجتهداً مستبصراً:

لم يكن في الذي نويت عقوقا
وكوني مع النبي رفيقا
الشام أراني بفعل ذاك حقيقا
ونق المبارزون نقيقا
فكنت الذي أخذت الطريقا
الموت أرى كل ما يرون دقيقا
خدباً مثل السحوق عتيقا
وما كنت قبلها مسبوقا
كلانا يطاول المعيقا
حمداً يزيدني توفيقا =

كان جيش علي عليه السلام في حدود المائة وخمسين ألفاً^(١) ولو كان أهل البصائر بينهم الربع لكانوا أقلية وكانت بعد أخذة بالتناقص، ولم يبق منها في أيام كربلاء إلا ثمالة الكأس.

وكان حضور المال في قلوب أهل العراق - ما خلا الصفوة - كحضوره في قلوب أهل الشام الذين كانوا أحياناً يشترطون المبلغ قبل خوض المعركة^(٢) وذات مرة كان المبلغ المشترط كبيراً، إلى حد أنه «لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية وشخص بصره إليه، حتى فشا ذلك في الناس، وبلغ ذلك عليا فساءه»^(٣).

ولقد مضى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتجرع غصص استنفار الكوفيين إلى الحرب - بعد صفين - فلا يواجهون دعوته إلا بالقعود والمراوغة حتى قال عليه صلوات الرحمن:

«قد ندبتكم إلى جهاد عدوكم في الصيف فقلتم: هذه حمارة القيظ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، فكل هذا فراراً من الحر والصر [فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون] فأنتم والله من حر السيوف أفر، لا والذي نفس ابن أبي طالب بيده. عن السيوف تحيدون فحتى متى؟! وإلى متى؟! يا أشباه الرجال، ولأرجال ويا طغام الأحلام أحلام

= لم أنل قتله ببادرة الطعنة
قلت للشيوخ لست أكفرك الدهر
غير أنني أخاف أن تدخل النار
وكذا قال لي، فغرب تغريباً

مني ولم أنل ثفروقا
لطيف الغذاء والتفنيقا
فلا تعصني وكن لي رفيقا
وشرقت راجعات شريقا

وقعة صفين ٤٤٣ - ٤٤٥

(١) أنظر: نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين ١٥٦.

(٢) المصدر ٤٣٣.

(٣) المصدر ٤٣٥.

الأطفال وعقول ربات الحجال، الله يعلم لقد سئمت الحياة بين أظهركم، ولوددت أن الله يقبضني إلى رحمته من بينكم، وليتني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت ندماً وأعقت سدماً، أوغرتم - يعلم الله - صدري غيظاً، وجرعتموني جرع التهام أنفاساً»^(١).

تلك هي حقيقة خوف الكوفيين من أهل الشام. إنها في جوهرها فرار من الزحف، ورغبة عن الجهاد، استتبعت شمول الذل والتمرغ بالصغار والمهانة، وأي مهانة فوق أن يهددوا بفصول جيوش الشام، أو اقتراب وصولها أو مجرد احتمال مجيئها، فلا يبقى مع مسلم بن عقيل منهم «إنسان»؟! هذا وشيخ المصر هانيء كان مايزال في الأسر، ولمسلم في أعناقهم حق الجوار، والبيعة!

كانت الكوفة ذات يوم تعيش قيم الجهاد والشهادة، ولكن الكوفة في عهد مسلم غير الكوفة بالأمس، فقد شاخت الروح في شبابها قبل الشيب، فاستبدلت بالآخرة الدنيا وبالجهاد القعود، ومن المفارقات أن ذلك قد جرى في ساحة الجهاد في صفين.

هكذا.. وبين عشية وضحاها، وبعد أن كان مسلم بن عقيل مركز الثقل السياسي والعسكري في الكوفة، ظهر الإيمان الكوفي على حقيقته وإذا بكل هذه الإدعاءات العريضة تتهاوى وينكشف زيفها، ليتضح بما لا مزيد عليه أن أهلها لم يكونوا شيعة أهل البيت عليه السلام. بل كانوا شيعة آل أبي سفيان كما أخبر الإمام الحسين عليه السلام.

وهكذا تفرّق الناس عن مسلم رضوان الله عليه، وذهب الكوفيون بعارٍ وشنارٍ لا يغسلان أبد الآبدين، حيث أسسوا بتخاذلهم الرهيب هذا لقتل سيد الشهداء.

(١) الثقي، الغارات ٢/٤٧٦ - ٤٧٧.

ولا مبالغة أبدأ إذا اعتبر كل متخاذل في الكوفة، قاعدٍ عن نصره
مسلم، في عداد قتلة الحسين عليه السلام.

الفصل الرابع

الإنقلاب الثاني على الأعقاب

* الزلزال الكوفي

كان مسلم رضوان الله عليه يحاصر قصر الإمارة، وابن زياد يعيش في أحلك ظرف سياسي واجهه، إلا أن النتيجة كانت كما عرفت، فقد تفرق الناس عن مسلم بن عقيل، وتوجهوا إلى منازلهم، وكأن شيئاً لم يكن.

ولئن كان التخاذل في مثل هذا الظرف جريمة، فبماذا ينبغي أن يوصم نقل السلاح من كتف إلى كتف، بل نقل القلب من جبهة إلى أخرى، بل إلى الارتكاس الفوري إلى حد خوض الحرب ضد من كان يحسب بأنه معهم ومنهم.

صحيح أن أكثر أهل الكوفة قد تفرقوا عشية حصار القصر، إلا أن فريقاً منهم التحق بالسلطة، ليؤسس بذلك لإمكانية خروج الكوفيين أنفسهم لحرب الإمام الحسين عليه السلام.

ومن الطبيعي أن يكون بين من حاربوا الشهيد مسلم بن عقيل في صبيحة اليوم الثاني بعض من كانوا معه البارحة!

لم يكن الإنهيار الكوفي إذاً بحجم التخاذل فقط - على خطورته وفضاعته - بل كان أبعد من ذلك أثراً وأشد مضاضة بحيث لم تكن ثمة أي حاجة لاستقدام أي قوة من خارج الكوفة لمواجهة المستجدات.

إنها إحدى اللحظات الأشد إيلاماً في مسار أحداث التاريخ التي تلح على الأحشاء بالزفرات.

سيتولى الكوفيون أنفسهم البحث عن مسلم، ومحاربتة، واعتقاله، و«يستأثرون» وحدهم باستحقاق لعنة التفرج على قتله وقتل الشهيد هانيء، وجرهما في الأسواق! ثم لا يشكل ذلك إلا البداية الكوفية على طريق حمل رأس سيد الشهداء ورؤوس الشهداء وسبي حرم رسول الله إلى الكوفة!

أي حقارة تمثلها النفس الأمانة في مظهرها الكوفي الذي ينبغي البحث عنه في كل نفس خصوصاً تلك التي تصر على حصره داخل حدود الكوفة عام ٦٠ - ٦١ للهجرة!؟

وهل يمكن لافتراس الحيوانات المفترسة أن يبلغ سفح إجرام هذه النفس الأمانة؟

إبن زياد، لا يُصدِّق!

بلغت درجة الزلزال الكوفي حداً لم يستطع حتى ابن زياد معه أن يصدق أن الناس تفرقوا عن مسلم، مما يكشف مدى الرعب الذي كان قد استبد به، ويكشف أيضاً أنه كان يحدث نفسه بالفرار.

«ولما تفرق الناس عن مسلم بن عقيل طال (الأمر) على ابن زياد، وجعل لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمع قبل ذلك، قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا، هل ترون منهم أحداً؟ فأشرفوا فلم يروا أحداً. قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال وقد كمنوا لكم»^(١).

كان الطاغية ومن معه لفترة لا يسمعون لغطاً ولكنهم لا يصدقون أن الناس قد تفرقوا، وقد خيم الظلام فليس بالإمكان التثبت بمجرد النظر، ولم يكن وارداً عندهم أن يجرؤوا على فتح باب القصر والخروج

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٣/٥٥ والطبري ٤: ٢٧٨. باختلاف سير، واللفظ للشيخ.

منه، لذا أرسل ابن زياد من يستطلع الأمر من أعالي القصر بالطرق المناسبة، وعندما جاء الجواب بأنهم لا يرون أحداً فإنه أيضاً لم يصدق، واعتبر أن في الأمر مكيده فلعلهم كمنوا تحت الظلال!

«فنزعوا تخاتج المسجد (وبعبارة الطبري: ففرعوا بحاجب المسجد) وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم وينظرون، فكانت أحياناً تضيء لهم وأحياناً لا تضيء كما يريدون، فدلّوا القناديل وأطنان القصب تشدّ بالحبال، ثم تجعل فيها النيران ثم تدلى حتى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعل ذلك بالظلة التي فيها المنبر، فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد بتفرق القوم»^(١).

ولمعرفة معنى هذه العبائر ينبغي التنبه إلى عدة خصائص ترتبط ببناء المسجد والقصر، وهي كما يلي:

١ - أن مسجد الكوفة وقصر الإمارة كانا عبارة عن بناء واحد، يقول الطبري:

«وقد بنى سعد في الذي خطوا للقصر قصرأ بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، فشيدته وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته، ثم إن بيت المال نقب عليه نقباً وأخذ من المال، وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار، فكتب إليه عمر أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار، واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل، وفيهم حصن لمالهم، فنقل المسجد وأراغ بنيانه، فقال له دهقان من أهل همذان يقال له روزبه بن بزرجمهر: أنا أبنيه لك وأبني لك قصرأ فأصلهما ويكون بنياناً واحداً، فخط قصر الكوفة على ما خُط عليه، ثم أنشأه من نقض آجر قصر كان

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٥٦/٢. والطبري ٤/٢٧٨.

للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم (ولم يسمح به) ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر يمنا على القبلة، ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب عليه السلام والرحبة قبلته ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات فلم يزل على ذلك حتى بني أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم على يدي زياد^(١).

* القصر والمسجد: بعض الخصائص

والخلاصة - في ضوء بعض الدراسات الأثرية - أن المسجد والقصر كانا بعد هذا التغيير الطاريء عبارة عن بناء واحد، وكان القصر يمتد من جهة الشرق إلى ما بعد المسجد، فيكون ضلع السور الجنوبي للقصر ملاصقاً في أكثره للمسجد ثم يمتد إلى ما بعده، وقد وضع بيت المال قبلة المسجد، فيكون في منطقة سوري المسجد والقصر المتلاصقين. (أنظر الملحق الخاص بالخرائط).

٢ - لم يكن السور مجرد جدار بل كانت فيه مبانٍ تمكن من الإقامة فيه، وهو مقتضى كون جدر السور خطوط الدفاع من الجهات الأربع.

٣ - ومن الطبيعي أن يراعى في هذا البناء إقامة ممرات سرية بين المسجد والقصر، وأن يكون التحكم بها من داخل القصر، ويأتي مزيد إيضاح حول ذلك، في الحديث عن خروج ابن زياد إلى المسجد بعد تفرق الناس.

٤ - كان ارتفاع المسجد آنذاك ثلاثين ذراعاً أي حوالي عشرين متراً كما تقدم ما يؤيده في الحديث عن القصر، ويدل عليه بوضوح كلام

(١) الطبري ١٤٩/٣ - ١٥٠.

المعمار الذي تولى بناءه مع زياد بن أبيه الذي أوكل إليه هذه المهمة، حين «دعا بينائين من بنائي الجاهلية فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء وقال أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته فقال له بنّاء قد كان «بنى» لكسرى لا يجيء هذا إلا بأساطين من جبال أهواز تنقر ثم تثقب ثم تحشى بالرصاص وبسفانيد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء ثم تسقفه وتجعل له مجنبات ومواخير فيكون أثبت له فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبرها»^(١).

والمجنبات هي جدران المسجد الذي كان من قبل بدون جدر كما يصرح بذلك ما رواه الطبري عن عطاء مولى إسحاق بن طلحة وهو قوله: «كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر»^(٢). كما روى عن الشعبي قوله: «كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر»^(٣).

والمواخير - هنا وعلى الأرجح^(٤) - المسقفات المستطيلة التي كانت تمتد بإزاء جدران المسجد، ما عدا جهة القبلة التي كانت تقع في وسطها الظلة، كما يأتي.

والمراد بالظلة مكان مسقف يتظلل به، وكانت الظلة تقع في مقدمة المسجد، بقرينة تحديدها بأنها «التي فيها المنبر» ويدل عليه أيضاً حديث

(١) الطبري ١٥٠/٣.

(٢) الطبري ١٥١/٣.

(٣) المصدر.

(٤) المواخير في اللغة الحانة وما أشبهها من أماكن المنكرات، وبمعنى المؤخرات، وحيث أن المسقفات - في ما يبدو من الخرائط والنصوص - لم تكن مقتصرة على القسم الخلفي من المسجد، فالراجح أن المراد بها المسقفات التي تشبه المواخير، وقد تحرج بعض الباحثين من استعمال اللفظ لاشتهاره في المعنى اللغوي الأول، إلا أن المعمار الذي اقترح إقامة المجنبات والمواخير واستعمل هذين اللفظين لم يكن مسلماً، ويبدو أن من استعمل اللفظة استعملها تبعاً له.

الطبري عن «الظلة» التي أقيمت في زمن سعد حيث يقول: «وبنى ظلة في مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير...» وكان ظلته مائتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة، سماؤها كأسمية الكنائس الرومية»^(١).

(أنظر الملحق الخاص بالخرائط)

ولئن أمكن النقاش في التفاصيل لعدم الجزم بها، فإن القدر المتيقن أن المسجد كان يضم مناطق مسقوفة وكانت الظلة إحداها، وهو ما يحتاجه استيضاح النص المتقدم حول عملية البحث في الظلال التي قام بها من كان حول الطاغية عندما هدأت ضجة الذين كانوا متجمهرين في المسجد والساحات.

* عمليات البحث المضنية

وقد بدأت عملية تثبتهم هذه بإنزال شعل النار وخفضها لينظروا في ضوئها هل يرون أحداً، ثم لجأوا إلى القناديل يربطونها بالحبال ويدلونها إلى حيث تكشف أرض المسجد، ثم لجأوا إلى ربط حزم القصب بالحبال، وإشعال النار في كل حزمة ثم تدليتها إلى أرض المسجد.

فالأطنان جمع طن وهو الحزمة من القصب واحده طنة^(٢).

وفي «تجارب الأمم» أنهم: «دلّوا أنصاف الطنان تشد بالحبال...»^(٣).

وحيث كانت هناك أماكن مسقوفة، فمن الطبيعي أن يضطربهم هذا البحث إلى نزع بعض السقف لتدلية الشعلة، أو القنديل، أو حزمة القصب.

(١) الطبري ١٤٩/٣.

(٢) الصحاح للجوهري، وغيره.

(٣) أبو علي مسكويه الرازي، تجارب الأمم ٥٠/٢.

وبنزع بعض السقف في أماكن متعددة، فسرت عبارة الشيخ المفيد «ونزعوا تختج المسجد» بلحاظ أن التختج جمع تختج ولعله - كما قال العلامة المجلسي - معرب «تخته»^(١).

وحيث أن عملية البحث هذه استدعت التثبيت من خلو مختلف مساحات المسجد - المسقفة بشكل خاص وغيرها أيضا - ممن يظن أنهم كمنوا في الظلال - أو الظلام - فلعبارة الطبري وجه حيث قال: ففرعوا بحاجب المسجد. لأن فرع الشيء، اعتلاؤه، وما يشبه الذرع والمسح، والحاجب جمع بحبوحة وهي الساحة^(٢).

ويؤكد أنهم لجأوا إلى نزع بعض سقف المسجد ما رواه الطبري عن أبي عوانة عن أخبره بقوله: «قيل لابن زياد والله ما نرى كثير أحد ولا نسمع أصوات كثير أحد فأمر بسقف المسجد فقلع ثم أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون فإذا قريب خمسين رجلاً»^(٣).

ويضيف «الدينوري» خصوصية أنهم كانوا يشعلون النار في الحُزم ويرمون بها في باحة المسجد لتضيء ما حولها، فيقول:

«ثم إن ابن زياد لما فقد الأصوات ظن أن القوم دخلوا المسجد، فقال: أنظروا، هل ترون في المسجد أحداً؟ - وكان المسجد مع القصر -

(١) قال العلامة المجلسي في البحار: التختج: لعله معرب «تخته» أي نزعوا الأخشاب من سقف المسجد لينظروا هل فيه أحد منهم . وان لم يرد بهذا المعنى في اللغة . « . هامش الإرشاد، تعليقا على النص المتقدم . وانظر: البحار ٤٤ / ٣٦٢ . وقد أورد الطبري مفردة التختج على لسان هارون الملقب بالرشيد في قصة البرامكة عندما كان في «الزو» وهي سفينة ضخمة، وأمر برفع التختج عنها . انظر: الطبري ٦ / ٤٩٣ . وانظر: الطبري ٧ / ٢٢٥ . والزبيدي، تاج العروس ١٠ / ١٦٦ .

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس ١٠ / ٤٦٢ . وغيرهما .

(٣) الطبري ٤ / ٢٩٤ . والحرادي هي أطنان القصب وقد تقدم تفسيره . قال الجوهرى في الصحاح: «وتحريد الشيء: تعويجه كهيئة الطاق، ومنه قيل: بيتٌ محرذٌ، أي مسنم» . . « والحردي من القصب، نبطي معرب، ولا يقال: الهردي . وغرفة محرذة: أي فيها حرادي القصب» .

فنظروا فلم يروا أحداً، وجعلوا يشعلون (أطنان) القصب، ثم يقذفون بها في رحبة المسجد ليضئ لهم، فتبينوا، فلم يروا أحداً. فقال ابن زياد: إن القوم قد خذلوا، وأسلموا مسلماً. وانصرفوا»^(١).

ويتفرد أبو عوانة بما رواه عنه الطبري من أن عمليات البحث كشفت وجود حوالي خمسين رجلاً، فنزل ابن زياد ومن معه، ودارت بين الطرفين مواجهة، قال أبو عوانة:

«بلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك فأمر بباب القصر فأغلق، وأمر منادياً فنادى يا خيل الله اركبي، فلا أحد يحببه فظن أنه في ملأ من الناس، قال حصين فحدثني هلال بن يساف، قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرون في طريق يميناً ولا شمالاً إلا أن ذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك. قال: فلما بلغ السوق وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً، قال: فنزل، فصعد المنبر، وقال للناس: تميزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كل قوم إلى رأس ربعمهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه وانهزموا فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة»^(٢).

ومن الواضح بمكان أهمية التدقيق في نصوص هذه اللحظة الحاسمة، لأنه يكشف بما لا مزيد عليه، ولا بديل له، مدى الرعب الذي كان قد استبد بابن زياد ومن حوله، وهو ما يعني بجلاء أن

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٩.

(٢) الطبري ٢٩٤/٤.

الانتفاضة التي سرعان ما تلاشت كانت تملك من عناصر القوة ما يفرض احترامه حتى على العدو.

تدل عمليات البحث المضنية هذه في الظلال، وفي ظلة المنبر، على أن الطاغية لم يصدق بتفرق الناس، كما تدل أيضاً على أن نهضة الشهيد مسلم كانت قد تجاوزت مرحلة الإنطلاقة المحفوفة بالمغامرة، لتدخل عتبة الإستقرار، والسيطرة الفعلية على الوضع في الكوفة ثم كانت الفعلة التي ذهبت مثلاً، حين تخاذل الكوفيون وتفرقوا، ولم يجد مسلم من يده على الطريق.

ولك أن تستنتج كيف كان الوضع في الكوفة خلال هذه الفترة، فقد خلت الساحات حتى لم يبق فيها «إنسان» يدل الشهيد الغريب مسلم بن عقيل على الطريق، وابن زياد ومن معه خائفون من أن يكونوا قد كمنوا تحت الظلال!

من هو الخائف؟ ومن هو المخيف؟ أهل الكوفة خائفون من الطاغية، والطاغية خائف منهم!

والحق الذي يمثله الشهيد مسلم يواجه الغربية، وطوبى للغرباء.

إنها من لحظات التاريخ المفصلية، بل اللحظات التاريخ، وهل هو - كما مر وفي الغالب - إلا لحظات من هذا النوع محيرة ومذهلة، وهل الأمر فيها والأدهى إلا اقتناص الطواغيت لها، ونكوص «الناس» وأهل الحق عن امتطاء صهوتها والتحكم بالزمام.

ومما يضحك الشكلي أن خوف الطاغية - أي طاغية - يستعبد الناس بخوفهم منه، فإذا هم مطيعون له وسامعون! وفي «فقه القعود» ألف دليل، بدءاً من المصلحة الشخصية، مروراً بالسلامة العامة، ووصولاً إلى الحكمة، وعدم التهور، والعقلانية المدعاة.

* وامتلاً المسجد مجدداً

بمثل هذا «المنطق» المتهافت ترَّبَع الطاغية ابن زياد ومولاه يزيد على كرسي التلاعب بالمصائر، وسترى أن المسجد سرعان ما امتلاً بـ«أهل السمع والطاعة» البريئين من «أهل الشقاق والنفاق».

«فلما لم يروا شيئاً، أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدة التي في المسجد، ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء، أو المناكب، أو المقاتلة، صلى العتمة إلا في المسجد، فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلاً المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة فقال الحصين بن تميم: إن شئت صليت بالناس أو يصلي بهم غيرك، ودخلت أنت فصليت في القصر فإني لا آمن أن يفتالك بعض أعدائك. فقال: مُز حرسى فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون، ودُرّ فيهم فإني لست بداخل إذاً. فصلى بالناس ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن ابن عقيل السفية الجاهل، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديتة، إتقوا الله عباد الله، والزمو طاعتكم، وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. يا حصين بن تميم، ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبر الدور، وجس خلالها، حتى تأتيني بهذا الرجل، وكان الحصين على شرطه، وهو من بني تميم ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمرو بن حريث راية، وأمره على الناس»^(١).

(١) الطبري ٤ / ٢٧٨ - ٢٧٩. والشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٥٦ - ٥٧. باختلاف، حيث لم يورد الشيخ كلام الحصين، فاللفظ للطبري.

ويلاحظ في النص ما يلي :

١ - أن الطاغية مايزال شديد الحذر، ويعني ذلك أنه مايزال خائفاً، فهو لم يدخل المسجد إلا من باب السدة الذي هو أحد الممرات الخاصة بين المسجد والقصر، وهو يؤدي إلى مساحة مرتفعة في المسجد كان المؤذن يقف عليها، ويبدو أن السدة كانت في منتصف الحائط القبلي للمسجد وربما كانت تحت «الظلة» وفي منتصفها^(١). (أنظر الملحق الخاص بالخرائط).

ثم إن قائد الشرطة ينصحه بعدم البقاء في المسجد، ولم يقرر البقاء إلا تحت حراسة مشددة يشرف عليها قائد الشرطة مباشرة: «ودر أنت فيهم».

٢ - أنه لجأ إلى محاولة ملأ المسجد بالموظفين الذين يتسلمون رواتبهم من السلطة، فقد أمر المنادي أن يأمر بالحضور كل عريف وهو ما يشبه المختار في عصرنا كما تقدم، أو منكب وهو المسؤول على عشرة عرفاء أي ما يشبه القائم مقام في بعض النظم الإدارية، أو المقاتلة وهم الجنود الذين كانوا إحتياطي الطواريء وكان في الكوفة منهم عشرة آلاف^(٢).

٣ - إصدار الأمر بتشديد الأحكام العرفية التي كانت قائمة أصلاً، وتكثيف الحواجز فوراً، والبدا بتفتيش الدور منذ الصباح.

* ماذا جرى لمسلم؟

في الوقت الذي كان ابن زياد ومن معه لا يصدقون أن الناس قد تفرقوا، ولا يجرؤون على مغادرة القصر لاستطلاع خبر الشوارع

(١) أنظر: محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء ٢٤٣. وابن أبي الحديد، شرح النهج ٨٨/٢. والطريحي، مجمع البحرين ٣٥٣/٢.

(٢) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٤١.

والساحات والمسجد ميدانياً، كان الشهيد مسلم غريباً في الكوفة لا يجد من يدلّه على الطريق.

قال الدينوري:

«فصلى مسلم العشاء في المسجد، وما معه إلا زهاء ثلاثين رجلاً. فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلما مضى قليلاً التفت فلم ير منهم أحداً، ولم يُصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على كندة، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها - وكان ممن خف مع مسلم - فأوته وأدخلته بيتها، وجاء ابنها، فقال: من هذا في الدار؟ فأعلمته، وأمرته بالكتمان»^(١).

وقال البلاذري:

«فتفرق أصحاب ابن عقيل عنه، حتى أمسى وما معه إلا نحو من ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، وتفرق عنه الباقون حتى بقي وحده يتلدد في أزقة الكوفة ليس معه أحد!!! ودفع إلى باب امرأة يقال لها طوعة، فاستسقى ماء فسقته ثم قال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب كذبتني هؤلاء القوم وغروني فأويني. فأدخلته منزلها وآوته، وجاء ابنها فجعل ينكر كثرة دخولها إلى مسلم وخروجها من عنده، فسألها عن قصتها فأعلمته إجازتها مسلماً»^(٢).

وقال ابن كثير:

«فتخاذل الناس وقصروا، وتصرموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل،

(١) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٩. بتصرف يسير اقتضاه التصحيف.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٨١.

حتى لم يبق إلا في خمسمائة نفس، ثم تقالوا حتى بقي في ثلاثمائة، ثم تقالوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده، ليس معه من يدله على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه (كذا) ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه، فخرجت منه امرأة يقال لها طوعة^(١).

وقال المسعودي:

«فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر إلى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً يدله على الطريق، فنزل عن فرسه ومشى متلداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه، حتى انتهى إلى باب امرأة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سأله عن حاله فأعلمها بقضيته فرقت له وآوته»^(٢).

وقال سبط بن الجوزي:

«فتفرق من كان مع مسلم، وتسلبوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه، فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءً، فسقته وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: أدخل، فدخل. وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث...»^(٣).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٦/٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٥٨/٣.

(٣) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ٢٤٢.

وقال الشيخ المفيد والطبري :

«فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد، حتى ضلّيت المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً، فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفس، خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان. والتفت فإذا هو لا يحس أحداً يده على الطريق، ولا يده على منزل، ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدو، فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة، لا يدري أين يذهب، حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طوعة - أم ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً، وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره - فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه، فقال لها يا أمة الله اسقيني ماءً، فدخلت فسقته، فجلس، وأدخلت الإناء ثم خرجت، فقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت، ثم قالت له في الثالثة: سبحان الله، يا عبد الله، قم إلى أهلك، عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحله لك، فقام وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلّي مكافئك به بعد اليوم فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني. قالت أنت مسلم؟! قال نعم. قالت أدخل، فأدخلته بيتاً في دارها، غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش، ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فقال والله إنه ليربيني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه. إن لك لشأناً. قالت: يا بني أله عن هذا. قال لها:

والله لتخبرني. قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فآلح عليها، فقالت: يا بني لا تحدثن أحداً من الناس بما أخبرك به، وأخذت عليه الأيمان، فحلف لها فأخبرته، فاضطجع وسكت، وزعموا أنه قد كان شريداً من الناس وقال بعضهم كان يشرب مع أصحاب له»^(١).

وبملاحظة مختلف النصوص واعتماد نصي الشيخ المفيد والطبري سنداً رئيساً لا يمكن تجاوزه إلا في ما يقوم على خلافه دليل، يتضح الآتي:

أولاً: كان خروج الشهيد مسلم من باب كندة. والمراد به الباب الذي كان يقع في يمنة قبلة المسجد^(٢).

ثانياً: أن وقت خروجه كان بعد أن صلى المغرب، وليس العشاء أو العتمة كما ورد في بعض المصادر.

ثالثاً: يسلط ما أورده ابن كثير الضوء على تفاصيل في التفرقة التدريجي عن الشهيد، وبديهي أن مسؤولية آخر المتخاذلين أشد إيلاماً في قلوب المؤمنين إلى يوم القيامة.

رابعاً: لا تنسجم مع شخصية الشهيد مسلم بعض التفاصيل الواردة في نص أبي مخنف بروايتي الشيخ المفيد والطبري، حول طلب الشهيد من طوعة أن تؤويه، وليس في ما ذكره المسعودي ما يدل على ذلك، ويحمل على الشك في هذه التفاصيل أسلوبها «الحكواتي» خاصة مع وجود نص يخلو من ذلك نهائياً، وهو ما أورده سبط بن الجوزي، وقد تقدم.

(١) الطبري ٤/٢٧٧ - ٢٧٨. والشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٥٤ - ٥٥. واللفظ للطبري مصححاً في مواضع يغلب عليها التصحيف على عبارة الشيخ. وانظر: الطبرسي: إعلام الوري بأعلام الهدى ١/٤٤١. ومحمد بن حبيب البغدادي، المحبر ٢٤٤.

(٢) البراق، تاريخ الكوفة ٥٣. قال: «... باب كندة وهي من طرف يمين المسجد من جهة الغرب، وأقرب ما يكون من الزاوية الغربية بإيوانين».

* من هو الأشعث، دولي طوعة؟

كان الأشعث بن قيس - الذي كانت طوعة مولاته - شيخ العشيرة الكبيرة في الكوفة «كندة» التي منها شريح القاضي.

ومنها أمثال الشهيد حجر بن عدي رضوان الله تعالى عليه.

أسر بعد النبي ﷺ في ردة أهل ياسر، وهناك قول بأنه ارتد فعلاً، وقول آخر بأنه لم يرتد بدليل أن أبا بكر زوجته عندما أطلق سراحه أخته أم فروة، وأنجبت له ابنه محمد بن الأشعث، الذي كان دوره أساسياً في إحباط ثورة مسلم وشهادته. والأرجح هو الرأي الأول^(١).

والأشعث بن قيس شريك في بيعة الضب المعروفة، والتي بايع فيها الأشعث، وعمرو بن حريث، وشبث بن ربعي وآخرون، ضباً اصطادوه أثناء رحلة ترفيهية في الصحراء، ثم أخذوا يبائعونه ويتندرون ويقولون: هذا أمير المؤمنين. والقصة معروفة^(٢). وقد كان للأشعث دور رئيس في شهادة أمير المؤمنين ﷺ، فقد روي أن الشهيد حجر بن عدي رضوان الله تعالى عليه دخل المسجد، فسمع الأشعث بن قيس يقول لعبد الرحمن بن ملجم: النجاء النجاء بحاجتك، فقد فضحك الصبح، فقال له حجر: قتلته يا أعور. ثم خرج من باب إخبار الإمام فدخل الإمام ﷺ من باب آخر^(٣).

وهناك كثير من النصوص حول سوء دور الأشعث بن قيس تكشف بوضوح أنه كان أحد أعمدة الإنحراف، جنباً إلى جنب مع أبي سفيان

(١) المامقاني، تنقيح المقال ١/١٤٩.

(٢) أنظر: الشيخ الصدوق، الخصال ٦٤٥. وابن شهر آشوب، المناقب ٢/٩٨. والمجلسي، البحار ٤١/٤١.

٢٧٨. وقطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح ٢/٧٤٧.

(٣) المجلسي، البحار ٤٤/١٤٢.

ومعاوية، وأصحابهما بل لم يكن معاوية ليحقق شيئاً من أهدافه لولا «عرف النار» الأشعث هذا كما سماه أمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

وقد ورد ما يدل على أن رسول الله ﷺ لعن الأشعث وذريته «فقد استأذن رجلان من ولد الأشعث على الإمام الصادق عليه السلام فلم يأذن لهما فقال الراوي للإمام: إن لهما ميلاً ومودة لكم، فقال عليه السلام: إن رسول الله ﷺ لعن أقواماً فجرى اللعن فيهم وفي أعقابهم إلى يوم القيامة» ^(٢).

ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فلا يمكن أن يصدر ذلك من رسول الله ﷺ إلا لعلمه بأن أعقابهم مثلهم بسوء اختيارٍ منهم لا بالإكراه، فيكون دعاؤه عليهم على غرار دعاء نبي الله نوح عليه السلام على قومه:

﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ (نوح: ٢٧).

وابنة الأشعث «جعدة» هي التي دسّت السم للإمام الحسن عليه السلام.

وابنه محمد كما تقدم، كان له الدور الأبرز في تشييط الناس عن مسلم، وفي اعتقال هانيء بن عروة، واعتقال مسلم نفسه، ثم خرج في من خرج من قادة الجيش لحرب الإمام الحسين عليه السلام، وكان أخوه قيس بن الأشعث مثله، ويكفي أن الإمام الحسين عليه السلام قال له: «أنت أخو أخيك» ^(٣). وتأتي إشارة إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وغدره.

(١) الشيخ المفيد، الأمالي/١٤٧ وانظر: محمد بن حبيب البغدادي، المحبر ٢٤٤. في غدر الأشعث وبنه.

(٢) المامقاني، تنقيح المقال ١/ ١٤٩.

(٣) الطبري ٤/ ٣٢٣.

* طوعة: الموقف المدرسة

تعاظم موقف هذه المرأة الطاهرة طوعة حتى أصبح مدرسة ينبغي أن تتعلم منها الأجيال حسن اختيار الموقف مهما كان مكلفاً، حتى إذا كان انعدام الوزن هو السمة الطاغية، فقد أقدمت حين أحجم الجميع، وفي ظرف هو بالتأكيد من أحلك الظروف.

ونزداد إكباراً لطوعة رضوان الله عليها عندما نلاحظ أنها كانت مولاة لهذا الأشعث بن قيس الذي كان شديد العدا لأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، فقد عاشت في أجوائه، ولكنها لم تتأثر بها، واستطاعت أن تكون صاحبة هذا الموقف الكربلائي التاريخي في الزمن الصعب، الذي حرم «الأبدال» في الكوفة من التوفيق لفيضه العميم.

إن «مولاة» تقف موقفاً فريداً من هذا النوع وتحتفظ بسلامة عقيدتها رغم معاشتها لرجل كالأشعث هي امرأة عظيمة بإيمانها فعلاً.

ومن الجدير بالذكر أن البحث الموضوعي في دوافع «الموالي» من أمثال طوعة ينبغي أن لا يجردها من المنطلق الديني، لأن ذلك يجعل البحث مرتكزاً إلى افتراض مسلمة أن الدوافع عادةً مصلحة، وهو إسقاط وتعميم وكلاهما ينافيان موضوعية البحث واستقراء الواقع وشمول التحليل.

ويلاحظ في موقف طوعة، حضور العامل الديني بوضوح خصوصاً إذا أخذنا برواية الشيخ المفيد والطبري لنص أبي مخنف، أو أخذنا برواية الخوارزمي حول أن الشهيد وهو يغادر بيتها حدثها عن نصيبها من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الواضح أن ذلك ليس حديثاً لمولاة قامت بدور عادي بدافع من عداة مصلحة للنظام، أو نحو ذلك، وإنما يدل على أن عملها كان من منطلق عقائدي.

ومن دروس هذه المدرسة «طوعة» بالإضافة إلى الموقف الصعب في الزمن الصعب:

١ - أن كل فرد مسؤول، فالمسؤولية من لوازم الإنسانية، والتنصل منها والتخاذل عن القيام بمقتضاها إستقالة من الإنسانية، وذلك هو جوهر شمول التكليف الشرعي لجميع الناس.

٢ - أن الموقف الفردي يجب أن يستند إلى الحق والقيم، أو فقل المصلحة العامة، وهو ما يعبر عنه بالتكليف، ولا يصح أن يستند إلى المصلحة الشخصية وتقدير الربح والخسارة الشخصيين.

٣ - لا يجوز في منطق العقل وهو منطق الشرع أن يرتهن الموقف للموجة العامة، فإن ذلك يحيل صاحبه إلى «إمعة» يقول: أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس^(١).

طوعة ليست من هذا النوع، إنها تفكر وتقرر أين يجب أن تكون، فالمسلم الحق صاحب رأي وموقف، يعتقد بشيء ويستعد للصمود في خطه، والثبات عليه، والدفاع عما يعتقد به.

٤ - والمرأة والرجل في ذلك على حد سواء، فلا يجوز إطلاقاً أن تعفي المرأة نفسها من الشأن العام، بدعوى أن ظلم الرجل عادة يفقدها القدرة على النهوض بأعباء جسام ينكص عنها الرجال.

ومن المؤسف أن التاريخ يضمن بتفصيل ما جرى لهذه المرأة

(١) إشارة إلى ما ورد عن رسول الله ﷺ، وعن وصيه الإمام الكاظم عليه السلام. أنظر: ابن سلام، غريب الحديث ٤٩/٤. وفيه: عنه ﷺ: «لا يكون أحدكم إمعة. قيل: وما الإمعة؟ قال: الذي يقول: أنا مع الناس». والشيخ المفيد، الأمالي ٢١٠ والجوهري، الصحاح. والطريحي، مجمع البحرين: وفيه: «الإمعة بكسر الهمزة والتشديد في الميم: الذي لا رأي له، فهو يتابع كل أحد على رأيه، والهاء للمبالغة، ويقال فيه إمع أيضاً، وهمزته أصلية. ومنه الخبر: «كن عالماً أو متعلماً ولا تكن إمعة». ورجل إمع وإمعة: ضعيف الرأي».

المجاهدة، وهل هدم دارها؟ وماذا كان من أمرها مع ابنها، وغير ذلك من قبيل الجائزة التي يبدو أنه منى نفسه بقبضها! فذلك هو الأنسب بشريد من الناس إلى غير ما ورد من إشارات تكشف لا عن شخصيته فحسب، بل عن شخصية كل معقل وبلال من العملاء والمخبرين، بل وعن شخصية مثل محمد بن الأشعث الذي قد يكون نafs هذا الشريد على الجائزة، فقد نقل الخوارزمي أن ابن زياد وعد ابن الأشعث بما بذل من الجائزة الكبرى والحظ الأوفى^(١).

* وشاية آل الأشعث

طبيعي أن يكون الطاغية قد استنفر كل ما يمكنه توظيفه من أجل إحكام الحصار على الكوفة وهو ما يعبر عنه بوضوح ما تقدم من قوله: «يا حصين بن تميم، ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك».

كما يدل عليه اعتماد الطاغية الترهيب والترغيب في آن بقوله: «فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته».

وهي نفس العبارات التي جال المنادون أرجاء الكوفة ينادون بها^(٢).

ويبدو أن أسلوب الترغيب هو الذي مكنه من معرفة مكان مسلم من حيث لا يتوقع.

فلقد أمضى بلال بن أسيد ليله - في ما يبدو - يحلم بالجائزة!

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٠. «ولك ما بذلت من الجائزة الكبرى والحظ الأوفى».

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٤.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾
(التغابن: ١٤). وهو مبدأ مضيّع في التربية وعلم الجهاد والثورة.

«فلما أصبح - ابن زياد - جلس مجلسه وأذن للناس، فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يُستغش، ولا يُتَّهم، ثم أقعده إلى جنبه. وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذي آوت أمه ابن عقيل، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه، قال: فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد، فسارّه، فقال له ابن زياد: ما قال لك قال؟ أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا، فنخس بالقضيب في جنبه، ثم قال: قم فأتني به الساعة».

وانظر مجدداً في طريقة تعامل الطاغوت مع الدمى! إنها لغة «فنخسه بالقضيب في جنبه».

وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، واحد ممن يضرب بهم المثل في الغدر والدناءة^(١).

* ابن الأشعث يقود المهاجمين

من هو قائد الذين توجهوا لاعتقال الشهيد مسلم؟

وكم هو عددهم؟

تختلف المصادر في الموردين وحيث إن الشهيد مسلم بن عقيل كان في محلة الكنديين، فإن وجود محمد بن الأشعث في مثل هذا الظرف ضروري، وبما أنه عند ابن زياد «من لا يستغش ولا يتهم» فطبيعي أن تكون القيادة له حتى إذا كان غيره يتولى التعامل الميداني مع

(١) محمد بن حبيب البغدادي، المحبر ٢٤٤.

الموقف، ولا يغني عنه وجود ابنه عبد الرحمن الذي كان حاضراً^(١) وأما عمرو بن حريث^(٢) فقد كان أمير الكوفة من قبل ابن زياد الذي عقد له لواء الإمرة بعد تفرق الناس كما تقدم، وطبيعي أن يتردد اسمه بلحاظ أنه سيختار من يتم إرسالهم، وتدعو الحاجة إلى أن يكون على صلة وثيقة بما يجري، وقد استدعي ذلك حضوره، نظراً لأهمية الموقف.

وبناءً عليه فإن القائد لهؤلاء المهاجمين كان محمد بن الأشعث، وكان غيره يرجع إليه وقد صرح السلمي - الذي هو القائد الميداني في المواجهة كما سيأتي - عند كلام ابن الأشعث عن إعطاء الأمان لمسلم بأنه لا ناقة له في ذلك ولا جمل^(٣).

قال الشيخ المفيد: «وبعث معه (أي مع محمد بن الأشعث) قومه، لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يصاب فيهم (مثل) ابن عقيل، فبعث معه عبيدالله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس، حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل رحمه الله»^(٤).

أما عدد الذين أرسلهم ابن زياد مع محمد بن الأشعث فقد قيل إنهم كانوا سبعين رجلاً كما تقدم - أو ما يقرب من ذلك - بحسب بعض الروايات^(٥) وقيل إنهم مائة^(٦) وقيل ثلاثمائة من «الصناديد» بحسب

(١) ورد اسمه في رواية الطبري عن الإمام الباقر عليه السلام، وليس فيها أنه قائد المهاجمين. أنظر: الطبري ٢٦٠/٤ ولعل اسم محمد بن الأشعث سقط تصحيفاً، فقد ورد اسمه في ما نقله ابن كثير بعد اسم ابنه. أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٧/٨.

(٢) ورد اسمه في رواية الطبري عن عمار الدهني عن الإمام الباقر عليه السلام، وذكره ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٤.

(٣) أنظر: الشيخ المفيد، الإرشاد ٥٩/٢ ذكره الطبرسي، إعلام الوري ٤٤٣/١.

(٤) الشيخ المفيد، الإرشاد ٥٧/٣.

(٥) الطبري ٢٧٩/٤ (ستون أو سبعون). والمسعودي، مروج الذهب ٥٨/٣ (سبعون). وابن كثير، البداية والنهاية ١٦٧/٨. «سبعون أو ثمانون».

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤٠.

رواية أخرى^(١) ويمكن الجمع بين هذه الأعداد بملاحظة أن محمد بن الأشعث مضى لاعتقال مسلم مع عدد من الجنود ثم طلب المدد من ابن زياد، ولما استكثر ابن زياد ما يطلبه ابن الأشعث أرسل إليه الأخير يقول: أتظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقال الكوفة، أو جرمقاني من جرامة الحيرة؟^(٢) إنما بعثتني إلى «أسد ضرغام»^(٣).

وقد واجه الشهيد مسلم هذه الجموع بجرأة ورباطة جأش منقطعي النظر، وفي كلامه رضوان الله تعالى عليه ما يدل على احتشاد أعداد غفيرة لمحاصرته وحربه.

* المواجهة

قال البلاذري:

«فوجه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمد بن الأشعث، فلما أحس مسلم برسول ابن زياد، خرج بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمر ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأسرع في شفته السفلى، فنصفت ثنيتاه، وضرب [مسلم] بكيراً ضربة على رأسه وأخرى على حبل عاتقه. [وأخذ مسلم] فأتي به ابن زياد، وقد أمنه [محمد] ابن الأشعث فلم ينفذ أمانه»^(٤).

وقال ابن نما:

«فسمع مسلم وقع حوافر الخيل «و» علم انه قد أتى فلبس لامته،

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٠.

(٢) المصدر ٣٠١. بتصرف يسير.

(٣) المصدر. وابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ٨١.

وركب فرسه، وضربهم بسيفه، حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا فشدوا عليه، فقتل منهم جماعة، ثم أشرفوا عليه فوق البيت، ورموه بالحجارة..»^(١).

وقال ابن كثير:

«وبعث ابن زياد عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات، وأصابت شفته العليا والسفلى، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في «أطنان» القصب فضاقت بهم ذراعاً، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده»^(٢).

ولا يمكن الركون إلى ما أورده ابن كثير من أن الذي أعطى الأمان للشهيد مسلم هو عبد الرحمن هذا، فقد صرح سيد الشهداء في كربلاء بأن المسؤول عن دم الشهيد مسلم هو محمد بن الأشعث نفسه، وهو يجتمع مع كونه هو الذي أعطاه الأمان، كما ينسجم مع كونه قائد المواجهة التي أدت إلى قتله.

وبالتالي فليس عبد الرحمن هو الذي أعطى الأمان كما يقال.

وقال أبو الفرج الأصفهاني:

«فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، فاقتحموا عليه الدار، فشد عليهم كذلك، فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق السطوح، وظهروا فوقه، فأخذوا يرمونه

(١) ابن نما، مشير الأحزان ٢٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ١٦٧/٨.

بالحجارة، ويلهبون النيران في أطنان القصب، ثم يقذفونها عليه من فوق السطوح، فلما رأى ذلك قال: أكل ما أرى من الأجلاب^(١) لقتل ابن عقيل؟ يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص فخرج - رضوان الله عليه - مصلاً سيفه إلى السكة، فقاتلهم، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يافتى لك الأمان لا تقتل نفسك. فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أخاف أن أكذب أو أغرأ أو يخلط البارد سخناً مرا
رد شعاع الشمس فاستقراً كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً

قال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغر، إن القوم ليسوا بقاتليك ولا ضاربيك (كذا) وقد أثنى بالجراح وعجز عن القتال، فأنبهر وأسند ظهره إلى دار بجانب تلك الدار، فدنا منه محمد بن الأشعث فقال له: لك الأمان فقال له مسلم: آمنٌ أنا؟ قال: نعم أنت آمن. فقال القوم جميعاً: نعم، غير عبيد الله بن العباس السلمي لأنه قال: «لا ناقة لي في هذا ولا جمل» وتنحى فقال ابن عقيل: «إني والله لولا أمانكم ما وضعت يدي في أيديكم»^(٢).

وقال المسعودي:

«فمضى ابن الأشعث إلى ابن زياد فأعلمه، فقال: انطلق فأتني به. ووجه معه عبد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً، فاقتحموا على

(١) استعمل لفظ الأجلاب - من جلب - بفتح الألف، بمعنى الباعة الذين يجلبون المتاع لبيعه، ومنه نهي النبي ﷺ عن تلقي الأجلاب قبل أن يأتوا سوقهم. أنظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ٤/٨٢ - ٨٣. والزيدي، تاج العروس ١/١٨٤. كما استعمل نفس اللفظ بالفتح بمعنى الخليط الذي يجلب. والإجلاب بكسر الألف - من الجلبة وهي الضجيج - بمعنى: بذل الجهد وحشد ما أمكن، ومنه قوله تعالى: واجلب عليهم بخيلك ورجلك. والمعنيان الأخيران يمكن إرادتهما هنا.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين ٦٩.

مسلم الدار، فثار عليهم بسيفه، وشد عليهم فأخرجهم من الدار، ثم حملوا عليه الثانية، فشد عليهم وأخرجهم أيضاً، فلما رأوا ذلك علّوا ظهر البيوت فرموه بالحجارة، وجعلوا يلهبون النار بأطراف القصب، ثم يلقونها عليه من فوق البيوت، فلما رأى ذلك قال: أكل ما أرى من الأجلاب لقتل مسلم بن عقيل؟ يا نفس، اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه محيص، فخرج إليهم مصلاً سيفه إلى السكة فقاتلهم، واختلف هو وبكير بن حمران الأحمر ضربتين، فضرب بكبير فم مسلم فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى، وضربه مسلم ضربة منكراً في رأسه، ثم ضربه أخرى على جبل العاتق فكاد يصل إلى جوفه، وهو يرتجز ويقول:

أقسم لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً أخاف أن أكذب أو أغراً

فلما رأوا ذلك منه تقدم إليه محمد بن الأشعث فقال له: فإنك لا تكذب ولا تُفر، وأعطاه الأمان، فأمكنهم من نفسه»^(١).

وقال الشيخ المفيد والطبري:

«فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنه قد أتني، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشد عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمر فضرب فم مسلم فشق شفته العليا وأسرع السيف في السفلى ونصبت له ثنيته، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكراً وثناه بأخرى على جبل العاتق كادت تطلع على جوفه، فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت فأخذوا يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب ثم يلقونها عليه من فوق البيت، فلما رأى ذلك خرج

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٨ - ٥٩.

عليهم مصلتاً بسيفه في السكة، فقال له محمد بن الأشعث: لك الأمان، لا تقتل نفسك، وهو يقاتلهم ويقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً إنني رأيت الموت شيئاً نكراً
ويجعل البارد سخناً مرا رد شعاع الشمس فاستقراً
كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً أخاف أن أكذب أو أغراً

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تغر، فلا تجزع، إن القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضائريك. وكان قد أثنى بالحجارة وعجز عن القتال، فانبهر وأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فأعاد ابن الأشعث عليه القول: لك الأمان، فقال: آمنٌ أنا؟ قال: نعم. فقال للقوم الذين معه: لي الأمان؟ فقال القوم له: نعم، إلا عبيدالله بن العباس السلمي فإنه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وتنحى؟ فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم^(١).

وتجمع المصادر على أن الشهيد قد حارب المهاجمين، وخاض معهم مواجهة يقع الاختلاف في مدتها والتفاصيل بما يتراوح بين مواجهة حسمت سريعاً^(٢) وبين معركة حامية الوطيس قتل فيها الشهيد واحداً وأربعين من المهاجمين^(٣). أو اثنين وأربعين^(٤) أو «جماعة كثيرة»^(٥). أو ثلث فيهم ثلثة عظيمة^(٦).

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٥٧ - ٥٨. والطبري ٤/ ٢٧٩ - ٢٨٠. واللفظ للشيخ، مع تصحيح اسم بكير. وانظر: الطبرسي، إعلام الوري ١/٤٤٣.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤٠.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٤.

(٤) المحدث القمي، نفس المهموم ١٠٩، نقلاً عن: الكامل البهائي في السقيفة ٢/٢٧٥. وقد مر في الهوامش التعريف بالكتاب.

(٥) المجلسي، البحار ٤٤٤/٣٥٤. نقلاً عن: محمد بن أبي طالب، تسلية المجالس.

(٦) ابن أئتم، الفتوح ٥/٥٣. والخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠١.

والمؤكد أن هذه المواجهة كانت معركة حقيقية طال وقتها، والدليل على ذلك أن الثابت من النصوص يؤكد، فهو صريح نص أبي مخنف بروايته الشيخ المفيد والطبري، وهو كذلك صريح نص المسعودي، أما استبعاد أن يكون الشهيد قد قتل هذا العدد فيضعفه كثيراً أن مصادره لا يمكن تجاوزها جميعاً.

إن اضطرار القوم للجوء إلى الرمي «بالحجارة» وإلى «أطنان القصب» يلهبون النار فيها ثم يلقونها عليه، يكشف بجلاء عجزهم عن منازلته وجهاً لوجه.

وفي مواجهة الشهيد عابس بن أبي شبيب الشاكري في كربلاء، «حين كان يكرد أكثر من مائتين من الناس»^(١) ما ينبغي استحضاره هنا ليتم التقييم بموضوعية بعيداً عن «الحكواتية» بشقيها الذي يستسهل التهويل فيطمس كل الحقائق أو يساعد على ذلك، والذي يتخذ الإستغراب دليلاً، فيضيّع الحقائق المتميزة.

وقد تقدم أن الشهيد مسلم بن عقيل كان أحد قادة ميمنة عمه أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، كما تقدم حديث رسول الله ﷺ : «لله در أبي طالب! لو وَلَدَ الناس كلهم كانوا شجعاناً»^(٢).

وعلى هذا الأساس ينبغي التعامل بعناية مع ما ورد من أن الشهيد «كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده، فيرمي به فوق البيت»^(٣).

(١) الطبري ٣٣٩/٤.

(٢) الإريلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (الوفاة ٩٦٣ هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢/ ٢٣٥ (ط: مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ)

(٣) المجلسي، البحار ٣٥٤/٤٤. قال ما لفظه: «روي في بعض كتب المناقب عن علي بن أحمد العاصمي، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن والده، عن أبي الحسين بن بشران، عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل بن إسحاق، عن الحميدي، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: أرسل =

والملفت في شخصية الشهيد القائد مسلم بن عقيل، أنه - كما لاحظت - مظهر الصلابة ورباطة الجأش، لم يهن ولم يضعف، وهو ما يكشف عن أنه عندما غادر المسجد كان «ينحاز إلى فئة» ولم يفر من الزحف رغم أن كل الزحف قد فر عنه وتلاشى، ولما لم يجد من «الفئة» عيناً ولا أثراً كان هو الفئة والجيش.

«وخرج إليهم مصلاً سيفه وقد اقتحموا عليه الدار فأخرجهم منها ثم عادوا إليه وأخرجهم وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع فأنت بكأس الموت لابد جارح
فصبراً لأمر الله جل جلاله فحكم قضاء الله في الخلق ذابح^(١)

ويلاحظ هنا سمو الحالة النفسية للشهيد مسلم، رغم الظرف الصعب الذي كان يواجهه، فلو لم يكن غريباً في الكوفة، وتفرق الناس عنه وعاد إلى بيته، لا إلى بيت طوعة، لكان هذا الأمر كافياً في النيل من عزمته لولا أنه كان قمة في الصلابة ورباطة الجأش، فهو رضوان الله تعالى عليه، يواجه على أقل التقادير سبعين رجلاً ويخرجهم من الدار، وهو يستبح الله تعالى بالشعر الذي ارتجزه.

ما أعظم أن لا يهزم الإنسان من الداخل، حتى إذا تداكت عليه المشاكل والصعاب ويبقى رغم ذلك رابط الجأش، تماماً كما لو كان في سراء لا تضاهي.

إنها الميزة الكربلائية الأم، ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾.

=الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان مثل الأسد، قال عمرو وغيره: لقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده، فيرمي به فوق البيت». انتهى. أقول: وقد أعدت النظر في استغرابي لذلك حين رأيت في موسم الحج بمكة من يمسك بما يعادل وزن الرجل ويرمي به إلى ظهر «الباص» الكبير الذي لم تكن أكثر البيوت في الكوفة آنذاك أكثر ارتفاعاً منه.

(١) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/ ٢٤٤ وقد أورد له الطبري، والمسعودي رجزاً آخر كما مر.

لهجة مسلم عندما حوَّصر، هي نفسها قبل أن يحاصر، وكذلك في مجلس ابن زياد، بل حتى عندما قدّم لتضرب عنقه كما سنرى.

* كيف اعتقل؟

تكرر في النصوص المتقدمة أن الشهيد قد أعطي الأمان، وإذا ثبت ذلك فلا يبقى مجال للسؤال عن كيفية اعتقاله، إلا أن مسألة قبوله الأمان لا يمكن الجزم بها، وإن كانت أرجح، بتوضيح يأتي.

قال ابن قتيبة:

«وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أخرج وأسر»^(١).

وقال الخوارزمي:

«وطعن من خلفه، فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه، وتقدم رجل من بني سليم يقال له عبيد الله بن العباس، فأخذ عمامته...»^(٢).

وقال ابن شهر آشوب:

«وطعن من خلفه فسقط من فرسه فأسر»^(٣).

وقال السيد ابن طاوس:

«وتكاثروا عليه بعد أن أثنخن بالجراح، فطعنه رجل من خلفه فخر إلى الأرض فأخذ أسيراً»^(٤).

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٩/٢ - ١٠ (ت: الشيرازي).

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٢.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٤.

(٤) السيد ابن طاوس، اللهوف في قتلى الطفوف ٣٥.

وقد ذكر - ولا مؤيد له - أن القوم لم يتمكنوا من اعتقال الشهيد إلا بعد أن حفروا له حفيرة وستروها بالتراب، وانكشفوا أمامه فسقط فيها، فضرب وأسر^(١).

وينبغي التأمل في ما اشتهر في ذم محمد بن الأشعث لأنه «سلب» سيف الشهيد ودرعه، فإن السلب لا يصدق بدون مسامحة إلا في حالة عدم التمكين من النفس، وإن كان صريح بعض من أورد ذلك، أنه حصل بعد إعطاء الأمان وقبوله.

قال المسعودي:

«تقدم إليه محمد بن الأشعث «..» وأعطاه الأمان، فأمكنهم من نفسه «..» وأتوا به ابن زياد وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمة يهجو فيها ابن الأشعث:

«..» وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسياًفاً له ودروعاً^(٢)

ورغم إمكانية رد بعض ما تقدم من مختلف النصوص، إلا أن مجموع الموارد وبلحاظ من أوردتها واحتمال أن يكون قد اطلع على ما لم يصل إلينا، يمنع من الجزم بخلافه.

* هل أُعطي الأمان؟

في الجواب على هذا السؤال نجد الحديث عن إعطاء الشهيد مسلم الأمان من قبل ابن الأشعث دون علم ابن زياد بذلك، كما نجد أن ابن

(١) الطريحي (الشيخ فخر الدين) المنتخب في جمع المراثي والخطب. المشتهر بـ«الفخري» ٤٢٧ المجلس التاسع من الجزء الثاني. (منشورات الرضي - قم. أفست طبعة النجف، المطبعة الحيدرية).
(٢) المسعودي، مروج الذهب ٥٩/٣.

زياد بعث إلى ابن الأشعث «أعطه الأمان فإنك لا تقدر عليه إلا به»^(١).
ثم نجد ابن زياد يقول لابن الأشعث عندما أخبره أنه قد أعطاه الأمان:
«ما أنت وذاك كأنما بعثناك لتؤمّنه».

فهل رضي ابن زياد بإعطائه الأمان كمجرد خدعة للإيقاع به؟

أم أن ابن الأشعث أعطى الأمان دون استشارة ابن زياد؟

ويبعد أن يقوى صاحب الشخصية المهزوزة الضحلة كابن الأشعث على التفرد في أمر من هذا النوع، خصوصاً وأن مثل مسألة الأمان يقتضي أن يكون قد طرح للتداول قبل التوجه لتنفيذ المهمة.

والراجع أن ابن الأشعث الذي كان من الذين يسهل عليهم جداً أن يقولوا ما لا يفعلون، أعطى الشهيد الأمان عملاً برغبة ابن زياد لينهي المواجهة، ولم يكن يضيره أبداً أن لا يجيز ابن زياد أمانه، فهو القائل بعد ضرب ابن زياد لهانيء: «قد رضينا بما رآه الأمير، لنا كان أو علينا، إنما الأمير مؤدب»^(٢).

ولا ينافي ذلك أن ابن الأشعث - كما مر - قد تظاهر بالتدخل مع ابن زياد لصالح الشهيد ولم يستجب له ابن زياد، فلكلٍ دوره الذي تقتضيه مصلحة الشيطان والشخص والنظام.

وبناءً على ما تقدم فإن الثابت الوحيد في مسألة الإعتقال والأمان أن الشهيد مسلماً لم يقبل ما عرضوا عليه من أمان، عندما كان قادراً على القتال، الأمر الذي يجعلنا أمام التسلسل التالي في سياق المواجهة:

(١) المجلسي، البحار ٤٤٤/٢٥٤.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٤٨/٢ - ٥٠. والطبري ٤/٢٧٢ - ٢٧٤ واللفظ للأول. وانظر: الدينوري،

الأخبار الطوال ٢٣٦ - ٢٣٨.

- (١) هجومهم على الشهيد مسلم في دار طوعة .
- (٢) صد الهجوم، وقد تكرر ذلك مرتين .
- (٣) فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق البيت . . « .
- (٤) لما رأى كثرتهم قرر أن يواجههم في الشارع .
- (٥) تكرر منهم إعطاؤه الأمان، وتكرر رفضه له .
- (٦) بعد أن أثنى بالجراح، وأعياه نزع الدم، وكاد يعجز عن القتال عرضوا عليه الأمان فقبله .

وينبغي الإلفات إلى أن ما تقدم مبني على استبعاد الروايات الأخرى حول أنه طعن من خلفه فسقط إلى الأرض وأسر، وإن لم يمكن الجزم بعدم صحتها، فقد أوردها عدد من الأعلام الذين لا يمكن رفض ما يوردونه مع عدم قطعية الدليل على خلافهم، وإن أمكن استبعاده وترجيح غيره عليه .

* في الطريق إلى القصر

تجدر الإشارة إلى أن الوقائع التي سيأتي الآن أنها جرت بين الشهيد ومن كان معه خلال أسره، إنما هي بحسب المصادر التي تبنت قبول الشهيد الأمان، وقد عرفت أنه الأرجح .

كان الشهيد مسلم رغم أنه يفكر بنفسه جيداً يحملهما هو عنده أكبر من ذلك بكثير، مما جعله يبادر فور اعتقاله إلى الحديث مع ابن الأشعث، علّه يرسل إلى الإمام من يخبره بما جرى، وكيف خذله أهل الكوفة .

يدلنا على ذلك بوضوح ما دار بينه وبين عبد الله السلمي، وابن الأشعث، وهو كما يلي :

١ - بكاؤه للحسين وآل الحسين:

«واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه، فكأنه عند ذلك أيس من نفسه ودمعت عيناه، ثم قال: هذا أول الغدر، قال له محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس، فقال: وما هو إلا الرجاء، أين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون! وبكى. فقال له عبيدالله بن العباس السلمي: إن من يطلب مثل الذي تطلب، إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك. قال: إني والله ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي، أبكي للحسين عليه السلام وآل الحسين^(١).

وينضح هذا النص انسجاماً مع شخصية مسلم رضوان الله تعالى عليه.

إنه رغم كل ما حل به، ما يزال طوداً شامخاً، قمة في التوازن والتماسك، والصلابة، ودقة الملاحظة واليقظة، فقد التقط - رغم أنه خارج للتو من معركة طاحنة - دلالة قول ابن الأشعث « أرجو . . » فقال له: ما هو إلا الرجاء!

ثم إن من يواجهه مثل ظرفه قد يتجلد، دون أن يكون في قلبه للجلد أدنى أثر، فيتكلف ذلك خوف الشماتة، أما مسلم بن عقيل بن أبي طالب فله شأن آخر، فهو لا يخفي حزنه لما حل به، فلم يرد لنفسه طرفة عين تلفاً وها هو رهن الأسر، إلا أن ما يقلقه هو شأن آخر تهون معه النفس التي أرادها وقاءاً للحسين وما يجسده من رسول الله ﷺ.

من هنا كان بكاؤه، فهو بكاء القوي، الذي تفيض دموعه من خزين

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد/٢/٥٩. والطبري ٤/٢٨٠. واللفظ للشيخ.

الحب، شوقاً إلى المحبوب، أو خوفاً عليه، أو حرصاً على رضاه، ورفقاً من إغضابه.

وقد اجتمعت كل هذه الخصال في دموع «الرائد» القائد الشهيد مسلم بن عقيل.

نزل بمسلم من غدر الكوفيين ما لو نزل بالجبال لهدّها، ومع ذلك، فهو لا يعطي الأولوية للتفكير بنفسه رغم أنه يفكر بها، وإنما يعطي ذلك لما هو أعز من نفسه، ويصرف كل همه إلى التفكير بالحسين، وآل الحسين!

ليس بكأوه إذاً إلا بكاء الفارس المغوار الذي حرّمه أهل الكوفة من نصرة سيد الشهداء، والتمهيد لقدمه، وها هو يخشي عليه نتائج غدرهم.

وعصيّ على من تحجر منه القلب أو تصخر، أن يدرك حقيقة هذا البكاء، فالسكوت أولى.

٢ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِي الْحُسَيْنِ؟

«ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبد الله إني أراك والله ستعجز عن أمانى، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني أن يبلغ حسيناً؟ فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خارج غداً وأهل بيته (وإن ما ترى من جزعي لذلك) ويقول له: إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم، لا يرى أنه يمسي حتى يقتل، وهو يقول: إرجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك ولا يفرك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك (وكذبوني) وليس لمكذوب رأي.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أني قد آمنتك^(١).

وسواء أوصلت هذه الرسالة بالطرق العادية إلى سيد الشهداء - كما يأتي - أم لم تصل فهي إحدى الوثائق الأساسية في تدوين أحداث الكوفة.

إنها تؤكد مجدداً حقيقة مسلمة، هي أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يتجرعون غصة ما عاناه أمير المؤمنين عليه السلام من أهل الكوفة، إلى الحد الذي لا يحق لأحد في ذلك العصر أو في أي عصر أن يشك للحظة في أن غدر الكوفيين الذي «وشجت عليه العروق» كان حاضراً دائماً في كل مراحل التخطيط لما جرى في الكوفة، ولذلك لم يكن الهدف أكثر مما تقدم من «الإفادة من الممكن» و«إتمام الحجة»^(٢).

كما أن هذه الوثيقة تضيء على السبب الذي جعل الشهيد مسلماً يكتب من المضيق ببطن الخبت يستعفي الإمام من التوجه إلى الكوفة إن رأى.

وقد حرص الشهيد مسلم رضوان الله تعالى عليه على أمرين:

الأول: أن يسجل في هذه الوثيقة رأيه في أهل الكوفة، مضيفاً عميق لوعته منهم إلى لوعة عمه أمير المؤمنين عليه السلام «ولا يغرنك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل».

الثاني: أن يسجل اعتذاره من سيد الشهداء عليه السلام، على ما كان قد كتب به إليه وإنما كتبه اعتماداً على ما رآه، ولم يكن يخطر بباله أن أهل الكوفة - مهما تخاذلوا - سيصل بهم الأمر إلى هذا الحد.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٥٩ - ٦ - . والطبري ٤/٢٨٠ - ٢٨١. واللفظ للأول، ماعدا ما بين القوسين فهو للطبري.

(٢) راجع ما ورد تحت هذين العنوانين في الفصل الأول.

لذلك أراد أن يوصل إلى الإمام: «إن أهل الكوفة قد كذبوني، فكتبت إليك وليس لمكذوب رأي».

ولك أن تقدر عظيم بحار الأسى التي تلاطمت أمواجها في قلب هذا الشهيد الجليل والتي لأجلها بكى.

بكتك دماً يا ابن عم الحسين مدامع شيعتك السافحة

* التعاطف المزعوم

هل أرسل ابن الأشعث من يبلغ الإمام الحسين رسالة الشهيد مسلم؟

والجواب بالإيجاب، ولكن هل كان ذلك دون علم ابن زياد؟!

ما يطمأن إليه أن ابن الأشعث لم يكن ليقدّم على إرسال رسول إلى الإمام الحسين عليه السلام، دون إخبار ابن زياد، لأنه لم يكن له من مؤهلات الإستقلال بالرأي أو الثبات عليه، ما يجعله يقدم على تواصل مع العدو الأول للنظام الذي باع ابن الأشعث كل وجوده لخدمته، وقد تقدم أن ابن زياد لم يكن يقيم له وزناً.

وفي جواب ابن الأشعث على طلب الشهيد ما يشي بأنه قرر في تلك اللحظة أن يستشير ابن زياد في إرسال شخص من قبله إلى الإمام، فقد قال للشهيد: «والله لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أنني قد آمنتك». فإن ذلك يشير إلى أنه قد جال في خاطره أن يعلم ابن زياد أيضاً بغير ما قاله.

ولقد اقتضت مصلحة النظام إبلاغ الإمام هذه الرسالة لعله لا يواصل السير إلى العراق لأن شعار ابن زياد كان - كما يأتي في محاكمة الشهيد مسلم - «وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكف عنه»^(١).

وعلى هذا الأساس «دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائي، من بني مالك بن عمرو بن ثمامة وكان شاعراً، وكان لمحمد زوّاراً، فقال له: إلق حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل وقال له: هذا زادك وجهازك، ومنتعة لعيالك. فقال من أين لي براحلة؟ فان راحلتي قد أنضيتها. قال هذه راحلة فاركبها برحلتها، ثم خرج فاستقبله بـ«زبالة» لأربع ليالٍ فأخبره الخبر، وبلغه الرسالة، فقال له حسين: كل ما حُمّ نازل وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا»^(١).

ومما يؤكد عدم إيجابية موقف محمد بن الأشعث تجاه الشهيد مسلم جواب الإمام الحسين عليه السلام لقيس بن الأشعث، في كربلاء عندما بدا من كلامه مع سيد الشهداء أنه يريد أن يمتنيه بالأمان فقال له الإمام عليه السلام: «أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل»^(٢) فلو كان هناك تعاطف من محمد بن الأشعث مع مسلم ولو بمقدار قليل كإرساله الرسول مثلاً بطريقة لا ترضي ابن زياد، لكان أمراً يسجل له، ولما تكلم عنه الإمام الحسين عليه السلام، بهذه اللهجة الصريحة في إدانته.

* «الوجهاء» جلوس بالباب!

قبل الحديث عما جرى بين مسلم رضوان الله تعالى عليه، وابن زياد في قصر الإمارة، تجدر الوقفة عند جلوس وجهاء الكوفة بباب قصر الإمارة ينتظرون الإذن.

قال الشيخ المفيد والطبري:

(١) الطبري ٤/٢٨١.

(٢) الطبري ٤/٣٢٣.

«وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب»^(١).

والتعبير واضح الدلالة في أن هؤلاء الجالسين بالباب كانوا أكثر مما ذكر، فهو يقول «منهم» وبعبارة الشيخ المفيد «فيهم» عمارة بن عقبة الخ، وسيأتي ما يدل على أن عمر بن سعد كان بينهم.

ولقد كان ابن زياد في الليلة السابقة بأمر الحاجه لواحد من هؤلاء الوجهاء ليُخذل به الناس عن مسلم وينقذ نفسه بالتالي من الفرار إلى الشام أو القتل، وهم الآن جلوس بالباب ينتظرون الإذن! عمرو بن حريث في الليلة السابقة عُين أميراً على الناس، وهو اليوم ينتظر الإذن على ابن زياد، كثير بن شهاب الذي انتفخت أوداجه بالأمس مثبطاً الناس، طامحاً بملء بصره إلى زعامة مذحج، ها هو الآن، بالباب ينتظر.

وفي ما هم متسكعون بباب القصر، انظر كيف كان تعاملهم مع مسلم المعتقل، والجريح المدمى.

نظر مسلم «وإذا قُلة باردة (جَرَّةٌ فيها ماء) موضوعة على الباب، فقال مسلم: أسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو: أتراها؟ ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرة أبدا حتى تذوق الحميم في نار جهنم»^(٢).

ومسلم بن عمرو هذا هو الذي حمل كتاب «سرجون» من يزيد بتولية ابن زياد على الكوفة أيضاً، وهو بعد والد قتيبة بن مسلم، وجد «ابن قتيبة» صاحب كتاب «الإمامة والسياسة» كما تقدمت الإشارة سابقاً.

(١) الطبري ٢٨١/٤. والشيخ المفيد، الإرشاد ٦٠ واللفظ للطبري.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢٦٠ - ٦١. والطبري ٢٨١/٤ - ٢٨٢. واللفظ للشيخ.

«فقال له ابن عقيل رضي الله عنه: ويلك من أنت؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال له مسلم بن عقيل: لأمك الثكل، ما أجفأك وأفظك وأقسى قلبك! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني. ثم جلس فتساند إلى حائط. وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فجاءه بقلة عليها منديل وقدح، فصب فيه ماء فقال له: اشرب، فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً من فيه، فلا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرة ومرتين، فلما ذهب في الثالثة ليشرّب سقطت ثنيتاه^(١) في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته^(٢)».

ولئن كان هذا الباهلي شامياً، فإن وجهاء الكوفة الحاضرين لم يعترضوا عليه، حتى أن عمرو بن حريث - أو عمارة بن عقبة - الذي أرسل غلامه - والعهد على الناقل^(٣) - فأتى بماء، لم يسجل له أي استنكار لهذا اللؤم الباهلي العريق.

وقديماً قال المولى أمير المؤمنين عليه السلام لبني باهلة وقد رفضوا الخروج معه إلى صفين: «أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم، فخذوا عطاءكم»^(٤).

(١) أي اثنان من ثنياه. والثنايا: الأسنان لأنها واحدة من أعلى وثنائية من أسفل.

(٢) المصدران.

(٣) الطبري ٢٨٢/٤.

(٤) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين ١١٦. وقد روي عنه عليه السلام أنه قال يوماً: أدعو. . . (كذا) وباهة، وحيأ آخر قد سماهم فليأخذوا عطياتهم، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم في الإسلام نصيب، وإني شاهد عند الحوض وعند المقام المحمود أنهم أعدائي في الدنيا والآخرة الخ. المحدث القمي، نفس المهموم ١١٥. الهامش. وقد وردت تنمة الرواية هكذا: ولئن ثبتت قدماي لأردن قبيلة إلى قبيلة، ولأبهرجن ستين قبيلة ما لهم في الإسلام نصيب. إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات ١/ ٢٢. وقد ذكر في موضع النقط «غُنيًا». ولم يذكر اسم القبيلة الثالثة.

١ - قال السيد ابن طاوس :

«فلما أدخل على عبيد الله لم يسلم عليه فقال له الحرس : سلم على الأمير فقال له : أسكت ويحك والله ما هو لى بأمرير .

فقال ابن زياد، لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول .

فقال له مسلم : إن قتلتني فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خير مني ، وبعد فإنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحدٍ أولى بها منك .

فقال ابن زياد: يا عاقُ يا شاقُ، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقت الفتنة .

«فقال مسلم : كذبت يا ابن زياد! إنما شق عصا المسلمين معاوية وإبنة يزيد، وأما الفتنة فإنما ألحقها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بنى علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته .

«فقال ابن زياد: متتكَ نفسك أمراً حال الله دونه، وجعله لأهله .

فقال له مسلم : ومن (أهله) يا ابن مرجانة؟ فقال أهله يزيد بن معاوية . فقال مسلم : الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم .

«فقال له ابن زياد: أتظن أن لك في الأمر شيئاً؟

«فقال له مسلم : والله ما هو الظن، ولكنه اليقين .

«فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم لماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم، فشتت أمرهم بينهم، وفرقت كلمتهم .

«فقال مسلم : ما لهذا أتيت، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتآمرتم على الناس بغير رضى منهم، وحملتموهم على غير

ما أمركم الله به، وعملتكم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهي عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك.

«فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين عليهما السلام» .

«فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض يا عدو الله» .

«فأمر ابن زياد بكبير بن حمران أن يصعد به إلى أعلى القصر فيقتله، فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضرب عنقه فنزل مذعوراً، فقال له ابن زياد ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سيء الوجه حذا مني عاضاً على إصبعه أو قال على شفته، ففرغت منه فزعاً لم أفزعه قط . فقال له ابن زياد لعلك دهشت»^(١) .

ويلاحظ أن السيد لم يذكر تعليل الشهيد لعدم سلامه بما يشبه الإستعطاف، كما سيأتي، وبعيد جداً أن يصدر مثل ذلك من الشهيد، كما يلاحظ أن السيد لم يذكر أبداً وصية الشهيد لابن سعد، ولا أشار إليها، وهي مستفيضة في أكثر المصادر، وهو أمر ملفت، خاصة بملاحظة طريقة السيد في نقل النص أو الوقائع لاسيما المرتبط منها بأهل البيت عليهم السلام، ولا ينافي ذلك أنه ألف «اللهوف» في عنفوان شبابه كما ذكر فإن الطالب «الحوزوي» العادي يدرك ضرورة العناية بهذه الخصوصية، فكيف بالسيد في فرادته رضوان الله تعالى عليه.

٢ - وقال الدينوري:

«فلما أدخل عليه، وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له: سلم على الأمير» .

(١) السيد ابن طاوس، اللهوف ٣٥ - ٣٦. بتصرف يسير. ولم يورد السيد وصية الشهيد لعمر بن سعد، كما لم يوردها ابن شهر آشوب في المناقب، وقد أوردها الشيخ ابن نما في مثير الأحزان .

قال: إن كان الأمير يريد قتلي، فما أنتفع بسلامٍ عليه، وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي.

قال ابن زياد: كأنك ترجو البقاء.

فقال له مسلم: فإن كنت مزماً على قتلي، فدعني أوص إلى بعض من هاهنا من قومي.

قال له: أوص بما شئت.

فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: أخلُ معي في طرف هذا البيت حتى أوصي إليك، فليس في القوم أقرب إليّ ولا أولى بي منك.

فتنحى معه ناحية، فقال له: أتقبل وصيتي؟ قال: نعم.

قال مسلم: إن عليّ هاهنا ديناً، مقدار ألف درهم، فاقض عني، وإذا أنا قتلت فاستوهب من ابن زياد جثتي لثلاثي مثلاً بها، وابعث إلى الحسين بن عليّ رسولاً قاصداً من قبلك، يعلمه حالي، وما صرت إليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنهم شيعة، وأخبره بما كان من نكثهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل، لينصرف إلى حرم الله، فيقيم به، ولا يغتر بأهل الكوفة. وقد كان مسلم كتب إلى الحسين أن يقدم ولا يلبث.

فقال له عمر بن سعد: لك عليّ ذلك كله، وأنا به زعيم.

فانصرف إلى ابن زياد، فأخبره بكل ما أوصى به إليه مسلم. فقال له ابن زياد: قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك، وقد قيل: إنه لا يخونك الأمين، وربما ائتمنت الخائن. وأمر ابن زياد بمسلم فرقي به إلى ظهر القصر، فأشرف به على الناس، وهم على باب القصر مما يلي

الرحبة، حتى إذا رأوه ضربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلى الرحبة، ثم أتبع الرأس بالجسد»^(١).

ويلاحظ ما يلي:

١ - أنه يورد تعليلاً على لسان الشهيد لعدم السلام وهو قوله: «إن كان الأمير يريد قتلي، فما أنتفع بسلام عليه، وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي».

وهو نحو استفسار واستعطاف، وسيأتي في بعض النصوص ما يزيد على ذلك.

٢ - كما يلاحظ أن الدينوري يحدد الجهة التي قتل فيها الشهيد: «مما يلي الرحبة» وهي إضافة إلى ما يذكر في هذا المجال عادة.

٣ - والملاحظة الثالثة أن طلب الشهيد أن يوصي إلى أحد كان قبل الحوار بينه وبين الطاغية، وهو وإن كان ممكناً لكنه بعيد، فالأوفق أن يكون بعده وعلى أبواب القتل، كما أورده ابن نما^(٢) وابن أعثم^(٣) والخوارزمي^(٤) نقلاً عنه. ويعزز ذلك أن أولئك «الوجهاء الجلوس بالباب» كانوا في ذلك المجلس وربما كان استدعاؤهم لهذا الغرض، ويؤكد حضور غير عمر بن سعد ما يأتي من تعبير «فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله» أو ما يقرب منه.

٤ - وأخيراً، أن الشهيد لم يطلب من ابن الأشعث، أن يفني بوعده بالأمان، ولا يخفر ذمته.

(١) الدينوري الأخبار الطوال ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) مشير الأحزان ٢٥ - ٢٦.

(٣) ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (الوفاة ٣١٤هـ) الفتوح ٥/٥٧. وقد ذكر شرطاً من الحوار بعد الوصية، ولا ينافي أنها كانت على أبواب القتل.

(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٥.

٣ - وقال البلاذري :

«وأخذ مسلم [فأتي به ابن زياد، وقد آمنه [محمد] ابن الأشعث فلم ينفذ أمانه، فلما وقف مسلم بين يديه نظر إلى جلسائه فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إن بيني وبينك قرابة أنت تعلمها، فقم معي حتى أوصي إليك. فامتنع.

فقال ابن زياد: قم إلى ابن عمك. فقام.

فقال [له مسلم]: إن علي بالكوفة [دينياً] سبعمائة درهم [أخذته] مذ قدمتها فاقضها عني، وانظر جثتي فاطلبها من ابن زياد، فوارها، وابعث إلى الحسين من يردده.

فأخبر عمر بن سعد ابن زياد بما قال له.

فقال: أما ما لك فهو لك تصنع فيه ما شئت، وأما حسين فإنه إن لم يُرِدْنَا لم تُرِده، وأما جثته فإننا لا نشفعك [فيها] لأنه قد جهد أن يهلكنا، ثم قال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه.

أضاف البلاذري :

وقال الهيثم بن عدي: «...» أدخل مسلم بن عقيل رحمه الله تعالى على ابن زياد، وقد ضرب على فمه، فقال: يا ابن عقيل أتيت لتشتيت الكلمة؟ فقال: ما لذلك أتيت، ولكن أهل المصر كتبوا أن أباك سفك دماءهم وانتهك أعراضهم فجئنا لنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر. فقال: وما أنت وذاك، وجرى بينهما كلام فقتله.

ثم يورد البلاذري عن أبي مخنف:

قال ابن زياد لابن عقيل: أردت أن تشتت أمر الناس بعد اتفاه، وتفرق ألفتهم بعد اجتماعهم وجرى بينهما كلام حتى قال له قتلني الله إن

لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال له مسلم: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه من سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولوؤم الغلبة.

ثم قال ابن زياد: إصعدوا به فوق القصر، واضربوا عنه فأتبعوا رأسه جسده. فقال [مسلم] يا بن الأشعث فوالله لولا أمانك ما استسلمت. فكان الذي تولى ذلك منه بكير بن حمران الأحمري أشرف به على موضع الحذائين وهو يسبح ويدعو على من غره وخذله، فضرب عنقه ثم أتبع رأسه جسده. ^(١)

ويلاحظ في النص أنه يورد الوصية قبل كل شيء، وهو أكثر بعداً مما تقدم استبعاده من أن يكون طلب الوصية قبل الحوار، ولعله تنبه لذلك فأورد ما أورده عن الهيثم بن عدي.

٤ - وقال المسعودي:

«ثم أدخل على ابن زياد، فلما انقضى كلامه ومسلم يُغلظ له في الجواب أمر به فأصعد إلى أعلى القصر ثم دعا الأحمري الذي ضربه مسلم فقال: كن أنت الذي تضرب عنقه لتأخذ بثأرك من ضربته، فأصعدوه إلى أعلى القصر، فضرب بكير الأحمري عنقه، فأهوى رأسه إلى الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده» ^(٢).

٥ - وقال ابن شهر آشوب:

«فأتي به إلى ابن زياد فتجاوبا، وكان ابن زياد يسب حسينا وعلياً عليه السلام، فقال مسلم: فاقض ما أنت قاضٍ يا عدو الله.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ٨٢ - ٨٣. بتصرف يسير.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٥٩/٣.

فقال ابن زياد: إصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه وكان مسلم يدعو الله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا فقتله وهو على موضع الحدّائين^(١).

٦ - وقال الشيخ المفيد والطبري:

«وأدخل مسلم علي ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة فقال له الحرسي ألا تسلم علي الأمير فقال له إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه.

فقال له ابن زياد لعمري لتقتلن.

قال كذلك. قال نعم.

قال فدعني أوص إلى بعض قومي فنظر إلى جلساء عبيدالله وفيهم عمر بن سعد فقال يا عمر إن بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وقد يجب لي عليك نجح حاجتي، وهو سر فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيدالله لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك فقام معه، فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد فقال له: إن علي بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوارها وابعث إلى حسين من يرده فإنني قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً.

فقال عمر لابن زياد: أتدرى ما قال لي؟ إنه ذكر كذا وكذا.

قال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن. أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت وأما حسين فانه إن لم يُردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكف عنه، وأما جثته فإننا لن نشفعك فيها إنه ليس بأهل منا لذلك قد جاهدنا وخالفنا وجهد علي هلاكنا.

(١) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

وزعموا أنه قال أما جثته فإننا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها .

ثم إن ابن زياد قال : إيه يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على بعض .

قال : كلا لست «لذلك» أتيت ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقبصر فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب .

قال «ابن زياد» : وما أنت وذاك يا فاسق أو لم تكن تعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر .

قال : أنا أشرب الخمر والله إن الله ليعلم إنك غير صادق وإنك قلت بغير علم وإني لست كما ذكرت وإن أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً .

فقال له ابن زياد : يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه ولم يرك أهله .

قال : فمن أهله يا ابن زياد قال أمير المؤمنين يزيد فقال الحمد لله على كل حال رضينا بالله حَكَمًا بيننا وبينكم .

قال كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً .

قال : والله ما هو بالظن ولكنه اليقين قال قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام . قال أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقبلاً وأخذ مسلم لا يكلمه .

وزعم أهل العلم أن عبيدالله أمر له بماء فسقي بخزفة ثم قال له إنه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها ثم نقتلك ولذلك سقيناك في هذا.

ثم قال إصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثم أتبعوا جسده رأسه . فقال يا ابن الأشعث أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت قم بسيفك دوني فقد أخفرت ذمتك ثم قال يا ابن زياد أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتي .

ثم قال ابن زياد أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه فدعي فقال: إصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ورسله وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا وأذلونا .

وأشرف به على موضع الجزارين اليوم فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه .
أضاف الطبري:

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن عوف بن أبي جحيفة قال نزل الأحمر بكبير بن حمران الذي قتل مسلماً فقال له ابن زياد قتلته؟ قال نعم .

قال فما كان يقول وأنتم تصعدون به قال كان يكبر ويسبح ويستغفر فلما أدنيه لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرونا وخذلونا وقتلونا فقلت له: أدن مني الحمد لله الذي أقادني منك فضربته ضربة لم تغن شيئاً فقال: أما ترى في خدش تخدشنيه وفاء من دمك أيها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت! قال ثم ضربته الثانية فقتلته^(١) .

(١) الطبري ٤/٢٨٢ - ٢٨٤ . والشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٦١ - ٦٣ .

ويلاحظ هنا ما يلي :

١ - الإستبعاد الشديد لصدور تعليل الشهيد لعدم سلامه على ابن زياد بقوله : «إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه» .

٢ - حديث الخزفة ، فقد حاول الشهيد وهو بالباب أن يشرب فلم يستطع وسقطت ثنيتاه مما يعني أن الشرب أصبح أكثر تعذراً أو هو متعذر كما كان .

والواقع أن الموردين معاً لا ينسجمان لا مع الثابت من الجو العاصف الذي ساد منذ دخول الشهيد إلى قصر الإمارة وحتى شهادته ، ولا مع ما هو صريح محاكمة الشهيد مسلم للطاغية ، ولا مع سمو الروح التي سيطرت على الموقف فلم يملك الطاغية إلا الإنبهار بها ، كما يكشف عن ذلك حرصه على معرفة ما كان يقوله الشهيد وتعقيبه بقوله : أو فخراً عند الموت !

٣ - أورد الطبري روايتين حول ما قاله ابن زياد عن جثة الشهيد بعد القتل ، ثم ذكر في آخر النص ما يؤكد أن ابن زياد لم يعد بعدم التمثيل بالجثة ، والملفت أن الشيخ المفيد اقتصر على الرواية التي تدل بظاهرها على وعده بعدم التمثيل ، والتي أوردها الطبري بصيغة «و زعموا» .

٣ - لم يورد الشيخ المفيد ما ذكر هنا عن «الخزفة» ولا ما نقله الطبري عن أبي مخنف وهو ختام النص ، كما أنه لم يورد في كلام الشهيد مسلم في أول النص لفظة «فلعمري» فليلاحظ .

٧ - وقال ابن أعثم والخوارزمي :

«ثم أتني به فأدخل على ابن زياد فأوقف ولم يسلم عليه ، فقال له

الحرسي: سلم على الأمير. فقال مسلم: أسكت لأم لك، مالك والكلام ما هو لي بأمر فأسلم عليه، وأخرى ما ينفعني سلامي وهو يريد قتلي، فإن استبقاني فسيكثر (كذا).

فقال ابن زياد: لا عليك سلمت أو لم تسلم، فإنك مقتول.

فقال مسلم إن قتلتنني فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خير مني، ثم قال له: إن القوم قد آمنوني، فقال محمد بن الأشعث: إني قد آمنتك.

فقال ابن زياد: وما أنت وذاك، كأنني إنما أرسلتك لتؤمنه؟

ثم قال لمسلم: يا شاق، يا عاق، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين، وألحقت الفتنة.

فقال: كذبت يا ابن زياد إنما شقَّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنما ألحقت الفتنة أنت وأبوك زياد بن عُبَيْد بن عَلاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته، فوالله ما خلعت وما غيّرت وإنما أنا في طاعة الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، ألم تكن تشرب الخمر بالمدينة؟

فقال مسلم: الله يعلم أنني ما شربتها قط، وأحق مني بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة والظن، وهو في ذلك يلهو ويلعب وكأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق مَنَّتْكَ نفسك أمراً حال الله دونه، وجعله لأهله.

فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟

فقال له: يزيد بن معاوية.

فقال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حَكَمًا بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: أتظن أن لك من الأمر شيئاً؟

فقال: لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين.

فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك شرَّ قتلة.

فقال مسلم: أما إنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلثة، وخبث السريرة، ولؤم الفعلة، لأحد غيرك أولى منك، والله لو كان معي عشرة ممن أثق بهم، وقدرت على شربة ماء لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت عزمت قتلي فأقم لي رجلاً من قريش، حتى أوصي إليه بما أريد.

ثم نظر مسلم إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: إن بيني وبينك قرابة فاسمع مني. فامتنع.

فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الإستماع لابن عمك؟

فقام عمر إليه، فقال له مسلم: أوصيك بتقوى الله فإن التقوى درك كل خير، ولي إليك حاجة.

فقال عمر: قل ما أحببت.

فقال: حاجتي إليك أن تسترد فرسي وسلاحي من هؤلاء فتبيعه، وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم هذا، وأن تستوهب جثتي إن قتلني هذا الفاسق، فتواريني التراب، وأن تكتب للحسين أن لا يقدم، فينزل به ما نزل بي.

فقال عمر بن سعد: أيها الأمير، إنه يقول كذا وكذا، فقال ابن زياد: يا ابن عقيل، أما ما ذكرت من دينك، فإنما هو مالك تقضي به دينك ولسنا نمنع أن تصنع به ما أحببت، وأما جسدك فإننا إذا قتلناك

فالخيار لنا ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك، وأما الحسين فإنه إن لم يُردنا لم تُرده، وإن أرادنا لم نكف عنه.

أضاف الخوارزمي: وفي رواية أنه قال: وأما الحسين فلا ولا كرامة، ولكن أريد أن تخبرني يا ابن عقيل، لماذا أتيت أهل هذا البلد، وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرق عليهم أمرهم، وتحمل بعضهم على بعض؟

فقال له مسلم: ليس لذلك أتيت، ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وأن معاوية حكم فيهم بغير رضی منهم، وأن عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسرى وقيصر، فأتينا لنامر بالعدل، وندعو إلى الحكم بكتاب الله إذ كنا أهله، ولم تزل الخلافة لنا، وإن قُهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لأنكم أول من خرج على إمام هدىً وشقاً عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تعالى: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فجعل ابن زياد يشتمه، ويشتم علياً والحسن والحسين.

فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالثتم والسب، فاقض ما أنت قاضٍ يا عدو الله، فنحن أهل بيت موكلٌ بنا البلاء.

فقال ابن زياد: إصعدوا به إلى أعلى القصر واضربوا عنقه، وأتبعوا رأسه جسده.

فقال مسلم: أم والله يا ابن زياد، لو كنت من قريش، أو كان بيني وبينك رحم لما قتلتنني، ولكنك ابن أبيك.

فازداد ابن زياد غضباً، ودعا برجل من أهل الشام قد كان مسلم ضربه على رأسه ضربةً منكراً، فقال له: خذ مسلماً إليك وأصعده إلى أعلى القصر، واضرب أنت عنقه بيدك، ليكون ذلك أشفى لصدرك.

فأصعد مسلم إلى أعلى القصر، وهو يسبح الله ويستغفره، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا، حتى أتى به إلى أعلى القصر، فتقدم ذلك الشامي وضرب عنقه، ثم نزل الشامي وهو مذعور مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك أقتلته؟

قال: نعم، إلا أنه عرض عارض، فأنا به مرعوب.

قال: وما الذي عرض؟

قال: رأيت ساعة قتلته رجلاً بحذائي أسود شديد السواد كربه المنظر، عاضاً على إصبعه أو قال: شفته، ففرغت منه فزعاً لم أفزع مثله قط.

فتبسم ابن زياد وقال: دُهشت من شيء لم تعتده قبل ذلك»^(١).

* قراءة في الحوار: أعمال كسرى وقيصر

إذا استثنينا المدخل وهو امتناع الشهيد عن السلام وما قيل حوله، واستثنينا الملاحق من قبيل وصية الشهيد، والخزفة، وركزنا على صلب الحوار بين الشهيد والطاغية، فثمة اتفاق على ما هو جدير بكل عناية وتأمل.

قال ابن زياد: ياشاق، يا عاق، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة.

يحاول الطاغية الظهور بمظهر الملتزم بالثوابت، وأنه يدافع عن

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٤-٣٠٦. بتصرف يسير. وابن أعثم (أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي) الفتوح ٥٥/٥ - ٥٩. (ت: الشيري، ط: دار الأضواء - بيروت. ط: أولى ١٤١١ هـ ١٩٩١ م). باختلاف في موارد عديدة. واللفظ هنا للخوارزمي نقلاً عن ابن أعثم، وقد اعتمدت في النقل عنهما عبارة الخوارزمي دائماً لعدم الركون إلى ألفاظ نسخة الفتوح المذكورة، المتوفرة لدي لأن بعضها مترجم عن الفارسية.

القيم التي ربي رسول الله ﷺ المسلمين على الإلتزام بها: الطاعة للإمام لأنه ولي الأمر، ووحدة الأمة، واجتناب الفتنة.

ويأتي الجواب مدوياً، فلقد كانت الأمة مجمعة على أمير المؤمنين علي عليه السلام والذي شق عصا المسلمين هو معاوية ويزيد من بعده، والذي ألقح الفتنة هو زياد وابنه من بعده.

فقال الشهيد: كذبت يا ابن زياد إنما شقَّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنما ألقح الفتنة أنت وأبوك زياد بن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته، فوالله ما خلعت وما غيَّرت وإنما أنا في طاعة الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

وينبغي أن نلاحظ هنا تفريق الشهيد مسلم بين من شق عصا المسلمين، فمعاوية هو أول من فعل ذلك، حيث خرج على طاعة من أجمعت الأمة على وجوب طاعته، وليس يزيد إلا استمراراً لشق عصا المسلمين، وبين من ألقح الفتنة، وهياً لها عوامل الإستمرار والتناسل، وهو عبيد الله في خط أبيه زياد.

بعد هذا الهجوم المدوي والمباغت، الذي لم يكن يخطر للطاغية ببال، صعد الشهيد لهجته ليتحدث بالكناية - وهي أبلغ من التصريح - عن الفضيحة التاريخية لمعاوية وبني أمية، وزياد وابنه وآل زياد، وهي فضيحة إلحاق زياد بن عبيد الثقفي، بأبي سفيان الأموي والحادثة مشهورة.

ولم يجد الطاغية بُدأ من الصبر الممض على النصال التي أنشبهها في قلبه كلام الشهيد مسلم، الذي لم يترك له مجالاً للرد عليه، فما كان منه إلا أن لجأ إلى الكذب والإفتراء، ليحفظ شيئاً من ماء الوجه.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، ألم تكن تشرب الخمر بالمدينة؟
ومن شأن فرية من هذا النوع لا تدخل في الحساب عادة، أن
تُربك.

إلا أن الشهيد استوعب الهجوم، ثم أعاد الكرة بهجوم أصاب من
الطاغية مقاتله:

فقال مسلم: الله يعلم أنني ما شربتها قط، وأحق مني بشرب الخمر
من يقتل النفس الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة والظن، وهو في
ذلك يلهو ويلعب وكأنه لم يصنع شيئاً.

وكان الناس جميعاً يعرفون صدق ما ذكره الشهيد، وهو على كل
شفة ولسان.

لذلك اضطر الطاغية مجدداً إلى تغيير مسار الحوار، ليلجأ إلى
التشفي، فقال: يا فاسق مَنَّتْكَ نفسك أمراً حال الله دونه، وجعله لأهله.

وبكلمات موجزة، يكشف الشهيد أن زمام المبادرة ما يزال في
يده، وأن الطاغية ما زال يترنح تحت وطأة هجومه الصاعق، قال
الشهيد:

«ومن أهله يا ابن مرجانة؟!»

وفي خطاب طاغية - لا يصطلى بناره^(١) - كابن زياد باسم أمه، من
اللامبالاة ما يفوق كل تقرير، ويبلغ غاية الإستخفاف.

وذلك ما كشف الطاغية، وأعادته إلى حجمه الطبيعي، قزماً أمام
طود، فإذا به يلجأ إلى الإحتماء بما يعلم أنه لا يحميه، بل يزداد معه

(١) الطبري ٣٥٦/٤.

انكشافاً، إلا أنه أوصل نفسه إلى حيث لا بد له من التشبث به ولو أنه قشة، فقال: أهله يزيد بن معاوية.

وباستطاعتك أن تجزم بيسر بأن هذه الكلمات بمقدار ما كانت خجلى، ممجوجة وباهتة، كانت ملامح عار الهزيمة واضحة في وجه الطاغية.

لذلك لم يجد الشهيد مسلم أنه أمام معطى جديد يتطلب منه الرد، وإنما وجد نفسه أمام تثبيت نصره المؤزر، لأن التستر بيزيد لا يكسب صاحبه إلا المزيد من الفضيحة والعار، وقد أراد الشهيد أن يؤكد ذلك، فقال - وملء إهابه الشمم -: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

وعبثاً حاول الطاغية إستعادة زمام المبادرة، فقال:

أتظن أن لك من الأمر (الخلافة) شيئاً؟

قال الشهيد: والله ما هو الظن، ولكنه اليقين!

لقد برز يقين مسلم إلى ريب الطاغية وهواه، وبديهي أن يصرع اليقينُ الهوى.

ولا ملاذ للطاغية إلا الطغيان، والإحتماء بالتهديد بالقتل:

قتلني الله إن لم أقتلك شرّاً قتلة.

فقال مسلم: أما إنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الفعلة، لأحد غيرك أولى منك.

* وصية الشهيد

ثم يطلب الشهيد أن يوصي، وربما وجد الطاغية في قبول ذلك مخرجاً له من ورطته، فأمر ابن سعد بالإستماع إلى الشهيد.

وبمجرد أن انتهى الشهيد مسلم من وصيته له، رفع ابن سعد صوته قائلاً: أتدري أيها الأمير ماذا قال لي؟ لقد قال كذا وكذا.

كان مشيئة الله تعالى قضت أن يوصي الشهيد مسلم رضوان الله عليه، إلى هذا الوضع الجافي، لتعرف الأجيال طبيعة قتلة سيد الشهداء وخبث معدنهم، من خلال معرفة طينة ابن سعد، قبل أن يوضع أمام معادلة: قتال سيد الشهداء هو الطريق إلى ملك الري.

ولقد حاول الطاغية باديء الأمر أن يمنع ابن سعد من أن يبوح بما أوّتمن عليه، فقال له:

أكتم على ابن عمك. فقال عمر: هو أعظم من ذلك؟ فتراجع ابن زياد عن وصيته بالكتمان وقال: وما هو؟ قال ابن سعد: قال لي إن حسيناً أقبل وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وامرأة فارددهم واكتب إليه بما أصابني. فقال له ابن زياد: أما والله إذ دلت عليه، لا يقاتله أحد غيرك^(١).

والغريب أن ابن زياد رغم كل تشوّهه النفسي، لم يتحمل إسفاف ابن سعد - وقد يستغرب الوضع وضاعة غيره - فاستشهد بالمثل: «لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن».

ويشير طلب الشهيد من ابن سعد أن يرسل من يخبر الإمام الحسين عليه السلام بما جرى له، إلى أن الشهيد لم يثق بأن ابن الأشعث سيفي بوعده، وهو يعزز ما تقدم من أن رسول ابن الأشعث إلى الإمام كان بموافقة ابن زياد.

وقد تضمنت الوصية أيضاً وفاء المبلغ الذي كان الشهيد استدانه في

(١) المحدث القمي، نفس المهموم ١١٦ نقلاً عن: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد ٤/٣٩٧.

الكوفة، وهو ما ينبغي أن يحظى باهتمام كل مجاهد في سبيل الله تعالى يحرص على سلامة مساره الجهادي من فتك شيطان المال.

لقد وصل إلى الشهيد الكثير من المال العام منذ دخوله الكوفة، وكان الشهيد أبو ثمامة الصائدي موكلاً بقبض المال وشراء السلاح، فلم يتسلم هو شيئاً، ومع ذلك فقد استدان مبلغاً يحمل الآن هم الوصية بتسديده.

ولم أجد إيضاحاتٍ حول هذه السبعمائة درهم كما تذكر أكثر المصادر أو الألف كما في بعضها، إلا أن الظاهر أنه استدانها لمصرفه الخاص، وحيث أنه كان في الكوفة ضعيفاً، فالحاجة الأبرز له هي السلاح!

وهل هو شأن خاص؟

بلى، هو كذلك لمن ينطلق في دروب الجهاد يغمره الشكر لله تعالى على توفيقه لذلك، فيحرص على أن يكون سلاحه من خالص ماله، ليتضاعف ثوابه فيجمع بين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس، ولا يحتمل بيت مال المسلمين - إن استطاع ولو بالدين الذي يتمكن من وفائه - عبثاً بذريعة أنه مجاهد.

* الشهادة

وما إن انتهى الحديث عن الوصية، إذ بالطاغية يفتح باب السجال من جديد، وهو ما يدل على أن وقع كلام الشهيد عليه كان من الشدة بحيث أن تفاعلاته في قلبه المظلم ما تزال في ذروتها، وهو يستشعر الحاجة إلى ترميم صورته أمام الحاضرين، فإذا به يقول:

ولكن أريد أن تخبرني يا ابن عقيل، لماذا أتيت أهل هذا البلد،

وأمرهم جميع، وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرق عليهم أمرهم، وتحمل بعضهم على بعض؟

فقال له مسلم: ليس لذلك أتيت، ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وأن معاوية حكم فيهم بغير رضئ منهم، وأن عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسرى وقيصر، فأتينا لنامر بالعدل، وندعو إلى الحكم بكتاب الله إذ كنا أهله، ولم تزل الخلافة لنا، وإن قُهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لأنكم أول من خرج على إمام هديّ وشقّ عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تعالى: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وعلى نفسها جنت براقش! فلم يجد الطاغية ما يقوله، والشتم سلاح العاجز، فلجأ إليه:

فجعل ابن زياد يشتمه، ويشتم علياً والحسن والحسين.

أما وقد بلغ الشهيد الرسالة، وأدى ما عليه، وأقام الحجة بما لا مزيد عليه، ولا جديد يقوله الطاغية غير السباب، فقد آن الأوان للرحيل ولقاء الله تعالى الذي كان مسلم ينتظره «على يد شر بريته» كما مر في كلامه:

قال مسلم: أنت وأبوك أحق بالثتم والسب، فاقض ما أنت قاضٍ يا عدو الله، فنحن أهل بيت موكلٌ بنا البلاء.

فقال ابن زياد: إصعدوا به إلى أعلى القصر واضربوا عنقه، وأتبعوا رأسه جسده!

وكانت الكلمات الأخيرة التي قالها الشهيد كالصارم البتار:

قال مسلم: أمّ والله يا ابن زياد، لو كنت من قريش، أو كان بيني

وبينك رحم لما قتلتنني، ولكنك ابن أبيك!

فازداد ابن زياد غضباً، ودعا برجل من أهل الشام قد كان مسلم ضربه على رأسه ضربةً منكراً، فقال له: خذ مسلماً إليك وأصعده إلى أعلى القصر، واضرب أنت عنقه بيدك، ليكون ذلك أشفى لصدرك.

وهل أراد ابن زياد أن يشفي صدر بُكير، أم أراد أن يشفي صدره وآل زياد ويزيد؟

فأصعد مسلم إلى أعلى القصر، وهو يسبحُ الله ويستغفره، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا.

ويأتي من ثباته ورباطة جأشه رضوان الله تعالى عليه، ما يكشف عن أن هذا التسبيح والإستغفار كانا ورد العابد المسبح دائماً والمستغفر، لاسيما في المنعطفات، ولم يكن ترديد الخائف يلجأ إليه في الضراء وحسب، أو في السراء والضراء.

فضرب بكير الأحمر عنقه، فأهوى رأسه إلى الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده.

لم يقف الحقد الدفين الذي هو معدن ابن زياد وأسياده، عند قطع الرأس، ولذلك كان أمر الطاغية صريحاً بما هو أكثر من ذلك: «أتبعوا جسده رأسه»^(١).

ولك أن تقدر ما يحل بجسد يلقى من علو ثلاثين ذراعاً هي ارتفاع سور قصر الإمارة على أقل تقدير.

(١) أورد ذلك الشيخ المفيد، والطبري، والبلاذري، وابن أعثم والخوارزمي في ما تقدم من النصوص فلاحظ، ومن لم يذكره في صريح أمر ابن زياد، فهو يذكره في معرض بيان ماجرى.

وقد ورد في ذلك: فتكسرت عظامه^(١).

وتكتفي المصادر الأساسية بما يدل على ذلك من إلقاء الجسد من أعلى القصر، أو من «طمار» وهو المكان المرتفع، والنتيجة واحدة.

ولا ينبغي تجاوز تعمد إلقاء الجثث من أعلى القصر دون التأمل في دلالة ذلك على روح الإفتراس الأموية التي كان والي المصريين الملحق كأبيه بعض مظاهرها، وسيأتي في ترجمة الشهيد عبد الله بن بقطر وقيس بن مسهر أنهما استشهدا بنفس الطريقة، كما يأتي مثل ذلك في ترجمة الشهيد أبي رزين ولكن من على منارة البصرة، ويروي الطبري إصرار ابن زياد على رضّ الخيل جسد الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

ولم يكتف الطاغية بقطع الرأس وتكسير العظام، بل أمر أن يصلب الشهيد مسلم منكوساً!

ويأتي بيان ذلك في الحديث عن شهادة الشهيد هانيء بن عروة.

إنها الغربية الحزينة المفجعة التي أبكت رسول الله ﷺ - كما تقدم - وأبكت الإمام الحسين سلام الله عليه، والتي كان لها الوقع المدوي في موكب الإمام الحسين الذي كان مخيماً في منطقة «زرود».

ولابد من الوقوف عند ما نقله هذا الجلواز الذي تولى ضرب عنق مسلم رضوان الله عليه فقد سأله ابن زياد: «وماذا كان يقول؟ قال: إنه كان يسبح ويستغفر، فلما أدنيته لأقتله، قلت الحمد لله الذي أقادني منك وضربته ضربة لم تغن شيئاً. فقال لي: أما ترى في خدشٍ تخذشنيه وفاء من دمك أيها العبد. فقال ابن زياد: أو فخراً عند الموت! ثم قال: إيه. قال: ضربته الثانية فقتلته».

(١) السيد محمد تقي بحر العلوم، مقتل الحسين ٢٤٤. والسيد المقدم، مقتل الشهيد مسلم بن عقيل ١٤٨

نقلاً عن: تظلم الزهراء ٢٦٨.

(٢) الطبري ٤/٣١٤.

حتى وهو على أبواب القتل، ظل الشهيد مسلم بن عقيل، ذلك الطود الشامخ مقتدياً بعزم عمه المحمدي الذي لا يرقى إليه الطير، الأمر الذي أذهل ابن زياد وجعله يقول: أو فخرأ عند الموت.

* الدروس الخالدة

هذه العناية الخاصة من الشهيد مسلم بن عقيل على أبواب الشهادة، بوفاء مبلغ استدانه في الكوفة، تجعلنا وجهاً لوجه أمام الدروس الخالدة التالية:

١ - أهمية وفاء الدين كجزء من حق الناس، فها هو الشهيد مسلم على أبواب شهادته يحمل هذا الهم، الأمر الذي يلفتنا إلى موقع متميز لأداء الدين، يتساوى فيه الشهيد وغيره فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله إلا الدين فإنه لا كفارة له إلا أدأؤه، أو يقضي صاحبه (المتكفل)، أو يعفو الذي له الحق. ^(١).

٢ - أهمية تفريق المتصدي للشأن العام بين الشائين الخاص والعام، فلا يستسهل المزج بينهما وكأن كل شيء يعنيه هو المصلحة العامة، الأمر الذي يؤسس لـ «أعمال كسرى وقيصر» على حد تعبير الشهيد، كما يؤسس للملك العضوض الذي حذر منه رسول الله ﷺ. ^(٢).

٣ - حذر المجاهد من الإنجرار شيئاً فشيئاً إلى الترف الذي يبدأ مع بداياته الانفصال عن الناس، والتحزب للثُخب، والذي هو بعدُ بحر الدنيا العميق!

(١) الكليني، الكافي ٥/٩٤. وفي الهامش عن العلامة المجلسي في مرآة العقول، في تفسير «أو يقضي صاحبه»: أي وليه أو وارثه، أو الإمام، أو المتبرع.

(٢) علي بن يونس العاملي، الصراط المستقيم ٢/١٠١. وابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي ١/١٢٥. والبيهقي، السنن الكبرى ٨/١٥٩. وابن حجر، فتح الباري ٨/٦١.

ولا يمكن تحقق ذلك إلا بتنبه المجاهد لضرورة الفصل بين المسؤولية التكليف والتشريف، وبين التعالي والإمتياز، ويتوقف ذلك بدوره على الفصل بين مورده المالي الخاص - ولو كان من المال العام كمخصص له يتساوى فيه مع غيره - وبين بيت المال، ليحافظ المتصدي للقيام بأعباء مهمة عامة، على المستوى المعيشي الطبيعي الذي يتناسب مع مرتبه و«عطائه» وهو درس شديد الأهمية، تظهر نتائجه في البعد النفسي للمسؤول، فلا يتسلل الترف إلى نفسه رويداً رويداً، وتظهر كذلك في البعد الإقتصادي في باب عدم اتخاذ مال الله دولا، الذي يضرب العمود الفقري لحركة الممانعة وهو تحقيق العدالة الإجتماعية في ظل حدود القيم التي هي حدود الله تعالى، ويؤسس لاتخاذ عباد الله خولاً.

وطبيعي جداً، أن تكون هذه سيرة ثقة الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيته خاصة وأنه قد تعلم من عمه أمير المؤمنين عليه السلام هذا الدرس الخالد الذي لقنه لأبيه عقيل وللأجيال من خلاله، وذلك عندما جاءه عقيل طامعاً بالصلة الخطيرة، وقد ركبهُ الدُّنْ، فقال له:

أعطني ما أفضي به ديني، وعجل سراحي حتى أرحل عنك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فكم دينك يا أبا يزيد؟

قال: مائة ألف درهم.

قال عليه السلام: لا والله ما هي عندي، ولا أملكها، ولكن إصبر حتى يخرج عطائي فأواسيكه، ولولا أنه لا بد للعيال من شيء لأعطيتك كله.

فقال عقيل: بيت المال في يدك، وأنت تسوفني إلى عطائك، وكم عطاؤك وما عساه يكون ولو أعطيتنيه كله؟

فقال عليه السلام: ما أنا وأنت فيه (بيت المال) إلا بمنزلة رجل من

المسلمين، «وكانا يتكلمان فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق» فقال له علي عليه السلام: «إن أبيت يا أبا يزيد أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله، وخذ ما فيه.

قال عقيل: وما في هذه الصناديق؟

قال عليه السلام: فيها أموال التجار.

قال: أتأمرني أن أكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكلوا على الله وأقفلوا عليها.

أضاف: وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى «الحيرة» فإن بها تجاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله.

فقال عقيل: أوسارقاً جثث؟!!!

قال عليه السلام: «تسرق من واحد، خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً..»^(١).

ومن أجدر من «ثقة الحسين» عليه السلام، باستيعاب هذا الدرس المحمدي العلوي، وتطبيقه حرفاً بحرف.

* * *

* شهادة هانيء: متى قتل؟

تختلف مصادر الدرجة الثانية في توقيت قتل ابن زياد للشهيد هانيء بن عروة على أقوال:

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٤١/١١٣ - ١١٤.

- ١ - أنه قتل قبل اعتقال الشهيد مسلم، وذلك إثر استدراجه إلى القصر وامتناعه عن تسليم مسلم إلى الطاغية^(١).
 - ٢ - أنه قتل بعد مجيء المذبحيين بقيادة عمرو بن الحجاج وانصرافهم^(٢).
 - ٣ - أنه قتل بعد قتل الشهيد مسلم، وهو ماتجمع عليه ما يمكن وصفه بمصادر الدرجة الأولى.
- والصحيح - بناء لما في أغلب المصادر والمعتمد منها بشكل خاص - هو ما ينسجم مع عدم جرأة الطاغية على الإقدام على خطوة من هذا النوع قبل أن يطمئن إلى أن قتل «شيخ المصر» لن يترد عليه بما لا طاقة له به، وهذا ما لم يتأكد منه إلا بعد شهادة مسلم رضوان الله تعالى عليه.
- وإذا لاحظنا ما روي من أنه كان قد وعد ابن الأشعث بالعتق عن هانيء، فمعنى ذلك أنه كان إلى لحظة شهادة مسلم ما يزال يعيش هواجس ردة الفعل على مقتل هانيء.
- ويبدو أن اطمئنانه بلغ حداً لم يكن يخطر له ببال، مما يدل على أن خروجه من قلب الخطر كان تدريجياً، وقد بلغ ذروته حين أمر بإخراج هانيء إلى السوق، مع توضيح في معنى الإخراج إلى السوق، فالروايات في هذا المجال متعددة كما سيأتي.

* وأين؟

وكما وقع الإختلاف في تحديد وقت القتل، فكذلك وقع الخلاف في مكانه، والأقوال هي:

(١) ابن قتية، الإمامة والسياسة ٩. (ت: الشيري). والطبري ٤/٢٩٤. برواية غير أبي مخنف التي تقدم بعضها في الحديث عن القتال وتفرق الناس.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨.

١ - القصر^(١) .

٢ - أعلى قصر الإمارة، كما قتل الشهيد مسلم^(٢) .

٣ - في السوق^(٣) .

٤ - في الكناسة^(٤) .

والكناسة بعيدة عن قصر الإمارة فهي «عند مخرج الكوفة من ناحية الغرب»^(٥) ويقع فيها «المشهد القائم في شرقي قرية ذي الكفل»^(٦) والذي يقرب «من النخيلة وهي العباسية في كلام ابن نما، والعباسيات اليوم»^(٧) وكان فيها سوق لبيع المواشي، والظاهر أن المراد بها ماعدا الغنم،^(٨) .

ومن البعيد جداً أن يجرؤ الطاغية على نقل الشهيد هانيء حياً كل هذه المسافة الطويلة، ولذلك فالراجح أن الزج باسم الكناسة في الحديث عن القتل ناشيء من ورود إسمها في الحديث عن الصلب، كما سيأتي، أو لأن من فعل ذلك قد وصله ما لم يصلنا .

ويتضح ذلك بالمقارنة بين عبارة مثير الأحزان، وبين رواية الطبري

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٩ .

(٢) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ٢٤٢ .

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ٦٣/٢ . والطبري ٢٨٤/٤ . والخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٧ . وابن نما، مثير الأحزان ٢٦ بلغة «وقيل» . والبلاذري، أنساب الأشراف ٨٣ . والدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨ رغم تصريحه - كما تقدم - بأن مقتله كان قبل محاصرة الشهيد مسلم القصر .

(٤) ابن نما، مثير الأحزان ٢٦ . وما ورد فيه حول أن القتل كان في الكناسة مطابق - ماعدا كلمة فقتل -

لرواية الطبري عن الإمام الباقر عليه السلام . الطبري ٢٦٠/٤ . وانظر: المزي، تهذيب الكمال ٤٢٦/٦

(٥) د. كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة (م. م) ٨٤ .

(٦) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٥٠ نقلاً عن السيد المقرم، زيد الشهيد ١٥٣ .

(٧) المصدر .

(٨) المصدر ١٤٨ . وقد جاء فيه: «وكان في ناحية من نواحي الكناسة أسواق البراذين، تجري فيها المعاملات على العاشية من بغال وحمير وإبل، يبعاً واكتراءً من قبل النخاسين، وهناك يباع الرقيق» .

- ١ - أنه قتل قبل اعتقال الشهيد مسلم، وذلك إثر استدراجه إلى القصر وامتناعه عن تسليم مسلم إلى الطاغية^(١).
 - ٢ - أنه قتل بعد مجيء المذحجين بقيادة عمرو بن الحجاج وانصرافهم^(٢).
 - ٣ - أنه قتل بعد قتل الشهيد مسلم، وهو ماتجمع عليه ما يمكن وصفه بمصادر الدرجة الأولى.
- والصحيح - بناء لما في أغلب المصادر والمعتمد منها بشكل خاص - هو ما ينسجم مع عدم جرأة الطاغية على الإقدام على خطوة من هذا النوع قبل أن يطمئن إلى أن قتل «شيخ المصر» لن يترد عليه بما لا طاقة له به، وهذا ما لم يتأكد منه إلا بعد شهادة مسلم رضوان الله تعالى عليه.
- وإذا لاحظنا ما روي من أنه كان قد وعد ابن الأشعث بالعمفو عن هانيء، فمعنى ذلك أنه كان إلى لحظة شهادة مسلم ما يزال يعيش هواجس ردة الفعل على مقتل هانيء.
- ويبدو أن اطمئنانه بلغ حداً لم يكن يخطر له ببال، مما يدل على أن خروجه من قلب الخطر كان تدريجياً، وقد بلغ ذروته حين أمر بإخراج هانيء إلى السوق، مع توضيح في معنى الإخراج إلى السوق، فالروايات في هذا المجال متعددة كما سيأتي.

* وأين؟

وكما وقع الإختلاف في تحديد وقت القتل، فكذلك وقع الخلاف في مكانه، والأقوال هي:

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ٩. (ت: الشيري). والطبري ٤/٢٩٤. برواية غير أبي مخنف التي تقدم بعضها في الحديث عن القتال وتفرق الناس.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨.

١ - القصر^(١) .

٢ - أعلى قصر الإمارة، كما قتل الشهيد مسلم^(٢) .

٣ - في السوق^(٣) .

٤ - في الكناسة^(٤) .

والكناسة بعيدة عن قصر الإمارة فهي «عند مخرج الكوفة من ناحية الغرب»^(٥) ويقع فيها «المشهد القائم في شرقي قرية ذي الكفل»^(٦) والذي يقرب «من النخيلة وهي العباسية في كلام ابن نما، والعباسيات اليوم»^(٧) وكان فيها سوق لبيع المواشي، والظاهر أن المراد بها ماعدا الغنم،^(٨) .

ومن البعيد جداً أن يجرؤ الطاغية على نقل الشهيد هانيء حياً كل هذه المسافة الطويلة، ولذلك فالراجح أن الزج باسم الكناسة في الحديث عن القتل ناشيء من ورود إسمها في الحديث عن الصلب، كما سيأتي، أو لأن من فعل ذلك قد وصله ما لم يصلنا .

ويتضح ذلك بالمقارنة بين عبارة مثير الأحزان، وبين رواية الطبري

(١) ابن قتية، الإمامة والسياسة ٩ .

(٢) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ٢٤٢ .

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ٦٣/٢ . والطبري ٢٨٤/٤ . والخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٧ . وابن نما، مثير الأحزان ٢٦ بلغة «وقيل» . والبلاذري، أنساب الأشراف ٨٣ . والدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨ رغم تصريحه - كما تقدم - بأن مقتله كان قبل محاصرة الشهيد مسلم القصر .

(٤) ابن نما، مثير الأحزان ٢٦ . وما ورد فيه حول أن القتل كان في الكناسة مطابق - ماعدا كلمة فقتل -

لرواية الطبري عن الإمام الباقر عليه السلام . الطبري ٢٦٠/٤ . وانظر: المزي، تهذيب الكمال ٤٢٦/٦

(٥) د . كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة (م . م) ٨٤ .

(٦) البراقبي، تاريخ الكوفة ١٥٠ نقلاً عن السيد المقرم، زيد الشهيد ١٥٣ .

(٧) المصدر .

(٨) المصدر ١٤٨ . وقد جاء فيه: «وكان في ناحية من نواحي الكناسة أسواق البراذين، تجري فيها المعاملات على العاشية من بغال وحمير وإبل، يبعأ واكتراء من قبل النخاسين، وهناك يباع الرقيق» .

عن الإمام الباقر عليه السلام التي ورد فيها أن الصلب كان في الكناسة، ويأتي ذكرهما تحت عنوان: «الجر بالحبال».

كما أن الراجح أن المراد بالسوق ما يشكل سوق الغنم بعضه، وكان قريباً من قصر الإمارة، في الجانب الشرقي للمسجد^(١).

ولئن كان إقدام ابن زياد على نقل الشهيد حياً إلى الكناسة البعيدة، بعيداً جداً، فإن بالإمكان أن يجروا على إخراجه إلى السوق القريب من قصر الإمارة، الواقع في الجهة المغايرة للجهة التي يقطنها المذحجيون، ليقتل خارج القصر إمعاناً منه في الإستهانة بما كان يمثله الشهيد، وليلقن بذلك الدرس المعهود من كل طاغية مثله في مثل هذا الظرف.

ولكن - رغم ذلك - يبقى الإحتمال الأرجح الموافق لمقتضيات الحال، أن إخراج الشهيد إلى السوق كان شكلياً بمعنى أن يقتل في أوائل السوق فور إخراجه ليحقق الطاغية ما يمكن تحقيقه من التجبر والإستخفاف، مع حذره التام من الإبتعاد به عن القصر وهو على قيد الحياة، مخافة أن يحصل ما لا تحمد عقباه، وهو ما يظهر من بعض^(٢) الأوثق من النصوص التي تؤكد أن قتل الشهيد هانيء قد وقع في السوق.

(١) جاء في الطبري ٢٩٤/٤ حول تفرق الناس عن الشهيد مسلم: «فلم يكونوا يمرون في طريق يميناً ولا شمالاً إلا أن ذهب منهم طائفة، الثلاثون والأربعون ونحو ذلك قال فلما بلغ السوق وهي ليلة مظلمة ودخلوا المسجد قيل لابن زياد والله ما نرى كثير أحد». وقال البراقبي، في تاريخ الكوفة ١٤٧: «وكانت أسواق الكوفة تنتظم من قصر الإمارة وموقعه، شرقي الجامع وإلى جنبه إلى دار الوليد بن عقبة من جهة». ومن الجهة الأخرى إلى مساكن ثقيف وأشجع، وموقعها اليوم ما بين الشرقي للجامع إلى ما يقارب مسجد سهيل (السهلة).

(٢) يلاحظ - بشكل خاص - في نص ابن أعثم والخوارزمي الآتي، أن محاولة قتل الشهيد جاءت كردة فعل على محاولته الدفاع عن نفسه، ولم تغن الضربة الأولى شيئاً، ثم كانت الضربة الثانية القاتلة بعد لحظات، مما يوحي بأن الأمر كان قد صدر إلى الجلاوزة، أن يسيروا به في السوق، بمقدار ما يسمح به الحال، وأن يبادروا إلى قتله إذا بدر ما يمكن أن يتطور إلى الأسوأ.

قال الشيخ المفيد والطبري :

وقام محمد بن الأشعث إلى عبيدالله بن زياد فكلمه في هانيء بن عروة وقال إنك قد عرفت منزلة هانيء بن عروة في المصر وبيته في العشيرة وقد علم قومه أنني وصاحبي سقناه إليك فأنشدك الله لما وهبته لي فإني أكره عداوة قومه «و» هم أعز أهل المصر وعدد أهل اليمن . قال فوعده أن يفعل ، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان بدا له فيه وأبى أن يفي له بما قال ، فأمر بهانيء بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل فقال أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه . فأخرج بهانيء حتى انتهى إلى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف فجعل يقول وامدحجاه ولا مدحج لي اليوم ! وامدحجاه وأين مني مدحج ! فلما رأى أن أحداً لا ينصره جذب يده فنزعها من الكتاف ثم قال أما من عصاً أو سكين أو حجر أو عظم يجاحش (يدافع) به رجلٌ عن نفسه . قال ووثبوا إليه فشدوه وثاقاً ثم قيل له : أمدد عنقك فقال ما أنا بها مُجدٍ سخي وما أنا بمعينكم على نفسي . قال فضربه مولى لعبيد الله بن زياد تركي يقال له رشيد بالسيف فلم يصنع سيفه شيئاً فقال هانيء إلى الله المعاد . اللهم إلى رحمتك ورضوانك ثم ضربه أخرى فقتله^(١) .

وقال ابن أعثم والخوارزمي :

«ثم أمر ابن زياد بهانيء بن عروة أن يُخرج فيُلحق بمسلم بن عقيل ، فقال محمد بن الأشعث : أصلح الله الأمير ، إنك قد عرفت منزلته في المصر وشرفه وعشيرته ، وقد علم» . . . «قومه أنني وأسماء بن خارقة جئنا به إليك ، فأنشدك الله أيها الأمير إلا وهبته لي ، فإني أخاف عداوة أهل بيته فإنهم سادات أهل الكوفة ، وأكثرهم عدداً . فزبره «نهره» ابن

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٦٣ . والطبري ٤/٢٨٤ باختلاف يسير . واللفظ للطبري .

زياد، وأخرج هانيء إلى السوق إلى موضع تباع فيه الغنم وهو مكتوف، فعلم هانيء أنه مقتول، فجعل يقول: وَاْمَذْحِجَاهُ، وأين مني مَذْحِج؟! وَاَعْشِيرَتَاهُ، وأين مني عشيرتي؟! ثم أخرج من الكتاف يده للمدافعة، وقال: أما من عصاً أو سكين أو حجر، أو عظم يجاحش «يدافع» به الرجل عن نفسه، فوثبوا إليه وشدوه، ثم قالوا له: امدد عنقك، فقال: ما أنا بها سخي، ولا بمعينكم على نفسي فضربه غلام لعبيد الله بن زياد بالسيف ضربة لم يصنع بها شيئاً، فقال هانيء: إلى الله المعاد والمنقلب. اللهم إلى رحمتك ورضوانك. اللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي، فإنني إنما غضبت لابن نبيك محمد ﷺ. فتقدم إليه أيضاً الغلام التركي وإسمه رشيد فضربه فقتله»^(١).

وقال البلاذري:

«وطلب ابن الأشعث إلى ابن زياد في هانيء بن عروة فأبى أن يشفّعه، فأمر به فأخرج من محبسه إلى السوق وهو مكشوف الرأس يقول: وَاْمَذْحِجَاهُ وَلَا مَذْحِج [لي] اليوم!! ف ضرب عنقه»^(٢).

وقال المسعودي:

«ثم أمر بهانيء بن عروة، فأخرج إلى السوق ف ضرب عنقه صبراً، وهو يصيح: يا آل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع، وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها، كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلاً وخذلانا»^(٣).

(١) الفتوح، ابن أعمش ٦١/٥. وعنه: الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٠٧. واللفظ للخوارزمي.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٨٣.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٥٩/٣.

إنها لحظات تاريخية، تلح بالثأر من كل المتخاذلين، الذين مكنوا للفراعة أن يبطشوا بالمجاهدين.

هذا القائد الجليل الذي كان يقود ثلاثين ألفاً، لا يجد الآن ولو فرداً واحداً يقف إلى جانبه!

ها هو شيخ مصر، وحيداً غريباً، إلا أنه لم يضعف ولم يهن، بل ظل رابط الجأش، قوي الشكيمة، كما كان مسلم رضوان الله تعالى عليهما. اللهم ارزقنا شفاعتهما وحسن التآسي.

* التمثيل بالشهيد

يتحدث عدد كبير من المصادر عن التمثيل بالشهيد، في ما يتحدث البعض عن التمثيل بأحدهما، كما سنرى.

وتجدر الإشارة إلى أمرين:

الأول: أن الطاغية حرص على أن تبدأ عملية التمثيل بما لا يقل عن بعض حلقاتها إن لم يكن منها، وهو اختيار مكان إلقاء الجسد، أو القتل بطريقة يريد بها الطاغية أن تكون في حد ذاتها إذلالاً للشهيد.

الثاني: أن إلقاء الجسد من علو ثلاثين ذراعاً هي ارتفاع أعلى القصر - على أقل تقدير، كما تقدم - بما ينتج عنه من تهشيم العظام، وتقطع الجسد، ليس إلا من أسوأ أنواع التمثيل، ولكن قاموس الإجرام الأموي، أضاف إلى ذلك مفردات أخرى، تكشف شراسة الإفتراس التي يمكن أن تبلغها النفس في اتباع خطوات الشيطان.

* الجر بالحبال

بين الرعب المستبد الذي جعل الطاغية لا يصدق بتفرق الناس، ويأمر بقلع بعض سقوف المساحات المسقفة من المسجد، وبين جر

جثتي الشهيدين بالحبال، وصلبهما منكوستين، بون شاسع وشقة بعيدة، تقطعها النفس الأمانة بطي النفس بين عشية وضحاها، بل قبل أن يرتد الطرف.

والمفارقة الأعجوبة، أن هذه النفس تمتطي صهوة مثيلاتها لتُغذَّ السير بها لاستعبادها، الذي لا يقف عند حدود الرضا بالذل، بل يتعدها ليلبغ أقصى مراتب البهجة والحبور.

هؤلاء الذين أقضوا البارحة مضجع الطاغية، بحيث أنه حدث نفسه بالفرار، والذين كانوا ثلاثين ألف دارع، يحفون بهانيء بن عروة في الملمات، وهؤلاء الذين بايعوا مسلم بن عقيل بالأمس هم بعض جمهور المتفرجين اليوم على جر جثتي الشهيدين بالحبال كل هذه المسافة الطويلة، وطيلة ذلك اليوم.

قال الطبري:

«وألقى جثته (أي الشهيد مسلم) إلى الناس وأمر بهانيء فسحب إلى الكناسة فصلب هنالك»^(١).

وقال ابن نما:

«وأمر بهانيء بن عروة فسحب إلى الكناسة فقتل وصلب هناك وقيل ضرب عنقه في السوق غلام لعبيد الله إسمه رشيد»^(٢).

ولئن لم يرد في المصادر الأساسية الأشهر تعبير «سحبوهما بالحبال من أرجلهما طوال ذلك النهار» أو ما يدل عليه بتفصيله، فقد ورد فيها ما

(١) الطبري ٤/٢٦٠. وعنه: المزي، تهذيب الكمال ٤/٤٢٧.

(٢) ابن نما، مشير الأحزان ٢٦.

لا يمكن تفسيره - من حيث الكيفية - إلا بذلك، وهو السحب كما تقدم. ثم إن هذا التعبير هو المحكي عن مصدر لا يقل أهمية عنها^(١).

ولا يمكن أيضا إخفاء استغراب أن يجرؤ الطاغية على الأمر بذلك، مع أن موقع مذحج في الكوفة كما سمعت بلسان ابن الأشعث، إلا أن الأمر الغريب قد يقع، ولا يقلل من هذا الإستغراب، الحديث عن أن ذلك استفز مذحجاً، فقاتلوا واستنقذوا الجثتين، لأن ذلك لم يرد في مصدر يمكن الركون إليه وإن كان يمكنه أن يشير سؤالا في مثل هذا المورد، ثم إن الإنهيار الكوفي المدوي لا يشجع على تصديق وقفة من هذا النوع^(٢).

* الصَّلب: أول قتيل هاشمي يصلب

وبحسب عدد من المصادر: كما لم يكتف الطاغية بالقتل بل حرص على تكسير العظام، والسحب في السوق، فقد أضاف إلى ذلك صلب الجسدين مع خصوصية في الصلب - كما في بعض المصادر المعبرة - وهي كونهما منكوسين!

قال ابن أعثم والخوارزمي:

«ثم أمر ابن زياد بمسلم وبهانيء فصلبا منكسين»^(٣).

وقال ابن سعد:

(١) السيد محمد تقي بحر العلوم، مقتل الحسين ٢٤٦ - ٢٤٧. (م. م) نقلاً عن: المناقب والمثالب، للقاضي نعمان المصري، مخطوط ١٧٥. والمراد به القاضي نعمان أبو حنيفة التميمي المغربي نزيل مصر (المتوفى ٣٦٣هـ). أنظر: السيد محمد حسين الجلاي، مقدمة التحقيق ٥٩ - ٦٠ وفيها ذكر نسخ مخطوطة المناقب والمثالب، الموجودة في النجف.

(٢) أنظر: الطريحي، المنتخب ٤٢٨. المجلس التاسع من الجزء الثاني.

(٣) ابن أعثم، الفتوح ٦٢/٥. وعنه: الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٠٧. واللفظ للخوارزمي.

«فأخذ عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة فقتلها جميعاً وصلبهما»^(١).

وقال سبط بن الجوزي:

«فأصعد «مسلم» إلى أعلى القصر فضربت عنقه، وألقي رأسه إلى الناس، وصلبت جثته بالكناسة، ثم فعل بهانيء بن عروة كذلك»^(٢).

وقال ابن شهر آشوب:

«ثم أمر بقتل هانيء بن عروة في محلة يباع فيها الغنم ثم أمر بصلبه منكوساً»^(٣).

وقال ابن حجر: «فأمر به فأصعد إلى القصر ثم قتله وقتل هانيء بن عروة وصلبهما»^(٤).

وقال المسعودي:

«ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فصلبت» .. وهذا أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم»^(٥).

ورغم عدم تعرض الشيخ المفيد والطبري للصلب، فإن وفرة مصادره ونوعيتها يؤكدانه، ليفتح ذلك الباب على مصراعيه للتفكير بعمق جذور الشلل الذي خيم على الكوفة، وعلى المذحجين بالخصوص!

(١) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٤/٤٢.

(٢) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ٢٤٢.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ٣/٢٤٥.

(٤) ابن حجر، الإصابة ٢/٧١.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ٣/٦٠.

* نصب الرأسين في الشام: أول رأس هاشمي يحمل إليها!

من الثابت إرسال رأسي الشهيدين مسلم وهانيء، إلى الشام، وقد أضاف بعضهم أن رأس الشهيد عمارة بن صلخب كان معهما، ويأتي في ترجمة الشهيد عبد الأعلى ما يحتمل أنه السبب في عدم إرسال رأسه - وغيره - إلى الشام.

قال الشيخ المفيد والطبري:

«ثم إن عبيدالله بن زياد لما قتل مسلماً وهانئاً بعث برؤوسهما مع هانيء بن أبي حية الوادعي، والزبير بن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية»^(١).

وقال الدينوري:

«ثم بعث عبيد الله برؤوسهما إلى يزيد وكتب إليه بالنبا فيهما»^(٢).

وقال البلاذري:

«وخرج عمارة بن صلخب الأزدي وكان ممن أراد نصرة مسلم فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به فأمر به فضربت عنقه في الأزدي، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانيء بن عروة إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانيء بن أبي حية الوادعي من همدان»^(٣).

وقال المسعودي:

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٦٣ - ٦٤. والطبري ٤/٢٨٥ واللفظ للطبري. وانظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٨/٣٠٦ - ٢٠٧. نقلاً عن الطبري.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤٢. وأورد اسمي الرسولين. وانظر: ابن حبان، الثقات ٢/٣٠٩. و: ابن نما، مشير الأحزان ٢٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف ٨٥.

«وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى دِمَشْقَ، وَهَذَا أَوَّلُ قَتِيلٍ صَلَبَتْ جِثَّتُهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَوَّلُ رَأْسٍ حُمِلَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ»^(١).

ولم تشف مفردات الإنتقام المتقدمة هذه كلها رغم فظاعتها، غليل القلوب الأموية، وحقدها الدفين على رسول الله ﷺ والهاشميين والمؤمنين، فقد أمر يزيد بنصب رأسي الشهيدين مسلم وهانيء، في مكان عام بدمشق.

قال في المناقب: «فَنَصَبَ «يَزِيدُ» الرَّأْسَيْنِ فِي دَرْبٍ مِنْ دِمَشْقَ»^(٢).

* نظرة في الأسباب

وهكذا طويت صفحة حركة الإعتراض الواهمة في الكوفة، ولم يبق منها عين ولا أثر.

ذابت مَذْحِج كحبة الملح في غمرات الماء، فلا أركان التظاهرة التي قادها عمرو بن الحجاج إلى قصر الإمارة، هبوا لنجدة زعيمهم، ولا أي دارع من الثلاثين ألفاً لبي نداء هانيء: وَاْمَذْحِجَاهُ! مما جعله يجيب نفسه: ولا مذحج لي اليوم!

وإذا كانت مذحج قد أسلمت شيخها رغم كل أياديه البيضاء التي امتدت على مساحة أكثر من سبعة عقود من عمره التسعيني، فهل يرجى من كوفي آخر بعض وفاء!

ثم هل يبقى مجال للتساؤل عن إسلام الكوفة مسلم بن عقيل؟!!

نعم يبقى السؤال بإلحاح عن الأسباب التي أدت إلى ذلك.

(١) المسعودي، مروج الذهب ٦٠/٣.

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٥/٣.

والآن وقد تم استعراض أحداث الكوفة منذ دخول الشهيد مسلم وإلى شهادته والشهيد هانيء، وإرسال رأسيهما إلى الشام، أصبح بإمكاننا أن نلقي نظرة في الأسباب.

ثمة سببان رئيسان، يشكلان وجهين لحقيقة واحدة: الحرب النفسية، وطبيعة النفس المستهدفة بهذه الحرب: النفس الأمارة.

١ - الحرب النفسية

من الأسباب التي ينبغي التركيز عليها بعناية تامة، دور الحرب النفسية، وبث الشائعات، في تفريق الجماهير عن راية الحق.

وتتضح أهمية سلاح الحرب النفسية عندما ننتبه إلى أن كل الأساليب التي اعتمدها ابن زياد، تشكل - كما مرت الإشارة - مفردات في إطارها، وتتضافر جميعها في استهداف «النفس» لتدعن للطاغوت.

كان في القصر مع ابن زياد حوالي الخمسين فرداً، وفي مرحلة تالية مائتان، ولنفترض أن عدد المخبرين والعملاء كان يبلغ الآلاف، فإن ذلك يعني أن كل الأساليب المتقدمة رغم خطورتها تبقى دائرتها محصورة في نطاق ضيق لا يمكنه أن يحدث مثل ذلك التصدع والإنهيار المدويين في حاضرة مترامية الأطراف والعديد كالكوفة، إلا من خلال جعل هذه الأساليب وسيلة إخضاع الجماهير، ويتوقف ذلك على اعتماد سياسة الحرب النفسية وبث الإشاعات لتفكيك جمهور الثورة وقاعدتها الشعبية التي تشكل الدعامة الأولى - في المنظور المادي - لكل تحرك ثوري.

إن الحرب النفسية، أشد الأسلحة فتكاً في الإجهاز على أحلام المستضعفين وتطلعاتهم إلى عيش حر كريم يرفع عنهم إصر أغلال الطواغيت، وإذا أردنا أن نستلهم من أحداث الكوفة عام ستين للهجرة، ما ينفعنا في مواجهة الحرب النفسية التي يعتمدها الطواغيت لمواجهة

غضبة الجماهير المستضعفة، فإن علينا أن نلتفت إلى أن هذه الحرب على قسمين:

الأول: الإشاعات الكاذبة من قبيل أن جيش الشام قد توجه نحو الكوفة، وقد عرفت أن ذلك كان محض إختلاق.

الثاني: التهويل بأمر صادقة حصلت فعلاً، أو يمكن أن تحصل، إلا أنها تعطى حجماً كبيراً، يمكنه أن يدخل الرعب في النفوس، من قبيل التهديد بالتجمير في المغازي وهو مصطلح كان يقصد به إطالة المدة التي يقضيها الغزاة في جبهات القتال كنوع من التأديب للعصاة منهم، أو من قبيل التهديد بقطع المخصصات المالية وما شابه.

على المجاهد أن يكون مستعداً سلفاً لكل أنواع التهويل التي يلجأ إليها الطاغوت حتى لا يواجه المصير الكوفي، فيقع بعد توثب للجهاد، ويخسر بذلك الدنيا والآخرة، نعوذ بالله من سوء العاقبة.

٢ - النفس الأمانة

وهنا بيت القصيد، والمحور الأساس والوحيد الذي يمتاز به المجاهد عن القاعد. إنه طبيعة النفس البشرية التي إن عجز عن إخضاعها للعقل، أمسك بزمامها الهوى وقادها في ميادين التنكر لكل القناعات، فإذا بصاحب هذه النفس يأتمر بأمر هواها والرغبات عاجزاً عن الوقوف إلى جانب ما يود أن يكون معه.

تلك هي معضلة الكوفيين الحقيقية، وهي التي عبر عنها الفرزدق بقوله لسيد الشهداء عليه السلام: **قلوبهم معك وسيوفهم عليك.**

والنفس عطاء إلهي يمكن تربيته ويمكن إهماله، فإن حسن جهاده والتربية، بلغ سن الرشد ليصبح «النفس المطمئنة» وإن أسيء جهاده وتربيته إشتد مراسه في معاقرة الهوى، وتردى في أودية الهلاك.

وتبدأ النفس رحلة الهلاك بإهمال «جهاد النفس» والإقبال على «حب الدنيا»، وكان هذا مقتل الكوفيين.

بمقدار اقتراف الإثم تضعف النفس، وبالإفراط فيه تموت، فيغدو محالاً أن تقوى على حراك اعتراض بحجم مواجهة رغبة في سلعة، فكيف تقوى على معارضة الطاغوت وسلطانة.

وبمقدار اقتراف الحسنات تتعافى النفس وتنمو وتنضج ويشتد عودها، فتصبح مؤهلة لحمل المسؤوليات الجسام التي تنوء بأثقالها الجبال الرواسي.

وتلك هي النقطة المركزية في كل حركة اعتراض وممانعة، والرصيد الأوحى في المدى البشري لكل تغيير وثورة.

كانت الكوفة صادقةً في أنها لا تهوى معاوية ويزيد وولاتهما، ولكنها كانت واهمة كاذبة في ادعاء أنها ستحارب لتتحرر من أسرهم، فلقد كانت الكوفة - إلا من عصم الله - عبداً داخراً لدنيا يمسك بناصيتها معاوية ويزيد.

وليس المحور في إنزال الله تعالى النصر هو غلبة الإدعاء، بل الحقائق التي نصرت الله تعالى في الخروج من أسر النفس الأمارة فاستحقت أن تنصر.

إن تنصروا الله ينصركم

الفصل الخامس

تداعيات الإنهيار الكوفي

* الكوفة بعد الشهيدين

من الطبيعي جداً في ظرف كالذي عاشته الكوفة عند تفرق الناس عن الشهيد مسلم، أن تتسارع الأحداث المثيرة وتتشعب، من مطاردة ومداهمة واعتقال، إلى مواجهات جزئية متفرقة، وهدم دور وضرب أعناق، كنتيجة حتمية لهذا الإنهيار السريع والتبدل المفاجيء.

وتمس الحاجة إلى أن نوقن بأن ما جرى في الكوفة كان في العمق حركة اعتراض حقيقية غاية في القوة والخطورة إلا أنها انقلبت على أعقابها في لحظة مذهلة لا تخضع لأي من الحسابات السياسية المتعارفة.

وعندما توصف هذه الحركة بما يدل على عدم تجذرها، فإنما يصح ذلك بلحاظ ما آلت إليه، أما إذا أردنا وصفها بلحاظ المقدمات والإعداد ومكامن القوة، فإننا لا نكاد نجد لها مثيلاً بين كل حركات الإعتراض التي أدت إلى تسلّم الحكم في الكوفة وما والاها، سواء على يد المختار أو مصعب أو غيرهما.

وعلاقة ذلك بالحديث عن الكوفة بعد الشهيدين، هي أن معرفة عمق حركة الرفض للسلطة الأموية، المدخل الوحيد لرصد ردود الفعل وتقدير المدى البعيد الذي لا بد أنها أمعنت فيه، خصوصاً لدى غياب المعطيات الوافية في هذا الباب.

كانت حركة الأحداث حتى لحظة اعتقال الشهيد هانيء، ثم التناغم الكارثة بين شريح وعمرو بن الحجاج، بل وإلى لحظة اتساع رقعة تفرق الناس، قبيل قلع بعض سقف المساحات المسقفة من المسجد، توحى بتماسك موقف أهل الكوفة، رغم كل ما اشتهروا به من غدر وتلوّن، وانقلاب على الأعقاب، إلى حد أن الشهيد مسلماً اطمأن إلى ثبات الموقف، فكتب إلى الإمام الحسين عليه السلام ليتوجه إلى الكوفة.

ومن الخطأ الفادح، والمجانبة لأدنى مسكة من الموضوعية والتثبت، إرجاع ذلك إلى قصور في القراءة السياسية، وعدم الدقة في رصد مؤشر ميزان القوة لدى الشهيد القائد عليه الرحمة والرضوان، فلم يتفرد هو بذلك لأن مهمته كانت تتركز بالدرجة الأولى في استطلاع الوضع ومعرفة ما أجمع عليه رأي الملا وذوي العقل والفضل.

ويظهر ذلك بأدنى تأمل في رسالة الإمام إلى أهل الكوفة، وطبيعة مهمة الشهيد مسلم، التي تقدم بيانها، من خلال قول الإمام عليه السلام: «وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملتكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله».

يؤكد هذا أن وجوه الكوفة وأبدالها، الذين بايعوا الإمام كانوا - معظمهم أو جميعاً - يرون أن مقدمات النهضة قد اكتملت، وأصبح بالوسع الحديث عن جهوزية الكوفة للتغيير، فلا يتصور أن يشيروا على الشهيد مسلم بالكتابة إليه بذلك مع فرض احتمال التبدل في الموقف.

وإذا استحضرنا أن «ذوي الحجا والفضل» في الكوفة الذين يفترض أن الشهيد مسلماً أصغى إليهم هم انشهداء هانيء بن عروة، وحبیب بن مظاهر، وميثم التمار، وأمثالهم، ممن يركن إلى حسن تقيمه وسداد

رأيه، أدركنا بوضوح أن الموقف في الكوفة كان يبدو بحق في غاية القوة وذرورة الصلابة.

وقد كان الوضع حقيقة كذلك دون أدنى شك ثم حدث ما لم يكن بالحسبان مطلقاً، ولم يبق حجر على حجر.

لنقرأ مرة أخرى، بذهول، واعتبار «وكان كُتِبُ أمره (أي معظم اهتمام ابن زياد) أن يتمسك بباب القصر» بلفظ الطبري^(١) أو «يُمسك باب القصر» بلفظ غيره^(٢).

وما أكثر حركات الإعتراض التي كانت تملك من مقومات القوة فائضاً كبيراً عما تحتاجه للوصول إلى الحكم، ومع ذلك فإنها لم تصل.

ولا يعني ذلك أدنى شائبة توجيهه للإنتقلاب الكوفي على الأعقاب والذي يبقى مضرب المثل عبر الأجيال، وإنما يعني الدعوة إلى حسن القراءة في هذا الإنهيار الكوفي الرهيب.

نخطيء كثيراً إذا انطلقنا من الإستهانة برصيد «الثورة» في الكوفة عشية شهادة مسلم وهانيء، ونخطيء كثيراً إذا بحثنا عن أعذار للكوفيين.

وعلى تجنب هذين الخطأين، يتوقف الوصول إلى حقيقة ما جرى في الكوفة، سواء قبل الإنهيار، أو بعده.

ولكي ندرك هول هذا الإنهيار وتداعياته، فإن علينا أن نتنبه إلى أننا لا نتحدث عن تظاهرة حاشدة رفعت شعارات معادية للنظام، ثم تلاشت، ولا عن بضعة ألوف أعلنوا الحرب، ثم اضطروا إلى الإنسحاب

(١) الطبري ٢٧٦/٤.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/ ٥٢. والفتال النيسابوري، روضة الواعظين ١٧٤. والمجلسي، البحار ٤٤٤/

والتخفي، ولا نتحدث كذلك عن حركة اعتراض جادة ضد الحاكم المحلي تحت سقف السمع والطاعة للحاكم المركزي.

إننا نتحدث عن الكوفة - الحاضرة الإسلامية الأقوى والأبرز، ودار الجند - التي أعلنت الثورة على الحاكم المركزي، وكل امتداداته، وخرجت إلى الشارع وحاصرت قصر الإمارة، وضيق الخناق على ابن زياد بن أبيه، الذي تحمل الكوفة على أكتافها وأنوفها من ثاراتها مع أبيه ما يكفي بعضه للإطاحة به وتمزيقه شر ممزق، وقد تصاعد المد الثوري منذ هلاك معاوية وحتى لحظة تحصن الطاغية بالقصر المنيع وبذل قصارى جهده ليبقى باب القصر موثقاً يقبع خلفه ترتعد فرائصه خوفاً من أن يجتاح إعصار الثورة قصره، ويقضي عليه.

هذه الكوفة، كيف كانت بعد الشهيدين؟ وماذا سيجري فيها بعد هذا الإنهيار؟

من هم الشهداء الكربلائيون في الكوفة؟ ومن هم الذين أصدر الطاغية فيهم حكم القتل ولم يتمكن من تنفيذه؟

وكيف ستكون ردة فعل «ثوار» الأمس الذين لم يصمد ضحلا خزينهم «الثوري» إلى ما بعد صلاتي المغرب والعشاء؟

كيف سيتصرفون وقد كشفوا أنفسهم بما لا مزيد عليه أمام من أمعن في القتل على الظن والتهمة؟

من غادر منهم الكوفة فولى هارباً من عواقب ما أقدم عليه؟

ومن اختبأ منهم داخل الكوفة؟ ومن هم، وكم هم الذين تملقوا شيوخ العشائر للتدخل مع الطاغية للصفح عنهم؟

وكيف ستكون ردة فعل الطاغية المتجبر، خصوصاً مع هؤلاء الذين

جرّعه غصص الموت الزؤام، وألقوا به لساعات عجاف في غياهب النزع، حتى بلغت الروح الحلقوم، الأمر الذي سيكون له حضوره الكبير في جميع تصرفات الطاغية في ما بعد.

لا شك - إذاً - أن أحداثاً جساماً طبقت أضداؤها أرجاء الكوفة، بعد ذلك الدوي الهائل الناجم عن سقوط أهلها في الإمتحان الكربلائي.

ولا شك في أن الإجابة على كل ما تقدم من أسئلة وما يشبهها غاية في الأهمية، يفرض اكتمال البحث في أحداث الكوفة الوقوف عنده، من خلال الدخول إلى النسيج الكوفي لمعرفة خصائص الظاهرة الكوفية والتأمل عن كذب في ملامحها والقسمات لاستلهاام الدروس والعبر، وتبرئة ساحة أولئك الأبدال الذين لم يجد الضعف إلى أنفسهم سبيلاً، فمنهم من قتل فوراً ومنهم من سجن ثم قتل ومنهم من تمكن من اللحاق بسيد الشهداء واستشهد بين يديه.

ولكن الحقيقة المرة هي أن ما تحمله مظان هذه الوقائع من معطيات لا يمكنه أن يفى بالغرض، مما يحتم أن تبقى أكثر الأسئلة حائرة تنتظر دورة الزمن لتتراكم جهود الباحثين، أو العثور على بعض المصادر الكثيرة التي ضاعت في غمرات تقلبات الدهر، أو غير ذلك مما يحمل الغد الآتي.

إلا أن هذا لا ينبغي أن يحول دون الوقوف عند ما تحمله المصادر وإن لم يكن فيه ما يروي الغليل.

* * *

* المختار في مازق

يطالعنا في البداية نص ملفت عن دخول المختار الثقفى إلى

الكوفة، واكتشافه أن كل شيء قد انتهى، وهذا ابن زياد يحكم قبضته على الرقاب والمصائر.

قال الطبري: «خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بـ«خطرنية»^(١) تدعى «لقفا» فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه إنما خرج حين قيل له إن هانيء بن عروة المرادي قد ضرب وحبس فأقبل المختار في موالٍ له حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب وقد عقد عبيدالله بن زياد لعمر بن حريث رايةً على جميع الناس وأمره أن يقعد لهم في المسجد فلما «قدم» المختار وقف على باب الفيل فمر به هانيء بن أبي حية الوادعي فقال للمختار: ما وقوفك ههنا لا أنت مع الناس ولا أنت في رحلك قال أصبح رأيي مرتجاً لعظم خطيئتك! فقال له أظنك والله قاتلاً نفسك. ثم دخل على عمرو بن حريث فأخبره بما قال للمختار وما رد عليه المختار (قال أبو مخنف) فأخبرني النضر بن صالح عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي قال كنت جالساً عند عمرو بن حريث حين بلغه هانيء بن أبي حية عن المختار هذه المقالة فقال لي قم إلى ابن عمك فأخبره أن صاحبه (أي ابن زياد) لا يدري أين هو فلا يجعلن على نفسه سبيلاً. فقامت لآتيه ووثب إليه زائدة بن قدامة بن مسعود فقال له يأتيك على أنه آمن فقال له عمرو بن حريث أما مني فهو آمن إن رقي إلى الأمير عبيدالله بن زياد شيء من أمره أقمته له بمحضره الشهادة،

(١) جاء في معجم البلدان ٣٧٨/٢: حُطْرِنِيَّة: بالضم ثم الفتح، وبعد الراء الساكنة نون مكسورة، وباء آخر الحروف مخففة ناحية من نواحي بابل العراق. وفيه في ج ٥١٦/١: «بهقباذ: بالكسر ثم السكون، وضم القاف، وباء موحدة، وألف، وذال معجمة: اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات، منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد أنوشروان بن قباذ العادل، منها: بهقباذ الأعلى سقيه من الفرات، وهو ستة طساسيج: طسوج خطرنية، وطسوج النهرين، وطسوج عين التمر، والفلوجتان العليا والسفلى، وطسوج بابل». وفي الأخبار الطوال للدينوري ٦٥: «كتب (قباذ، أحد ملوك الفرس، إلى سابور) وكان عامله على بابل وخطرنية». والطسوج هنا بمعنى الناحية.

وشفعت له أحسن الشفاعة. فقال له زائدة بن قدامة لا يكونن مع هذا إن شاء الله إلا خيراً. قال عبد الرحمن فخرجت وخرج معي زائدة إلى المختار فأخبرناه بمقالة ابن أبي حية وبمقالة عمرو بن حريث وناشدناه بالله ألا يجعل على نفسه سبيلاً فنزل إلى ابن حريث فسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح.

«وتذاكر الناس أمر المختار وفعله، فمشى عمارة بن عقبة بن أبي معيط بذلك إلى عبيدالله بن زياد فذكر له فلما ارتفع النهار فتح باب عبيدالله بن زياد وأذن للناس فدخل المختار فيمن دخل فدعاه عبيدالله فقال له أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل فقال له لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبثُّ معه وأصبحت فقال له عمرو صدق أصلحك الله قال فرغ القضيب فاعترض به وجه المختار فخطب به عينه فشرها وقال أولى لك، أما والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك. إنطلقوا به إلى السجن فانطلقوا به إلى السجن فحبس فيه فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين»^(١).

ويلاحظ هنا ما يلي:

١ - أن المسافة بين الكوفة وقرية المختار - ذهاباً وإياباً - كانت تستغرق حوالي الوقت ما بين الظهر والمغرب^(٢) ومثل هذه المسافة لا

(١) الطبري ٤٤١/٤ - ٤٤٢. بتصرف يسير اقتضاه التصحيف. وقد نقل السيد المقرم في مقتل الحسين ١٥٧ - ١٥٨ عن البلاذري في أنساب الأشراف ٢١٥/٥ ما يلتقي مع ما ذكره الطبري باختلاف في تحديد وقت دخول المختار الكوفة بأنه بعد مقتل مسلم وهانيء، وهو بعيد.

(٢) ينبغي ملاحظة أن خبر خروج مسلم لم يصل ظهراً كما ورد في النص، بدليل أن الخروج كان بعد الظهر وهو إلى وقت العصر أقرب، ثم ملاحظة أن المختار لم يصل بعد المغرب، بدليل أن عمرو بن حريث أصبح أمير الناس من قبل ابن زياد بعد صلاة «العتمة» وعليه فيكون وصول المختار بعد ذلك، وإذا لاحظنا الوقت ما بين العصر وأوائل ما بعد العتمة، فهو يعادل ما بين الظهر والمغرب، وهو الوقت الذي استغرقه وصول الخبر للمختار ثم وصوله الكوفة.

تتيح في ظرف كالذي شهدته الكوفة إثر اعتقال الشهيد هانيء إيصال خبر عاجل إلى المختار، ليكون حاضراً في بدايات التحرك، ولكنه توجه إلى الكوفة بمجرد أن بلغه خبر خروج مسلم، فوصلها ليلاً، بعد أن كان ابن زياد قد عين عمرو بن حريث أميراً على الكوفة من قبله.

٢ - وقد أورد الطبري نفسه عن غير أبي مخنف ما يوحي بأن دخول المختار الكوفة كان قبل الغروب. قال الطبري:

«وذكر هارون بن مسلم عن علي بن صالح عن عيسى بن يزيد أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم خرج المختار براية خضراء وخرج عبد الله براية حمراء وعليه ثياب حمراء وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث وقال إنما خرجت لأمنع عمراً وأن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً وأن شبثاً جعل يقول: إنتظروا بهم الليل يتفرقوا»^(١).

ولا مجال للمقارنة بين ما تقدم عن أبي مخنف، وبين غيره، ثم إن ما ذكر هنا ليس نصاً في التوقيت، وإنما يفهم التوقيت فيه من السياق، ولا يركن إليه.

٣ - لم يدخل المختار الكوفة - إذاً - وحده بل دخلها ومعه جماعة وهو يحمل راية خضراء، ويحمل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب راية حمراء، ومع المختار مواليه.

إنها إذاً مجموعة محاربة تريد الإلتحاق بجيش مسلم وقد دخلت الكوفة في الوقت الذي تفرق فيه الجيش عن قائده، وانتهى الأمر، ولك أن تقدر خطورة الموقف.

(١) الطبري ٢٨٦/٤.

ولشدة ذهول المختار فإنه قد فقد السيطرة على أعصابه، وتصرف بمنتهى البلاهة، وعندما رآه هانيء بن أبي حية - وهو الذي حمل رؤوس الشهداء مسلم وهانيء وعمارة إلى الشام - تعجب من تعريضه نفسه للقتل، فقال له المختار: «أصبح رأيي مُرتَجاً^(١) لعظم خطيئتكُم!» ثم يبلغ ابن أبي حية ما رآه إلى عمرو بن حريث الذي قرر تغطية انكشاف المختار، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى حضور قدامة بن زائدة الذي كان شديد الإخلاص للمختار، كما سيأتي.

ويجدر التأمل ملياً في مقولة المختار هذه واعتبارها من وثائق فهم حقيقة الموقف في الكوفة قبل الانقلاب على الأعقاب، فالمختار رغم كل ما عرف به من حنكة ودهائه وشديد حذر وتقليب الأمور ظهراً لبطن كان موقناً بأن الكوفة هذه المرة غيرها في مراتٍ سابقة. وأن الجو فيها لصالح مسلم، وهذا ما حمله على دخول الكوفة بتلك الطريقة المكشوفة، مطمئناً كل الإطمئنان إلى سهولة السيطرة على قصر الإمارة وعلى مقاليد الأمور في الكوفة.

كما يجدر التأمل في خطاب المختار بمقولته هذه لابن أبي حية بما يشمله هو شخصياً: «لعظم خطيئتكُم» وهو صريح في أن هذا الذي سيحمل بعد قليل الرؤوس إلى الشام، كان بحسب تصنيف المختار من جمهور المعارضة!

تبقى الإشارة إلى أمرين:

أ - أن الذي أوقع المختار في هذا المأزق بالإضافة إلى تخاذل أهل

(١) يمكن أن تقرأ «مرتجاً» بفتح الجيم بلا تشديد من رتج بمعنى سد، وبفتح الجيم بتشديد من ارتج بتشديد الجيم، يقال: رأي مرتج بالتشديد: مضطرب، والأول أقرب وأصح. أنظر: العين للخليل، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والصحاح للجوهري.

الكوفة هو ما ورد في النص من أن الشهيد مسلم بن عقيل اضطر إلى تقديم موعد الثورة نتيجة إعتقال الشهيد هانيء.

ب - أن المختار قد رد التحية لعمر بن حريث بأحسن منها، يوم أصبح الحاكم بأمره في الكوفة، فسمح لعمر بن حريث أن يخرج من القصر المحاصر إلى بيته ثم إلى البر سالماً^(١).

* من المشهد الكوفي: التواري، وأخذ الأمان

ويورد الطبري بعد ما تقدم عن دخول المختار الكوفة ما يكشف عن بعض وقائع ما بعد الإنهيار الكوفي، وبشكل خاص اضطرار البعض إلى التخفي وتوسيط شيوخ العشائر للصفح عنهم. وليس ما ورد هنا إلا عينة من ظاهرة، وملحاً من مشهد. قال الطبري:

«ثم إن المختار بعث إلى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية فيكتب إلى عبيدالله بن زياد بتخليه سبيله فركب زائدة إلى عبد الله بن عمر فقدم عليه فبلغه رسالة المختار وعلمت صفة أخت المختار بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر فبكت وجزعت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيد بن معاوية أما بعد فإن عبيدالله بن زياد حبس المختار وهو صهري، وأنا أحب أن يعافى ويصلح من حاله، فإن رأيت رحمتنا الله وإياك أن تكتب إلى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت والسلام عليك. فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشام فلما قرأه ضحك ثم قال يشفع أبو عبد الرحمن وأهل ذلك هو. فكتب له إلى ابن زياد: أما بعد فخلّ سبيل المختار بن أبي عبيد حين

(١) الطبري ٥٠٦/٤.

تنظر في كتابي والسلام عليك . فأقبل به زائدة حتى دفعه إلى ابن زياد . فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ثم قال له : قد أجلتك ثلاثاً ، فإن أدركتك بالكوفة بعدها فقد برئت منك الذمة فخرج إلى رحله . وقال ابن زياد والله لقد اجترأ عليّ زائدة حين يرحل إلى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني أن أطيل حبسه . عليّ به . فمر به عمرو بن نافع أبو عثمان كاتب لابن زياد وهو يُطلب وقال له : النجاء بنفسك واذكرها بدأ لي عندك . قال فخرج زائدة فتوارى يومه ذلك ، ثم إنه خرج في أناس من قومه حتى أتى القعقاع بن شور الذهلي ومسلم بن عمرو الباهلي فأخذا له من ابن زياد الأمان^(١) .

ومن المفيد الإشارة إلى أن زائدة بن قدامة الذي كان مقرباً من ابن حريث كما يدل عليه ما سبق من أخذه الأمان له من ابن حريث ، كان وثيق الصلة بالمختار إلى حد أنه غامر بمصيره وركب القفار من أجل إنقاذه ، ولقد كان قدامة بن سعد حفيد زائدة هذا مقرباً أيضاً من ابن حريث ، كما تدل عليه منقولات أبي مخنف عنه لبعض وقائع القصر وما يرتبط به .

* الحلقات المفقودة

وما جرى للمختار ، وزائدة رغم أنه مقرب من أمير الكوفة آنذاك ، يسلط الضوء على الأوضاع المشابهة التي يقدر أن يكون قد اضطر إليها كثير من الموالين وغيرهم ، كما يبين أن كثيراً من الإعتقالات وربما الصدمات قد حصلت نتيجة المباغته بتسارع الأحداث^(٢) .

(١) الطبري ٤ / ٤٤٢ . مصححاً على ما نقله عنه ابن عساكر ، تاريخ دمشق ١٨ / ٢٩٧ .

(٢) - أورد المحدث القمي في نفس المهموم أن «مذحج» قبيلة هانيء بن عروة قد قاتلت لإنتزاع جثته وجثة الشهيد مسلم من أيدي جلاوزة ابن زياد ، وقد نقل ذلك عن الطريحي في المنتخب / المجلس التاسع من الجزء الثاني .

ليس طبيعياً أبداً، أن ينهار تحرك سياسي كبير، ولا تكون لذلك آثار وذيول على أوسع نطاق تمتد طيلة أيام على الأقل وتشمل أعداداً غفيرة ممن لا ترضي السلطة ميولهم، خاصة وأن قادة هذا التحرك هم وجهاء المجتمع ورموزه.

إن من الطبيعي جداً أن ابن زياد في الوقت الذي كان يسعى فيه لاعتقال مسلم وتصفيته ومن بعده هانيء، كان يبذل أيضاً قصارى جهده لاعتقال رموز نهضة مسلم والموالين للإمام الحسين، وتصفيتهم، خصوصاً وأن الكوفة لم تكن كغيرها من سائر المناطق، فقد كانت تحتضن عدداً كبيراً من الشخصيات البارزة من خواص أصحاب أمير المؤمنين سلام الله عليه الذين كان يمكن لكل واحد منهم أن يكون محوراً للكوفة كلها.

ويؤكد هذه الحقيقة الثابت من أن الطاغية قد ألقى بعددٍ من هؤلاء العظماء في غياهب السجن^(١).

وقد جاء ذلك ضمن تدابير الاحكام العرفية التي أعلنها في الكوفة، التي ظلت أكثر حلقاتها حتى الآن مفقودة، رغم ما يقال عن «تتبع الاشراف الناهضين مع مسلم»^(٢) أو الحديث عن أربعمئة معتقل^(٣) من الوجوه وغيرهم، بل وعن اعتقال اثني عشر ألفاً^(٤) فإن ما هو أكثر من ذلك طبيعي جداً في ظرف الكوفة عند إحكام طاغية لا يصطلى بناره

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ١/٣٢٤ في سجن ميثم والمختار وعبيد الله بن الحارث، وانظر: المقدم، مقتل الحسين ١٥٧

(٢) المقدم، مقتل الحسين ١٥٧

(٣) القرشي، حياة الإمام الحسين ٢/٤١٦ نقلاً عن الدر المنثور في أحوال الأنبياء والأولياء ١/١٠٩ (مخطوطة مكتبة السيد الحكيم).

(٤) نفس المصدر نقلاً عن: المختار: مرآة العصر الأموي

قبضته عليها، إلا أن من تحدثوا عن ذلك لم يقدموا مستنداً يمكن الركون إليه والإطمئنان به، والمصادر الأم خالية الوفاض منه، ما عدا ما تقدم من شذرات لا تبل الغلة، وما يأتي من شهادة من ثبتت شهادتهم.

ولا يمكن أن تكتمل ملامح المشهد الكوفي دون الوقوف على هذه الأحداث العاصفة التي أعقبت مقتل الشهيدين مسلم وهانيء، كما لا تكتمل حلقة الإعتبار إلا به.

* عبرتان برسم الأجيال

الأولى: من الملفت أن تنهار الكوفة رغم وجود كل هذه الشخصيات فيها إلا أن العبرة التي ينبغي استخلاصها من ذلك، أن توفر القيادة الحكيمة لا يكفي لإحراز النصر، بل لابد من تحمل كل فردٍ مسؤوليته. «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته».

ثمة قيادات عظيمة، كثيرة في التاريخ، إلا أنها لم توفق لإحراز النصر على الطاغوت، والسبب هو أن لكل فرد في المجتمع دوراً أساسياً، كما أن للقائد دوراً أساسياً، ودور كلٍ بحسبه.

إن انهيار الكوفة أمام المتغيرات المفاجئة، يكشف مكن الخلل في بنية الشخصية الكوفية، وهو العبودية للرأي العام بدلاً من العبودية لله تعالى، وعندما يصبح «الرأي العام» إلهاً يعبد من دون الله تعالى، يفقد الإسلام أنصاره وتخلو الساحة للشيطان، وليزيد وابن زياد وأضرابهما وأتباعهم.

ولا يتصور على الإطلاق أن يكون مجتمع «الإمعات»^(١) حافلاً بالممانعة والإعتراض.

(١) جمع «أمعة» وهو مما ورد في الحديث الشريف الذي يقول أسير مع الناس، ، وحيث يسرون. وقد تقدم شرحه.

وهنا تبدو بجلاء أهمية أن يربي المسلم نفسه على الموقف المبدئي فلا تزيده شدة تفرق الناس عنه إلا تماسكاً وتجزراً، فيمضي في طريقه كحد السيف ما دام تكليفه الشرعي واضحاً.

إن عقد القلب على هذا المنهج هو وحده المدخل إلى اصطفاف المجاهدين والثوار في الصف الذي يحبه الله تعالى.

وهل انطلقت ثورة إلا من أتون التحدي ومعاكسة التيار العام؟ وهل التف الناس حول راية ثورة، إلا بعد أن طال ليل معاناة الثوار الأوائل، وتحملوا من التهم والأذى والبطش، ما لا يقوى عليه إلا الأبدال.

والمسافة بين هذا المنطق وتنظير الحالمين، الذين يستنبطون «الموقف المبدئي»! من «معطيات الواقع» الموهوم عادة، هي نفس المسافة بين مجاهد وآخر قاعد، الأول يدرس «المعطيات» جيداً ليواجهها بالأسلوب الأمثل، والثاني تأسره هذه المعطيات وتزيده قناعةً بالإخلاق إلى الأرض وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

* أما العبرة الثانية وهي الترجمة العملية للأولى، فهي، أولئك الشهداء «الكوفيون» الذين تبرؤوا عملياً من الإيمان الكوفي، والتحقوا بسيد الشهداء عليه السلام، فأثبتوا حقائق كثيرة في طليعتها أن الظاهرة الكوفية لا ترتبط بجغرافيا الكوفة والعراق بل ترتبط بمرض يمكنه أن يضرب كل نفس بشرية لا تمتلك المناعة الكافية منه ومن مقدماته التي تؤدي إلى الإصابة به.

لقد كان هؤلاء بين أهل الكوفة، إلا أنهم لم يكونوا منهم، عاشوا بكل ذرة من كيانهم تداعيات ذلك الإنهيار العجيب، وأحسوا بكل كيانهم بتخاذل الناس من حولهم، إلا أنهم لم يتأثروا بذلك إطلاقاً ولم يحددوا تكليفهم على أساس الرأي العام، وإنما حددوا تكليفهم على أساس أن الإمام الحسين هو سبط رسول الله ﷺ، وقد أوصى الأمة بطاعته

وحبه، وهو إمام زمانهم، وقد ثار على الحاكم الظالم الذي يشكل الخطر الأكبر على الإسلام.

ورغم أن الخروج من الكوفة كان مكلفاً جداً، فقد يؤدي مجرد محاولة الخروج إلى القتل، فإنهم رضوان الله تعالى عليهم قرروا الإلتحاق بسيد الشهداء، علماً بأن الطريقة التي اضطر إليها بعضهم كانت محفوفة بأكبر المخاطر، إذ أن الطاغية - وبعد ان استتب له الأمر في الكوفة - رمى بكل ثقله العسكري والأمني في مجال الحيلولة بين الإمام الحسين وأنصاره الذين قد يفكرون بالتوجه إليه.

كانت الحواجز كثيفة جداً إلى حد أن من هم خارج الكوفة لم يكونوا يستطيعون الدخول إليها، والذين هم فيها لا يستطيعون مغادرتها^(١).

ورغم ذلك كله نجد أن فريقاً من شهداء كربلاء الذين التحقوا بالإمام عليه السلام قدموا من الكوفة، وتحدوا كل المخاطر، حتى أن أحدهم وهو الشهيد عامر بن أبي سلامة الدالاني، حمل على تجمع لجنود الطاغية قوامه خمسمائة فارساً، وفرقهم ليمضي في طريقه الكربلائي، ويلتحق بسيد الشهداء عليه السلام^(٢).

«كلّ يعمل على شاكلته»

تتلخص هذه العبرة بأن على الطليعة المجاهدة أن تكون متحررة من قيود مماثلة الرأي العام على الخطأ كي تصبح مؤهلة لإحداث الصدمة، واحتلال الموقع الريادي.

وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين

(١) الطبري / ٤ / ٢٩٥

(٢) المقدم - مقتل الحسين / ١٩٩ نقلًا عن الإكليل للهمداني ج ١٠ / ٨٧ و ١٠١.

الشهداء في الكوفة

أبرز تداعيات الانهيار الكوفي - بعد الشهيدين - أميران:

الاول: التصفية الجسدية الفورية لعدد من الرموز المواليين للإمام الحسين عليه السلام الذين أمكن القاء القبض عليهم.

الثاني: الزج بقسم آخر منهم في السجن، لينظر في أمره في ما بعد، في ضوء المعطيات ومنها المعادلات القبلية.

ونتيجة ذلك فقد استشهد في الكوفة، عدد من الشهداء الأبرار، الغرباء، والمظلومين، الذين بقيت أمنية نصر الامام الحسين والاستشهاد بين يديه في ساحة المعركة حسرة في قلوبهم، جزاهم الله عن الاسلام وأهله افضل الجزاء، وبرزقنا شفاعتهم.

وسأحاول هنا التعرف عليهم في تراجم أفردت لكل منهم.

وقد أضفت إليهم الشهيدين عبد الله بن بقطر، وقيس بن مسهر لأنهما استشهدا في الكوفة ويأتي الكلام في توقيت شهادة كل منهما.

كما أضفت ترجمة الشهيد الكربلائي الأول رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة الذي استشهد على مشارف توجه ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، بعد أن جمع له المصران.

ولم أورد ترجمة الشهيد عبد الله بن عفيف الأزدي، وقد استشهد في مرحلة لاحقة عند دخول السبايا إلى الكوفة.

وكانت في السياق وقفة تفصيلية حول من ذكر أنهم استشهدوا في الكوفة خلال هذه الحوادث وإثرها، ولم تثبت شهادتهم، أو ثبت عدمها.

الشهيد عبد الله بن بقطر

* على أعتابه

لدة الحسين، وكفاك فخراً أن يقترن مولدك بمولده، أو رضيع الحسين، وكفاك عزاً أن ينبت منك اللحم ويشتد العظم على حليب طاهر اختاره الله تعالى لرضاعة من هو من المصطفى الحبيب وهو فداه كل العالمين منه، وشهيد رسالة الحسين، المؤذن بها من فوق شرفة القصر - بأعلى الصوت وفوار دمه الحسيني الذي ترجم بكل أمانة در الثدي الطاهر - معرباً عن بعض خلجات ما يكنه الفؤاد من عشق الحسين، بالرأس المقطوع، والجسد المدمى يهوي من طمار، وحشرجة العظام، والذبح بشفرة قاضي الكوفة، قبل أن تهوي الشفرة إلى نحر سيد الشهداء، وقبل أن يعفر جسده المدمى، وترض الخيول صدره، ويحمل رأسه على الرمح.

إنها المواساة. لقد أبى الرضيع اللدة إلا أن يشارك المولى بعض تعبيرات النهاية كما شاركه البداية.

ذلكم هو الصحابي الآخر من أنصار سيد الشهداء عليه السلام ورسوله إلى أهل الكوفة، الشهيد عبد الله بن بقطر، رزقنا الله تعالى شفاعته.

* ضبط الإسم

ورد اسم الشهيد في عدد كبير من المصادر: عبد الله بن يقطر^(١) وضبطه العلامة الحلبي «بالقاف الساكنة بعد الياء المنقطة تحتها نقطتان، والطاء المهملة والراء»^(٢) كما ضبطه المحقق النراقي «بالقاف الساكنة بعد الياء المثناة التحتانية ثم الطاء المهملة»^(٣).

وفي المقابل ورد الإسم في عدد آخر من المصادر عبد الله بن يقطر بالباء بنقطة واحدة قبل القاف، لا الياء بنقطتين^(٤).

والراجح هو الثاني بالباء بنقطة واحدة، بقرينة عدم كون الإسم بالياء بنقطتين، متداولاً كما يتضح من مراجعة المعاجم الرجالية، واللغوية^(٥) وغلبة كون الإسم بالباء بنقطة واحدة قبلياً معرباً عن (فيكتور) ويطلق ذلك في كتابات النصارى إطلاق المسلمات.

ولا يعني إطلاق الإسم على شخص، كونه غير عربي، فقد ورد في نسب الشهيد أنه «عبد الله بن يقطر (بنقطتين) بن أبي عقب الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة»^(٦).

(١) أنظر: الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/٧٠ و٧٥ والشيخ الطوسي، رجاله ١٠٣ والشيخ ابن نما، مشير الأحزان، والسيد ابن طاوس، اللهوف . والإقبال ٣٤٦ والفتال النيسابوري، روضة الواعظين ١٧٧ و١٧٨ والقاضي النعمان، شرح الأخبار ٣/٢٤٥ والقطب الراوندي، الخرائج والجرائح ٢/٥٥٠ وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٣/٣٤٣ والبياضي، علي بن يونس العاملي، الصراط المستقيم ٣/١٤٥ ومحمد طاهر القمي الشيرازي، كتاب الأربعين ٢٧٥ والسيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٤/٣١ و٣٢ والسيد الخوئي، معجم رجال الحديث ١١/٤٠٨ وغيرها

(٢) العلامة الحلبي، خلاصة الأقوال ص ١٩

(٣) المحقق النراقي، عوائد الأيام ص ٢٩

(٤) أنظر: الطبري ج ٤/٣٠٠ و٣٥٩ وابن حجر الإصابة ٥/٨ وابن حبان، الثقة ٢/٣١٠ وابن كثير، البداية والنهاية ٨/١٨٢ و٢٠٦ . وجاء في هامش الإرشاد ٢/٧٠ وكذا ضبطه علماؤنا إلا أن ابن داود ذكر قولاً بالباء - بقطر .

(٥) في تاج العروس للزبيدي ج ص ٦ : (البقطرية بالضم) أهمله الجوهري وقال الفراء البقطرية (الثياب البيض الواسعة) كالبطرية، وبقطر كعصفر رجل .

(٦) الراوندي، الخرائج والجرائح ٢/٥٥٠ .

* محاور التعريف بالشهيد

أولاً: لدة الحسين، أو رضيعه عليه السلام.

ثانياً: المهمة.

ثالثاً: الشهادة.

المحور الأول

تدرج المصادر على وصف الشهيد بأنه رضيع الحسين^(١) عليه السلام، إلا في موردين متأخرين وصفاه بأنه «لدة الحسين»^(٢) أي تربه الذي ولد معه في وقت واحد، وقد نسبنا ذلك إلى ابن حجر في الإصابة وما وجدته في النسخة التي اعتمدها هو قول ابن حجر «عبد الله بن بقطر ذكر أبو جعفر الطبري أنه قتل مع الحسين بن علي بكربلاء وكان رضيعه»^(٣).

والفرق بين الوصفين أن الرضيع أكثر قرباً من اللدة، لاشتراكه معه في الحليب، ووصف اللدة يحتمل فيه ذلك، إلا أنه ليس نصاً فيه، لكن الوصفين يشتركان في الدلالة على كون الشهيد صحابياً - مع إمكان دغدغة في ذلك - وقد عده ابن حجر في الصحابة.

والأرجح أن الصحيح هو الجمع بينهما فهو لدة الإمام ورضيعه،

(١) انظر جميع المصادر التي تقدم أن اسم الشهيد فيها ورد بالياء بنقطتين.

(٢) الشيخ محمد مهدي شمس الدين، أنصار الحسين/١٢٣ قال: «عبد الله بن بقطر: (حميري من عرب الجنوب) كانت أمه حاضنة للحسين، ذكره ابن حجر في الإصابة، قال إنه كان صحابياً لانه لدة الحسين». ومحققا الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ٣٢/٤ قال: «و ما جاء في كلام الطبري وبعض المؤرخين: من أن عبد الله بن بقطر رضيع الحسين - عليه السلام - ليس له صحة، بل كانت أم عبد الله بن بقطر حاضنة للحسين - عليه السلام - وكان لدة الحسين - عليه السلام - كما ذكره ابن حجر في الإصابة واللدة بكسر - اللام - الذي ولد مع آخر في زمن واحد.

(٣) ابن حجر، الإصابة ٨/٥.

لكن المستفيض في المصادر هو الثاني، وسيأتي في الحديث عن شهادته تصريح سيد الشهداء بأنه أخوه من الرضاعة^(١) وإذا ثبت أنه رضيع استتبع - عادة - كونه لدته عليه السلام.

المحور الثاني:

تداخل مهمة الشهيد عبد الله مع مهمة الشهيد قيس بن مُسهر، والسبب هو اشتراكهما في كونهما رسولين، واشتراكهما في طريقة القتل، واشتراكهما بحسب بعض المصادر في ذبح قاضي الكوفة لكل منهما بعد الإلقاء من أعلى القصر.

وينبغي التنبيه إلى أن الغموض في ترجمة الشهيد عبد الله ينشأ - بالإضافة إلى التداخل المذكور - من كون المشهور أنه رسول الإمام إلى مسلم، وهو مقتضى كونه لدة الإمام فمقامه مع الإمام، ووجوده في الكوفة علامة كونه رسولاً منه، إلا أن نص الرسالة التي حملها من الإمام غير محدد، وفي المقابل فإن نص الرسالة التي حملها من الشهيد مسلم هو الذي يجري الحديث عنه في عدد من المصادر المعتبرة، ومع ذلك فإن مانسب إليه على أبواب الشهادة هو التصريح بأنه رسول الإمام عليه السلام.

وهو ما يجعل السؤالين الأصعب حول الشهيد عبد الله:

١ - هل كان رسول الإمام إلى مسلم أم العكس؟

٢ - كيف يمكن التفريق بين مهمته وبين مهمة الشهيد قيس؟

ويستتبع ذلك محاولة تحديد الفترة التي استشهد فيها لدى القيام

بمهمته.

(١) انظر: الخوارزمي، مقتل الحسين (م. م) ص ٣٢٨.

ويمكن الإجابة على السؤالين الأول والثاني بما يلي:

أورد ابن أعثم والخوارزمي وابن شهر آشوب أن الشهيد كان رسول مسلم إلى الإمام، وأنه كان يحمل إليه الرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي. أما بعد فإني أخبرك أنه بايعك من أهل الكوفة ما ينيف على عشرين ألفاً فإذا أتاك كتابي هذا فالمجل العجل فإن الناس كلهم معك وليس لهم في يزيد بن معاوية هوى ولا رأي»^(١).

وترسل المصادر الأخرى كون الشهيد رسول الإمام إلى مسلم، إرسال المسلمات، حتى أن ابن شهر آشوب نفسه يقول في سياق آخر: «ومن أصحابه: عبد الله بن يقطر رضيعه وكان رسوله»^(٢). وهو ما جعل السائد المشهور أنه رسول الإمام عليه السلام^(٣). إلا أن التدقيق في الظروف والمعطيات يقوي كونه رسول الإمام إلى الشهيد مسلم ورسول الشهيد مسلم أيضاً إلى الإمام.

وتجدر الوقفة في هذا السياق عند العناصر التالية:

١ - نحن أمام رسالتين^(٤) إحداهما الرسالة التي يقال إن الشهيد عبد الله كان يحملها من الشهيد مسلم إلى الإمام، والثانية الرسالة التي

(١) ابن أعثم، الفتوح ٤٥/٥ والخوارزمي، مقتل الحسين ٢٩٣ - ٢٩٤ و ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢٤٣/٣ واللفظ للخوارزمي، وقد ورد في فتوح ابن أعثم: نيف وعشرون ألفاً، بينما لم يذكر ابن شهر آشوب عدداً بل قال «بايعك كذا» مع اختلاف يسير في موارد أخرى.

(٢) المصدر/ ٢٣٢

(٣) أنظر المصادر المذكورة في الهوامش المتقدمة، وقد ذكر السيد الخوئي ما ورد في المناقب فقال: «وقد ذكر قصة قتله غير واحد من الأعلام، إلا أن ابن شهر آشوب ذكر أنه كان رسول مسلم إلى الحسين عليه السلام، وأن مالك بن يربوع التميمي أخذ الكتاب منه وجاء به إلى عبيد الله بن زياد فقرأ الكتاب وأمر بقتل عبد الله بن يقطر». معجم رجال الحديث ج ١١/ ٤٠٨

(٤) غير الثالثة التي يأتي الحديث عنها.

يقال إن حاملها من الإمام إلى الشهيد مسلم هو الشهيد قيس أو الشهيد عبدالله، والقرائن المتقدمة تساعد على كون الأولى مع الشهيد عبد الله والثانية مع الشهيد قيس.

٢ - تتحدث المصادر عن إرسال الإمام أخاه من الرضاعة، بشكل ملتبس بينه وبين الشهيد قيس، أو بإشارة إلى إرساله إياه في معرض الحديث عن شهادته، فتأتي الصيغة هكذا:

«ولما بلغ الحسين الحاجر من بطن الرمة، بعث قيس بن مُسهر الصيداوي ويقال إنه بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر إلى أهل الكوفة»^(١).

وقد أورد الطبري الخبر نفسه وليس فيه اسم الشهيد عبد الله^(٢). أو يأتي الإلتباس في عدم تحديد وقت إرسال الإمام الشهيد عبد الله كما يلي:

«كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه حتى انتهى إلى «زباله» سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة مقتل عبد الله بن يقطر وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية»^(٣).

ويصرح الشهيد قيس بأنه ترك الإمام في الحاجر من بطن الرمة^(٤). بينما لا نجد ذلك منسوباً إلى الشهيد عبد الله إلا في النصوص الملتبسة بين الإسمين، كما رأيت.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٧٠/٢. و انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٨١/٨ فإنه بعد أن تحدث عن الشهيد قيس قال: «وفي رواية أن الذي قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن يقطر أخو الحسين من الرضاعة، فألقي من أعلى القصر . والله أعلم».

(٢) الطبري ٢٩٧/٤.

(٣) الطبري ٣٠٠/٤.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين/٧٢ والشيخ ابن نما، مشير الأحزان / ٣٠

٣ - في النص المتقدم تصريح باستعجال الشهيد مسلم قدوم الإمام، وهو ينسجم مع ماورد من أنه قد أرسل رسالة قبل سبعة وعشرين يوماً (ربما مع الشهيد قيس^(١)) ولما استبطأ وصول الإمام بادر إلى إرسال الثانية مع الشهيد عبدالله، وينبغي أن يلاحظ في هذا السياق أن ظرف الشهيد مسلم في الكوفة كان شديد الحرج، فقد اضطر إلى مغادرة مكان إقامته، منتقلاً إلى بيت الشهيد هانيء، ولم يوافق الشهيد - كما مر - على ما اقترحه عليه من إعلان خلع يزيد والسيطرة على قصر الإمارة. وبالتدقيق في مضمون الرسالة المتقدمة نجد أنها تنسجم مع هذا الظرف.

٤ - في ضوء ما تقدم يحتمل قوياً أن يكون الشهيد عبد الله رسول الإمام إلى مسلم، ورسول مسلم إلى الإمام، أي أن الإمام بعد وصول رسالة الشهيد مسلم التي بعث بها إليه قبل شهادته بسبعة وعشرين ليلة^(٢) بادر إلى إرسال الشهيد عبد الله^(٣) وبعد أن سلم الرسالة، حمل رسالة من الشهيد إلى الإمام فألقي القبض عليه وهو في طريقه من الكوفة إلى مكة، ثم إن الإمام عندما وصل إلى الحاجر من بطن الرمة أرسل الشهيد قيساً، إلا أن عدم وجود رسالة ينسجم تاريخها مع التوقيت التقريبي لمجيء الشهيد عبد الله مرسلأً من قبل الإمام يضعف هذا الإحتمال لأن

(١) تذكر بعض المصادر أن الذي حمل الرسالة هو الشهيد عابس (الطبري ٢٨١/٤) و في مشير الأحران للشيخ ابن نما أن الشهيدين قيساً وعابساً حملا الرسالة، ويبدو أن الأرجح هو أن الشهيد قيساً كان وحده في هذه المهمة ويأتي في ترجمته مزيد توضيح.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ٤٤/٣٧٠. ، نقلاً عن الإرشاد، أنظر: ٧٠/٢. والطبري ٢٩٧/٤ وأبو مخنف، مقتل الحسين/ ٧٢ وابن كثير، البداية والنهاية ٨/ ١٨١. وقد ورد فيهما نص الكتاب كما يلي: «أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي هذا والسلام عليكم».

(٣) ولا ينافي ذلك قول أبي مخنف: «سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق» وإن كان الأقرب أنه عليه السلام قد أرسله قبل أن يخرج من مكة.

الموجود عبارة عن رسالتين يتناسب تاريخهما مع مهمة الشهيد قيس، حيث ورد في الأولى قول الإمام عليه السلام: «وقد شخصت إليكم . . .» يوم التروية» وجاء في الثانية أن الإمام كتبها من بطن الرمة أي بعد شهادة مسلم^(١). إلا أن هذا الاحتمال يبقى قائماً غاية الأمر أنا لانعرف مضمون الرسالة التي حملها الشهيد عبد الله ولا تاريخ قدومه الكوفة بالتحديد، وإن كان الراجح أنه قدمها قبل اعتقاله بأيام قليلة.

وبناء عليه فإن كون الشهيد عبد الله بن بقطر رسولاً من الإمام واليه معاً، أقرب الوجوه إلى طبيعة الأمور وسير الأحداث، وهو ما يقوى في الظن، خصوصاً إذا لاحظنا أن المكان الطبيعي في إقامة لدة الإمام هو الحجاز، ويأتي ما يعزز ذلك.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال/ ٢٣٠. وقد أورد الرسالة كما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين بالكوفة (، سلام عليكم، أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل ورد علي باجتماعكم لي، وتشوفكم إلى قدومي، وما أنتم عليه منظون من نصرنا، والطلب بحقنا، فأحسن الله لنا ولكم الصنيع، وأثابكم على ذلك بأفضل الذخر، وكتابي إليكم من بطن الرمة، وأنا قادم عليكم، وحيث السير إليكم، والسلام). وهي برواية الشيخ المفيد، الإرشاد ٢/ ٧٠ «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبر فيه بحسن رأيكم واجتماع ملتكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله». وهي نفس رواية أبي مخنف: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملتكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فآكتموا أمركم وجدوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم» ابن كثير، البداية والنهاية ٨/ ١٨١، و انظر: ابن نما، مشير الأحزان / ٣٠ وتجدد الإشارة إلى أن ثمة نصاً ثالثاً للرسالة التي قيل إن الشهيد قيساً حملها من كربلاء! إلى أشخاص أورد النص أسماءهم، إلا أنه قول بعيد جداً والله العالم. انظر: اللهوف ٤٦ ويأتي مزيد إيضاح في ترجمة الشهيد قيس بحوله تعالى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تصريح الشهيد عبد الله بأنه رسول الإمام الحسين عليه السلام ^(١) لا ينافي كونه رسوله ورسول الشهيد مسلم إليه، لأنه رسوله فعلاً وقد أراد أن يوصل إلى الناس ما يحثهم على اللحاق به عليه السلام.

* أما تحديد الفترة التي ألقى فيها القبض على الشهيد عبد الله فهو يتراوح في النصوص بين ما يلي:

١ - ليلة قدوم ابن زياد الكوفة، قال ابن عساكر:

«وأتى تلك الليلة برسول الحسين بن علي [و] قد كان أرسله إلى مسلم بن عقيل [وكان] يقال له: عبد الله بن يقطر فقتله» ^(٢).

٢ - بعد خروجه من عيادة شريك.

قال في المناقب: «فتوهم ابن زياد وخرج (من بيت هانيء) فلما دخل القصر أتاه مالك بن يربوع التميمي بكتاب أخذه من يدي عبد الله بن يقطر» ^(٣).

٣ - أثناء حديث ابن زياد مع من أرسلهم لاستدراج هانيء إلى القصر.

قال الخوارزمي: «فبينما عبىد الله مع القوم في هذه المحاورة، إذ دخل رجل من أصحابه، يقال له مالك بن يربوع التميمي، فقال: أصلح

(١) الطبري ٣٠/٤

(٢) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين ٣٢٧. ويبدو أن في هذا التحديد اشتباهاً ناشئاً من زواج ابن زياد بابنة عمارة بن عقبة، حيث أن ابن عساكر قال قبل ما ذكر في المتن، مباشرة «وبنى عبىد الله بن زياد تلك الليلة بأهله أم نافع بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط». ويصرح الطبري عند الحديث عن دخول ابن زياد الكوفة، بأنه تزوج بها تلك الليلة، وعند الحديث عن المجيء بهانيء إلى القصر أنه كان قد بنى بها وهو واضح الدلالة على أن ذلك كان ليلة اليوم الذي استدرج فيه هانيء إلى القصر، كما مر.

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب ٢٤٣/٣.

الله الأمير، هاهنا خبر، فقال ابن زياد: ماذا؟ قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي، إذ نظرت رجلاً خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية فأنكرته، ثم إنني لحقته وسألته عن حاله فذكر أنه من المدينة، فنزلت عن فرسي وفتشته فأصبت معه هذا الكتاب. ثم أورد النص الذي تقدم ذكره^(١).

٤ - ما يشعر بأن الفترة، بعد شهادة الشهيدين مسلم وهانيء، حيث قال الطبري:

«وكان سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية فسرح به إلى عبيدالله»^(٢).

وفي هذا النص إشارتان إلى التوقيت، وهما قوله «لا يدري أنه قد أصيب» وقوله «خيل الحصين» وإنما تولى الحصين التشديد على الخروج من الكوفة والدخول إليها بعد أن علم ابن زياد بتوجه الإمام إليها، وقد غادر عليه السلام مكة في يوم خروج الشهيد مسلم بالكوفة، أي قبل شهادته بيوم، أو قريباً من ذلك^(٣).

ولابد من تسجيل الملاحظات التالية:

١ - يبعد أن تكون شهادته بالطريقة المعروفة ليلة قدوم الطاغية الكوفة، أو بعد خروجه من بيت هانيء، لأن شهادة من هذا النوع ينبغي أن تصبح محور الحديث وعلى كل شفة ولسان، ولا يظهر لذلك أثر في المداولات السرية أو العلنية في ما وصل من أخبار الأيام التي سبقت انفجار الموقف عند استدراج هانيء.

(١) ابن أعمش، الفتوح ٥/٤٥ والخوارزمي، مقتل الحسين ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) الطبري، ٤/٣٠٠.

(٣) المصدر ٤/٢٨٦ والمسعودي، مروج الذهب ٣/٦٠.

ويتأكد ما تقدم إذا لاحظنا أن شريكاً توفي بعد ثلاثة أيام من عيادة هانيء له، وقد صلى عليه ابن زياد، وقد أوكل لمعقل مهمته بعد خروجه من بيت هانيء كما سبق بيان ذلك كله، فقد كانت هذه الفترة كافية لتداول خبر من هذا النوع وظهور بعض تداعياته.

٢ - ويبعد أن يكون الذي تولى اعتقاله هو الحصين بن نمير، لأنه لم يتول مهمة نظم الخيل على حدود الكوفة وعلى أوسع نطاق إلا بعد تفرق الناس عن مسلم، ولعل ذلك ناشيء من التداخل المذكور آنفاً بين مهمتي الشهيدين عبد الله وقيس، أو أن ينسب اعتقال مالك بن يربوع إياه إلى الحصين بلحاظ أن الحصين مسؤول الشرطة العام.

٣ - ومن البعيد جداً أن تكون شهادته بالطريقة المعروفة قبل المجيء بهانيء إلى القصر مباشرة، لأن حدثاً من هذا النوع كان يكفي لحمل الشهيد هانيء على الإمتناع عن مرافقة ابن الأشعث ومن معه، وهي نقطة شديدة الأهمية في تحديد وقت شهادته رضوان الله عليه، وإن كانت لاتلغي أن يكون اعتقاله - دون القتل - قبل مجيء هانيء، إلا أن يكون القتل بغير الإلقاء من أعلى القصر كما أورد ابن أعثم والخوارزمي، ويمكن حمل مافي المناقب عليه ولكن المشهور جداً خلافه.

٤ - الراجح أن الشهيد اعتقل في الفترة التي سبقت استدراج هانيء بوقت قصير ولم يُتناقل خبر اعتقاله إلا بعد دخول هانيء القصر، وهو ما يتناسب مع وصول خبر مقتل الشهداء الثلاثة إلى سيد الشهداء (من الطرق المتعارفة) في وقتين متقاربين^(١). وقد نعاهم الإمام عليه السلام في نص واحد^(٢) وسيأتي ذكر ذلك في الحديث عن شهادته رضوان الله تعالى عليه.

(١) الطبري ٣٠٠/٤، والشيخ المفيد، الإرشاد ٧/٢

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٧٥/٢. وهو مستفيض في المصادر كما يأتي.

وبناء على ماتقدم تكون النتيجة في مجال التوقيت بالخصوص لصالح مارواه ابن أعثم والخوازمي، من أنه كان عند حديث الطاغية مع من أرسلهم لاستدراج الشهيد هانيء إلى القصر، أي في اليوم الثامن أو التاسع من ذي الحجة.

ومن الملفت أن نص المناقب صريح في أن وقت اعتقال الشهيد كان بين خروج ابن زياد من بيت هانيء كما تقدم، وبين إرساله ابن الأشعث ومن معه لاستدراج هانيء، ليلتقي النص بذلك مع ما أورده ابن أعثم والخوازمي، ويشكل قرينة على عدم الدقة فيه.

وهكذا يتعزز جداً احتمال أن يكون اعتقال الشهيد عبد الله كان على أبواب استدراج الشهيد هانيء إلى القصر، ولا يمكن بناء على ذلك الجمع بين قتله وقبول هانيء المجيء إلا بأن القتل كان بعد ذلك، غير أن تأخير القتل لا ينسجم مع ظاهر نصوص الشهادة من أنها حصلت فور الإعتقال، وهو الأمر الذي يقوي أن يكون القتل قد حصل فوراً ولكن دون الإلقاء من أعلى القصر، ولكن تصريح عدد كبير من المصادر بطريقة القتل بإلقائه من طمار القصر وسقوطه إلى الأرض وبه رمق ثم ذبح القاضي الجلواز له لا يمكن تجاوزه إطلاقاً والله العالم.

والنتيجة النهائية مما تقدم هي الآتي: أغلب الظن - كما مر - أن الشهيد عبد الله حمل رسالة الإمام إلى الشهيد مسلم، في فترة السبع وعشرين ليلة التي فصلت بين رسالة الشهيد مسلم إلى الإمام مع الشهيد قيس وحمل رسالة الشهيد مسلم إلى الإمام في أواخر تلك الفترة نفسها.

يعني ذلك أنه جاء الكوفة فسمع فيها ما سره من اجتماع كلمة القوم على نصرة الإمام عليه السلام، ورأى تعقيد ظرف الشهيد مسلم، وأحاط علماً بمحاولات ابن زياد الحثيثة لقلب ميزان القوى لصالحه، الأمر الذي

جعله يغذ السير مجدداً الى الإمام، ليوصل الرسالة في أسرع وقت ممكن.

ويظهر من تقارب زمن شهادته والشهيد بن مسلم وهانيء، أنه غادر الكوفة حاملاً الرسالة الجوابية في بداية الأيام المفصلية التي شهدت الإنهيار الكوفي المدوي، حيث يبدو أنه اعتقل في أطراف الكوفة الممتدة آنذاك إلى القادسية، التي أمر ابن زياد الحصين بن نمير في ما بعد أن ينظم الخيل بينها وبين القطقانة^(١) لتشديد الرقابة على من يدخل الكوفة أو يخرج منها، ولقد كانت هذه الرقابة قائمة من قبل، وإن بدرجة أخف.

والراجع في وقت اعتقاله أنه على مشارف المجيء بالشهيد هانيء إلى القصر، أما وقت شهادته وكيفيتها فالأقرب فيها معارض بالنصوص الكثيرة والأقوى.

* الشهادة

تتفق النصوص المختلفة على أن الشهيد عبد الله قد اعتقل خارج الكوفة وجيء به مخفوراً إلى ابن زياد.

قال ابن أعثم والخوارزمي:

«فلما وقف بين يدي ابن زياد قال له: من أنت؟»

قال: مولى لبني هاشم.

قال ما اسمك؟

قال: عبد الله بن يقطر.

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟

قال: امرأة لا أعرفها.

فضحك ابن زياد وقال: اختر واحدة من اثنتين: إما أن تخبرني من دفع إليك هذا الكتاب، أو تُقتل.

فقال: أما الكتاب فإني لا أخبرك من دفعه إلي، وأما القتل فإني لا أكرهه، لأنني لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم أجراً من قتيله مثلك. فأمروا ابن زياد فضرب عنقه صبراً^(١).

وقال الطبري:

«فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية فسرح به إلى عبيدالله بن زياد فقال اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي، فصعد.

«فلما أشرف على الناس قال أيها الناس إني رسول الحسين بن فاطمة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة ابن سمية الدعي، فأمر به عبيدالله فألقي من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه، وبقي به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال إنما أردت أن أريحه»^(٢).

ولئن كانت أحاسيس الشهيد في بداية اعتقاله موزعة بين ضرورة كتمان ما يعرف، وبين احتمالات الإفراج السريع عنه، فإن بالإمكان أن تصغي بأذن القلب إلى همسات قلبه الحسيني بالولاية والتربية والحليب

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٩٤.

(٢) الطبري ٣٠٠/٤.

والدم، يردد مقالة الشهيد مسلم وكل شهداء كربلاء: ما لنفسي أبكي وإن كنت لم أرد لها طرفة عين تلفاً، وإنما أبكي للحسين وأهل الحسين!

هل عرف الشهيد عبد الله بالإنقلاب الكوفي على الأعقاب؟

ومتى كانت وقفة ابن زياد صاغراً أمام تعملق الإيمان في قلبه

الحسيني؟

إن كانت شهادته قبل الشهيد مسلم؟ فماذا حدث القلب القلب؟

وإن كانت قبل دخول هانيء إلى القصر، فهل عرف بذلك؟

تلك من أنباء الغيب، إلا أن طلب ابن زياد من الشهيد أن يصعد فوق القصر، ويلعن الخ، يدل على أن المرحلة التي كان فيها الطاغية هي أجواء اليوم التاسع من ذي الحجة بعد أن تفرق الناس عن مسلم.

ولئن تشابه موقف الشهيدين عبد الله وقيس في اغتنام الفرصة لحث الناس على اللحاق بسيد الشهداء عليه السلام إلا أن قصب السبق في ذلك للشهيد عبدالله، ويبدو أن الشهيد قيساً استلهم هذه اللفتة منه.

أي سر في هذه الحنايا الطاهرة، التي لم تعرف اشتباكاً بالدنيا يجعلها تثاقل إلى الأنا الأرضية الموحلة، فإذا بها حيث لا يرقى النسر المحلق سمواً وهدفية؟

على مشارف ضرب العنق أو الإلقاء بالجسد كله من طمار،

لا يشغل الشهيد عبد الله إلا الحسين ونصرة الحسين وكلمة الحق فوق رأس السلطان الجائر، ولذلك وافق أن يصعد أعلى القصر

واستشاط الفرعون غضباً فأمر أن يلقي من طمار القصر.

وبودك أن تعرف، هل كان الحكم بإلقائه من فوق القصر قد صدر

مسبقاً إذا بدر منه ما لا يُحمد، أم أن الطاغية كان بحيث يسمعه، أم أن

غلاماً أخبر ابن زياد بما جرى، إذأ كيف تصرمت تلك الدقائق واللحظات ريثما نزل الغلام وصعد، وهل بقي الشهيد عبد الله يخاطب الناس أو يحاول مخاطبتهم؟

ويفتت القلب هُوي ذلك الجسد الطاهر، ولكن سرعان ما تخطف الدهشة انتباهك وأنت تقرأ: «وبقى به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال إنما أردت أن أريحه».

ويستبد الدهول ويستحيل لوعة تضرى حين تعرف أن هذا الجلواز الوضيع يعرف بأنه قاضي الكوفة!

ليس شريح القاضي فرداً، بل هو ظاهرة لا تعرف من الزمان ولا المكان حدوداً، حدودها مساوقة للنفس البشرية التي تقودها التدسية إلى أسفل سافلين، حيث كان هذا اللخمي مخلداً إلى مستنقع التزلف والتملق، يردد مع كل حزة شفرة مقالة ابن سعد حين أطلق السهم الأول باتجاه معسكر الإمام: اشهدوا لي عند الأمير.

ولا يمكن للعالم القاضي حصن الإسلام وملاذ الأمة في النوائب، أن يكون شريحاً أو عبد الملك، وشفة على حذاء السلطان، إنه شريح المتستر ببرقع العلم والقضاء، المتسلل تحت جناح الظلام إلى موقع حصن الإسلام.

وإنه عبد الملك الذي يدعي العلم ويتقمص القضاء زوراً كما تقمصه غيره من قبل ومن بعد.

ولكثرة هذه النماذج دق التمييز بين الأصل والمدعى وشف.

وها هم ملء غثيان الفؤاد ومرمى البصيرة، وحذار يا نفس أن تكوني منهم.

ولا يخفف من استبداد الذهول أن تقرأ في نفس السياق: «حدثنا أبو بكر بن عياش عن أخبره قال والله ما هو عبد الملك بن عمير الذي قام إليه فذبحه ولكنه قام إليه رجل جعد طوال يشبه عبد الملك بن عمير».

فليس ذلك إلا محاولة فاشلة بحديث مرفوع لا يعرف مصدره للتستر على ما لا يمكن التستر عليه، فعبد الملك من الوضاعة بحيث لا يمكن استبعاد إقدامه على هذه الجريمة النكراء.

كما لا يمكن لتكرار رواية ذبح هذا الجلواز المسمى قاضياً في سياق مقتل الشهيد قيس بن مُسهر أن يحمل على النفي الذي يطرحه بموضوعية احتمال المبالغة، لأننا نجد المحقق النراقي على جلاله قدره في التحقيق، يقول في عبد الملك هذا: «هو الذي روى حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر، وكان مع عسكر الشام في حرب الحسين عليه السلام وكلما وصل إلى واحد من عسكر الحسين عليه السلام وقد رمى من فرسه إلى الأرض قطع رأسه من بدنه، وهو الذي روى عن أسيد بن صفوان راوي الزيارة المعروفة بزيارة الخضر لأمير المؤمنين أن أمير المؤمنين لما مات أبو بكر زاره بتلك الزيارة، وهو أيضا قاتل عبد الله بن يقطر رضيع الحسين عليه السلام ورسوله إلى ابن زياد بالكوفة فأمر به ابن زياد فرمي من فوق القصر مكشوفاً فوق على الأرض وبه رمق فذبحه عبد الملك، وروى عنه البخاري حديث كفر أبي طالب في آخر باب صفة أهل الجنة والنار بواسطتين، ومع ذلك كله كان مشهوراً بسوء الولادة أيضا»^(١).

كما نجد علم الهدى السيد المرتضى يشير إلى هذه الجريمة بقوله: «وهو ممن تبع بني أمية، وممن تولى القضاء لهم، وكان شديد النصب

(١) المحقق النراقي (أحمد بن محمد مهدي، تو في ١٢٤٥) مستند الشيعة ١٩/٢٣.

والإنحراف عن أهل البيت»، وروى أنه كان يمر على أصحاب الحسين عليه السلام وهم جرحى فيجهز عليهم، فلما عوتب على ذلك قال: انما أردت أن اريحهم^(١).

إذا كان الإجهاز على الجرحى دأبه في كربلاء، فليس غريباً أن يكرر ذلك مرتين في الكوفة.

ولكي نعرف المزيد عن وضاعة هذا الجلواز الذي تظاهر بالرحمة والشفقة كما هو دأب الجزارين من أدياء حقوق الإنسان، ينبغي الوقوف على ما أورده الشيخ المفيد حيث يقول:

«أما عبد الملك بن عمير فمن أبناء الشام، وأجلاف محاربي أمير المؤمنين عليه السلام، المشتهرين بالنصب والعداوة له ولعترته، ولم يزل يتقرب إلى بني أمية بتوليد الأخبار الكاذبة في أبي بكر وعمر، والطعن في أمير المؤمنين عليه السلام حتى قلده القضاء، وكان يقبل فيه الرشاش، ويحكم بالجور والعدوان، وكان متجاهراً بالفجور والعبث بالنساء، فمن ذلك أن الوليد بن سريع خاصم أخته كلثم بنت سريع إليه في أموال وعقار، وكانت كلثم من أحسن نساء وقتها وأجملهن فأعجبته، فوجه القضاء على أخيها تقرباً إليها، وطمعاً فيها، فظهر ذلك عليه واستفاض عنه، فقال فيه هذيل الأشجعي:

أناه وليد بالشهود يقودهم	على ما ادعى من صامت المال والخول
يسوق إليه كلثماً وكلامها	شفاء من الداء المخامر والخبل
فما برحت تومي إليه بطرفها	وتومض أحياناً إذا خصمها غفل
إلى قوله:	

إذا ذات دلّ كلمته بحاجة فهمم بأن يقضي تنحنح أو سعل

(١) محمد طاهر القمي الشيرازي (١٠٩٨ هـ) كتاب الأربعين ٢٧٥.

وبرق عينيه ولاك لسانه يرى كل شيء ما خلا سخطها خبل^(١)
يضاف إلى ذلك أن خبر فعلته الشوهاء هذه مستفيض في المصادر^(٢).

هنيئاً لك أيها الشهيد الجليل، يا لدة الحسين، ومولى كل صادق
ما عاهد الله عليه، أن يشرك في دمك كفر يزيد وضراوة الذئب ابن زياد،
وتلوّن الكوفيين، ووضاعة وعاظ السلاطين، الذين آتاهم الله آياته
فانسلخوا منها فمثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

* * *

وبلغ الخبر بالطرق الإعتيادية سيد الشهداء،^(٣).

(١) الشيخ المفيد، الإفصاح ٢١٩ - ٢٢١ وفي هامشه حول الشاعر هذيل الأشجعي نقلاً عن جمهرة أنساب العرب ٢٤٩ والأعلام للزركلي ٧٢/٩ «شاعر كوفي معروف، له هجاء في ثلاثة من قضاة الكوفة: عبد الملك بن عمير، الشعبي، ابن أبي ليلى».

(٢) بالإضافة إلى ما تقدم عن الطبري وغيره، قال أبو القاسم الكوفي في الإستغاثة ج ٢/٣٣: «رواه عبد الملك بن عمير اللخمي وكان فاسقاً جريئاً على الله وهو الذي قتل عبد الله بن يقطر رسول الحسين بن علي عليه السلام إلى مسلم بن عقيل حين رمى به ابن زياد من فوق القصر وبه رمق فأجهز عليه فلما عوتب على ذلك قال إنما أردت أن أريحه استهزاءً بالقتل وقلة مبالاة وكان يتولى القضاء لبني أمية وكان مروانياً شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليه السلام ومن هذه صورته لا تقبل روايته» وقال الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٣٣: كان فاسقاً جريئاً على الله، وهو الذي قتل عبد الله بن يقطر رسول الحسين بن علي إلى مسلم بن عقيل. وكان مروانياً نقلاً عن هامش الإفصاح/ ٢١٩. وانظر: القتال النيسابوري، روضة الواعظين / ١٧٧، والقاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار ٣/ ٢٤٥ والقطب الراوندي، الخرائج والجرائح ٢/ ٥٥٠، والبياضي العاملي، الصراط المستقيم ٣/ ١٤٥ وفيه «ورواية عبد الملك اللخمي مطعون فيها بأنه كان فاسقاً جريئاً على الله بالقتل، وهو قاتل عبد الله بن يقطر، وهو رسول الحسين إلى مسلم بعد رمي ابن زياد له، وكان مروانياً يتولى القضاء لبني أمية، شديد النصب والانحراف عن أهل بيت النبوة».

(٣) تكاد المصادر تجمع أن ذلك كان في منطقة «زباله» انظر: الطبري ٤/ ٣٠٠ والشيخ المفيد، الإرشاد ٢/ ٧٥ والسيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ٤/ ٣١ وهي منطقة تفصل بينها وبين الحاجر من منطقة بطن الرمة - باتجاه الكوفة - منازل الخزيمية وزرود والثعلبية والشقوق. انظر: المقرم، السيد عبد الرزاق، مقتل الحسين أو حديث كربلاء ١٧٥ - ١٨٠ (ط خامسة، دار الكتاب الإسلامي - بيروت). وقال الحموي في معجم البلدان ج ٣/ ١٢٩: «زباله: بضم أوله: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية، وقال أبو عبيد السكوني: زباله بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد».

بعد الشهيد الكربلائي الأول، أبي رزين، ها هي الكوكبة الكربلائية الأولى مسلم وهانيء وعبد الله بن بقطر، تعلن دخول الفتح المبين إحدى مراحل المتقدمة.

ويبدو أن وصول خبر شهادة هذه الثلاثة إلى الإمام كان في وقتين متقاربين^(١) إلا أنه عليه صلوات الرحمن قد أبتهم جميعاً، قال الخوارزمي: قام في الناس خطيباً، فقال:

«ألا إن أهل الكوفة وثبوا على مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، فقتلوهما، وقتلوا أخي من الرضاعة، فمن أحب منكم أن ينصرف، فلينصرف من غير حرج، وليس عليه منا ذمام.

«فتفرق الناس وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة.

وإنما أراد أن لا يصحبه إنسان إلا على بصيرة»^(٢).

وقال الشيخ المفيد: «فأخرج إلى الناس كتاباً^(٣) فقرأه عليهم:

(١) فقد جاءه عليه السلام في منطقة «الثعلبية» وهي بين زرود والشقوق من أخبره بشهادة مسلم وهانيء ثم جاءه في «زبالة» (التي تلي الشقوق في طريق الذهاب إلى الكوفة) من أخبره بشهادة عبدالله. انظر: الطبري ٢٩٩/٤ والشيخ المفيد، الإرشاد ٧٣ - ٧٦ والخوارزمي ٣٢٧ - ٣٢٨ وفي الأخبار الطوال للدينوري ٢٤٧ - ٢٤٨ أن خبر شهادة مسلم وهانيء بلغ الإمام عندما «رحل من زرود» وفي «زبالة» بلغه خبر شهادة قيس، وهو بعيد. ولم يذكر السيد ابن طاوس خبر الشهيد عبد الله لكنه ذكر أن خبر شهادة مسلم بلغ الإمام في منزل «زبالة». اللهوف ٤٥. وفي هذا السياق ورد قوله «فاستعبر باكياً» أي الإمام عليه السلام، إلا أن في البحار ٣٧٤/٤٤ نسبة هذا إليه عليه السلام بعد علمه بمقتل الشهيد عبدالله، ومثله في الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ٤٢/٤، ولعل في النسخة التي اعتمدها سقطاً.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين (م. م) ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٣) من الواضح أن مقاله عليه السلام ليس مضمون كتاب، ولذلك قدمت ما أورده الخوارزمي «قام في الناس خطيباً» إلا أن الدينوري في الأخبار الطوال ٢٤٧ ينقل أن رسول ابن الأشعث إلى الإمام بطلب من الشهيد مسلم، قد وصل إلى الإمام في «زبالة» فلعل الكتاب كان في يد الإمام حين قام خطيباً، وجاء وصف ذلك ملتبساً كما ترى.

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام.

فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفر يسيرٍ ممن انضوا إليه. وإنما فعل ذلك لأنه عليه السلام علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون»^(١).

ولا يمكن إلا أن يستوقف العقل والقلب معاً تعبير الإمام: «أخي من الرضاعة» عسى أن ينعم برشة من خزير الحنان الحسيني الغامر، وينفذا بسلطان إلى مشارف خلجة قلب أبي عبد الله في تلك اللحظة، وصورة الشهداء ماثلة أمامه: هذان يهويان من طمار، وذاك تضرب منه العنق الأبية في سوق الجزارين، فتغرورق العينان بالدموع!

عندها سيدرك العقل ويفقه القلب بعض دلالات التعبير الآخر للإمام «خبر فظيع»!

ولعل أشد مظاهر الفظاعة، أصوات تكسر عظام هذا الشهيد الجليل عبد الله بن يقطر، وهو مشدود الوثاق، ثم ذبحه على تلك الحال بيد «قاضي الكوفة»!

(١) الإرشاد ٧٥/٢-٧٦. وما ورد في هذين المصدرين يرجع عمدة إلى ما أورده الطبري عن أبي مخنف.

انظر: الطبري ٣٠٠/٤.

الشهيد قيس بن مُسهر الصيداوي

* على أعتابه

رسول النهضة الحسينية الأول، منذ حمل أول مجموعة من رسائل أهل الكوفة إلى الإمام في مكة، وإلى آخر رسالة منه عليه السلام إلى الكوفة حيث استشهد، ومؤذن النهضة الحسينية الثالث - بعد الشهيدين مسلم وعبد الله بن بقطر - من فوق قصر الإمارة بفوار الدم والهمة والصلابة التي تتهاوى على أقدامها الجبال التي تُستقلُّ بالمعاول، في ما لا يستفل من شديد تماسك المؤمن المؤمن كالشاهد قيس شيء، ولو بمقدار حبة من خردل.

تترأى صورته للقلب فيض همة غامر، ونبع عزيمة فوار متدفق، يشبهه من بعيد تدفق الشلال يتحدر ثجاجاً من كوثر زلال.

ويحاول القلب أن يقترب من معدن هذه الهمة، وجوهر هذه العزيمة، فلا يفقه من ذلك إلا عناوين حب الله وحب المصطفى الحبيب وحب أهل البيت الذي يتلخص بحب الحسين.

وما أدراك يا قلب ما حب الحسين في قلب قيس بن مُسهر؟ وخرطُ القتاد أبسط ما يفصل بينك وبين أن تدري ما حب قيس بن المُلوّح لليلاه!

أنى لك أن تدخل حرم حب قيس بن مُسهر للمولى أبي عبد الله الحسين؟

أو ما سمعت بشاعر معاصر شارف إنجاز نص حول كربلاء، قرر أن يكون ختامه عتاب الفرات كيف لم يمتد فيوصل الماء إلى الحسين، فلم يستطع ذلك إلا بعد أن شارف ذهاب النفس حسرات^(١).

فكيف بصاحب القلب السليم الذي رأى الحسين، وربما علياً وسمع بواسطة واحدة شجون حديث المصطفى الحبيب وحفيف أجنحة جبرئيل والملائكة، وربما وصله بعض زغبها الملتقط من بيوت أهل البيت.

قصة قيس بين شهداء كربلاء، متميزة وكل قصصهم تميز، وكلهم نور حسيني واحد.

إخلع يا قلب نعلي ادعاء الولاية والمعرفة، مقراً بالعجز، معترفاً بالجهل، ويمم وجهك - بالتوسل بهذا الشهيد الجليل - شطر الوادي المقدس طوى، فلعل وعسى.

إنه قيس الحسين، وكفى.

* ضبط الإسم

قيس بن مُسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن حر(جسر) بن نكرة^(٢) بن الصيدا بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن

(١) نشر هذا الخبر في جريدة نداء الرافدين العراقية التي كانت تصدر في بيروت العدد ٢٧٧ بتاريخ ٦ آذار ٢٠٠٣م حول الشاعر عبد الستار محمود، وإنه لم يستطع إنجاز ذلك إلا بعد أربعة أشهر كان خلالها كلما هم بالكتابة ينخرط في بكاء مريم ويغمى عليه فينقل إلى المستشفى، وبعد أن يتماثل للشفاء يكرر المحاولة فيغمى عليه ويدخل المستشفى مجدداً.

(٢) ابن حجر، الإصابة ٦/٢٣٣ قال في ترجمة والد الشهيد قيس: «مسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن حر بن نكرة العبدي النكري، له إدراك، و كان ابنه قيس مع الحسين بن علي لما قتل بالطف سنة ستين (كذا)».

دودان بن أسد^(١) وقيل غير ذلك، والصيداوي نسبة إلى صيدا بطن من أسد^(٢).

ويأتي في الحديث عن شهادته أنه «شيخ بني الصيда».

الأرجح أن مُسَهْر بضم الميم وسين مهملة ساكنة وهاء مكسورة على وزن منعم ومحسن^(٣).

* محاور التعريف بالشهيد

١ - مهام الشهيد.

٢ - في الأسر.

٣ - الشهادة.

- (١) قال الزبيدي، في تاج العروس ٣/١٠٠ «وجسر بن نكرة بن الصيدا من ولده قيس بن مسهر كان مع سيدنا الحسين رضى الله عنه ذكره البلاذري» وفي معرض حديثه عن شخص اسمه «نكرة» قال في ج ٣/٥٨٥ «وأما الذى في بنى أسد فانه نكرة بن الصيدا بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ومنهم قيس بن مسهر النكرى من شيعة الحسين بن على رضى الله عنهما». وقال الزركلي، الأعلام ٨/٤٧ نكرة بن الصيда «نسبة إلى جده. بنوه بطن من بني «الصيда» منهم قيس بن مسهر بن خلود: أرسله الحسين (السيط) إلى الكوفة، فقبض عليه عبيدالله بن زياد وأمره بأن يلعن الحسين، فلعن ابن زياد، فألقاه هذا من فوق القصر، فمات».
- (٢) أنظر: السماوي (محمد بن الشيخ طاهر) إِبصار العين/٦٥ (منشورات مكتبة بصيرتي، قم). قال: «قيس بن مسهر بن خالد بن جندب بن منقذ بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي الصيداوي، وصيدا بطن من أسد».
- (٣) قال الفيروز آبادي: «ومسهر كمحسن إسم». القاموس المحيط ٢/٥٤. وقال ابن حجر: «بضم الميم وسكون المهملة وكسر الهاء». تقريب التهذيب ١/٧٠٣ وفي المقابل قال السيوطي في الديباج على صحيح مسلم ١/١٠٧ «مسهر بضم الميم وكسر ها» وقال ابن داود الحلبي في رجاله: «مسهر، بكسر الميم وفتح الهاء» ويندر في المصادر الحديث عن ضبط هذا الإسم، وما ورد منه في الشعر ينسجم مع الاحتمالات السابقة إلا أنه لا ينسجم مع مسهر بتشديد الهاء، من ذلك: «أترجوا الحياة يابن بشر بن مسهر» ابن منظور، لسان العرب ٥/١٠٧. وقول آخر: «وأحمى عليها ابنا يزيد بن مسهر». البكري الأندلسي، معجم ما استعجم ٤/١٢٠٧ والأرجح الأول على وزن منعم ومحسن.

* المحور الأول: مهام الشهيد

تدرج مهام الشهيد تحت عنوان رسول النهضة الحسينية، الذي حاز قصب السبق في كثرة الرسائل التي نقلها إلى الإمام ومنه عليه السلام، وسيأتي في الحديث عن شهادته ما يدل على موقعه عند سيد الشهداء.

وقد توزعت مهام الشهيد كالآتي:

١ - حمل أول مجموعة من رسائل أهل الكوفة الأولى إلى الإمام في مكة^(١) ومعه عبدالرحمن بن عبد الله الأرحبي وعمارة بن عبد الله السلولي، وبلغ عدد الرسائل «نحواً من ثلاثة وخمسين (كذا) صحيفة، من الرجل والإثنين والأربعة»^(٢) وقيل هي «نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والإثنين والأربعة»^(٣).

وتتيح بعض النصوص إمكانية تقدير تاريخ هذه المهمة، حيث أن الرسولين اللذين حملا الرسالة الأولى قد توجهوا مسرعين فوصلا مكة في العاشر من شهر رمضان (عام ستين للهجرة) وكان انطلاق الشهيد قيس ومن معه من الكوفة بعد مغادرة الرسولين السابقين بيومين^(٤) وهو ما يسمح بتقدير أن انطلاقهم كانت في أوائل شهر رمضان، ووصولهم إلى مكة حوالي اليوم الثاني عشر منه.

(١) كانت أول رسالة إلى الإمام من أهل الكوفة مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال، ثم حمل الشهيد قيس ومن معه المجموعة الأولى من رسائلهم. انظر: الطبري ٢٦١/٤ ويبدو أن المصادر مجمعة على رسالة قبل المهمة الأولى للشهيد. انظر مثلاً: الشيخ المفيد، الإرشاد ٣٧ وابن شهر آشوب، المناقب ٢٤١/٣ (باختلاف في اسمي الرسولين) والفتال النيسابوري، روضة الواعظين ١٧٢، وابن كثير، البداية والنهاية ١٦٢/٨.

(٢) الطبري ٢٦٢/٤

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ٣٨/٢ ومثله في روضة الواعظين ١٧٢ وفي المناقب ٢٤١/٣ «من الرجل والإثنين».

(٤) انظر: الطبري، والشيخ المفيد، وابن كثير، وابن شهر آشوب، والفتال النيسابوري. في الموارد المذكورة أعلاه.

٢ - ويبدو أن مقام الشهيد قيس في مكة لم يتجاوز الثلاثة أيام، فتوجه مع الشهيد مسلم إلى الكوفة برفقة زميليه اللذين جاءا معه^(١) يدل على ذلك نص المسعودي على أن خروج الشهيد مسلم من مكة كان في الخامس عشر من شهر رمضان^(٢).

توجه الشهيد مسلم ومن معه إلى المدينة المنورة «فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وودع من أحب من أهله ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به فضلاً الطريق وجارا وأصابهم عطش شديد وقال الدليلان هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء وقد كادوا أن يموتوا عطشاً»^(٣).

٣ - وتبدأ المهمة الثالثة للشهيد قيس، حيث حمل رسالة من الشهيد مسلم إلى الإمام إذ أن هذه الحادثة قد أخذت الركب باتجاه مكة^(٤) عندها «كتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مُسهر الصيداوي إلى حسين وذلك بالمضيق من بطن الخبت أما بعد فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي فجارا عن الطريق وضلا واشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت»^(٥).

(١) نفس المصادر.

(٢) المسعودي، مروج الذهب (م. م) ج ٣/٥٤.

(٣) الطبري ٢٦٣/٤.

(٤) انظر: كمره إي (ميرزا خليل) عنصر شجاعت يا فداكاري هفتاد ودو تن (م. م، فارسي) الجزء الخاص بـ«مسلم بن عقيل وأسرار العاصمة العاصفة» القسم الثاني «مسلم بعد العبور من المدينة» ٣٩٦ - ٣٩٧. وقد تقدم مزيد إيضاح في ترجمة الشهيد مسلم، وانظر الملحق الخاص بتحديد منطقة «المضيق» في آخر الكتاب.

(٥) الطبري ٢٦٣/٤. والصحيح هو بطن الخبت انظر: الحموي، معجم البلدان ٣٤٣/٢ «علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال له خبت الجميش» وقد تقدم بيانه في ترجمة الشهيد مسلم، وانظر الملحق في آخر الكتاب.

ولعلها أكثر أسفاره الكربلائية دلالة على علو همته رضوان الله عليه، فهو قد خرج للتو مع صحبه من داهم خطر الموت عطشاً، وها هو عازم على قطع مسافة مائة وستين فرسخاً ذهاباً وإياباً، على أقل تقدير^(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن رسل النهضة الحسينية لم يكونوا مجرد حملة رسائل، بل كانوا من الوجوه المعروفة، وقد تقدمت الإشارة إلى أنه سيأتي عن الشهيد قيس أنه «شيخ بني الصيداء».

كما تجدر الإشارة إلى أن الدينوري يرى أن الشهيد مسلم لم يرسل الشهيد قيس، بل أرسل «رسولاً استأجره من أهل ذلك الماء»^(٢) ويبعده أن المهمة شديدة الخصوصية، ويفسح المجال أمامه أن نص الرسالة «أمني» لا يشي بشيء، إلا أن الأرجح أن الذي حمل الرسالة هو الشهيد قيس لاستفاضة ذلك في المصادر وتفرد الدينوري - في ما رأيت - بما ذكر.

٤ - أوصل الشهيد الرسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام في مكة، ثم حمل منه الرسالة الجوابية التي تقدم البحث حول مضمونها، ثم انطلق الجميع باتجاه الكوفة، فوصلوها «لخمس خلون من شوال»^(٣).

وهكذا يتضح أن الشهيد قيس بقي على جناح السفر طيلة حوالي خمسة وثلاثين يوماً، من أوائل شهر رمضان إلى الخامس من شوال.

٥ - ويبدو أن الشهيد قد بقي في الكوفة إلى حوالي الثاني عشر من

(١) ذكر ميرزا خليل كمره إي، أن المسافة بين بطن الخبت ومكة ثمانون فرسخاً أو أكثر. انظر: عنصر شجاعت يافداكاري هفتاد ودو تن ويك تن ١/١١٩.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٣/٥٤.

ذي القعدة، وطبيعي أن يكون الشهيد مسلم قد أرسل غيره في هذه الفترة، وجاءه الجواب كما مر في ترجمة الشهيد مسلم، ومع تطاول مدة إقامته، فقد تبلورت للشهيد مسلم صورة أكثر دقة عن الوضع في الكوفة وبايعه خلالها المزيد ممن بايع، وبدأت تلوح في الأفق مخاطر التأخر في إعلان النهضة، فكتب إلى سيد الشهداء، قبل الإنهيار الكوفي المدوي «لسبع وعشرين ليلة»^(١) وأرسل الكتاب «مع عابس بن أبي شبيب الشاكري وقيس بن مُسهر الصيداوي»^(٢).

٦ - وفي هذه المرحلة يبدأ التداخل بين مهمة الشهيدين عبد الله بن بقطر وقيس، إذ يحتمل أن الإمام استبقى قيساً في مكة وأرسل عبد الله وهو ما يزال في مكة، على تفصيل مر في ترجمته، إلا أن من الواضح بمكان لدى مراجعة المصادر أن المهمة السادسة لقيس رسول النهضة الحسينية بامتياز، كانت من «الحاجر» في «بطن الرمة»^(٣) وهي حوالي

(١) الطبري ٢٩٧/٤.

(٢) الشيخ ابن نما، مشير الأحزان ٢٢. ولم يذكر الطبري نقلاً عن أبي مخنف الشهيد قيساً بل اكتفى - في ما وجدت - بأن الذي حمل الرسالة الشهيد عابس الطبري ٤ / ٢٨١ وقد نقل الشيخ السماوي في إبصار العين ٧٥ عن الطبري ما يشعر بأن فيه قوله: وأرسل الكتاب مع عابس فصحبه شوذب مولاه، ولم أجد ذلك في الطبري ومن المعلوم أن شوذب مولى شاكر قبيلة عابس وليس مولاه، كما نقل ص ٧٦ عن أبي مخنف أن شوذباً صحب عابساً إلى مكة وبقي معه حتى جاء إلى كربلاء، ولم أجد ذلك في نسخة أبي مخنف المدونة مما في الطبري، ولعله اطلع على نسخة أخرى، ويبدو أن الكمره إي في عنصر شجاعت ج ١ / ١٢٠ اعتمد ما أورده الشيخ السماوي فقال إن عابساً وشوذباً بقيا في مكة، وعلى أي حال فلا وضوح في توجه الشهيد عابس فضلاً عن الشهيد شوذب إلى مكة، والراجح أن الذي حمل الرسالة هو الشهيد قيس وحده، خصوصاً أنا نجد الحديث عن التحاق الشهيد عابس بالإمام في كربلاء انظر: هامش مقتل أبي مخنف، ت: الغفاري / ١٤٤.

(٣) قال الحموي: «الوادي الذي في بلاد بني تميم ببادية البصرة في أرض بني سعد يسمونه الدهناء، يمر في بلاد بني أسد فيسمونه منعج ثم في غطفان فيسمونه الرمة، وهو بطن الرمة الذي في طريق فيد إلى المدينة، وهو وادي الحاجر». معجم البلدان ٢ / ٤٩٣. والرمة بضم أوله وتشديد ثانيه وقد يخفف. المصدر ٣ / ٧١. وفيه: «الرمة أكبر واد بنجد، و«الرمة» فضاء تدفع فيه أودية كثيرة» و«بطن الرمة واد عظيم». مما يوضح أن إحدى محطات هذا الوادي العظيم، تسمى الحاجر.

ثلث الطريق من مكة إلى الكوفة^(١) الأمر الذي يعني أن الشهيد قطع أكثر من نصف ما بقي من الطريق قبل أن يواجه الإعتقال ويفاجأ بالإنهيار الكوفي الذريع.

* المحور الثاني: في الأسر.

حتى الثامن من ذي الحجة، كان قد مضى على مغادرة قيس الكوفة سبع وعشرون ليلة كما تقدم، يضاف إليها المدة التي استغرقها الطريق، وهي على ثلاثة أقسام: المدة التي أمضاها قيس في ركاب سيد الشهداء من مكة إلى الحاجر، والمدة التي أمضاها رسولاً إلى الكوفة قبل الإعتقال، والمدة التي أمضاها رهن الإعتقال من القادسية إلى الكوفة.

وقد كان الطابع العام لسفر الإمام قبل وصول خبر استشهاد الثلة الكربلائية الأولى ما عبر عنه الإمام في الرسالة التي كتبها من بطن الرمة - ويأتي تفصيلها - بقوله «حيث السير اليكم»^(٢).

وطبيعي أن توجهه كرسول يستلزم مزيداً من حث السير، وهو ما ينفع في تقدير أن انطلاقة الشهيد قيس من الحاجر كانت - تقريباً - حوالي الثاني عشر من ذي الحجة، ووقوعه في الأسر في حوالي الخامس عشر منه، ولكي نتمكن من تقدير أولي لتاريخ استشهاد رضوان الله عليه، لا بد أن يضاف إلى هذا التاريخ ما استغرقه وقت نقله مخفوراً من القادسية إلى الكوفة كما يأتي.

ولابد من الإشارة هنا إلى أمرين:

الأول: أن ابن أعثم يصرح بأن مهمة الشهيد قيس الأخيرة كانت

(١) انظر: كمره إي، عنصر شجاعت (م. م) ج ١/١٢٠.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤٥.

من منطقة «وراء عذيب الهجانات» بعد أن قدم الحر في جيشه، وإذا صح ذلك أمكنه أن يحل مشكلة التداخل بين مهمتي الشهيدين عبد الله وقيس، على كلام في مضمون الرسالة التي يذكر ابن أعثم وغيره أن الإمام بعث بها إلى أهل الكوفة بعد وصول الحر إليه، إلا أن أبسط ما يعارض رواية ابن أعثم ما يأتي من تصريح أبي مخنف بأن وصول خبر استشهاد قيس إلى الإمام عليه السلام كان في «عذيب الهجانات» أي نفس المنطقة التي ذكر ابن أعثم أن الشهيد قيساً توجه إلى الكوفة منها.

الثاني: أراجع أن نص الرسالة التي حملها الشهيد قيس في مهمته الأخيرة، لم يصلنا لأنه مزقها حتى لا تقع في يد ابن زياد كما سيأتي، ورغم أن بالإمكان وصول مضمونها وإن مزقت وكتمت، إلا أنه بعيد وليس ممتنعاً، ولذلك كان خلافه الراجح.

وعلى هذا الأساس ينبغي التعامل باحتياط مع نصين قيل إنهما الرسالة التي حملها الشهيد قيس في مهمته السادسة والأخيرة، والظاهر أن أولهما^(١) هو نص الرسالة التي حملها الشهيد عبد الله بن بقطر، الذي تتشابه ترجمته مع ترجمة الشهيد قيس للنصوص الملتبسة التي تقدم بيانها في ترجمته.

أما ثانيهما فهو كما استظهر السيد الأمين - ولم يرجح - بالخطبة أشبه^(٢).

أما في تفاصيل وقوعه أسيراً، فالمتوفر من ذلك أنه «لما بلغ عبيدالله (بن زياد) إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية إلى

(١) الطبري ٢٩٧/٤

(٢) السيد الأمين، لواعج الأشجان ٩٣ الهامش. وانظر: ابن أعثم، الفتوح ٨١/٥ - ٨٢

خفان وما بين القادسية إلى القطقانة والى لعلع وقال الناس هذا الحسين يريد العراق»^(١).

ويوضح نص آخر مهمة الحصين بن نمير بقوله «أن يضع المسالح فينظم ما بين القطقانة إلى خفان»^(٢).

وهو العنوان العسكري - الأمني العام.

ونجد في التفاصيل أن «ابن زياد وجه بالحصين بن نمير - وكان على شرطه - في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة، وأمره أن يقيم بالقادسية إلى القطقانة، فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز إلا من كان حاجاً أو معتمراً، ومن لا يتهم بممالة الحسين»^(٣).

وهو العنوان السياسي المصاغ بطريقة تحقق هدف السلطة، في حين تظهرها بمظهر الحريص على الدين.

و«أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج، فأقبل الحسين «...» حتى لقي الأعراب فسألهم فقالوا: لا والله ما ندري غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج»^(٤).

وهو الوصف الطبيعي للطريقة التي نفذ بها أمر المهمة، بما ينسجم مع أهداف السلطة، ويتجاوز حدود الصياغة الفنية الملائمة للإعلان.

وطبيعيٌّ أن ذلك كان في الفترة التي تلت شهادة مسلم وهانيء،

(١) المصدر

(٢) نفس المصدر ٣٠٢

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٤٣. ويذكر في مكان آخر ٢٤٨ «توطيد ابن زياد الخيل ما بين القادسية إلى العذيب».

(٤) الطبري ٢٩٥/٤

وسيطرة ابن زياد على الكوفة، مما سمح له أن يرسل رئيس شرطته إلى خارج الكوفة^(١).

ويمكن من خلال هذين النصين رسم صورة دقيقة عن الوضع الأمني والعسكري على طول الخط الذي لا بد للقادم من مكة إلى الكوفة من اجتياز بعضه، من خفان إلى لعلع، والذي يمتد على مسافة تربو على مائة وخمسين ميلاً، وتقترب من مائة وستين^(٢) وربما زادت على ذلك بكثير، ولقد كان هذا الخط بطوله مزروعاً بالمفارز المسلحة التي تتكون من الفرسان لا المشاة، كما يفيدته تعبير «نَظْمِ الخَيْلِ».

على هذا الخط المزروع بالمفارز، وفي هذا الجو وقع الشهيد قيس في الأسر، ولهذا الجو تأخر وصول خبر استشهاده - بالطرق المتعارفة - إلى الإمام الحسين عليه السلام، كما سيأتي.

ولئن جرت عادة النصوص على أن تظن في الكثير من المفاصل الحرجة بالتفاصيل، فإن ما جادت به حول وقوع الشهيد في الأسر - على خلاف عاداتها - بالغ الأهمية وافر الدلالة.

يبدأ الحديث في ما يتعلق بالإعتقال موجزاً جداً، بلغة «وأقبل قيس بن مُسَهْر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين، حتى إذا انتهى إلى القادسية، أخذه الحصين بن نمير، فبعث به إلى عبيدالله بن زياد»^(٣).

(١) نصوص الطبري حول الحصين مضطربة ففي حين تؤكد أنه صاحب الشرطة، تعطي هذه الصفة أحياناً للحصين بن تميم، وليس ذلك تصحيفاً بدليل أنه يصرح بأنه من تميم، والمفترض أن ابن نمير سكوني كندي. انظر: الطبري ٢٩٧/٤.

(٢) انظر: الحموي، معجم البلدان ١٨/٥ في تحديد المسافة بين المنازل من البصرة إلى القادسية (١٤٠ ميلاً)، و ٢٨٥/٥ في تحديد تقريبي للمسافة بين القادسية والنسوخ (بضعة عشر ميلاً) و ٣٧٩/٢ في تحديد المسافة بين النسوخ وخفان (ثلاثة أميال).

(٣) الطبري ٢٩٧/٤

ثم يتخذ منحى آخر عبر نصين:

١ - «فأخرج الكتاب ومزقه فلما حضر بين يدي عبيدالله قال: من

أنت؟

قال: رجل من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: فلماذا مزقت الكتاب؟

- لئلا تعلم ما فيه

- ممن الكتاب وإلى من؟

قال من الحسين عليه السلام، الى قوم من أهل الكوفة لا أعرف

أسماءهم»^(١).

ثم تتبدى تفاصيل أخرى أكثر دقة وأهمية حيث نقرأ:

«فمضى قيس إلى الكوفة وعبيدالله بن زياد قد وضع المراصد

والمصابيح على الطرق، فليس أحد يقدر أن يجوز إلا فُتس، فلما تقارب

من الكوفة قيس بن مُسهر لقيه عدو الله يقال له: الحصين بن نمير

السكوني، فلما نظر إليه قيس كأنه اتقى على نفسه، فأخرج الكتاب

سريعاً فمزقه عن آخره. قال: وأمر الحصين أصحابه، فأخذوا قيساً

وأخذوا الكتاب ممزقاً حتى أتوا به إلى عبيدالله بن زياد، فقال له

عبيدالله بن زياد: من أنت؟

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن علي - رضي الله

عنهما -

- فلم خرقت الكتاب الذي كان معك؟

(١) الشيخ ابن نما، مشير الأحزان ٣٠

- خوفاً، حتى لا تعلم ما فيه .

- وممن كان هذا الكتاب والى من كان؟

- كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم .

فغضب ابن زياد غضباً عظيماً، ثم قال :

والله لا تفارقني أبداً أو تدلني على هؤلاء القوم الذي كتب إليهم هذا الكتاب، أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه وأخاه فتنجو من يدي، أو لأقطعنك»^(١) .

٢ - «مضى قيس بن مُسهر يريد الكوفة، وعبيدالله بن زياد قد وضع المراصد والمسالح على الطرق والشوارع، فليس أحد يقدر أن يجوز، فلما قارب قيس الكوفة، لقيه الحصين بن نمير السكوني، فلما نظر إليه قيس كأنه أحس بأنه يقبضه، فأخرج الكتاب سريعاً ومزقه، وأمر الحصين أصحابه فأخذوا قيساً وأخذوا الكتاب ممزقاً، حتى أتى به إلى ابن زياد وأخبر بقصته، فقال له ابن زياد من أنت؟

قال: رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

- لم خرقت الكتاب الذي معك؟

- خوفاً أن تعلم ما فيه .

- ممن كان هذا الكتاب وإلى من كان؟

- من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم .

فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تدلني على هؤلاء

(١) الأحمدى، مواقف الشيعة ٢/١٩٢ نقلاً عن فتوح أعثم ٥/١٤٦ - ١٤٧ وانظر: الفتوح ٥/٨٢/٨٣

القوم المكتوب اليهم، أو تصعد المنبر فتلعن حسيناً وأباه وأخاه، فتنجو من يدي، أو لأقطعنك إرباً إرباً»^(١).

وهي تفاصيل تغني الكاتب عن الإستنتاج والتحليل، فالشهيد هو الذي يتولى تقديم الدروس الكربلائية للأجيال في سرعة الأخذ بزمام المبادرة في المنعطفات، ومواجهة أشد الظروف حراجه ببرد اليقين، والمضي قدماً في طريق ذات الشوكة، واغتنام الفرصة السانحة للقيام بالواجب الرسالي، يرفد ذلك كله خزين حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ، المتجسد حباً للحسين.

وسواء أخذنا بالرواية الأولى أو الثانية حول جوابه على سؤال الطاغية: من أنت؟ فإن الحقيقة الصراح أنك مهما تأملت في سيرة أصحاب الحسين ﷺ أراك خير الأصحاب من حبه عجباً.

غير أن للرواية الأولى فرادة روعة وبهاء، «أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن علي!»!

وإذا كان الجواب بصيغته الثانية، يجعل الطاغية يستشيط غضباً، فما بال الصيغة الأولى؟

لذلك كان غضب الطاغية عظيماً، فلقد سد الشهيد في وجهه السبل، وضيق عليه الخناق.

هذا ولم يبلغ موقف الشهيد النهاية الآتية.

* المحور الثالث: الشهادة.

«آن لهذا الفارس أن يترجل».

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٣٥ - ٣٣٦.

لا سبيل إلى معرفة مقالة الشهيد قيس في انهيار الكوفة المدوي .

لئن أراد المختار من قبل أن يقول: ارتج عقلي من فعلتكم!

فماذا قال الشهيد قيس بن مُسهر، وهو يرى نفسه أسيراً في أيدي من حمل رسالة منهم إلى الإمام، تقول بعض نسخها «إن لك قبلنا مائة ألف سيف»!^(١)

إلا أن فعل الشهيد يغني عن أي مقالة .

لم يصدق أن ميزان القوى استقر على ما يرى، ومن هنا كان إصراره على الرسالة الشهادة والشهادة الرسالة .

إذا كان قد اضطر إلى تمزيق الرسالة قياماً بواجب الأمانة، وحفظاً لمن وجهت إليهم، فلعل مزق الجسد تعيد وصل الرسالة الممزقة .

ليس أمامه الآن لإيصال الرسالة إلا أن يبلغها لأصحابها مشافهة، ولو أدى ذلك إلى تمزيق الجسد .

لذلك، ودون أدنى تردد، تلقف الشهيد عرض الطاغية، مغتتماً الفرصة السانحة، فقال:

«أما هؤلاء القوم فلا أعرفهم، وأما لعنة الحسين وأبيه وأخيه فإنني أفعل . قال: فأمر به فأدخل المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر وجمع له الناس ليجتمعوا ويسمعوا اللعنة، فلما علم قيس أن الناس قد اجتمعوا وثب قائماً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على محمد وآله، وأكثر الترحم على علي وولده، ثم لعن عبيدالله بن زياد ولعن أباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم، ثم دعا الناس إلى نصره الحسين بن علي»^(٢) .

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٧١/٢

(٢) نفس المصدر .

وتعرض المشهد رواية أخرى باختلاف عما تقدم فتقول إن ذلك كان من أعلى القصر، وهي الأكثر شياعاً في المصادر أذكر من مظانها النماذج التالية:

١ - «فصعد قيس القصر فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها «الناس» إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله وقد فارقتة (في الحاجر) فاجيبوه، ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب فأمر عبيدالله فألقى من فوق القصر فمات»^(١).

٢ - «فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم فأجيبوه، ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب ﷺ وصلى عليه فأمر به عبيدالله أن يرمى به من فوق القصر، فرموا به فتقطع . . .» وروي: أنه وقع إلى الأرض مكتوفاً فتكسرت عظامه وبقي به رمق، فجاء رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فقيل له في ذلك وعيب عليه، فقال: أردت أن أريحه»^(٢).

٣ - «فقال له عبيدالله اصعد إلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب فصعد ثم قال أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقتة بالحاجر فأجيبوه ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب قال فأمر به عبيدالله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرمي به فتقطع فمات»^(٣).

(١) الشيخ ابن نما، مثير الأحران ٣٠ والسيد ابن طاوس، اللهوف ٤٦ - ٤٧ .

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ٧١/٢ .

(٣) الطبري ٢٩٧/٤

٤ - وتجمع رواية ابن أعثم والخوارزمي نقلاً عنه بين إبلاغ الرسالة من على المنبر، والشهادة من أعلى القصر:

«فأمر عبيدالله أن يدخل المسجد الأعظم، ويصعد المنبر، وتجمع الناس ليلعن وتسمع الناس، فأدخل المسجد وجمع الناس للإستماع، فأصعد المنبر، ووثب قائماً عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وأهل بيته، وأكثر الترحم على علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، ولعن يزيد بن معاوية وعتاة بني أمية وطفاتهم، وأكثر اللعن على عبيدالله بن زياد، ثم دعا إلى نصره الحسين وحث الناس عليها، فأخبر ابن زياد بذلك، فأمر به أن يصعد به القصر ويرمى من أعلاه، فأصعد أعلى القصر، ورمي به على أم رأسه، فاندقت عنقه، وخرج دماغه من أذنيه»^(١).

وطبيعي - بخلاف ظاهر النص الأخير - أن يكون الجلاوزة الموكلين به قد انتظروا حلول وقت الصلاة، واجتماع الناس لأدائها.

ولم يكن يدور في خلد أحد من أولئك المصلين، أنهم سيشهدون تجسيد التوأمة بين الجهاد والصلاة، وأستغفر الله من شديد الفصل بينهما بالحديث عن التوأمة، بل سيشهدون المعنى الحقيقي للأذان والإقامة، وتكبيرة الإحرام، والقراءة، والركوع، والسجود، والذكر والخشوع.

ها هو الأذان لدى الشهيد قيس أفضل الجهاد، إنه كلمة حق أمام سلطان جائر.

وها هي الإقامة، رفض الطاغوت، والسفر الدائم في صراط إقامة العدل وكسر القيود، والتحرر من الإصر والأغلال.

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين ٣٣٦ وابن أعثم، الفتوح ٨٢/٥ - ٨٣.

ولا قراءة إلا بلغة أفصح من نطق بالضاد، فبلغ الرسالة وصدع بالندارة، لثلا يكون للناس على الله حجة، وهي لغة الولاية لولاية الحق والائتمام بهم، لغة «أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم فأجيئوه».

ولا ركوع أو سجود، ولا ذكر أو فكر إلا للحق وفي الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

آثر قيس جوار الحق، بصلاة مقبولة، يقبل بها ما سواها.

وآثر قاضي الكوفة أن يكون مدية الطاغوت تهوي إلى مقيمي الصلاة، وتلك هي مهمة وعاظ السلاطين، عبدة مستنقع الأنانية والشهوة الموبوءة.

وقد تقدم في ترجمة الشهيد عبد الله ما يخفف من وطأة الإستبعاد في ما نحن فيه وإن كان لا يرفعه.

والراجع أن صلاة الشهيد قيس برسالة الإمام كانت من أعلى القصر، فهو ما يتبناه أبو مخنف وأهل مكة أدرى بشعابها، وسيأتي قريباً كلامه.

ولو لم يكن بين من تبلغوا الرسالة إلا الشهيد خالد بن عمرو الصيداوي لكفى، فكيف وقد كانوا أربعة كلهم خالد.

انطلق خالد ومعه أربعة - لم يقدر لأحدهم وهو الدليل الطرماح أن يكون معهم في عداد أصحاب الحسين - فوصلوا إلى الإمام عليه السلام في «عذيب الهجانات» «على رواحلهم يجنبون فرساً لنا فع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم الطرماح بن عدي على فرسه» وبعد أن حاول الحر منهم من اللحاق بسيد الشهداء وتطور الموقف وبلوغه مشارف المواجهة، تراجع الحر.

«ثم قال لهم الحسين أخبروني خبر الناس وراءكم؟»

«فقال له مُجَمِّع بن عبد الله العائذي وهو أحد النفر الأربعة الذين

جاؤوه:

«أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم يستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم إلب واحد عليك، وأما سائر الناس بعد فإن أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك.

«قال أخبرني فهل لكم برسولي إليكم؟»

قالوا من هو؟

قال قيس بن مُسَهَّر الصيداوي

فقالوا نعم أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدمك، فأمر به ابن زياد فألقي من طمار القصر.

فترقرقت عينا حسين عليه السلام ولم يملك دمه ثم قال «منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نُزُلًا، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك»^(١).

ليهنك حب الحسين لك يا قيس، ليكشف أن حبك له الشجرة الطيبة لا وهم الحب، ويحمل كل القلوب إلى سواحل التأمل في ترقق عيني الحسين، وإنحدار دمه على ذلك الخد... التريب!

حر قلبي لزینب مذرأته ترب الخدم مشخناً بالجراح
ولیهنك بعده وسام صدق العهد، وسام جيرة المصطفى الحبيب
وآله الأطهار.

علّ المولى الجليل الشهيد قيساً يتنفس على هذه القلوب بالرضا،
بنظرة، بكلمة أمين، توصلها إلى الحسين، فقد بعدت الشقة، وتقاشرت
الهمة، وتصحرت النفوس، فمن مبلغ عنها الحسين رسالة من قعر
المضيق بلا خبت، بل من يبلغها رسالة الحسين والطريق مزروعة بعقبات
النفوس والشيطان وغرور الدنيا، والإخلاق إلى البهارج، إلا من تصاغرت
شم القمم لسفح همتهم.

عُلُوّ في الحياة وفي الممّاة لعمرك تلك إحدى المكرمات
لولا نزول القرآن لما كان للكلم الطيب صعود، ولما كان للعمل
الصالح وجود، ولولا سقوط الشهداء، ما ارتفعت للأمة هام.

تحجب التجزئة جمال الصورة، ويحجب قصور الوعي راحة
الشهادة، ويكتفي القاعدون بالتفكيك والتجزئة، فإذا هم أمام قتيل يهوي
من طمار القصر، ويخشع المجاهدون في محراب رسول الحسين تهتف
دماؤهم: لبيك يا حسين.

إلا أن جلال الموقف وعظمة الإنجاز لا يخفيان جرح قلب
مكتوماً، وعتاباً مرأً لبني الصيحاء، وهم يرون شيخهم أسيراً، يتوقد
عزيمة وإصراراً، ويتفجر ثورة وإقداماً، فلماذا أسلموه ولاذوا بالجبن
والصغار؟

هل كان البركان المتجول الكميت يقصد ذلك حين قال:

وشيخ بني الصيداء قد فاظ قبلهم^(١).

ولعل صيداوياً منهم يقول: كانت شدة الوطأة فوق التصور، وكان اختلال ميزان القوى يطيش كل لب، حتى أن ثلاثين ألف دارع، كانوا من يستنفرهم هانيء بن عروة في الملمات أسلموه، وإذا به ينادي: وا مذحجاه ولا مذحج لي اليوم!

أليس في ذلك بعض ما يخفف من عتاب بني الصيداء يسلمون شيخهم.

إنه منطق تبرير الجبن بالأدهى، وقل كل يعمل على شاكلته، وليس الموقف الكربلائي متميزاً إلا لأنه الإقدام في زمن ازدهر فيه منطق الإحجام، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر.

وفي مثل هذا الجو كانت وقفة الشهيد قيس وصرخته من فوق رأس ابن زياد وكل الطغاة، من أعلى القصر.

إن تأبين سيد الشهداء له بعد هذا الموقف، مادة لاستنباط الحكم الشرعي، في سياق فقه الجهاد والشهادة.

مجدداً، لتهنك أوسمة سيد الشهداء، أيها القائد الحسيني الكبير، «لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» في مستقر الرحمة ومن مذخور الثواب.

(١) السماوي، إِبصار العين ٦٤

الشهيد عبد الأعلى بن يزيد الكلبي

* على أعتابه

لئن فاتك اللحاق بمسلم، والجهاد بين يديه، فلم يفتك اللحاق
به مضرراً بدم الشهادة، لتصل إلى إمام زمانك ودم الوريد يهتف يا
حسين.

أما أنت فسرعان ما وصلت، وبقينا نحن لهم الدنيا وغمها،
والتواءات الأمانة وزحاليها.

وما أقصر الشقة سيدي لديك، وما أبعد شقتنا وأطول مشقتنا.

ماذا فعلت حتى وصلت سريعاً؟

يا حسين! ويا إمام العصر وصاحب الزمان!

بغربة المولى عبد الأعلى نظرة محمدية لتتجذر في القلوب عبودية
الأعلى، ونتحرر من عبادة الهوى، وربما الضلال على علم.

* ضبط الإسم

أورد الطبري الإسم برواية أبي مخنف عن أبي جناب الكلبي،
مرتين مرة «رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد»^(١) ومرة «عبد

(١) الطبري ٢٧٦/٤

الأعلى الكلبي»^(١) فهو عبد الأعلى بن يزيد الكلبي^(٢). وقيل في نسبته أيضاً «العلمي، من بني عُليم»^(٣).

* محاور التعريف بالشهيد

١ - ملامح من شخصيته.

٢ - ظروف الإعتقال.

٣ - الشهادة.

* المحور الأول

يندر التعريف بالشهيد في المصادر الأساسية، وقد وردت بعض ملامح شخصيته في مصادر متأخرة دون ذكر المآخذ، ولهذا لا يمكنني الجزم بها فأكتفي بإيرادها.

من ذلك أن الشهيد «كان فارساً شجاعاً»^(٤) قارئاً بايع مسلماً وكان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام من أهل الكوفة»^(٥). اشترك في ذلك مع الشهيد حبيب بن مظاهر^(٦) وإنه «شاب كوفي»^(٧).

وهي ملامح هامة - إذا صحت - إلا أن ملامح أنه شاب - وهو بعيد جداً - ليس بمستوى ما عداه.

(١) المصدر ٢٨٤

(٢) في لسان العرب ١/٧٢٧ وكتب وبنو كلب وبنو أكلب وبنو كلبة كلها قبائل، وكتب حي من قضاة.

(٣) فرسان الهيجاء (فارسي) الشيخ ذبيح الله محلاتي ١/٢٣٠ (ط: ٢: ١٣٩٠ هج، مركز نشر كتاب، طهران).

(٤) السماوي، إحصار العين ١٠٨

(٥) المامقاني، تنقيح المقال ٢/١٣٣ الرقم ٣٢٦٤

(٦) فرسان الهيجاء، محلاتي ١/٢٣٠ نقلاً عن ذخيرة الدارين، عن الحدائق الوردية، ولم أجد ذكراً للشهيد في الحدائق الوردية في الفصل المخصص لأحداث شهادة الإمام الحسين عليه السلام. وقد أورد مضمون هذا النص الكمره إي ولم يذكر المصدر. انظر عنصر شجاعت ج ٤ الخاص بالشهيد مسلم، القسم الثاني ٦٧٩.

(٧) الشيخ محمد مهدي شمس الدين، أنصار الحسين ١٢٢

* المحور الثاني

كان ظرف اعتقال الشهيد عبد الأعلى، على مشارف الإنهيار الكوفي، فقد استجاب الألو ف لنداء الهجوم على قصر الإمارة، بقيادة الشهيد مسلم، ولم تمض ساعات حتى كان الشهيد وحيداً.

على أبواب هذا الإنهيار أمر ابن زياد عدداً من وجوه الكوفة الذين كانوا قد تحصنوا معه في القصر، أن يبادروا إلى النزول إلى الشارع في محاولة منه للبدء ببسط نفوذه الذي كان لا يتجاوز قصر الإمارة، والبدء بعملية تغيير ميزان القوى ميدانياً.

والمهمة التي حددها ابن زياد لهؤلاء، أن يرفعوا رايات أمان للناس ويخذلوهم عن مسلم.

وكان من بين من تولى تنفيذ أمر الطاغية، مع تفرده بأن يتجول في الكوفة، أحد أبرز قتلة سيد الشهداء «كثير بن شهاب» الذي كان يمني نفسه أن يكون شيخ مذحج بعد أن يتم القضاء على هاني بن عروة.

أثناء قيامه بمهمته، كان الشهيد عبد الأعلى متوجهاً ليلتحق بالجموع المحتشدة حول قصر الإمارة لإنقاذ الشهيد هانيء والسيطرة على القصر والكوفة.

لم يستطع الشهيد اللحاق بمن ظن أنهم سربه، بل وجد كثير بن شهاب وعدداً من جلاوزة الطاغية، فألقي القبض عليه.

يتحدث الطبري عن هذا الظرف فيقول:

«فضاق بعبيدالله ذرعه وكان كبير أمره أن يتمسك بباب القصر وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي

دار الروميين وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة وأن يشتموهم وهم لا يفترون^(١) على عبيدالله وعلى أبيه ودعا عبيدالله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخونهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الدهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذى الجوشن العامري وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلة عدد من معه من الناس وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل (قال أبو مخنف) فحدثني ابن جناب الكلبي أن كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في «بنى فتیان»^(٢) فأخذه حتى أدخله على ابن زياد فأخبره خبره»^(٣).

كان الشهيد إذاً في طريقه إلى مسلم بن عقيل، ولا يلتفت إلى ظاهر بعض النصوص المتأخرة التي تفيد أنه قد ألقى القبض عليه بعد تفرق الناس عن مسلم بما يوحي بأنه كان في عداد المتفرقين^(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن نص أبي مخنف المتميز أصلاً بين نصوص

(١) تقدم توضيح الإضطراب في النص عند استعراض حصار القصر.

(٢) اسم محلة في الكوفة باسم قبيلة . قال السيوطي: الفتيان بالكسر وسكون الفوقية وفتح التحتية الى فتیان بطن من بجيلة «لب اللباب في تحرير الأنساب ١٩٣». وهم بنو فتیان بن معاوية بن زيد بن غوث . نزلوا الكوفة . (د. عمر كحالة، معجم قبائل العرب ٩٠٨/٣ وانظر: السمعاني، الأنساب ٣٤٦/٤ فتیان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن غوث بن أنمار).

(٣) الطبري ٢٧٦/٤

(٤) انظر: السماوي، إِبصار العين ١٠٨ وفيه قوله: «خرج مع مسلم بن عقيل في من خرج، فلما تخاذل الناس عن مسلم قبض عليه كثير بن شهاب.

كربلاء، يكتسب في هذا المورد خصوصية إضافية، لأنه ينقل ما يرتبط بالشهيد عن أحد أفراد عشيرته، مما جعل النص حافلاً بالتفاصيل: اسم الشهيد، واسم الأب، ولبس السلاح، والهدف، والمنطقة التي اعتقل فيها، وتأتي تفاصيل أخرى في بقية النص.

وقد كان اعتقال الشهيد عبد الأعلى في يوم خروج الشهيد مسلم في الكوفة «يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذي الحجة (سنة ستين) وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين من مكة إلى الكوفة»^(١).

* الشهادة

وجد كثير بن شهاب في سلاح الشهيد ما يقربه إلى ابن زياد زلفى، فبادر إلى اعتقال الشهيد وأخذه بنفسه إلى ابن زياد.

ليس جلاوزة الطواغيت سواء، فمنهم من يحتفظ بهامش لشخصيته المهزوزة وإن تضاءل، ومنهم من تبلغ به الوضاعة غايتها، ومن هؤلاء كان كثير بن شهاب القاتل الحقيقي للشهيد عبد الأعلى.

وتسجل وقائع اليوم التالي لاعتقال الشهيد أن جلاوزاً آخر من أدوات ابن زياد، قد بلغه أن المختار قد وقف - بعد الإنهيار الكوفي - في الساحة مكشوفاً في حال قتالية، فبادر إلى تغطية موقفه، وشهد عند ابن زياد أنه جاء ليلتحق به.

لم يكن ابن شهاب من هذا النوع من الجلاوزة، ولم يكتف بعد اعتقال الشهيد بإرساله مخفوراً إلى ابن زياد، فكيف يفوت على نفسه فرصة تملق سانحة «فأخذه حتى أدخله على ابن زياد فأخبره خبره».

(١) المسعودي، مروج الذهب ٥٨/٣.

سرعان ما وجد الشهيد أن الدنيا غير الدنيا، وها هو في أسر من كان الجميع يظنون أنه أمام خيارين الهروب أو القتل.

والسلاح؟ الشاهد الإدانة! فماذا يفعل؟

«فقال لابن زياد إنما أردتك»

وهو تعبير ينبيء عن ورع حتى في المنعطفات، إذ يحتمل معنى إرادته لنصرته، والمعنى الآخر.

«قال ابن زياد: وكنت وعدتني ذلك من نفسك»!!؟

إنه تنذر الحائق المتوعد.

ولم يصدر الطاغية مباشرة أمراً بقتله «فأمر به فحبس»^(١).

ولعل ذلك يرجع إلى أن ابن مرجانة كان لم يطمئن بعد إلى مسار الأمور ومآلها، فقد بقي مدعوراً حتى بعد أن خيم الظلام، وكان يظن أن مفاجأة تنتظره، وهو ما جعله يأمر بإشعال النار في القصب وتدليته إلى داخل المسجد ليطمئن إلى أن «الثوار» ليسوا بالمرصاد!

ليلة واحدة قضاها الشهيد عبد الأعلى في «الحبس» لكنها تعدل كل العمر الذي أمضاه في سجن الدنيا.

إذا كنا نحن الآن بعد تطاول القرون وكرور الأعصار لا نستطيع أن نستوعب ما جرى في الكوفة، ولم نكن طرفاً فيها، وماذا لو كنا؟ فما هي حال الشهيد عبد الأعلى وسائر أقرانه الكربلايين؟

ليلة التاسع من ذي الحجة، والى ما بعد ظهر اليوم التاسع كان الشهيد في السجن، وبعد شهادة مسلم وهانيء، وعندما أيقن الطاغية أن الكوفة في قبضته أمر بإحضار الشهيد.

«ثم إن عبيدالله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، دعا بعبد الأعلى الكلبي الذي كان أخذه كثير بن شهاب في بني فتيان، فأتي به، فقال له: أخبرني بأمرك فقال أصلحك الله خرجت لأنظر ما يصنع الناس، فأخذني كثير بن شهاب فقال له: فعليك وعليك من الأيمان المغلظة إن كان أخرجك إلا ما زعمت فأبى أن يحلف فقال عبيدالله: انطلقوا بهذا إلى جبانة السبيع فاضربوا عنقه بها قال فانطلق به فضربت عنقه»^(١).

لقد اشتاقت نفسك يا سيدي الجنة، إلا أنا معاشر المصلحين لا نكاد نفقه لهذه المبدئية حديثاً.

«أصلحك الله» تحتمل الوجهين، وكذلك «خرجت لأنظر ما يصنع الناس» والذي يؤكد لنا هذا الدرس من الشهيد إباؤه أن يحلف.

وإذا انتفت هذه المبدئية تحت وطأة اعتماد التكتيك لما فيه المصلحة، فما هي ضمانات أن لا يصبح التكتيك الإستراتيجية.

يمكن أن يقال: لم يكن الشهيد «أفقه من صاحبه» بل هو امرؤ «اشتاقت نفسه الجنة».

ولكن يمكن أيضاً القول: إن المنطق الكربلائي كله خارج لغة المصالح والمساومة، فليكن هذا فرع ذاك، وإلا فالكلام الكلام.

ويمكن القول: لغة لا تفقهها أيها القلب فأقصر من محاولات ادعاء الفهم، وتحدث بلغة كربلاء «ما حُمَّ نازل» وقارن بين حالتي الشهيد عبد الأعلى: إن حلف ولم يكن في عداد أصحاب سيد الشهداء، أو لم يحلف، فكان من الذين بذلوا مهجتهم دون الحسين.

وكم من خير تحرمه أيها القلب بادعاء الفقه والفهم، ووهم الوعي.
عبد الأعلى، يرى العليّ الأعلى حاضراً ناظراً، وطالما أحب
لقاءه، فأحب سبحانه هذا اللقاء.

ليهنك يا سيدي مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وتلطف بعبد الأدنى الذي بعدت عليه الشقة، فمال إلى السفر
القاصد والعرض القريب، فاستسهل الحلف والحنث، وهو يحسب أنه
يحسن صنعا.

الشهيد عمارة بن صلخب الأزدي

* على أعتابه

أبى الأزديون إلا أن يكون لهم شرف الحضور في البداية بالشهيد عمارة، وفي الختام بالشهيد ابن عفيف الأزدي.

والشهيد عمارة كأخيه في السلاح والشهادة عبد الأعلى من القلائل الذين لم يقتصر ذهولهم وارتجاج عقولهم من الإنهيار الكوفي، على آثار الدهشة والولوج في أعماق ذهاب النفس حسرات، بل كان عليه أن يضيف إلى ذلك البحث عن موقف أو مخرج يحتمه هذا السلاح الذي يحمل، ويشهد بأعلى الصوت أنه مع مسلم.

ولقد كان الحسينيون معروفين قبل أن يخلق الله تعالى الخلق، ولو قدر لأحد أن يقرأ أسماء الشيعة في تلك الصحف التي سمح الإمام الباقر عليه السلام لأحدهم بالإطلاع عليها لرأى اسم الشهيد عمارة في أشدها بياض سريرة وحسن عاقبة.

* ضبط الإسم

عمارة بن صلخب الأزدي

عمارة بضم العين على الأشهر^(١).

(١) الأشهر في التسمية بعمارة بضم العين، وكانت التسمية به أيضاً بغير الضم متداولة، قال ابن ماكولا: =

وصلخب على وزن جعفر^(١).

وتتعدد معاني التسمية بلفظة «عمارة» كثيراً كما تعدد مبانيها، ومن معانيها: بضم العين: الأجر والجزاء، وبفتحها القبيلة، والعمامة وما يعتمر، وبكسرهما العمران^(٢) ويندر الحديث في المصادر عن معنى صلخب إن كان أصلاً، والمستقرب أنه بمعنى صلهب وصلخد اللذين يراد منهما عند التسمية بهما الرجل الطويل، والشديد^(٣).

* محاور التعريف بالشهيد

أولاً: ظرف الإعتقال.

ثانياً: في الأسر

ثالثاً: الشهادة.

رابعاً: الرأس إلى الشام

* المحور الأول: ظرف الإعتقال

كان اعتقال الشهيد عمارة في نفس الفترة التي وقع فيها اعتقال الشهيد عبد الأعلى من يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذي الحجة، على مشارف الإنهيار الكوفي، وإن كان ذلك لم يتضح إلا في وقت متأخر من الليل.

= «باب عمارة وعمارة وعمارة [بضم العين] فكثير. وأما عمارة بكسر العين فهو أبي بن

عمارة الانصاري»، «وأما عمارة بفتح العين وتشديد الميم فهي عمارة جدة أبي يوسف «الصيدناني» . .

إكمال الكمال ٦/ ٢٧١ - ٢٧٣ وقال الطريحي: «عمارة بالضم اسم رجل» مجمع البحرين ٣/ ٢٥٠

(١) الزبيدي، تاج العروس ١/ ٣٣٩. قال: «أهمله الجماعة».

(٢) أنظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٩٩ وابن منظور، لسان العرب ٤/ ٦٠٤ -

٦٠٦ والزبيدي، تاج العروس ٣/ ٤٢٢ - ٤٢٥.

(٣) الزبيدي، تاج العروس ١/ ٣٩٩ قال في معرض حديثه حول «صلخب» «والصلاه من الإبل الشداد

وحجر صلهب وصلاهب شديد صلب». وقال: وعمارة بن صلخب قتل بالكوفة وكان ممن أراد نصره

مسلم بن عقيل كذا في أنساب البلاذري.

وكان الشهيد في طريقه لينضم إلى الألوف التي بايعت مسلماً
لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، مستجيباً للنداء الذي كان متفقاً على أنه
كلمة السر الفاصلة «يامنصور»^(١).

إلا أنه فوجيء بما لم يكن بالحسبان، فقد كان الطاغية ابن زياد قد
«أمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت
فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس»^(٢). وكان هذا ضمن خطة اقتضت
تحريك عدد من وجوه الكوفة المصلحين، لفتح ثغرات في ممانعة
الجماهير المتوثبة تحت ستار «ما لنا وللدخول بين السلاطين».

إلا أن اعتقال كثير بن شهاب للشهيد عبد الأعلى، كما تقدم في
ترجمته، واعتقال الشهيد عمارة على يد ابن الأشعث كما يأتي، دليل واضح
على أن مهمة جلاوزة الطاغية لم تكن في جوهرها مقتصرة على التهذئة
وتخذيل الناس عن مسلم كما ربما يفهم من نص الطبري المتقدم، بل كان
ذلك العنوان الذي ينسجم مع طبيعة المرحلة وميزان القوى.

«خرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه
عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل عليه سلاحه، فأخذه فبعث
به إلى ابن زياد فحبسه»^(٣).

ولو أن الشهيد تقدم قليلاً لتجاوز هذه المنطقة قبل وصول ابن
الأشعث، كما أنه لو تأخر قليلاً لكان التحق في نفس المنطقة بالقوة التي
هاجمت ابن الأشعث ومن معه فاضطرتهم إلى التراجع، إلا أن «ما حُمَّ
نازل» و«لله أمر هو بالغه».

(١) المسعودي، مروج الذهب ٥٨/٣.

(٢) الطبري ٢٧٦/٤.

(٣) المصدر.

بعد أن أورد الطبري ما تقدم، قال:

«فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن بن شريح الشبامي فلما رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحى ويتأخر وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد الأشعث قد حلت على ابن عقيل من الفرار فتأخر عن موقفه فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين»^(١).

كأن مهمة ابن الأشعث في هذه الجولة انحصرت في اعتقاله للشهيد عمارة.

وعلى نسق ما تقدم في ترجمة الشهيد عبد الأعلى، ينبغي التنبيه إلى ما ورد في النص الذي يتحدث عن اعتقال الشهيد «وهو يريد ابن عقيل عليه سلاحه» فلا يلتفت إلى ما في أكثر من مصدر متأخر من تحديد ظرف اعتقاله بمرحلة تفرق الناس عن مسلم، مما قد يوحي بأنه كان ممن تفرقوا، فاعتقل مدبراً، والصواب أنه اعتقل متوجهاً إلى ساحة المعركة والزحف^(٢). وسيأتي في نص آخر للطبري وثالث للبلاذري ما يؤكد ذلك.

* المحور الثاني: في الأسر

في منطق الشهادة عناية خاصة بأن تكون على يد شر الخلق، ومن أسباب ذلك أن يقدم الشهيد على مولاه ودمه المسفوح وثيقة عبوديته وولايته وبراءته، يشهد له بالمعسكر الذي أحب في الله، والمعسكر الذي حارب فيه، علّ هذه الشهادة لا تبقى مجالاً للمداقة في الحساب التي لا ينجو منها أحد، وإن كانت مداقة كل بحسبه. وكلما كان القاتل أو القتلة أشر، كانت الشهادة أوكد.

(١) نفس المصدر. بتصرف اقتضاه التصحيف.

(٢) المامقاني، تنقيح المقال. والساوي، إِبصار العين

ويكفي الشهيد عمارة فخراً أن يشرك في دمه ابن الأشعث وابن مرجانة وزباد.

أما الثاني فأمره معروف.

وأما ابن الأشعث فقد تقدم أنه من الوضاعة والغدر والإنحطاط والكفر بحيث إن الإمام الحسين عليه السلام قال في كربلاء لقيس أخيه حين عرض على الإمام أن ينزل «على حكم بني عمه»! : «أنت أخو أخيك»^(١).

اعتقل الشهيد عمارة إذاً، هذا الذي يكفي لدم قيس أن يقال له إنه أخوه!

وفي غدره بالشهيد مسلم بن عقيل، يقول شاعر معاصر له:

وقتلت وافد آل أحمد غيلة وسلبت أسيفاً له ودروعاً^(٢)

وقد روي قول الشاعر بصيغة أخرى تصف موقف ابن الأشعث من

الشهيد حجر بن عدي الكندي، ثم موقفه من الشهيد مسلم:

وقتلت عمك لم تقاتل دونه فشلاً ولولا أنت كان منيعاً

وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيفاً له ودروعاً^(٣).

إنه ابن الأشعث «عرف النار»^(٤) وأخو جعدة، وأخوه «قيس

قطيفة»^(٥) وكفى.

(١) الطبري ٣٢٣/٤ وابن كثير، البداية والنهاية ١٩٤/٨

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٨٦ ويذكر اسم الشاعر «عبدة بن عمرو البدي».

(٣) المسعودي، مروج الذهب ٥٩/٣ ينسبه إلى «بعض الشعراء».

(٤) الطبري ٥٤٨/٢ «سماء نساء قومه عرف النار، كلام يمانى يسمون به الغادر» والبلاذري، فتوح البلدان

١٢٢ وأنساب الأشراف ٣٧٩ «سماء علي عرف النار» وابن أبي الحديد، شرح النهج ٢٩١/١ «وكان

قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم»

(٥) الطبري ٣٤٦/٤ كان يسمى قيس بن الأشعث بذلك، لأنه سلب قطيفة خز كانت على الإمام

الحسين عليه السلام عند شهادته.

ولئن كان الشهيد عبد الأعلى قد ابتلي بمن يبحث عن فرصة لمزيد من التملق لابن زياد، فقد ابتلي الشهيد عمارة بابن الأشعث!

ولم يأخذه بنفسه إلى ابن زياد، لأنه كان مطمئناً إلى الخدمات الجلى التي تقرب بها إلى الطاغية - والى أبيه من قبل - ومن أبرزها اشتراكه في استدراج الشهيد هانيء إلى الفخ الذي نصب للنهضة كلها، كبداية لقلب الموازين وإعادة إحكام السيطرة على الكوفة.

ولم يكن ظرف الطاغية يسمح بالفتك مباشرة، فقد كان جل همه «أن يمسك بباب القصر»^(١) لذلك أودع الشهيد السجن.

* المحور الثالث: الشهادة

هل التقى الشهيدان عبد الأعلى وعمارة في السجن، يقرب ذلك أن الشهيد ميثم التمار والمختار وغيرهما كانوا مسجونين في مكان واحد.

إذا التقيا فللجو طابع من نوع خاص، وهل وجداً أحداً ممن سبقهما؟

وإذا كان كل من المعتقلين في مكان فللغربة في هذه الحراجة وطأة أين منها ثقل الرواسي.

وبما أنه لا سبيل إلى معرفة الإجابة، فلتقتصر قراءة حديث مقتضى الحال على ليلة الشهادة.

أمضى عمارة شطراً من ليلته وهو يتوقع اقتحام الجموع السجن وإخراج من فيه إيذاناً بتنفس صبح انعتاق الكوفة من أسر بني أمية، والشطر الآخر - بعد أن تلاشت الجلبة من الشوارع رويداً رويداً - على أحر من الجمر.

(١) الطبري ٢٧٧/٤ «يتمسك الخ»

كان كل شيء متوقفاً، إلا ما حدث!

ولا ندري متى عرف الشهيد بواقع الحال، أكان ما يزال في السجن، أم في الطريق إلى ابن زياد؟ أم في مجلسه؟

«وأخرج عمارة بن صلخب الأزدي وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره فأتى به أيضاً عبيدالله فقال له ممن أنت قال من الأزدي قال انطلقوا به إلى قومه فضربت عنقه فيهم»^(١).

وفي الأزدي كما في غيرهم الصالح والطالح ولهم من المواقف كما لغيرهم، إلا أن ازدراء ابن زياد لهم، واستصغاره لشأنهم، يتضمن اعترافاً خفياً منه بشدة وطأتهم عليه، مما حمله على كسر شوكتهم بقتل ابنهم بين ظهرانيهم، فهو لم يأمر أن يفعل ذلك بالشهيد عبد الأعلى بل أمر بأن يؤخذ إلى «جبانة السبيع».

ولئن كان الطاغية ناكراً للجميل مصراً بشراسة على أن لا يحفظ للأزد حمايتهم لأبيه يوم التجأ إليهم من غضبة الجماهير في البصرة، فإن القدر يخبيء له بدوره أنه سيندس في مخابيء الأزدي في البصرة، بعد موت يزيد هرباً من الجموع الغاضبة، قبل أن يختبيء تحت بطن ناقة، فرقاً من كوكبة من الطالبين بثارات الحسين^(٢) في طريق تسلله إلى الشام تحت جناح الظلام^(٣).

لعل دمك أيها الشهيد الجليل، هو الذي أيقظ إلى حدود نخوة الأزدي حين بادر الجلاوزة لاعتقال الشهيد عبد الله بن عفيف بعد دخول السبايا الكوفة.

(١) المصدر ٢٨٤ - ٢٨٥

(٢) السيد ابن طاوس، اللهوف ١٥٥

(٣) الطبري ٣٩٣/٤

* المحور الرابع: الرأس إلى الشام

من الثابت أن ابن زياد أرسل برأسي الشهيدين مسلم وهانيء إلى يزيد بالشام، ولكن هل أرسل غير هذين الرأسين؟

باستثناء ما سيأتي من البلاذري، لم أجد في ما رجعت إليه من المصادر من تعرض لذلك.

قال البلاذري:

«قالوا: وخرج عمارة بن صلح^(١) الأزدي [كذا] وكان ممن أراد نصره مسلم [فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به] فأمر به فضربت عنقه في الأزد، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانيء [بن عروة] إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤس هانيء بن أبي حية الوادعي من همدان»^(٢).

ويرفع استبعاد أن يكون ابن زياد قد أرسل ثلاثة رؤوس مع أن المستشهدين في الكوفة أكثر من ذلك - ويأتي مزيد إيضاح - أمران:

الأول: أن تاريخ استشهاد الباقيين - عدا الشهيد عبد الأعلى الكلبي - غير معلوم والراجح أنه متأخر بحيث لا مجال للسؤال عن عدم إرسال رؤوس هؤلاء الشهداء إلى الشام، مع رأسي الشهيدين مسلم وهانيء.

الثاني: أن قبيلة الشهيد عبد الأعلى الكلبي، كانت ذات ثقل سياسي كبير في الشام، وليس من مصلحة النظام حمل رأس أحد أبنائها إليها.

(١) قال الزبيدي في تاج العروس ٣٩٩/١ «وعمارة بن صلح قتل بالكوفة وكان ممن أراد نصره مسلم بن عقيل كذا في أنساب البلاذري» وهو يثبت أن «صلح» تصحيف.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف ٨٥

يقول ابن خلدون:

«وكان لقضاة ملك آخر في كلب بن وبرة يتداولونه مع السكون من كندة، فكانت لكلب دومة الجندل، وتبوك، ودخلوا في دين النصرانية، وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون، ويقال إنه كندي من ذرية الملوك الذين ولاهم التبابعة على كلب، فأسره خالد بن الوليد وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فصالح على دومة، وكان في أول من ملكها دجاجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب، «...» وبقيت بنو كلب الآن في خلق عظيم على خليج القسطنطينية منهم مسلمون ومنهم متنصرون»^(١).

وبناء على ما تقدم فالظاهر أن رأس الشهيد عمارة كان بين الرؤوس التي أرسلت إلى الشام.

وهي مكرمة أخرى تضاف إلى سجل هذا الشهيد الجليل.

كما كان من طلائع أصحاب الحسين، كان رأسه بين الرؤوس الطليعة التي قدمت كل ما تملك فداء لرأس سيد الشهداء عليه السلام.

ليهنك الفوز المبين أيها الرائد الحسيني، ولتغمر فرحة الأمنية،

(١) ابن خلدون، تاريخه، ق ٢/٢٤٩ وقد أورد د. عمر كحالة في معجم قبائل العرب ٣/ ٩٩١ ما يلي: «كلب بن وبرة: بطن من قضاة، من القحطانية، وهم: بنو كلب بن وبرة. كانوا ينزلون دومة الجندل، وتبوك، وأطراف الشام، ونزل خلق عظيم على خليج القسطنطينية. ومن أمكتهم: عقدة الجوف، الشرية. ومن اوديتهم: قراقر ومن مياهم: عراعر، الاجداد، نهيا، الغوي، وخالة. قال الهمداني: مساكنها: السماوة، ولا يخالط بطونها في السماوة احد، ثم قال: ثم من حوران في ديار كلب عن يمينك في السماوة، ثم في الدهناء إلى ان ترى نخل الفرات، ولا يخالط كلبا سواها، ثم قال: وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر، وسلمية، والعاصمية، وحمص، وهي حميرية، وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفر طاب للكنانة من كلب، ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه إلى ناحية السماوة والفرات من المدن. . ثم يأتي الفرات من بلد الروم شاقا في طرف الشام على التواء إلى العراق فغريه ديار كلب وشرقيه ديار مضر».

وليعمر الأمل الباسم قلوباً تمضي العمر تحلم بتقديم الرأس فداء
للحسين .

وليتماوج شعاع من سنا حبك لأبي عبد الله ونور حبه لك ، فتشرق
أرض قلوب جديبة متصخرة لم يلامس هذا الأمل شغافها ولا السطح .
وهل الوصول إلى الحسين إلا بالحسين .

اللهم اجعلنا وجهاء عندك بالحسين عليه صلواتك والسلام .

الشهيد ميثم التمار

* على أعتابه

كما يدل الشذا على العطر، تأخذ الصفوة من حواربي علي عليه السلام بمجامع القلوب إلى خصائصه، حالهم في ذلك حاله مع المصطفى الحبيب ولا قياس.

واستفت قلبك تجد الجواب.

أسمعه اسم الأصبغ، أو كميل، أو حبة، أو قنبر، أو رُشيد، أو ميثم.. وأحسن الإستماع إلى تماوج شغافه والترنيمات.

أنشودتان مختلفتان جذرياً، حدّ العجز عن إدراك سر الاختلاف، ومتحدثتان كلياً حد القصور عن فهم سبب الإحساس بهذا التوحد، أنشودة ميثم وسربه، وأنشودة سلمان وسربه، ومن سربه أبو ذر والمقداد وعمار.

هل هو الظرف والمناخ يمنع تضيع الشذا التعدد الموهوم والدخيل؟

أم أنها إعاقة مشام القلب؟

على أعتابهم تتعاضم أمنية: أن لا يكون هذا الإحساس العاجز مؤشر الرين أو دليله.

وتتعاظم كذلك دورة القلب الشديد التقلب، فيتعاظم الإحساس بالعجز والقصور وعدم الفهم.

ما يمكن للقلب الركون إليه أن تقلبُ جبهته على أعتابهم، يلح عليه بالمضي قدماً، وبأنَّ له وعليه أن يكون بين الخوف من أن تحيط به الذنوب، وبين الرجاء بأن يوصله نور جهنم، أو يصله، لا فرق.

وما أدراك ما ميثم؟!

رسول الله يحدث عنه أمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما في جوف الليل.

والشاهد أم سلمة.

ولا يمكن أن يكون الحديث منفصلاً عن كربلاء التي استشهد ميثم في البارز من مقدماتها.

وميثم يحدث المختار بما قُدر له في ما بعد من قتل ابن زياد والقتلة.

وحبيب يحدث ميثماً وميثم يحدثه بما جرى لكل منهما.

أمام أي لون من الحقائق نحن؟

وبين يدي أي لون من الناس؟

وهل تمشي الأملاك على وجه الأرض؟

أستغفر الله . . وهل للملائك من مهمة إلا خدمة أولياء الله.

حتى الماء في عالم الشهادة، يوهمك بأنه أنزل القمر من عليائه،

فإذا بك تراه في قعر المنحدر.

والقمر القمر . . وميثم ميثم . . والسرب السرب . .

وكلُّ إلى ذاك الجمال يشير .

جمال المعصوم، وهو فيض جمال العاصم .

والسكوت بالمقيم على الطاعة أولى، فكيف بالمقيم على الهوان؟

جاؤوا إلى الدنيا شعاع الرسالة في خطى الرسول ونفسه التي بين

جنبه، فكانوا التجلي الثاني بعد المعصومين لعظيم رحمة الله بهذا

الكبد، الخصيم المبين .

ميثم وكل سر به، رسلُ «يا حسرةً على العباد»! ليقدّموا النموذج -

الممكن بعد المعصوم - للمأسوف عليه إن لم يدرك بهم أن بوسع التراب

أن يبلغ ذرى جوار المصطفى الحبيب وآله في طوبى القرب من رب

الأرباب، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

* ضبط الإسم

ميثم بن يحيى التمار النهرواني^(١) .

«ميثم بكسر الميم وإسكان الياء المثناة التحتانية وفتح المثناة قال

بعض مشايخنا البحرانيين في كتابه المسمى بلؤلؤة البحرين « . . » كلما

وجد ميثم فهو بكسر الميم الأولى إلا ميثم البحريني والد ابن ميثم شارح

الشروح الثلاثة على نهج البلاغة وقال بعض العلماء أيضا في ميثم التمار

بكسر الميم ولم يأت بالفتح إلا ميثم البحريني وهو من المتأخرين^(٢) .

(١) الشيخ المفيد؟ الإختصاص ٣ . والخوئي، معجم رجال الحديث ٢٠/١٠٣ و١٠٧

(٢) المحقق النراقي، عوائد الأيام ٢٩٣ - ٢٩٤ وانظر: العلامة الحلي، إيضاح الإشتباه، ٣٠٤ وابن داود

الحلي، رجاله ٢٢٧ قال العلامة الأرموي في هامش شرح مائة كلمة لابن ميثم البحراني ٧: «في توضيح

الإشتباه نسبة الغلط الى صاحب المجمع في اخذ هذه التسمية من مادة «مثم» معللة باتفاق سائر اهل

اللغة على ذكرها في مادة «وثم» دون «مثم» و«يشم» فإيه ميثم منقلبة عن الواو لكسر ما قبلها ولو كان =

«والتّمّار بالثقليل: الذي يبيع التمر. ومنه «ميثم التمار» صاحب علي عليه السلام»^(١).

«والنهرواني، بفتحات وسكون الهاء إلى نهروان بلد قرب بغداد»^(٢).

«وأكثر ما يجري على الألسن بكسر النون، وهي ثلاث نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد «...» وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «..» مع الخوارج مشهورة، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب، فمن كان من مدنها نسب إلى مدينة، ومن كان من قراها الصغار نسب إلى الكورة، وهو (أي نهروان) نهر مبتدؤه قرب تامرا أو حلوان فإني لا أحققه ولم أر أحداً ذكره، وهو الآن خراب «..» والعامّة يقولون نهروان بكسر النون على خطأ «...» وأضاف في سياق حادثة طريفة أن «نهروان الشرق» غير «نهروان الغرب» وأن «بالمغرب موضعاً يعرف بالنهروان غير نهروان العراق»^(٣).

ويمكن في ضوء ما تقدم استنتاج أن الشهيد ينسب إلى نهروان الغرب أي الأهواز وما يقرب منها.

=مفتوحا لقالوا: موثم، لاميثم وفيه أيضا في ذيل ترجمة ميثم التمار الذي هو من جملة حملة الاسرار: وهو بكسر الميم وسكون الياء وقال بعضهم بفتح الميم ولعله سهو فظهر من كل ذلك أيضا ان تفصيل من نقل عن حاشيته على الخلاصة كلام بلا دليل لا يصح على محضه التعويل نعم لم يزد صاحب القاموس في مادة «وثم» على قوله: وميثم اسم، فسكت فيه عن ضبط هذه الصيغة اما تعويلا على معروفة كونها مكسورة الميم أو من جهة احتمالها الحركتين وفيه أيضا من الاشارة الى كونها غير ذات معنى اصلي في لغة العرب ما لا يخفى وإن كان الظاهر عندنا انها اسم آلة من الوثم الذي هو بمعنى الدق كما ان الميسم الذي هو بالسین المهملة مفعول من الوسم الذي هو بمعنى الكي ونحوه وأصله من الواو أيضا بقرينة جمعه على مواسم كما أفيد.

- (١) الطريحي، مجمع البحرين ١/ ٢٩٥
- (٢) السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب ٢٦٩
- (٣) الحموي، معجم البلدان ٥/ ٣٢٥ - ٣٢٨

* محاور التعريف بالشهيد

١ - شذرات من سيرته

٢ - كربلاياته

٣ - الشهادة

* في المحور الأول:

«ميثم بن يحيى التمار: عده الشيخ (تارة) في أصحاب علي عليه السلام.
 و(أخرى) في أصحاب الحسن عليه السلام، قائلاً: «ميثم التمار». و(ثالثة) في
 أصحاب الحسين عليه السلام. وعده البرقي من أصحاب علي عليه السلام من شرطة
 الخميس، قائلاً: «ميثم بن يحيى التمار، مولى». وتقدم عن الشيخ في
 ترجمة علي بن إسماعيل بن ميثم التمار (٣٧٦): أن ميثماً من أجلة
 أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وعده الشيخ المفيد - قدس سره - في
 الإختصاص: من أصفياء أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة
 الخميس. وعده ابن شهر آشوب من أبواب الحسن بن علي عليه السلام»^(١).

«كان ميثم كوفياً، صرح به الشيخ وسائر المشايخ في ترجمته
 وتراجم أولاده وأحفاده، وكان نهروانياً، كما في الكشي. وكان مولى
 بنى أسد. صرح به البرقي، والصدوق، والكشي والمفيد والنجاشي
 والشيخ وغيرهما «..» وكان تماراً قد اشتهر بذلك بين الناس وصرح به
 الأصحاب». و«كان ميثم من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أجلة
 اصحابه كما في الفهرست، ومن حواريه عليه السلام كما رواه الكشي والمفيد
 في الإختصاص، ومن السابقين المقربين إليه عليه السلام كما رواه المفيد في
 الإختصاص، ومن أصفياء أصحابه عليه السلام كما رواه في الإختصاص. بل

(١) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ٢٠/١٠٣.

كان رسول الله ﷺ يذكره ويوصي به علياً عليه السلام في جوف الليل رواه المفيد في الإرشاد، وفضائله كثيرة مشهورة. وقد قتل وصلب في حب أمير المؤمنين عليه السلام^(١).

وقع الشهيد ميثم الأعجمي في أسر القوات الإسلامية في حروب الفتح^(٢) فصار عبداً لامرأة من بني أسد^(٣) وهذا يعني أنه «لم يدرك صحبة النبي ﷺ»^(٤) إلا أن تميزه كان السبب في أن رسول الله كان يحدث علياً عنه في جوف الليل كما حدثه بذلك أم المؤمنين أم سلمة عند زيارته لها في المدينة المنورة، في سفره الذي استشهد بعد الرجوع منه^(٥). وكما سنجد التصريح بذكر المصطفى له في حوار الآتي مع الأمير عليه السلام.

وبناء على هذه الوصية في ما يبدو فإن أمير المؤمنين عليه السلام قد اشتراه من تلك المرأة وأعتقه^(٦).

وعندما اشتراه الأمير وأعتقه قال له:

«ما اسمك؟»

فقال: سالم.

فقال: إن رسول الله ﷺ أخبرني أن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم.

(١) الأبطحي، تهذيب المقال ٢٠٧/٣.

(٢) هو مقتضى ما في المصادر وإن لم تصرح به، كما يأتي.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد ١/٣٢٣ وابن حجر، الإصابة ٦/٢٤٩ وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢/

٢٩١ والأبطحي (السيد محمد علي) تهذيب المقال ٢٠٦/٣.

(٤) الشيخ جعفر النقدي، الأنوار العلوية ٤٦٣.

(٥) الشيخ المفيد، الإرشاد ١/٣٢٤ وابن أبي الحديد، شرح النهج ٢/٢٩٢.

(٦) المصدران.

فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين، فهو والله اسمي.

قال: فارجع إلى اسمك، ودع سالماً، فنحن نكنيك به، فكناه أبا سالم^(١).

وهل نطبق بعد ذلك مع ميثم صبراً، فضلاً عن أن نحيط به خيراً؟
يكشف ما تقدم أنه من معدن محمدي شديد الخصوصية، معدن تحمّل العلم الجرم والعمل به.

ويبدو من ملاحظة مجموع سيرته أن ذلك كان محور وصية المصطفى للأمير بتعاهده بالرعاية.

وقد عرف ميثم بملازمته للأمير عليه السلام، الذي «أطلعته...» على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة وينسبون علياً عليه السلام في ذلك إلى المخرقة والايهام والتدليس^(٢).

لم يكن الناس من حوله يفهمون لغته، فكانوا ينسبونها إلى الرجم بالغيب، ثم تأتي الوقائع بتأكيدھا.

وهو ما يشي بأنه كان مكلفاً بكل ما قاله، لأن أهم مميزات حملة العلم الجرم أن يجيدوا حمله، ويصونوه إلا عن أهله ولو كان هؤلاء الأهل مجرد نقلة، فرب ناقل فقه إلى من هو أفقه منه.

وما كل مختص بالأمير هو من حملة العلم الميثمي، حتى إذا كان هذا المختص بوزن ابن عباس!

(١) ابن أبي الحديد، شرح النهج ٢/٢٩١

(٢) المصدر.

مهمة ميثم ذات طابع خاص، لأن ميثماً من نوع خاص.

«حج «ميثم» في السنة التي قتل فيها، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت له: من أنت؟ قال: عراقي، فاستنسبته، فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب، فقالت: أنت هيثم، قال: بل أنا ميثم، فقالت: سبحان الله! والله لربما سمعت رسول الله ﷺ، يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي، فقالت: هو في حائط له، قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه وأريد الرجوع، فدعت بطيب فطابت لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدي، فبكت أم سلمة، وقالت له: إنه ليس بسيدك وحدك، هو سيدي وسيد المسلمين، ثم ودعته»^(١).

وقد روى حمزة^(٢) ابن الشهيد ميثم ما حدثه به أبوه عن توجهه إلى الحجاز، فأورد تفاصيل هامة.

«عن حمزة بن ميثم، قال: خرج أبي إلى العمرة، فحدثني، قال: استأذنت على أم سلمة رحمة الله عليها، فضربت بيني وبينها خدرأ، فقالت لي: أنت ميثم؟ فقلت: أنا ميثم، فقالت: كثيراً ما رأيت الحسين بن علي ابن فاطمة صلوات الله عليهم ذكرك، قلت: فأين هو؟ قالت: خرج في غنم له آنفاً، قلت: أنا والله أكثر ذكره، فاقربيه السلام فإني مبادر، فقالت: يا جارية أخرجي فادهنيه، فخرجت فدهنت لحيتي بيان، فقلت: أما والله لئن دهنتها لتخضبن فيكم بالدماء، فخرجت فإذا

(١) المصدر، وابن حجر، الإصابة ٦/٢٤٩ باختلاف، واللفظ للأول.

(٢) يذكر الكشي في الحديث التالي مباشرة احتمال أن يكون المتحدث عمران ابن الشهيد وليس حمزة، فلاحظ.

ابن عباس رحمة الله عليهما جالس، فقلت: يا ابن عباس سلني ما شئت من تفسير القرآن، فإني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام وعلمني تأويله، فقال: يا جارية الدواة وقرطاساً، فأقبل يكتب. فقلت: يا ابن عباس كيف بك إذا رأيتني مصلوباً تاسع تسعة أقصرهم خشبة وأقربهم بالمطهرة، فقال لي: وتكهن أيضاً. خرقت الكتاب، فقلت: مه احتفظ بما سمعت مني، فإن يك ما أقول لك حقاً أمسكته، وإن يك باطلاً خرقته قال: هو ذاك. فقدم أبي علينا فما لبث يومين حتى أرسل عبيدالله بن زياد، فصلبه»^(١).

يوغل هذا النص وما قبله في فرادة التعريف بالشهيد ليقدماه في الموقع الذي لا يرقى إليه ابن عباس على علو قمته، أثيراً عند خير خلق الله تعالى، يوصي به في جوف الليل.

عاشر عشرة، أصحاب الأخدود

معلمان بارزان في نصوص التعريف بالشهيد ميثم، ينبغي الوقوف عندهما باهتمام

وهما: معلم عاشر عشرة، ومعلم أصحاب الأخدود.

جاء في عدد من أمهات المصادر المختلفة قول أمير المؤمنين لميثم:

«وتصلب على باب عمرو بن حريث عاشر عشرة وأنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة»^(٢).

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال للكشي ٢٩٤

(٢) ابن حجر، الإصابة ٦/٢٤٩ - ٢٥٠ والشيخ المفيد، الإرشاد ١/٣٢٣ بلفظ واحد، وقد أورد ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/٢٢٩ قول الإمام علي عليه السلام لميثم: «والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشره أنت أقصرهم خشبه، وأقربهم من المطهرة». وليلاحظ أنه قد ورد في أكثر من مورد في «اختيار معرفة الرجال» تاسع تسعة وهو غير واضح.

فما هي قصة هؤلاء العشرة، الذين يأتي الشهيد ميثم عاشرهم،
ومن هم؟

* أما قصتهم فقد روي عن ميثم قوله:

«سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وذكر أصحاب الأخدود فقال: كانوا
عشرة، وعلى مثالهم عشرة، يقتلون في هذا السوق»^(١). و المراد سوق
الكوفة.

وفي بيان سبب قتل العشرة الذين هم كأصحاب الأخدود، وردت
بعض التفاصيل، منها:

«عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال: أرسل علي عليه السلام إلى
أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود، فأخبره بشئ، فقال عليه السلام:
ليس كما ذكرت، ولكن سأخبرك عنهم: إن الله بعث رجلاً حبشياً
نبياً، وهم حبشة، فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه، وأسروه وأسروا
أصحابه، ثم بنوا له حثيراً^(٢) ثم ملأوه ناراً، ثم جمعوا الناس،
فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء،
فليرم نفسه في النار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النار، فجاءت
امرأة معها صبي لها ابن شهر، فلما هجمت على النار، هابت ورقت
على ابنها. فنادها الصبي: لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النار، فإن
هذا والله في الله قليل! فرمت بنفسها في النار، وصبيها، وكان ممن
تكلم في المهد»^(٣).

والمتحصل مما تقدم وغيره أن مهمة أصحاب الأخدود ومن هم

(١) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان ١٠ / ٣١٤

(٢) يبدو أن المراد به البناء الصغير المسنم.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان ١٠ / ٣١٤

مثلهم مهمة استثنائية لا تخضع للمقاييس الإعتيادية، وهي مهمة لا ينهض لها إلا الأبدال من أهل البصائر، ليحفظ الله تعالى بهم معالم الحق من أن تندرس، وبذلك تصبح حركة الدين الحق بعدهم مرتبطة بهم تلقائياً، فهم الشركاء المؤسسون لكل صلاة بعدهم وصوم وكل جهاد بالكلمة أو باليد وكل عمل صالح على الإطلاق.

من هذا المعدن هو الشهيد ميثم.

ويتعاضم الموقف ألقاً، حين يكون بوسع المجاهد «أن يتخذ هذا الليل جملاً» إلا أنه يقدم على الموقف الصعب بملء اختياره.

قال السيد الخوئي رحمه الله:

«يظهر من هذه الروايات، ومن غيرها، أن جماعة من أصحاب أمير المؤمنين، وأصحاب الحسين عليه السلام كانوا مجاهدين في حب أهل البيت، وبيان فضائلهم، والبراءة من أعدائهم، وسبب ذلك انتهاء أمرهم إلى الحبس والقتل، ولا شك في أن ما ارتكبه من ترك التقية كان وظيفة خاصة لهم، وبذلك تمكنوا من إتمام الحجة على الأعداء، ومن نشر فضائل الأئمة سلام الله عليهم، وإن عملهم هذا يشابه عمل سيدهم ومولاهم الحسين بن علي عليه السلام، حيث فدى بنفسه في سبيل الدين ونشر أحكام سيد المرسلين، هذا ويظهر مما رواه محمد بن يعقوب، أن التقية كانت جائزة على ميثم وأنه لم يكن ممنوعاً منها. فقد روى بسنده عن محمد بن مروان، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما منع ميثم - رحمه الله - من التقية؟ فوالله لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمار وأصحابه (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)^(١). وعليه، فاخياره ترك التقية كان

(١) ورد هنا في الأصل: الكافي: الجزء ٢، كتاب الايمان والكفرا، باب التقية ٩٧، الحديث ١٥.

تضحية منه في سبيل الدين، وإيثاراً منه الآخرة على الأولى، على ما دلت عليه الروايات المتقدمة^(١).

* وأما تحديد مثل أصحاب الأخدود من هذه الأمة، ومن هم؟ فيبدو ذلك متعسراً، حيث لم أجد تصريحاً بتسميتهم، نعم وردت خصوصيات تمكن من تسمية بعضهم واحتمال البعض الآخر.

«قال مقاتل: كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران، والآخر بفارس، حرقوا بالنار...».

فهل يمكن البحث عن المقصود بمثلهم، بين من قتل من العشرة في الكوفة وغيرها، ويكون المراد بتعبير «في هذا السوق» الأغلبية؟

الأرجح ذلك ويدل عليه ما أورده ابن عساكر عن علي بن أبي طالب قال يا أهل الكوفة سيقتل فيكم سبعة نفر خياركم مثلهم كمثل أصحاب الأخدود منهم حجر بن الأدبر وأصحابه قتلهم معاوية بالعدراء من دمشق كلهم من أهل الكوفة أخبرناه عالياً أبو عبد الله الفراوي^(٢).

ومع أن الظاهر أن ما روي عن الأمير عليه السلام ينتهي عند: أصحاب الأخدود، والباقي شرح من الراوي أو ابن عساكر، إلا أن الملفت أنه روي عن الأمير عليه السلام حديثاً آخر ورد فيه التصريح بمكان القتل خارج الكوفة، مما يعني أن مصاديق «مثل أصحاب الأخدود» لا تنحصر بمن يقتل في سوق الكوفة.

قال ابن عساكر: «عن عبد الله بن زهير الغافقي قال سمعت علي بن أبي طالب يقول يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعدراء

(١) السيد الخوني، معجم رجال الحديث ٢٠/١١١ - ١١٢. بتصرف يسير.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٢/٢٢٧.

مثلهم كمثل أصحاب الأخدود. يعني قتل حجر وأصحابه انتهى»^(١).

ونجد في رواية أخرى التصريح ببعض أسماء هؤلاء الشهداء العشرة وبينهم حجر، فقد روي عن الإمام الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام في حديث طويل أن الأمير عليه السلام قال للشهيد ميثم: «وليقطعن النخلة التي بالكناسة فتشق أربع قطعاً وتصلب أنت على ربعاها، وحجر بن عدي على ربعاها ومحمد بن أكثم على ربعاها وخالد بن مسعود على ربعاها»^(٢).

وفي معرض ترجمة السيد الخوئي لخالد بن مسعود قال: «يأتي في ترجمة ميثم التمار، أنه أحد الأربعة المصلوبين في ولاء علي عليه السلام»^(٣).

وفي ترجمة محمد بن أكثم، قال: «يأتي من الكشي في ترجمة ميثم التمار، أنه أحد الأربعة الذين أخبر أمير المؤمنين عليه السلام، أنهم يصلبون في محبة أمير المؤمنين عليه السلام»^(٤).

ولم أجد أنه ذكر شيئاً يرتبط بالمقام في ترجمة حجر.

فهل العشرة الذين كان الشهيد ميثم عاشرهم، هم المقتولون بعذراء، بالإضافة إلى خالد بن مسعود، ومحمد بن أكثم، وميثم؟

يطرح هذا الإحتمال أن المقتولين في عذراء هم سبعة، حيث قال شيخنا محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول قدس الله روحه: الشهداء

(١) المصدر، بتصرف يسير اقتضاه تصحيح العبارة، حيث ورد في الأصل: «... بعذراء يعني مثلهم كمثل أصحاب الأخدود قتل حجر وأصحابه انتهى».

(٢) الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال للكشي ٢٩٧/١ والشيخ المفيد؟ الإختصاص ٧٥ والمجلسي، بحار الأنوار ٤٢/١٣١ والسيد الخوئي، معجم رجال الحديث ١٠٧/٢٠. واللفظ للأول وهو مصدر الجميع.

(٣) المصدر ٣٦/٨

(٤) المصدر ١٦/١٢٢.

الذين بعذراء دمشق الذين قتلهم معاوية بعد أن بايعوه وأعطاهم اليهود والمواثيق: حجر بن عدي الكندي حامل راية النبي ﷺ وولده همام وقبيصة بن ضبيع العبسي وصيفى بن فسيل^(١) وشريك بن شداد الحضرمي ومحرز بن شهاب السعدي وكدام^(٢) بن حيان العبدى كلهم في ضريح واحد في جامع عذراء^(٣).

ولكن يبعد الإحتمال المذكور أن الظاهر من تعبير «في هذا السوق» أن أكثر العشرة يقتلون في الكوفة، وليس العكس.

ثم إن عدد من قتل في الكوفة في محبة أمير المؤمنين ﷺ كثير، وبينهم من الأبدال كالشهيد رُشيد، من يحتمل قوياً كونه من العشرة الذين مثلهم مثل أصحاب الأخدود. والله العالم.

والأشد إلفاتاً في ذلك كله، أن النص يصرح بأن الشهيد حجر بن عدي يصلب على ربيع من نفس النخلة التي صلب عليها الشهيد ميثم، وليس ذلك بمستحيل، إلا أنه مما لا يمكن إثباته، إلا بثبوت النص عن الأمير ﷺ، وليست الغرابة مسوغاً لنفيه^(٤).

(١) في المصدر «بن قيل» والصحيح ما ذكر. انظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار ١٧١/٢ والطبري ٤/٥٩ و١٩٨ وهو مستفيض في كتب الرجال.

(٢) في المصدر «كرام» والصحيح كدام بالدال المهملة. أنظر المصدر المتقدم، شرح الأخبار.

(٣) السيد علي خان (صدر الدين المدني الشيرازي الحسيني، الوفاة ١١٢٠) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ٤٢٨. وقال أيضاً: «قال الشيخ محمد بن مكي (ره) أنشدني خادمهم هذه الأبيات:

جماعة بشرى عذراء قد دفنوا وهم صحاب لهم فضل واعظام
حجر قببصة صيفي شريكهم ومحرز ثم همام وكرام (كدام)
عليهم ألف رضوان مكرمة تترى تدوم عليهم كلما داموا
قال محمد بن مكي (رض) فزدت بيتاً

«ومثلها لعنات للذي سفكوا دمائهم وعذاب بالذي استاموا».

وليلاحظ أن المراد بقول الشاعر: شريكهم، هو الشهيد شريك بن شداد الحضرمي.

(٤) تبنى النفي المحقق التستري في قاموس الرجال في ترجمة الشهيد ميثم. ولا يصح نفي المضمون لمجرد شدة غرابة أن يكون الشهيد حجر قد صلب على ربيع تلك النخلة، كما أنه لا دليل عليه.

والخلاصة أن سرب الشهيد ميثم هذا السرب المحلق في أعلى عليين، سرب «أصحاب الأخدود» من هذه الأمة الوسط الذين لو نزل القرآن بعد شهادتهم لحدث الأجيال عنهم.

وكذلك هم الحسينيون، وميثم بينهم في موقع الريادة.

* المحور الثاني: كربلائياته

إن النصين اللذين تقدمت الإشارة إلى فرادتهما في باب التعريف بالشهيد ميثم، يميزان أيضاً بفرادة تقديمه حسينياً بامتياز لا لأنه يكثر ذكره، بل لأن لحيته ستخضب فيه ليصح أنها خضبت «فيهم» بالدماء، وإنه مع الحسين عليه السلام، ومن غير «الذين بذلوا مهجهم دون الحسين» يمكن أن يكتمل به الجمع، ليقول الشهيد المشهود له بالبلاغة: «ونحن ملتقون عند رب العالمين»^(١).

وهل خصائص الحسيني غير الحب والجهاد والشهادة.

وهل ميثم غير التمحض في هذه الخصائص؟

علامة الحب الذكر، وأفضل الجهاد كلمة حق في غياهب ظلمات الطواغيت، وأفضل الشهادة الإصرار على معانقتها بملء الإختيار.

وقد كان ميثم ذاكراً لله تعالى بالحسين عليه السلام، مصحراً بكلمة الحق، متلهفاً على اللحظة التي تخضب فيها لحيته بدم الشهادة الحسينية.

* من ذكره لسيد الشهداء الحديث عن محطات وصوله إليه.

ومن هذه المحطات الزمنية:

(١) انظر: النص المتقدم على ما أنا بصده هنا.

١ - موت معاوية بداية العد العكسي لانطلاقة كربلاء:

كان ميثم في سفينة في الفرات، وهبت ريح «فخرج فنظر إلى الريح فقال: شدوا برأس سفينتكم إن هذه ريح عاصف مات معاوية الساعة»^(١).

٢ - تحديد وقت شهادته: في سياق أحداث الكوفة.

قال الشهيد: «إني أخرج العام إلى مكة فإذا قدمت القادسية راجعاً أرسل إلي هذا الدعي ابن زياد رجلاً في مائة فارس حتى يجئ بي إليه»^(٢).

ومن ذكره لسيد الشهداء عليه السلام الحديث عن شهادة حبيب بين يديه والإشارة إلى حمل الرؤوس إلى الكوفة:

«مر ميثم التمار على فرس له فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدثنا حتى اختلف أعناق فرسيهما، ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق»^(٣)، قد صلب في حب أهل بيت نبيه عليه السلام، ويبقر بطنه على الخشب. فقال ميثم: وإني لأعرف رجلاً أحمر له «ضفيران» يخرج لينصر ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة. ثم افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين، قال: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري، فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما؟ فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا. فقال رشيد: رحم الله ميثماً نسي: ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثم أدبر فقال القوم: هذا والله أكذبهم. فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا مصلوباً على باب

(١) الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال للكشي ١/٢٩٣.

(٢) المصدر ٢٩٤

(٣) كان دار الرزق في الكوفة يقع على مقربة من الشاطيء. أنظر ملحق خرائط الكوفة.

دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر، ولقد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا»^(١).

ومن ذكره أيضاً لسيد الشهداء حديثه الوافي عن شهادته وتحديد تاريخها والإخبار ببعض أبرز الملامح بعدها:

عن جبلة المكية قال «ت» سمعت ميثم التمار يقول: لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر يمضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وإن ذلك لكاين قد سبق في علم الله تعالى ذكره.

«أعلمُ ذلك بعهدِ عهده إلى مولاي أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحياتان في البحار، والطير في جو السماء، فتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ومؤمنو الإنس والجن وجميع ملائكة السموات ورضوان ومالك وحملة العرش وتمطر السماء دماً ورماداً، ثم قال:

وجبت لعنة الله على قتلة الحسين عليه السلام، كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

«قالت جبلة: فقلت له يا ميثم وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي (عليه السلام) يوم بركة؟

«فبكى ميثم ثم قال: سيزعمون بحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام وإنما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود وإنما قبل الله توبته في ذي

الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي وإنما استوت على الجودي في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي فلق فيه البحر لبني إسرائيل وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول، ثم قال ميثم رحمه الله يا جبلة «اعلمي» أن الحسين بن علي (عليه السلام) سيد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء درجة. يا جبلة إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عبيط فاعلمي أن سيدك الحسين (عليه السلام) قد قتل. قال «ت» فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنه الملاحف المعصفرة فصحت حينئذ وبكيت وقلت قد والله قتل سيدنا الحسين بن علي (عليه السلام)»^(١).

* المحور الثالث: الشهادة

بلغت دورة شمس ميثم التمام، وأن لهذا الغريب أن يحط عصا الترحال، وبدأت دورة يقين المشككين بالأمس بكل ما قال.

أما النخلة التي حدثه عنها الأمير (عليه السلام) وتحدث هو عنها، فقد كانت أول من اعترض ابن زياد في الكوفة:

(١) المحقق الخوانساري، مشارق الشمس ٤٥٨/٢ والمعروف أن جبلة اسم رجل وهو مستفيض في كتب الرجال، والظاهر أنه هنا اسم امرأة بقرينة وصفها بالمكية، وهو غريب. وقد نقل هذا النص بلفظ قال جبلة وقالت جبلة وفي بعض نسخه التي بدأت يقال، ورد في آخر النص «اعلمي» وهذه بعض مصادر النص: الشيخ يوسف البحراني، الحدائق الناضرة ٣٧٣/١٣ (جمع بين التذكير والتأنيث) والشيخ الصدوق، علل الشرائع ٢٢٨/١ (التأنيث) والشيخ الصدوق، الأمالي ١٨٩ (التأنيث) والمجلسي، البحار ٢٠٢/٤٥ (الجمع بينهما) والبحراني، العوالم ٤٥٦ (الجمع بينهما) وقد تحدث صاحب الجواهر عن فقه هذا الحديث. انظر: الشيخ الجواهري، جواهر الكلام ١٠٩/٧١. وقد أوردته عن مشارق الشمس كما وجدته. مع تصرف يسير اقتضاه التصحيف، وحيث أن الغالب فيه التأنيث فقد وضعت ما أضفته بين قوسين.

«فلما ولي عبيدالله بن زياد الكوفة، ودخلها تعلق علّمه بالنخلة فأمر بقطعها فاشتراها رجل من النجارين فشقها أربع قطع»^(١).

ولكي لا يختلط الأمر على أحد، وليبرهن الشهيد على مبلغ ما أوتي بفضل الله تعالى من علم المعصوم «قال ميثم فقلت لصالح ابني فخذ مسماراً من حديد فانقش عليه اسمي واسم أبي ودقّه في بعض تلك الأجداع»^(٢).

«قال صالح فمضيت بعد ذلك بأيام فإذا هو قد صلب على الربيع الذي كنت دقت المسمار فيه»^(٣).

وجاء موعد سفره إلى الحجاز مودعاً حرم الله تعالى والمصطفى الحبيب، وكان لقاءه أم سلمة رضوان الله تعالى عليهما كما تقدم، وهو يعلم أن الشهادة بانتظاره.

«فأرسل الطاغوت عبيدالله بن زياد لعنه الله (إلى) عريف ميثم يطلبه منه فأخبره أنه بمكة، فقال: لئن لم تأتني به لأقتلنك فأجله أجلاً، وخرج العريف إلى القادسية ينظر ميثم، فلما قدم ميثم أخذ بيده فأتى به إلى ابن زياد لعنه الله»^(٤).

(١) القتال النيسابوري، روضة الواعظين ٢٨٨.

(٢) المصدر

(٣) المصدر وقد أورد الطريحي في مجمع البحرين ١٧١/٤: «قال صالح بن ميثم: فأرسل إلى جذع من نخلة صلب أبي عليه، قال: وكان أخبره علي عليه السلام عنه، فأخذ أبي مسماراً وكتب عليه اسمه فسمره في الجذع الذي أخبره به بلا علم النجار، فلما أتى بالخشبة رأيت المسمار على قامته منه، عليه اسمه رحمه الله».

(٤) الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى ١٣٢ وانظر: الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال ١/ ٢٩٦. ولا يمكن الجزم بمقدمات شهادته رضوان الله عليه، فهناك رواية أخرى حول أن دخوله على ابن زياد كان في شأن من شؤون السوق وأنه كان خطيب القوم فوشى به عمرو بن حريث، وقد أورد الشيخ الطوسي في إختيار معرفة الرجال الروايتين معاً، وفي الهوامش التالية مزيد إيضاح فلاحظ.

وكان الشهيد قد سهّل على العريف مهمته، فقد حدثه مسبقاً بما سيكون من طلب ابن زياد له منه، وإنه سينتظره بالقادسية:

«فكان ميثم يقول لعريف قومه: كأنني بك وقد دعاك دعني بني أمية يطلبني منك، فتقول: هو بمكة، فيقول: لا بد من أن تأتيني به من حيث كان، فتخرج إلى القادسية فتقيم بها إلى أن أقدم عليك من مكة، فتذهب بي إليه»^(١).

وهنا احتمالان:

١ - أن يكون الشهيد قد توجه إلى الحجاز بعد أن دخل على ابن زياد في وفد من أهل السوق، كما ورد في رواية أخرى^(٢) وأن تكون وشاية عمرو بن حريث به بعد خروجه من المجلس وليس فيه، كما هو مقتضى الأمر عادة، إلا أن النص يدل على أن الوشاية كانت في المجلس نفسه.

(١) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح ١/٢٢٩ ويؤيده: الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ١/٢٩٦.

(٢) الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال للكشي ٢٩٧ - ٢٩٨. ومحل الشاهد في الرواية عن ميثم كما يلي: «... أتاني قوم من أهل السوق فقالوا: يا ميثم انهض معنا إلى الأمير نشكو إليه عامل السوق، ونسأله أن يعزله عنا ويولي علينا غيره. قال: وكنت خطيب القوم فنصت لي وأعجبه منطقي، فقال له عمرو بن حريث أصلح الله الأمير تعرف هذا المتكلم؟ قال: من هو؟ قال ميثم التمار الكذاب مولى «... علي بن أبي طالب، قال: فاستوى جالساً فقال لي ما تقول؟ فقلت: كذب أصلح الله الأمير، بل أنا الصادق مولى الصادق علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حقاً فقال لي: لتبرأ من علي، ولتذكرن معاويه، وتتولى عثمان، وتذكر محاسنه، أو لا قطعن يديك ورجليك ولأصلبنك، فبكيت، فقال لي، بكيت من القول دون الفعل، فقلت: والله ما بكيت من القول ولا من الفعل، ولكن بكيت من شك كان دخلني يوم اخبرني سيدي ومولاي. فقال لي: وما قال لك؟ قال، فقلت: أتيت الباب فقيل لي: إنه نائم، فنادت انتبه أيها النائم، فوالله لتخضبن لحيتك من رأسك فقال: صدقت وأنت والله لتقطعن يداك ورجلاك ولسانك ولتصلبن، فقلت: ومن يفعل ذلك بي؟ يا أمير المؤمنين فقال: يأخذك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيدالله بن زياد. قال: فامتلاً غيظاً ثم قال لي: والله لا قطعن يديك ورجليك ولأدعن لسانك حتى أكذبك وأكذب مولاك، فأمر به فقطعت يده ورجلاه، ثم أخرج فأمر به أن يصلب، الخ».

٢ - لكن النص لا ينافي - وإن كان موهماً - أن تكون الوشاية في المجلس، وأن ابن زياد اكتفى في ذلك المجلس بالتهديد ثم قرر التنفيذ في حين كان الشهيد قد توجه إلى مكة^(١).

وعلى أي حال فالراجح أن الشهيد قد اعتقل بعد رجوعه من مكة.

كان أمير المؤمنين عليه السلام قد حدثه بتفاصيل ما يجري له بعد اعتقاله وكان ذلك معروفاً عند غير ميثم من خواص أمير المؤمنين كما تقدم في حديث الشهيد حبيب بن مظاهر مع الشهيد ميثم، ومن غير الخواص ممن كانوا يشكون في ما يسمعون.

وكان من جملة ما قاله له الأمير عليه السلام :

«كيف أنت إذا دعاك دعي بني أمية عبيدالله بن زياد إلى البراءة مني؟»

«فقلت»: يا أمير المؤمنين، أنا والله لأبرأ منك.

قال: إذاً والله يقتلك ويصلبك.

قلت: أصبر، فذاك في الله قليل.

قال: يا ميثم إذاً تكون معي في درجتي^(٢).

وها هو كل ما قاله عليه السلام وحدث به من عرفه منه، يتحقق كما قال حرفاً بحرف.

قدم ميثم الكوفة «فأخذه عبيدالله بن زياد فأدخل عليه فقال له هذا كان أثر الناس عند علي قال وينحكم هذا الأعجمي؟! فقيل له نعم.

(١) وجه عدم المنافاة هو أن الحديث عن قطع اليدين والرجلين ثم إخراج الشهيد وصلبه ليس جزءاً من كلام الشهيد، بدليل «فأمر به» وقوله «ثم أخرج». مما يفسح المجال لاحتمال أن لا يكون ذلك قد حصل في نفس المجلس.

(٢) الطوسي، اختيار معرفة الرجال ١/٢٩٦.

فقال له : أين ربك؟

قال : بالمرصاد للظلمة وأنت منهم .

قال إنك على أعجميتك لتبلغ الذي تريد . أخبرني ما الذي أخبرك صاحبك أنني فاعل بك؟

- أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة .

- لنخالفه .

- كيف تخالفه؟! والله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم عن جبرائيل عن الله . ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه وإني أول خلق الله ألجم في الاسلام .

فحبسه وحبس معه المختار بن عبيد فقال ميثم للمختار : إنك ستفلس وتخرج نائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك .

فلما أراد عبيدالله أن يقتل المختار وصل بريد من يزيد يأمره بتخلية سبيله فخلاه، وأمر ميثم أن يصلب فلما رفع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث قال عمرو : قد كان والله يقول لي إني مجاورك .

فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم فقبل لابن زياد : قد فضحك هذا العبد قال : أجموه . فكان أول من ألجم في الاسلام ، فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن بالحربة فكبر . ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً .

وكان ذلك قبل مقدم الحسين العراق بعشرة أيام»^(١) .

(١) ابن حجر، الإصابة ٦/٢٤٩ . والشيخ المفيد، الإرشاد ١/٢٣٤ وابن أبي الحديد شرح النهج ٢/٢٩٣ وفيه ورد قول ميثم للمختار : « . . فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه ، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخصيه » . وانظر : الشيخ الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ١/٢٩٥ - ٢٩٦ .

وتجدر الإشارة إلى أن المراد بقوله «قبل مقدم الحسين بعشرة أيام» يمكن أن ينطبق على اعتقال الشهيد ميثم، وأما شهادته فهي بعد شهادة الإمام عليه السلام، بدليل ما حدث به الشهيد ميثم المختار عن خروجه ثائراً بدم الحسين عليه السلام كما تقدم، ويؤيده تحديد وقت الشهادة بالإفراج عن المختار، ولم يفرج عنه إلا بعد إرساله رسالة إلى عبد الله بن عمر الذي حمل بدوره الرسول رسالة إلى يزيد، فأرسل معه إلى ابن زياد يأمره بتخلية سبيل المختار، ويستغرق ذلك مع مقدماته أكثر من شهر^(١).

وفي رواية أخرى:

«فأتى (العريف) به عبيدالله بن زياد، فلما أدخله عليه، قال له: ميثم، قال: نعم، قال: إبراً من أبي تراب . قال: لا أعرف أبا تراب قال: إبراً من علي بن أبي طالب قال: فان لم أفعل؟ قال: إذا والله أقتلك . قال: أما إنه قد كان يقال لي إنك ستقتلني، وتصلبني على باب عمرو بن حُرَيْث، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر من منخري دم عبيط . فأمر بصلبه على باب عمرو بن حريث، فقال للناس: سلوني، سلوني - وهو مصلوب - قبل أن أموت، فوالله لأحدثنكم ببعض ما يكون من الفتن، فلما سأله الناس وحدثهم أتاه رسول من ابن زياد - لعنه الله - فألجمه بلجام من شريط، فهو أول من ألجم بلجام وهو مصلوب، ثم أنفذ إليه من وجأ جوفه حتى مات فكانت هذه من دلائل أمير المؤمنين عليه السلام»^(٢).

وهنا محطات يمكن الإشارة إليها وحديثها ذو الشجون أعظم من أن يحيط به مني رقم، وهو مجلجل أبدأ إلى يوم القيامة.

(١) أنظر: ما تقدم في الفصل الخامس تحت عنوان: من المشهد الكوفي: التواري، وأخذ الأمان، حول رسالة يزيد بتخلية سبيل المختار.

(٢) الشريف المرتضى، خصائص الأئمة ٥٥.

- الأولى: مهمة هذا المعدن من الأولياء، وفرادة اليقين في قلوبهم.
- الثانية: ما هي الأسرار التي حدث بها ميثم عن «بعض ما يكون من الفتن» ولماذا حرص الطاغية على قطع هذا الحديث بقطع لسان الشهيد؟
- الثالثة: ماذا قال الشهيد ميثم عند ما بلغه خبر شهادة الإمام الحسين عليه السلام وهو ما يزال آنذاك في السجن.
- الرابعة: ماذا دار في العمق بين ميثم والمختار؟
- الخامسة: كل ما واجهه ميثم قليل في الله تعالى، فماذا نقدم نحن القاعدين؟ بل وماذا يقدم حتى المجاهدون؟! «رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير».

- لتهنأ بك الجنة، وليهنك رضوان الله الأكبر، أيها الشاهد المبلغ، يا حوارياً السر المقنع بالسر.
- وليس العجز عن التعريف بقامتك العلوية المحمدية، مورد الإعتذار، بل محاولة ذلك هي المورد.
- وأين الغارق في بحار الظاهر والبهارج، من المستغرق في سرادقات النور.
- يا ولي الله: الجار ثم الدار^(١) وإن كانت مني جيرة سوء^(٢).

(١) عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: رأيت أمي فاطمة عليها السلام قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راکعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أماء، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجار ثم الدار. الطبري الشيعي، دلائل الإمامة ١٥٢.

(٢) إشارة إلى إقامتي بالكوفة، في منزل أخي سماحة العلامة الحجة الشيخ علي، قريباً من مقام الشهيد ميثم، في حي كنده حوالي سنتين عام ٦٧ - ٦٩ م.

لم تثبت شهادتهم أو ثبت عدمها

من المفاصل الغامضة في أحداث الكوفة - كما أحسب وتقدمت الإشارة - ردة فعل النظام تجاه المجاهدين الحقيقيين والموالين الصادقين الذين يتسامى موقفهم عن التلون أو التخاذل الكوفيين.

إن الصورة التي بين أيدينا عن ذلك لا يمكنها إلا أن تكون بعض ملامح الصورة الحقيقية، التي تحيط بها مؤشرات كثيرة تلح علينا أن نبحث عن الملامح الأكثر والمحجوبة.

لقد انتفضت الكوفة عن بكرة أبيها في وجه النظام، وأدخلت الرعب إلى قلب طاغية من طراز ابن ابن أبيه، وجعلته يعيش أقسى لحظات حياته كلها ليوم وليلة، ولئن كان له بعد موت يزيد في ليلته المشابهة في البصرة من الأزد الحماية والمأوى، فقد كان في الكوفة في ثلاثين من الشرطة وعشرين من «الأشراف» المرتزقة.

بل إن الرعب الذي عصف بفرائصه بدأ مع اعتقال الشهيد هانيء الذي قدم له عرضاً أن يلحق بالشام سالماً لأنه «قد جاء حق من هو أحق منك»!

وبديهي أن ردة فعل الطغاة تتماهى مع حجم الخطر الذي يحدق بهم، فيكاد يلتهمهم ثم ينجون منه.

ولا نجد في الثابت من ردة الفعل إلا مقتل الشهداء مسلم وهانيء

وعبد الأعلى وعمارة، وميثم التمار، وسجن عدد من الشخصيات البارزة كميثم وعبد الأعلى وعمارة قبل الأمر بقتلهم، وكعبد الله بن الحارث والمختار.

أما الشهيدان عبد الله بن بقطر وقيس بن مُسهر فقد استشهدا نتيجة موقفيهما في تبليغ الرسالة، ولم تكن شهادتهما جزءاً من فاتورة تصفية الحساب مع أهل الكوفة.

ويمكن تحديد مجال الغموض الذي يلف هذه المرحلة بالنقاط التالية:

١ - عدد الذين تم اعتقالهم في الكوفة في سياق أحداث كربلاء، قبل الواقعة وخلالها وبعدها. ويتفرع عليه عدد الذين نُكل بهم بالنفي وغيره.

٢ - عدد الذين استشهدوا داخل الكوفة في هذا السياق، أو صدر الأمر باعتقالهم ليقتلوا، ويتفرع على ذلك عدد الذين هدمت دورهم.

* في النقطة الأولى يمكن تسجيل الآتي:

من البديهي جداً أن تكون السجون قد ضاقت بالأعداد الكبيرة التي زج بها الطاغية فيها عندما اتضح له أن ميزان القوى قد انقلب لصالحه كلياً بصورة لم تكن تخطر ببال، وهذا أبسط مقتضيات قوله آنذاك لقائد شرطته: «ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبر الدور، وجس خلالها، حتى تأتيني بهذا الرجل»^(١).

ومن الواضح أن الهدف في أمرٍ من هذا النوع وفي ظرف كهذا الظرف لا يقتصر على شخص مسلم بن عقيل .

ومع أن صبيحة اليوم التالي قد سجلت تحديد مكان الشهيد مسلم، إلا أن الذي تولى قتاله غير الشرطة التي يفترض أن جميع دورياتها كانت ماضية قدماً في تنفيذ مهمتها على وتيرة «استبر الدور، وجس خلالها» وطبيعي جداً أن تكون حصيلتها في منجم للمجاهدين كالكوفة - حتى بعد انقلابها على الأعقاب - حصيلة وفيرة .

يعزز ما تقدم:

أ - أن طرق الهرب من الكوفة كانت موصدة حتى قبل تسليط الشرطة على دور أهلها، إلى حد أنه لم يكن باستطاعة أحد أن يخرج منها أو يلج^(١) .

ب - أن المعركة الفاصلة على الأبواب، فالحسين عليه السلام في طريقه إلى العراق، وقد بلغ حذر الطاغية أن يفرض الحصار على البصرة كما يأتي فكيف سيتصرف في الكوفة .

ت - أن الإنهيار لا يعني تلاشي الخطر، إذا لم يبادر النظام إلى إلقاء القبض على المفاصل الإجتماعية التي يمكنها تدارك الأمر، وإعادة الكرة .

وهكذا ندرك بوضوح أن العدد القليل الذي تتحدث المصادر المعتمدة عن إيداعه السجن لا ينسجم مع طبيعة المرحلة .

نعم هناك حديث مشوش - في الأصل وقبل الدخول في بعض تفاصيله - عن أربعة آلاف معتقل، وأنهم خرجوا من الكوفة بعد هلاك

يزيد بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، ليقتلوا ابن زياد في طريق هروبه من البصرة إلى الشام، فأفلت منهم، مما يجعلك أمام حديث عن حركة كأنها حركة التوابين، يتفرد السيد ابن طاوس - في ما أعلم - بإيراد هذا الخبر عنها^(١) والقول بأن تصريح سليمان نفسه وجميع التوابين معه «صيحة واحدة يا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما قد مضى وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم»^(٢) ينافي أنهم كانوا في السجون، مردود بإمكان أن يكون مرادهم بذلك خذلان الشهيد مسلم وتفرقهم عنه. والله تعالى العالم.

وتنفع الإشارة هنا إلى أن مقارنة هذه النقطة تتراوح عادة بين مبنيين:

المنطلق من تبرئة أهل الكوفة على خلفية خاطئة هي أن إدانتهم تعني إدانة العراقيين جميعاً.

والمنطلق من الإفراط في إدانة أهل الكوفة على خلفية أنهم «شيعة آل أبي سفيان».

وكلا المبنيين يفتقران إلى الدقة العلمية، فالجو العام في الكوفة كان «كوفياً» بامتياز، إلا أن الأبدال كانوا أيضاً موجودين ومنهم غالب شهداء كربلاء، بما يشمل المستشهدين في الكوفة.

تمس الحاجة إلى مقارنة الموضوع في ضوء الدليل، الذي يتسبب غيابه بالغموض الذي تقدمت الإشارة إليه، إلا أن الطبيعي جداً أن ردة

(١) السيد ابن طاوس، اللهوف ١٥٣ - ١٥٦ وما أورده السيد في غاية الإنسجام مع منطلق الوقائع، إلا أن المصادر المتقدمة لاتناوله من قريب أو بعيد، وهو رحمه الله لا يذكر سنداً لما أورده، ولولا التشويش في النص لأمكن القول إنه هو السند.

(٢) الطبري ٤/٤٥٦ - ٤٥٧

فعل النظام كانت أكبر بكثير مما بلغنا، خصوصاً في عدد المعتقلين والذين نُكِّلَ بهم بمختلف أنواع التنكيل، من سوء المثلة والنفي إلى «الزارة»^(١) وغيرها.

في أول خطبة لابن زياد في الكوفة يطالعنا قوله:

«وسوطي وسيفي على من ترك أمرى وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه الصدق ينبي عنك لا الوعيد ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً فقال اكتبوا إلى الغرباء ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم لنا فبرئ ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرفته ألا يخالفنا منهم مخالف ولا يبغى علينا منهم باغ فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا ماله وسفك دمه وأيما عريف وجد في عرفته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره وألغيت تلك العرافة من العطاء وسير إلى موضع بعمان، الزارة»^(٢).

ألا تكشف هذه الخطبة بوضوح عن مدى الهول الذي سيحل بأهل الكوفة إذا تمكن منهم؟

وها هي الكوفة طوع بنانه، فماذا فعل؟

ما هو بين أيدينا على فظاعته لا يتناسب مع هذا المناخ^(٣) الذي تتماهي في تشكيله ثلاثة عناصر: شديد عصف الإنهيار الكوفي، ووفرة

(١) «الزارة: بلفظ المرة من الزار، قال أبو منصور: عين الزارة بالبحرين معروفة، والزارة: قرية كبيرة بها» الحموي، معجم البلدان ٣/١٢٦. وكان ابن زياد ينفي إليها كما مر، وسيصرح باسمها في النص الآتي الذي تقدم في استعراض دخوله إلى الكوفة. والمراد بها عُمان.

(٢) الطبري ٤/٢٦٧.

(٣) تقدمت الإشارة إلى ما يذكر عادة في هذا المجال من اعتقال أربعمئة شخص أو اثني عشر ألفاً، وما شابه، وأنه بحاجة إلى التوثيق.

المجاهدين المحمديين الموالين لأهل البيت عليهم السلام، وافتراس ابن زياد الكاسر.

* وفي النقطة الثانية:

بالإضافة إلى الشهداء الأبرار الذين ثبت استشهادهم داخل الكوفة في سياق أحداث كربلاء، جرى حديث لم تثبت صحته عن استشهاد التالية أسماؤهم:

- ١ - الشهيد رُشيد الهَجْرِي^(١).
- ٢ - عباس بن جعدة الجدلي^(٢).
- ٣ - عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي^(٣).
- ٤ - عبيدالله بن الحارث بن نوفل الهمداني^(٤).

وهذا ما يتم البحث حوله في ما يلي:

١ - الشهيد رُشيد الهجري

ضبط الإسم: رشيد بضم الراء والهجري بفتح الهاء والجيم^(٥).

أما الشهيد رشيد فهو قد استشهد قطعاً ولكن هل تم ذلك على يد زياد «ابن أبيه» أم على يد ابنه بعد توليه الكوفة لمواجهة أحداثها بعد دخول الشهيد مسلم إليها.

(١) رشيد - بضم الراء - الهجري . العلامة الحلي خلاصة الاقوال - ص ١٤٦ . رشيد، بضم الراء وفتح الشين المعجمة، (الهجري) بفتحيتين . ابن داوود الحلي - رجال ابن داود - ص ٩٥ .
 (٢) قائد أهل المدينة في الهجوم على قصر الإمارة بقيادة الشهيد مسلم . الطبري ٢٧٥ / ٤ .
 (٣) قائد كندة وربيعة (الخيالة) في الهجوم نفسه . نفس المصدر .
 (٤) ذكره المامقاني في التنقيح ٢٣٨ / ٢ الرقم ٧٦٥٠ مصرحاً بأنه استشهد في الكوفة بعد تخاذل الناس عن مسلم كما يأتي .
 (٥) المحقق النراقي، عوائد الأيام ٢٩٠ . والعلامة الحلي، الخلاصة ١٤٦ .

لكل من الرأيين من يقول به، ومع أن القائلين بالرأي الثاني أكثر^(١) إلا أنه لا يمكن الركون إليه والجزم به، حيث لا نجد ذكراً للشهيد رشيد في أحداث الكوفة نهائياً، لا في عداد المسجونين ولا في غيرهم، ولو كان لبان، فهو من حواربي أمير المؤمنين عليه السلام، والعالم بالمنايا والبلايا، إلى حد تسميته بـ «رُشيد البلايا» ومثله لا يخفى، وهو ما يعزز القول بأنه قتل على يد زياد، ويشكل كذلك مناخاً للوقوف باهتمام عند ملاحظتين:

١ - أن الشيخ المفيد نص على أن زياداً هو الذي قتله، فقال:

«عن زياد بن النضر الحارثي قال: كنت عند زياد إذ أتني برُشيد الهَجْرِي، فقال له زياد: ما قال لك صاحبك - يعني علياً عليه السلام - إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني، فقال زياد: أم والله لأكذبن حديثه، خلوا سبيله. فلما أراد أن يخرج قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شراً مما قال صاحبه، اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه. فقال رشيد: هيهات، قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام، قال

(١) قال بذلك: الكشي، كما أورد الشيخ الطوسي في اختيار معرفة الرجال ١/٢٩٠، وقد عده الشيخ في أصحاب الإمام علي والحسين والسجاد عليهم السلام جميعاً، وهو مشعر بتبني الشيخ للرأي الثاني، مع إضافة أن شهادته كانت بعد عاشوراء بحيث يصح إدراج اسمه في عداد أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، وهو بعيد. وقد نبه إلى الإضافة الشيخ التستري في قاموس الرجال ٤/٣٧٢ ومن القائلين به أيضاً: القطب الراوندي، الخرائج والجرائح ١/٢٢٨ والسيد الخوئي، معجم رجال الحديث ٨/١٩٧ ويبدو إن المرجع العمدة لأصحاب هذا الرأي ما نقله الكشي، كما يبدو أن المرجع العمدة لأصحاب الرأي الآخر «أن الذي قتله زياد» هو ما نقله الشيخ المفيد، مما يجعلنا أمام تعارض رأيي الشيخ المفيد والكشي، وعنهما يتفرع الاختلاف، وحيث تنعدم المرجحات التي تحسم الموقف لصالح أحد الرأيين، يتعين التوقف، على ميل إلى ما أورده الشيخ المفيد ناشيء من عدم ذكر الشهيد رشيد في سياق أحداث كربلاء نهائياً. وتجدر الإشارة إلى أن ما ينسب إلى الثقفي في «الغارات» لم يثبت أنه له، فلا يصح الإحتجاج به، لأن الحديث عن الشهيد رشيد وميثم خارج عن موضوع كتاب الغارات أصلاً كما نبه إلى ذلك محقق الغارات ١/٨٣ فلا يصح أن يجعل نص الغارات في مصاف ما ورد في الإرشاد. أنظر: التستري، قاموس الرجال ٤/٣٧١.

زياد: إقطعوا لسانه، فقال رشيد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا حديث قد نقله المؤلف والمخالف عن ثقاتهم عن سمينا، واشتهر أمره عند علماء الجميع»^(١).

ويلحق بنص الشيخ ما نسب إلى الثقي في «الغارات»^(٢).

٢ - أن الذهبي يروي حادثة معينة أدت إلى قتل ابن زياد للشهيد رشيد، ورغم أن في السند الشعبي، إلا أن الأمر المعروف والشائع ليس من موارد الكذب عادة، وقد جاء في رواية الشعبي قوله «وبلغ الحديث زياداً فقطع لسانه وصلبه»^(٣).

أما الإعتراض على ما أورده الكشي بأن في نصه تصريحاً بأن الذي يتولى قتل الشهيد هو «دعي بني أمية»^(٤) وأن المراد هو زياد قطعاً، فهو مردود بأن ابن زياد أيضاً هو «دعي بني أمية» وقد اشتهر كالشمس قول سيد الشهداء عنه «ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين» ثم إن في نص الكشي نفسه، بعد التصريح بابن زياد «فقال له الدعي» وهو وإن كان من كلام الراوي، إلا أنه يدل على تداول إطلاق هذه الصفة على الإبن أيضاً.

٢ - العباس الجدلي

* و أما العباس بن جعدة الجدلي^(٥) فهو أحد القادة الأساسيين

(١) الشيخ المفيد، الارشاد/١ . ٣٢٦

(٢) الثقي، الغارات/٢/٧٩٩ - ٨٠٠

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣١٠/٤.

(٤) العلامة المحقق التستري (الشيخ محمد تقي) قاموس الرجال ٣٧٢/٤

(٥) بفتح الجيم والذال. أنظر: النراقي، عوائد الأيام ٢٩٦ وابن حزم، المحلى ٨٩/٢ والجدلي نسبة إلى جديلة وهو اسم لقبيلتين من قيس عيلان ومن طي. انظر: النووي (محي الدين) المجموع ٢٧٦/٦ وللمزيد: أنظر: السمعاني، الأنساب ٣١/٢ وهو غير أبي عبد الله الجدلي الذي كان من أصحاب =

لقوات الشهيد مسلم في الكوفة، عند التوجه إلى القصر، ولا يرد ذكره في عداد شهداء كربلاء، أو أحداثها باستثناء ما تقدم، نعم يرد ذكره بعد الحادثة في ما حدث به هو عنها حيث يقول أبو مخنف:

«وحدثني يونس بن أبي اسحاق عن عباس الجدلي قال خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف فلما بلغنا القصر إلا ونحن ثلاثمائة. قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتى أحاط بالقصر ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا فوالله ما لبثنا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق وما زالوا يثوبون حتى المساء فضاق بعبيدالله ذرعه وكان كبير أمره أن يتمسك بباب القصر وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد، الخ»^(١).

ويتضح لدى الرجوع إلى المصادر أن النصوص التي ينبغي متابعتها لمعرفة ما آل إليه أمر هذا القائد، ثلاثة هي:

١ - قال المامقاني:

«العباس بن جعدة الجدلي: كان من الشيعة المخلصين في الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وبابع مسلماً، وكان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام،

=أمير المؤمنين وخواص أصحابه وأوليائه، البحراني، مدينة المعاجز ١/١٧١ نقلاً عن البرقي، واسمه عبيد بن عبد. أنظر: العلامة الحلي، خلاصة الأقوال ٢٢٢ وانظر حول اسمه المختلف فيه: ابن الأثير، أسد الغابة ٣/٣٣٦ والرازي، الجرح والتعديل ٦/٩٣ وخليفة بن خياط، تاريخ خليفة ٢٤١، والدوري، تاريخ ابن معين ١/٢٥٠، وغيرها وليس في الأسماء المذكورة له عباس أو ما يقرب منه. وليس العباس بن جعدة بن هبيرة كما جاء في الأخبار الطوال، للدينوري ٢٣٨ لدى الحديث عن الهجوم على قصر الإمارة وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة على قريش والأنصار، فتقدموا جميعاً حتى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقية الناس». فنسبة جعدة بن هبيرة ابن أخت الأمير عليه السلام، ونسبة أبنائه في المصادر: المخزومي، والجعدي ولم أجد في عداد أبنائه رغم كثرتهم، من اسمه العباس.

(١) الطبري ٤/٢٧٥ - ٢٧٦

ولما تخاذل الناس عن مسلم أمر ابن زياد بالقبض عليه وحبسه، ثم بعد شهادة مسلم أمر بضرب عنقه فضرب رضوان الله عليه، ولعن قاتليه آمراً ومباشراً^(١).

٢ - نُقل بالفارسية عن بعض ملابسات الفترة التي تلت شهادة مسلم وهانيء، ما لم أتمكن من العثور على مستنده، إلا على نحو الإحتمال، وهذه ترجمته:

قال: وجاؤوا بالعباس بن جعدة الجدلي، وكان حامل راية مسلم عليه السلام، ولما تفرق الناس عن مسلم ألقى القبض عليه محمد بن الأشعث وسلمه إلى ابن زياد فحبسه، وبعد مقتل مسلم أحضره ابن زياد وقال له:

أنت العباس بن جعدة الذي دفع إليك مسلم راية ربيع المدينة؟

قال: نعم

قال: خذوه فاضربوا عنقه، فأخذ وضربت عنقه^(٢).

(١) المامقاني، تنقيح المقال ١٢٥/٢ (ط. ق: المطبعة المرتضوية في النجف) الرقم ٦٢٠٤. وقد أورد الزنجاني (السيد ابراهيم) في وسيلة الدارين ١٦٢ (منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت. ط: ٢ سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م). ما يلي «ذكر صاحب الحوادث والمحلاتي ناقلاً (كذا) عن الحدائق الوردية، أن العباس بن جعدة» ثم ساق ما يطابق أكثر ما ورد في التنقيح. ولم أجد في الحدائق الوردية في القسم الخاص بكربلاء، أي حديث عن الجدلي. والنتيجة أن شهادته لم تثبت. قال التستري في قاموس الرجال ٩/٦ الرقم ٣٨٨٥ «وأما ما قاله المصنف (أي المامقاني) من أخذه وقتله، فغير معلوم ولم يعلم مستنده».

(٢) الميرزا الكمره إي، عنصر شجاعت ٦٨٠/٤ وقد قال المحلاتي (الشيخ ذبيح الله) في «فرسان الهيجاء» ١٨٦/١ (فارسي، ط: ٢. مركز نشر كتاب، طهران، ١٣٩٠ هـ) ما ترجمته: «يقول حميد بن أحمد في الحدائق الوردية: كان العباس بن جعدة من شيعة الكوفة ويبيع مسلماً وكان يأخذ البيعة للحسين من أهلها». ثم أورد المحلاتي عن أبي مخنف ما تقدم عن الطبري، ثم قال: يقول الطبري: وأورد خبر اعتقال ابن الأشعث للعباس والحوار بينه وبين ابن زياد وأمره بضرب عنقه، كما ذكر المامقاني. ومن الواضح أنه ليس في نسخ الطبري المتداولة، ولا في الحدائق الوردية (م. م) - في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ١٠٩ - ١٣٤ عين من ذلك ولا أثر. والله العالم.

٣ - وقد ورد في سياق الحديث عن مسار العلاقة بين المختار وابن الزبير ذكر «عياش بن جعدة الجدلي» في مورد واحد مرتين، يقول الطبري:

أ - «وقد عبي ابن ورس أصحابه فجعل على ميمنته سلمان بن حمير الثوري من همدان وعلى يسرته عياش بن جعدة الجدلي»^(١).

ب - «ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها إلا نحواً من ثلاثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجدلي فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحواً من مائتي رجل كره ناس من الناس ممن دُفعوا إليهم قتلهم فخلوا سبيلهم فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق فلما بلغ المختار أمرهم ورجع من رجع منهم قام خطيباً..»^(٢).

فقد يكون هو المعني ويكون «عياش» بالياء بنقطتين والشين المعجمة تصحيف، قد قُتل في هذه الواقعة على مشارف المدينة المنورة، حيث أنه كان في موقع قيادي، ومثله يقتل عند هزيمته قبل غيره، ثم إنه لا يرد ذكره نهائياً بعد ذلك، مصحفاً أو غير مصحف، في الطبري أو غيره، رغم اتساع دائرة البحث.

أما النص الأول فيسجل عليه أنه لا يذكر المصدر، ولا يشير من قريب أو بعيد إلى أن الشهيد كان صاحب لواء ربع المدينة، وهي نقطة مركزية، تضعف الإعتقاد على النص. أضف إلى ذلك أن لغة «ذكر أرباب السير» التي يكثر اعتمادها في «التنقيح» تعضد هذا التضعيف.

(١) الطبري ٥٤٢/٤.

(٢) المصدر ٥٤٣/٤.

وأما النص الثاني فهو يشترك مع سابقه بعدم ذكر المصدر وعدم وجوده في مصدر معتبر وقد تقدم بيان حال بعض مصادره.

وأما النص الثالث فكما يستبعد أن يكون عياش غير عباس ويحتمل قوياً اتحادهما، كذلك لا يمكن الجزم بالاتحاد بناء على التصحيف، فلعله أخوه مثلاً.

والنتيجة هي ترجيح أنه لم يستشهد في أحداث الكوفة المتقدمة، وأنه المقتول في زمن المختار.

يقوي ذلك ما نقله عنه أبو مخنف، وهو مشعر - حد التصريح - ببقائه على قيد الحياة بعد انتهاء أحداث الكوفة.

ملفت جداً ذوبان الألوف من حوله، كما يذوب الملح، من أصل أربعة آلاف - كما تقدم - لم يبق معه في مسافة ليست طويلة إلا ثلاثمائة، سرعان ما تلاشوا، ولم يعرف بعد ماذا حل به.

وملفت أكثر من ذلك غياب اسم قائد أهل المدينة في جيش مسلم - بالإضافة إلى كربلاء - عن حركة التوابين برمتها.

هل استشهد بعد أن أودع السجن؟ أم أنه ديبب المرض الكوفي؟

٣ - عبد الله بن عزيز الكندي = عبیدالله بن عمرو بن عزيز الكندي؟^(١)

أورد الطبري اسم عبیدالله بن عمرو بن عزيز الكندي في حديثه عن تعبئة الشهيد مسلم لجيشه، إلا أن الظاهر أن اسمه عبد الله كما

(١) ورد الاسم «عبد الرحمن بن عزيز الكندي. أبو الفرج الأصفهاني»، مقاتل الطالبين ٧٠. و«عبد الرحمن بن كرز الكندي». الدينوري، الأخبار الطوال ٢٣٨. و«عبد الله الكندي» الخوارزمي، مقتل الحسين ٢٩٧. و«عبد الله بن عزيز الكندي» السيد الأمين، لواعج الأشجان ٥٢. ولم يذكر الشيخ ابن نما والسيد ابن طاوس أسماء قادة جيش الشهيد مسلم. كما لم يوردها الشيخ المفيد مكتفياً بقوله: «فقد مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومدحج وأسد وتميم وهمدان». الإرشاد ٥٢/٢. ولم يذكرهم كذلك الطبرسي، إعلام الوری ٤٤١/١. وابن أعثم، الفتوح ٤٩/٥.

أورده الخوارزمي، وحيث أن من المتعارف في المصادر الرجالية التساهل في النسبة إلى الجد، فيبدو أنه المراد بحديث الطبري في وقائع عين الوردية وحركة التوابين عن «عبد الله بن عزيز الكندي».

وقد أوكل إليه الشهيد مسلم مهمة قيادة القوة الأبرز، فقيادة كندة في الكوفة ذات دلالة خاصة نظراً إلى الثقل الذي كانت تتمتع به هذه القبيلة، وقيادة ربيعة - بلحاظ مواقفها المتميزة - قد تفوق الدلالة المتقدمة، ودلالة أن الخيالة من كندة وربيعة، تستند إلى ما تقدم، وهي غير دلالة الخيالة في حد ذاتها كما هو واضح.

هذه الدلالات كلها بين يدي عبد الله الكندي، تضيء على شخصيته وموقعه آنذاك.

يقول الطبري:

«وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه فعقد مسلم لعبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة وقال سر أمامي في الخيل»^(١).

وتختفي أخباره كلياً إلى حركة التوابين، ومعركة عين الوردية، ليطالعنا حديث مؤثر يحمل الكثير من القرائن التي تؤيد أنه هو نفسه الذي لم يظهر له أثر منذ حصار القصر، لافي كربلاء ولا في غيرها.

في معرض حديثه عن المعارك الطاحنة في عين الوردية، وبعد أن استشهد من التوابين أكثرهم، يقول الطبري:

«وخرج عبد الله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمد غلام صغير فقال يا أهل الشام هل فيكم أحد من كندة فخرج إليه منهم رجال فقالوا نعم

نحن هؤلاء فقال لهم دونكم «ابن» أخيكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة فأنا عبد الله بن عزيز الكندي فقالوا له أنت ابن عمنا فإنك آمن فقال لهم والله لا أرغب عن مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً والأرض أوتاداً وبمثلهم كان الله يذكر قال فأخذ ابنه يبكي في أثر أبيه فقال يا بني، لو أن شيئاً كان أثر عندي من طاعة ربي إذا لكنت أنت. وناشده قومه الشاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره وأرى الشاميون له ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا ثم اعتزل الجانب الذي خرج إليه منه قومه فشدّ على صفهم عند المساء فقاتل حتى قتل»^(١).

نحن في الحديث عن الجدلي والكندي أمام زميلي الشهيد مسلم بن عوسجة وأبي ثمامة الصائدي وقرينيهما، فقد كان الأربعة قادة جيش الشهيد مسلم في الكوفة، فليس البحث إذاً عن مجرد مجاهدين نوعيين بل عن قائدي جهاد وبصيرة طليعيين، أفرغهما الانقلاب الكوفي على الأعقاب من مضمونهما.

وفي الحديث المتقدم ملامح من هذا السرب لجواد كانت كبوته قاتلة، ودرساً لكل المجاهدين عبر القرون، فليس الجهاد صفة ولا رتبة ولا سابقة، وإنما هو حالة في النفس والقلب قد يخطفها انتكاس القلب وسوء العاقبة، وربما لا تكون بعدها فرصة «عين الوردية» متاحة، ولا مايمّني المتلهف على قبول التوبة نفسه بأنها مثلها تحت راية المختار ضد ابن الزبير.

وعلى أي حال فلا يمكن الموافقة على أن عبد الله - أو عبيدالله - الكندي من شهداء كربلاء في الكوفة، كما صرح بذلك بعض المحققين

(١) الطبري ٤/٤٦٩. بتصرف يسير.

الأجلاء^(١) لعدم تأييد ما ذكروه بالدليل، رغم احتمال أن يكونوا قد اطلعوا على ما لا نعرف، إلا أنه لا بد من الوقوف بعناية عند ما أورده الشيخ المامقاني حول الشهيد «عبيدالله بن عمرو الكندي» حيث يقول:

«ذكر علماء السير أنه كان فارساً شجاعاً كوفياً شيعياً شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهده كلها، وباع مسلماً وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين عليه السلام، وقد عقد له مسلم على ربيع كندة وربيعه، فلما تخاذل الناس عن مسلم قبض على عبيدالله هذا، الحصين بن نمير فسلمه إلى ابن زياد، فلما قتل مسلم أحضره ابن زياد فسأله ممن أنت؟ قال من كندة. قال: أنت صاحب راية كندة وربيعه؟ قال: نعم. قال: انطلقوا به فاضربوا عنقه، فانطلقوا به فاضربوا عنقه رضوان الله تعالى عليه»^(٢).

ولئن كان حديث الجدلي عن مجريات توجهه إلى القصر، يضعف احتمال شهادته خلال تلك الأحداث، فإن غياب ذكر الكندي كلياً لصالح احتمال شهادته، وهو احتمال يبقى قائماً - رغم ضعفه - والسبب هو الإرتباك في اسم الشهيد كما عرفت، والله تعالى العالم.

(١) انظر: الشيخ المامقاني، تنقيح المقال ١٢٥/٢ (ط. ق: المطبعة المرتضوية في النجف) حول الجدلي الرقم ٦٢٠٤: لم يذكر أنه كان أحد قادة جيش الشهيد مسلم، وقال: «أمر ابن زياد بالقبض عليه وحبسه، ثم بعد شهادة مسلم أمر بضرب عنقه فاضرب»، وص ٣٤١ الرقم ٧٦٧٩ حول الكندي ذكر ما ورد في المتن أعلاه. وانظر: الميرزا الكمره إي، عنصر شجاعت ج ٤ ص ٦٨٠ - ٦٨١

(٢) المامقاني، تنقيح المقال ٢٤١/٢ الرقم ٧٦٧٩ ويحمل على الإهتمام بما أورده عليه الرحمة والرضوان أن التفاصيل هنا وافية بخلاف ترجمة الجدلي، ولا بد أنها في الموردين قد وردت في مصدرها، ويحمل على عدم الجزم عدم ذكر المصدر، وعدم وجود شيء مما ذكر في المصادر الرئيسة المتداولة، نعم هناك ما أورده من المتأخرين الميرزا الكمره إي كما في الهامش السابق، ولم يتضح مصدره، نعم أورد مثله الزنجاني في وسيلة الدارين ١٧١ (ط: ٢، الأعلمي، بيرت ١٩٨٢م) مع زيادة أن عبيدالله بن عمرو الكندي كان يأخذ البيعة هو والشهيد مسلم بن عوسجة. وقد نسب بعض ما نقله إلى الحدائق الوردية، ولم أجده فيه، والبعض الآخر إلى أبي مخنف وهو غير موجود في الموثوق نسبه إليه، أي ما هو في الطبري أو مستخرج منه. والنتيجة أنه لا يمكن الجزم بشهادته. قال التستري في قاموس الرجال ٨٤/٧ الرقم ٤٧٥٣ «أقول: إنما روى الطبري عقد مسلم له على كندة وربيعه، وأما أخذه وقتله فلا».

٤ - عبد الله بن الحارث

* يبقى الحديث عن عبيدالله بن الحارث بن نوفل الهمداني، فقد أورد الشيخ المامقاني في ترجمته ما يلي:

«ذكر علماء السير أن له إدراكاً للنبي ﷺ وشهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وباع مسلم بن عقيل وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين عليه السلام فلما تخاذل الناس عن مسلم قبض كثير بن شهاب على عبيدالله هذا وسلمه إلى ابن زياد فحبسه، وبعد قتل مسلم أحضره وأمر بضرب عنقه، فضربوا عنقه رضوان الله تعالى عليه»^(١).

وبعد أن أورد التستري ما تقدم عقب عليه بقوله:

«أقول: لم يذكر أي سيرة ذكر ما قال، وإنما عنون الجزري الذي موضوع كتابه استقصاء الصحابة المتفق عليه والمختلف فيه «عبيدالله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، أخو عبد الله بن الحارث الملقب بـ«بيته» عن أبي موسى، واقتصر فيه على روايته «أن آخر صلاة صلاها مع النبي ﷺ - مغرب قرأ في أولها بالطور وفي ثانیتها بالجحد، إلا أنا لم نقف على من ذكر للحارث ابناً مسمى بعبيدالله»^(٢).

(١) المصدر ٢٣٨/٢ الرقم ٧٦٥٠ وقد استند إلى التنقيح المحلاتي في «فرسان الهيجاء» ١/٢٣٧ في ترجمة لعبد الله بن الحارث، مشيراً إلى أن المامقاني أورد ما نقله هو عنه في ترجمة عبيدالله بالتصغير.

(٢) ما ذكره رحمه الله من عدم وجود أخ لعبد الله اسمه عبيدالله بالتصغير تبناه ابن حجر في الإصابة ٤/٣٢٨ حيث قال: «ولم يذكر أحد من النسابين في أولاد الحارث بن نوفل أحداً اسمه عبيدالله بالتصغير» ومع ذلك فإن ابن حجر يحتمل أن يكون عبيدالله بن الحارث شخصاً آخر وافق «بيته» بالإسم واسم الأب والجد، وفي مقابل ذلك رأي ثان فقد أورد ابن الأثير في أسد الغابة ٣/٣٣٨ ترجمة عبيدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وقال «و هو أخو الملقب بـ«بيته». ولعل من المفيد الإشارة إلى رأي ثالث لتكون أمام الاحتمالات جميعاً، وهو أن عبيدالله وإن لم يكن أخاً بية، إلا أنه عمه قال الطبري في ذخائر العقبى ٢٤٣ في ترجمة نوفل جدية «كان له من الولد الحارث وعبد الله وعبيدالله» إلى أن قال: «وأما . . . عبيدالله وسعيد فقد روى عنهما العلم». والإشارة إلى أن من بين =

أضاف: وأظن أن الأصل في ما قال (أي المامقاني) أن الطبري روى أن المختار وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء، إلى أن قال: وإن ابن زياد أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً، فحبسا «وهو كما ترى «عبدالله» لا «عبيدالله» ولم يعلم أنه همداني ولا قتله، ولعله ببّه، الذي اصطلح عليه أهل البصرة بعد يزيد^(١).

ولا يقدم ما ذكره المحقق التستري حلاً للإلتباس في هذا الإسم لأنه لم يتصد لعلاج نسبة الحارث الذي يرجم له الشيخ المامقاني وهي «الهمداني» فعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الملقب «ببّه» ليس همدانياً، وإنما هو قرشي، وقد أورد الشيخ المامقاني ترجمته في مكان آخر وعقب عليها التستري نفسه، وذلك يؤكد أن الشيخ المامقاني لا يقصده، وإنما يريد أن هناك شخصاً آخر همدانياً اسمه عبد الله بن الحارث استشهد في الكوفة بعد تخاذل الناس عن مسلم.

ثم إن وجود النسبة «الهمداني» يؤكد أن الإلتباس ليس واقعاً بين المعروف ب «ببه» وبين أخيه عبيدالله بالتصغير، لينفع الكلام حينئذ عن وجود أخ له بهذا الإسم أو عدم وجوده.

والنتيجة واحدة على كل حال هي أنه لا يمكن تبني أن

=أبناء المعروف ببه «عبيدالله» مصغراً وعبد الله بدون تصغير، أي أنه سمي باسم أبيه. قال ابن سعد في الطبقات ٥/٢٤: «فولد عبد الله بن الحارث عبد الله بن عبد الله . . .» وعبيدالله بن عبد الله وهو الأرجوان». إلا أن جميع هذه الاحتمالات لا تسهم في جلاء الصورة - كما يأتي - لوجود نسبة «الهمداني» في ما ذكره الشيخ المامقاني عليه الرحمة والرضوان.

(١) التستري، الشيخ محمد تقي، قاموس الرجال ٧/٦١ - ٦٢ (ط: ثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ١٤١٥ هج)

«عبيدالله بن الحارث بن نوفل الهمداني» من بين الشهداء في الكوفة في هذه الفترة، لعدم معرفة المصدر الذي اعتمده المامقاني رحمه الله^(١).

إلا أن هذه النتيجة، لا تعني أنه لم يستشهد، ولا يمكن الموافقة على أن المنشأ الوحيد لذكر شهيد اسمه عبيدالله بن الحارث الهمداني، هو وجود من اسمه عبد الله بن الحارث «ببة» بين أبرز الأسماء في تلك المرحلة، كما سيأتي.

كما لا يمكن استبعاد هذا العامل نهائياً، مما يجعل الأمر في دائرة الإحتمال، أو الظن.

ولئن كان الأمر لم يشتبه على المامقاني، بقرينة «الهمداني» فإن غيره من المتأخرين قد أدرج عبد الله بن الحارث بن نوفل «ببة» في عداد المقتولين في الكوفة^(٢).

ولعل السبب في ذلك هو أن نجاته من القتل كانت خلاف السياق الفرعوني الذي اشتهر به زياد وابنه.

كان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب المعروف بـ«ببة»^(٣) يسكن البصرة وابتنى بها داراً^(٤) وكان أبوه الحارث بن

(١) أورد المحلتي في «فرسان الهيجاء» ٢٣٧/١ - ٢٣٨ عن أبي مخنف تفاصيل وافية حول اعتقال عبد الله بن الحارث بن نوفل و«شهادته» جاء فيها أن الذي ألقى القبض عليه هو «كثير بن شهاب» وينسجم الكثير من هذه التفاصيل مع ما ذكره الشيخ المامقاني، لكنه يختلف عنه في أن ما نسب إلى أبي مخنف ينطبق على المعروف بـ«ببة» غير أن من الثابت قطعاً أنه لم يقتل في الكوفة، بل تولى البصرة بعد ذلك ومات على الأرجح في عمان عام ٨٤. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/٥٣٠ والمزي، تهذيب الكمال ٣٩٩/١٤ وابن سعد، الطبقات الكبرى ٥/٢٤ والأزدي (عبد الغني) المتوارين ٤٧.

(٢) المحلتي، فرسان الهيجاء ٢٣٧/١.

(٣) «ببة» بموحدين الثانية ثقيلة، من الألفاظ التي تقال للطفل حين ملاحظته، وهي بمعنى السمين الممتليء والمشهور أن أمه هند بنت أبي سفيان أخت معاوية كانت تلاعبه وتقول رجلاً وردت هذه اللفظة فيه، وقيل إن أهل البصرة لقبوه بذلك. انظر: الفراهيدي، العين ٨/٤١٥ وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١/٩٢ وابن حجر، فتح الباري ٧/٣٧٦ و١٠/١٥٤.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥/٢٥.

نوفل قد نزلها واختط بها داراً في إمارة عبد الله بن عامر في عهد عثمان^(١).

وعندما توجه ابن زياد من البصرة إلى الكوفة لمواجهة نتائج قدوم الشهيد مسلم إليها، كان عبد الله بن الحارث في عداد الذين اصطحبهم ابن زياد معه.

يقول الطبري: «لما جاء كتاب يزيد إلى عبيدالله بن زياد انتخب من أهل البصرة خمسمائة فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل وشريك بن الأعور وكان شيعة لعلي فكان أول من سقط بالناس شريك فيقال إنه تساقط غمرة ومعه ناس ثم سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس ورجوا أن يلوي عليهم عبيدالله ويسبقه الحسين إلى الكوفة»^(٢).

ولم أجد ما يوضح أين نزل عبد الله بن الحارث في الكوفة، إلا أن نزول شريك في بيت الشهيد هانيء يدل على أن مرافقة ابن زياد لا تعني حكماً النزول في قصر الإمارة.

ولا تتحدث المصادر - في ما رأيت - عن عبد الله بن الحارث هذا أو من يلتبس به إلا في يوم خروج الشهيد مسلم في الكوفة، حيث نفاجاً بخروج عبد الله بن الحارث على ابن زياد يحمل راية حمراء! وعليه ثياب حمراء! وهو الذي قدم إلى الكوفة مع ابن زياد؟!!

ومع أن هذا - أي أن يأتي معه ثم يخرج عليه - ليس ممتنعاً إلا أن الممتنع عادة أن لا يمزقه الطاغية بعد أن ظفر به شر ممزق.

أورد الطبري «أن المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن

(١) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة ١/٣٥٠ والطبري، ذخائر العقبى ٢٤٤.

(٢) الطبري ٤/٢٦٧

نوفل كانا خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبد الله براية حمراء وعليه ثياب حمراء، وجاء المختار برايته فركزها على باب عمرو بن حريث وقال إنما خرجت لأمنع عمراً^(١) وإن الأشعث والقعقاع بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً وأصحابه عشية سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً وإن شَبَثاً جعل يقول انتظروا بهم الليل يتفرقوا فقال له القعقاع إنك قد سددت على الناس وجه مصيرهم فافرج لهم ينسربوا وإن عبيدالله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً فأتى بهما فحبسا^(٢).

وطبيعي جداً أن تكون عاقبة عبد الله بن الحارث القتل، وهذا ما كان هو يستعد له، فقد طلب في السجن «حديدة يزيل بها شعر بدنه، وقال: لا آمن من ابن زياد من القتل، فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر، فقال له المختار: والله لا يقتلك ولا يقتلني، ولا يأتي عليك إلا القليل حتى تلي البصرة. وميثم يسمع كلامهما فقال للمختار: وأنت تخرج نائراً بدم الحسين عليه السلام، وتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدمك على وجنتيه»^(٣).

ويبدو أن رحمه لآل أبي سفيان كانت سبب نجاته، فهو مطلبي هاشمي من جهة الأب، أموي من جهة الأم، كما تقدم.

قال التستري: «وفي أنساب البلاذري: قال المدائني: حبسه ابن

(١) كان ذلك مجرد إخراج من المختار، لتغطية انكشافهم نتيجة تخاذل أهل الكوفة .

(٢) المصدر ٢٨٦/٤ .

(٣) المقدم (السيد عبد الرزاق الموسوي) مقتل الحسين أو حديث كربلاء ٣٣٠ نقلاً عن شرح النهج وعن الإرشاد في قول ميثم للمختار. انظر: ابن أبي الحديد ٢/٢٩٣ . والشيخ المفيد ١/٢٣٤ . ونقلاً عن البحار انظر: المجلسي، بحار الأنوار ٤٥/٣٥٣ . و انظر ابن نما، ذوب النصار ٦٩ والبحراني، العوالم، الإمام الحسين ٦٧٢ .

زياد وأراد قتله، وبلغ خبره بنات أبي سفيان، وكلّمن يزيد فيه، فكتب إلى ابن زياد بتخلية سبيله، وكان مع المختار في محبس^(١).

وهكذا يكون عبد الله بن الحارث المطلبي، قد بلغ مشارف القتل، إلا أنه لم يقتل، وليس شأنه في ذلك شأن المختار، على عظيم توعد ابن زياد للمختار وتنمره لقتله، بل هو أشد، فقد كان في موقع المقرب من الطاغية، وها هو يحمل راية حمراء، ويلبس للنزال ثياباً حمراً.

وشاء التقدير أن يكون والي البصرة يوم هرب منها ابن زياد، واصطاح الناس عليه^(٢).

في ضوء ما تقدم يتضح:

١ - كيف أن المتابع لأخبار الكوفة في هذا المنعطف يحمل في ذهنه اسم عبد الله بن الحارث.

٢ - وكيف يمكن أن يصبح الحديث عن شهيد في الكوفة بهذا الإسم سبباً لانصراف الذهن إليه.

٣ - كما يتضح الوجه في استغراب عدم شهادته.

إلا أن هذا كله ليس مسوّغاً لنفي استشهاد شخص بهذا الإسم، حتى إذا شاب به في اسم الأب والجد^(٣). نعم يقصر الدليل عن إثبات ذلك رغم وجود القائل به كما عرفت.

(١) التستري، قاموس الرجال ٦/٣٠٦. ولم أجد النص في المطبوع من أنساب الأشراف. ت:المحمودي، وهو بعض الأنساب. وقد مر في هامش «بئة» أن أمه هي هند بنت أبي سفيان، أخت معاوية.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥/٢٥ وابن الأثير، أسد الغابة ٣/١٣٩.

(٣) يورد التستري في قاموس الرجال ١/١٥ عن الحموي في معجم البلدان ٤/٨٥١ «أن رجلاً نادى في منى: يا أبا الفرج المعافى بن زكريا النهرواني، فأجابه رجل، فقال له (المنادي): لعلك من نهروان الشرق وأنا أريد نهروان الغرب، فعجب من اتفاق الإسم والكنية واللقب والنسبة».

الشهيد الكربلائي الأول

من المناسب في الختام وقد شمل الحديث حول ماجرى في الكوفة أكثر من استشهدوا خارج ساحة كربلاء، الوقوف على عتبة الشهيد الكربلائي الأول الذي اشتشهد في البصرة على يد ابن زياد، ففي نفس الفترة التي كان فيها الشهيد مسلم بن عقيل يتابع المستجدات في الكوفة، كان رسول الإمام الحسين وسفيره الآخر إلى البصرة، يتابع التطورات فيها، ولقد كانت البصرة الجناح الآخر للمهام التي كانت تناط بالعراق على مستوى العالم الإسلامي كله وامتداداته، على تقدم وتمايز واضح للكوفة لايلغي محورية البصرة بدرجة تالية.

وفي الفترة نفسها كانت شهادة السفير الأول الذي يفترض أنه من حيث الموقع والمقومات بمستوى ثقة الحسين من أهل بيته سلام الله عليه وعليهم.

وكما كانت شهادة مسلم على يد «شر البرية» كذلك كانت شهادة أخيه في الحسين «أبي رزين» فقد أمر الطاغية ابن زياد بقتله «على المنارة؟» قبيل توجهه مسرعاً إلى الكوفة.

وقد غيَّب تعميم البلاط وعهود الجبابرة حقيقة ما جرى في البصرة، قبل شهادة رسول الإمام إليها، وبعد الشهادة مباشرة، مما حال دون معرفة انعكاس أحداث الكوفة في الرثة الأخرى رغم عدم التعادل، إلا أن من المقطوع به أن طاغية كابن زياد لايمكن أن يترك البصرة دون

إجراءات مشددة قبل خروجه منها، وقبل أن يكتب من الكوفة إلى «عامله بالبصرة أن يضع المناظر، ويأخذ بالطريق»^(١).

وكانت العادة قد جرت في مثل ما عصف بالكوفة من إرهابات أن تتواصل القبائل - أوبطون القبيلة الواحدة أو أقسام البطن - في المصرين، وأن يكون ثمة تناغم ولو جزئي في التحفز والولاء.

لم يصلنا من كل ما حفلت به البصرة من أحداث - ماعدا حديث الشهداء البصريين في ساحة كربلاء - إلا شهادة رسول الإمام عليه السلام، والرسالة التي حملها وردة فعل بعض من وجهت الرسالة إليهم، وهو كاف لتحول التساؤل عما جرى في البصرة إلى سؤال جاد شديد الإلحاح.

هل اقتصر الأمر على قتل رسول الإمام إلى البصرة، وانتهى الأمر؟!!

ولئن كان الجواب سيبقى في مطاوي الغيب حتى يأذن الله تعالى، فلا أقل من أن يختم الحديث عن الكوفة بما وصلنا من حديث البصرة، خصوصاً وأن الشهيد الكربلائي فيها هو الشهيد الأول بين «خير الأصحاب» ومع ذلك فما يزال اسمه مجهولاً.

وسيتضح أن في ما وصلنا ما يلقي الضوء على أن البصرة كانت مؤهلة لتعويض الخسارة الفادحة التي نجمت عن الانقلاب الكوفي على الأعقاب لولا عاملين:

١ - أن سرعة عصف الانقلاب الكوفي فاقت تصور جميع الخبراء آنذاك بالتركيبة الكوفية.

٢ - أن النظام اعتمد سياسة المبادرة إلى قتل الإمام حتى «لاتنام إليه شيعة» كما سيأتي، وكان المصر الطليعي الذي يتخوف النظام من تحركه هو البصرة بالتحديد.

الشهيد أبو رزين رضوان الله تعالى عليه

* على أعتابه

عندما تقبل الفتن كقطع الليل المظلم، تنعدم الرؤية، ويبلغ التمحيص بعض مفاصله الحرجة، ومنعطفاته الحادة، «و يستخرج من الغربال خلق كثير» فلا يقوى على الصمود إلا من طهر مولده وطاب محتده، وحسن إسلامه، وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وتلك هي خصائص الرجال الرجال.

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون بما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ (النور - ٣٧).

﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ . . ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ (الأحزاب - ٢٣).

﴿رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين﴾ (التوبة - ٤٦).

﴿وقادتهم، ومهوى افئدتهم «على الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ (الأعراف - ٤٧).

وأبو رزين واحد من هؤلاء الرجال الأبدال المدخرين للشدائد والملمات.

ويكفيك فخراً يا سمي نبي الله تعالى (؟) ملكك الذي لم ولن ينبغي لأحد من العالمين.

فها هو سيد الشهداء ومهوى أفئدة الأنبياء يختارك أنت دون سواك رسولاً الى البصرة، كفة الميزان الأخرى، في مقابل الكوفة.

ولئن قدر الله تعالى لك أن تكون «الجندي المجهول» حتى الآن، فإن محاولة التعرف الى عظيم خصالك، من خلال الشواهد والنظائر، لتستنير القلوب بهديك المحمدي، لا ترسم من الصورة إلا بعض الملامح، ولكنها تتسم بجاذبية منقطعة النظير، مسحات جمالها تأخذ بمجامع القلوب، وسطوة جلالها تجعل الطرف يرتد خاسئاً وهو حسير.

هل أنت ياسيدي، «أبو رزين» الذي شهد بدرأ، وعرف بأنه مولى علي، صلى خلفه وشهد معه صفين؟

هل أنت «أبو رزين» نفسه، القائد الجهادي الكبير الذي يشار إليه بالبنان، والذي «شهد وأخوه حَمَّال بن مالك القادسية معاً» وكانت لهما فيها صلوات مفصلية؟

هل أنت من يتحدث عن شهادته أبو حمزة الثمالي؟

هل أنت «مسعود بن مالك» إلا أن خصوصية المهمة، وتوافر دواعي الكتمان بعد شهادتك، استدعيا تداول اسم حركي؟

لم يتسرب من كل من تحدث عنك إلا ملامح «رزين» الذي يمكن أن يقود الخطى ولو بعد قرون إلى أعتابك، وهل الاختلاف في المصادر بين «ابي رزين» و«ابن رزين» و«ابن أبي رزين» مجرد تصحيف؟

كم في حنايا التاريخ من درلم تكتشف، وهل الدنيا تلك الدار التي يمكن أن يعرف فيها أولياء الله؟

حسبنا - يا سيدي - في مقام السعي الى سفحك، أن ندرك أن موقعك في قلب من المصطفى منه كموقع الشهيد مسلم بن عقيل، فانت ثقة الحسين!!

آنس فيك الخصال الغر التي تؤهلك لتكون «رسول الحسين» الى أمثال الأحنف بن قيس.

ولندع جانباً أن الرسول يدل على عقل المرسل، فإن القاعدة هنا هي العكس، ولا بد أن نضيف الى ذلك أن المهمة استثنائية.

* محاولة التعرف على الشهيد

أولاً: تحديد مناخ البحث

لا تذكر المصادر الأساسية التي تحدثت عن الشهيد في مقام التعريف به إلا إسمه ووصفه بأنه «مولى»^(١) أو «مولى للحسين عليه السلام»^(٢) أو «مولى لهم»^(٣) أي لأهل البيت عليهم السلام، وفي بعض المصادر الفرعية إضافات مختصرة لا تشكل تعريفاً وافياً به رضوان الله تعالى عليه، إلا انها تصلح منطلقات للبحث والتنقيب، على أمل العثور على ما يسلط الضوء على منبت الشهيد وخصائصه، ومن الطبيعي أن يكون اختيار سيد الشهداء لهذا الشهيد الجليل رسولاً يؤدي عنه قد تم على أساس مجموعة من المعطيات تستدعي مقومات في شخصية الشهيد، تمكنه من التعامل بحكمة مع ما سيواجهه في مهمته.

ومن المعطيات التي يفترض أنها كانت منطلقات لاختيار هذا الرسول بالذات:

١ - أنه يتوجه إلى حاضرة كانت آنذاك - بعد الكوفة - الأرجح كفة

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين/٢٨٨ (م. م).

(٢) ابن نما، مشير الأحزان ١٧.

(٣) الطبري ج ٤/٢٦

من بين كل الحواضر الإسلامية، في البعد الجهادي، وما يترتب عليه في البعد السياسي.

٢ - أن الوالي فيها ابن زياد الذي أضاف إلى رصيده المشؤوم الذي ورثه عن أبيه، عندما كان والياً على البصرة، رصيماً نوعياً آخر في البطش وكمّ الأفواه، مما يجعل إمكانية الاعتراض والممانعة، تشبه المستحيل، ومهمة هذا الرسول كسر هذا الحاجز النفسي.

٣ - أن المخاطبين الذين يحمل الرسول رسالة الإمام إليهم، ويفترض أن يكون قادراً على التعامل معهم، هم رؤساء العشائر في البصرة، أي الأحنف بن قيس وقرناؤه.

هذه المنطلقات المنطقية، تحتم - بالإضافة إلى ما اتضح من مقومات لا بد من توفرها في الرسول - أن يكون موفد الإمام متميزاً في البعد الاجتماعي لشخصيته، فلا يصلح لهذه المهمة من لا تفرض شخصيته نفسها على مخاطبيه.

ولدى ملاحظة الخصائص التي كانت ملاك التقويم، ومقياس الإحترام، آنذاك، نجد أنها ثلاث:

أ - من الهاشميين.

ب - من الصحابة المتميزين بالفقه، والسابقة الجهادية.

ج - من التابعين المتميزين كذلك بهاتين الخصوصيتين.

ولدى ملاحظة سمات المجتمع البصري، الذي استهدفته مهمة الشهيد الكربلائي الأول، سنجد حضوراً مهيماً للسابقة الجهادية، شأن البصرة في ذلك شأن الكوفة، حيث أنهما كانتا «الثكنتين» المحوريتين لكل فعالية جهادية نوعية.

* ما تقدم يشكل حافزاً لبذل الجهد للتعرف الى هذا الشهيد الجليل، وإن استلزم ذلك أن يكون ما يتم تسجيله هنا مجرد محاولة أولية تقوم على أساس تجميع الإحتمالات، والمقارنة بينها وترجيح بعضها على الآخر في ضوء المتوفر من شواهد أو قرائن، وهو كثير، ليكون ذلك إسهاماً في مهمة التعريف بالشهيد التي قد لا تنجز إلا بعد تراكم الجهود، و تعدد المحاولات.

* يبقى من الضروري الإشارة إلى سبب جوهرى في التعميم الذي يحيط باسم الشهيد وخصائصه، وهو أن الذعر الذي سيطر على يزيد وجلاوزته جعلهم يسارعون إلى قتل الإمام الحسين عليه السلام، قبل أن «تتام إليه شيعته»^(١) وهو ما حال دون انفجار الوضع في البصرة في وجه ابن زياد، وأدى بالتالي إلى مضاعفة التكتم على كل ماجرى، والمحور في ذلك، التكتّم على «رسول الإمام» وتفاصيل لقاءاته.

ثانياً: إسم الشهيد

جاء في أكثر المصادر أن اسم رسول الإمام الحسين عليه السلام الى البصرة هو «سليمان»^(٢) بينما ورد اسمه في مصادر أخرى مختلفاً، فهو تارة «ذراع السدوسي» أو «زراع السدوسي»^(٣) وسيوضح مما يأتي أن هناك

(١) الطبري ج ٤/ ٣٤٣. «ويلكم حولوا بينه وبين الماء لاتمام إليه شيعته».

(٢) الطبري ٤/ ٢٦٥ وعبارة الطبري : «مع مولى لهم يقال له سليمان» والكامل لابن الأثير وروضة الواعظين ولؤلؤ ومرجان/ ١٠٥ ومنتهى الآمال. وابن أعثم، الفتوح ٥/ ٣٧. والخوارزمي ٢٨٨.

(٣) قال ابن نما في مثير الأحزان «وبعث الكتاب مع ذراع (بالذال) السدوسي وقيل مع سليمان المكنى بأبى رزين» وأورد المجلسي في البحار ٤٤/ ٣٤٠ عبارة ابن نما إلا أن الإسم ورد «زراع» السدوسي، بالزاء المعجمة، وكذلك أورده البحراني (١١٣٠) في «العوامل» ١٨٩/ ١٨٩ وقال السيد الأمين في الأعيان ١/ ٥٩ : «وكتب الحسين الى رؤساء الأخماس بالبصرة . . .» مع ذراع السدوسي بالذال المعجمة ومع (كذا) مولى للحسين عليه السلام إسمه سليمان ويكنى أبا رزين». وقال في لواعج الأشجان/ ٣٩ مع «ذراع» (بالذال غير المعجمة تصحيفاً؟) السدوسي وقيل مع مولى للحسين عليه السلام اسمه سليمان.

رأياً آخر هو أن اسمه «عبيد»^(١)، وأن من المحتمل أن يكون اسمه مسعود بن مالك.

وكذلك هو الإختلاف في كنيته، وفي اسم أبيه.

تذكر بعض المصادر أن اسم أبيه «رزين» فهو «سليمان بن رزين»^(٢)، في ما يذكر غيرها أن «أبا رزين» كنيته، فهو إذا «سليمان، أبو رزين»،^(٣) و يذكر غيرها أن أبا رزين كنية أبيه، فالشهيد هو «سليمان بن أبي رزين»^(٤).

* ضبط الإسم

وإذا كان اسم الشهيد أو كنيته - والمرجح الكنية - يحتويان على لفظ «رزين» فقد ضُبط هذا اللفظ بفتح الراء وكسر ما بعدها على وزن «جميل»^(٥).

* ثالثاً: مسار البحث:

يدور الأمر أولاً، بين من اسمه سليمان، وذراع.

ذراع:

أورد هذا الإسم الشيخ الجليل ابن نما (٦٤٥) في مقتله «مثير الأحزان» وهو الفقيه الكبير الذي لا يطلق الكلام جزافاً، إلا أنه لم يورده

(١) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٧/٤٧.

(٢) السماوي، إِبصار العين / ٥٣، وعنصر شجاعت للميرزا الكمره إي ٣ / ٢٢٦ / ٢٣٠.

(٣) نفس المهموم للمحقق القمي / ٨٧ نقلاً عن اللهوف . وانظر اللهوف / ٢٦ «مولى له اسمه سليمان ويكنى أبا رزين» وانظر: عنصر شجاعت للميرزا الكمره إي ٣ / ٢٢٦ نقلاً عن رجال ابي علي، ولؤلؤ ومرجان للمحدث النوري / ١٠٥، والمحدث القمي، منتهى الآمال ٣ / ٥٧.

(٤) المحقق الأسترآبادي في الرجال الكبير على ما أورده الميرزا الكمره إي في عنصر شجاعت.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣ / ٢٣٨.

بصيغة التبني التام له بل قال: «وبعث الكتاب مع ذراع السدوسي، وقيل مع سليمان المكنى بأبي رزين».

وهذا نحو تعبير يفيد الترجيح، ويفسح في المجال للإحتمال الآخر.

وقد صرح المجلسي (المتوفى ١١١١) في البحار^(١) والبحراني (١١٣٠) في العوالم^(٢) بأنهما ينقلان كلام الشيخ ابن نما، وهو ما يكشف أن «زراع» الوارد فيهما تصحيف «ذراع» هذا إذا كان كلام ابن نما قد وصلنا سالمًا من التصحيف.

وعلى أي حال فباستثناء هذه المصادر الثلاثة،^(٣) لم أجد مصدرًا آخر يورد اسم ذراع أو ما يبدو أنه تصحيفه.

وحيث قد صرح المصدران الأخيران بالنقل عن مثير الأحزان، فنحن أمام مصدر واحد أورد هذا الإسم ولا سبيل لنا بمعرفة مصدره حيث أنه لم يصرح به، كما لا سبيل لنا إلى الإعراض عنه واعتباره شاذًا، وذلك لأن من أورده من كبار العلماء وأجلة الفقهاء^(٤).

ولا نجد ما يحسم الأمر، أما ذراع فلا نعثر حوله على شيء سوى أن ابن نما ذكره كاحتمال، وأن من المعاصرين من قال إن في كتاب مقتل الحسين - دون أي تحديد - أن «ذراع» هو أخو الحسين من الرضاع^(٥).

(١) المجلسي، البحار ٤٤/٣٣.

(٢) البحراني، العوالم - الإمام الحسين ١٨.

(٣) وعن أحدها أخذ السيد الأمين، في لواعج الأشجان.

(٤) أنظر: مقدمة مثير الأحزان، حول أساتذته وتلامذته وشهادة المحقق الكركي الفريدة في حقه.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ٨/١٧٠. الهوامش.

ومن المفيد الإشارة إلى أن الشيخ ابن نما المتوفى عام ٦٤٥ هجرية كما تقدم قد أورد هذا الإسم «ذراع» بينما لم يورده السيد ابن طاوس (٦٦٤) بل قال: «وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشرف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه سليمان ويكنى «أبارزين»^(١).

تبقى الإشارة إلى أن اسم ذراع في غير ما نحن بصده متداول في كتب الرجال، وكذلك اسم زارع أما ذراع فهو مذكور بطريقة يغلب على الظن أنها تصحيف^(٢).

والنتيجة أن اسم زراع تصحيف، واسم ذراع مستبعد جداً، ولا سبيل إلى الجزم بعدمه، لما تقدم ويأتي مزيد إيضاح بحوله تعالى.

* وأما سليمان، الذي ورد في بعض المصادر سلمان^(٣) ولعله تصحيف، فنجد:

أ - سليمان مولى الحسين الذي قتل معه.

ب - سليمان بن رزين، وتذكر المصادر اسمه ملتبساً برزين بن سليمان، وسالم بن رزين، ولم ينقل عنه سوى حديث واحد، والنتيجة أنه «لا يعرف» كما صرح بذلك الذهبي^(٤).

ج - كما تذكر المصادر سليمان بن رزين في سياق ترجمة ابراهيم بن سليمان بن رزين، وترجمة إسماعيل بن إبراهيم، ويبدو أن

(١) السيد ابن طاوس، اللهوف ٢٦.

(٢) أنظر: ابن ماكولا، إكمال الكمال، باب ذراع وزراع ٤/٣٨٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، والدينوري، الأخبار الطوال.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/٤٨.

رزين بن سليمان الاحمري . عن ابن عمر . وعنه علقمة بن مرثد، لا يعرف . وقيل : سليمان بن رزين، وانظر: تهذيب التهذيب - ابن حجر ٣/٢٣٩، وتهذيب الكمال - المزي ٩/١٨٩ والجرح والتعديل - الرازي ٣/٥٠٨ و ٤/١١٦.

سليمان الأب والجد، غير سليمان الذي التبس برزين وسالم، ولكن لا يذكر حوله شيء^(١).

* بين «سليمانين»

وينبغي التنبيه هنا على الخلط في بعض المصادر بين سليمان مولى الحسن - كما في النادر من المصادر ولعله تصحيف - أو الحسين عليه السلام الذي يرجح أنه استشهد في كربلاء، وبين رسول الإمام إلى البصرة، فإن المصادر مجمعة على أن من بين الشهداء من أصحاب سيد الشهداء مولى له أو للإمام الحسن عليه السلام اسمه سليمان قتله سليمان بن عوف الحضرمي^(٢) و ظاهر عبارات جميع المصادر أنها واقعة في سياق الحديث عن استشهد في كربلاء، إلا أن الإنصاف يقتضي تسجيل أن بعض المصادر يدرج في مجال تعداد من قتل مع الحسين عليه السلام، اسم الشهيد عبد الله بن بقطر^(٣) أو اسم الشهيد قيس بن مُسهر^(٤) وقد استشهدا خارج كربلاء قطعاً ذلك يفتح الباب أمام احتمال أن يكون المقصود بسليمان الذي قتله سليمان بن عوف هو رسول الإمام إلى البصرة، إلا أنه احتمال ضعيف، لا يصح أن يؤسس عليه، خاصة مع ذكر اسم القاتل كما هو الحال بالنسبة إلى كل من استشهد بين يدي الإمام في كربلاء، بالإضافة إلى أن من ثبتت شهادته خارج كربلاء قد خرج بالدليل.

(١) أنزل: معرفة الثقات، العجلي ٢٠٢/١ والجرح والتعديل، الرازي ١٠٢/٢ و ١٥٦/٢ والثقات، ابن حبان ١٤/٦ وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ٨٤/٦ و ٢٤٧/٦ وتهذيب الكمال، المزي ٩٩/٢.

(٢) أنظر: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي ٢٤٥/٣ والمزار، محمد بن المشهدي ٤٩١ وإقبال الأعمال، السيد ابن طاووس الحسني ٧٦/٣ وبحار الأنوار، العلامة المجلسي ٧١/٥٤ والطبري ٤/٣٥٩ وترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ابن عساكر ٣٣٤.

(٣) كما فعل الطبري، أما ابن عساكر فإنه عندما ذكر الشهيد عبد الله بن بقطر نص على أنه استشهد في الكوفة. راجع الهامش المتقدم.

(٤) كما ورد في زيارة الناحية في الإقبال والبحار. انظر الهامش ما قبل السابق.

ولقد بنى بعض المحققين^(١) على اتحاد من تتحدث عنه زيارة الناحية مع رسول الإمام إلى البصرة، وأورد ترجمته على هذا الأساس، وهو ما لا يمكن الركون إليه والله العالم.

ويبدو أن الأصل في تبني اتحاد «السليمانين» ما ذكره الشيخ المامقاني حيث قال:

«سليمان مولى الحسين عليه السلام كما في نسخة ومولى الحسن عليه السلام كما في نسخة أخرى، قتل مع الحسين عليه السلام، ولذا عده الشيخ في رجاله من أصحاب الحسين عليه السلام، قال: سليمان مولى الحسين عليه السلام قتل معه، أي قتل مع الحسين عليه السلام، وفي بعض نسخه: مولى الحسن عليه السلام، وقد عده ابن داود في القسم الأول، فقال: مولى الحسين عليه السلام «..» قتل معه وكفى بذلك فخراً أنتهى.

أضف المامقاني «و أقول: «سليمان هذا أمه كبشة كانت جارية للحسين عليه السلام اشتراها بألف درهم، وكانت تخدم في بيت أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التيمية زوجة الحسين، فتزوج بالجارية أبو رزين، فولدت منه سليمان، وقد كان مع الحسين عليه السلام، وظاهر قول الشيخ وابن داود وغيرهما أنه قتل بالطف، ولكن صريح جمع من أهل السير، أن الحسين عليه السلام، كتب معه كتاباً إلى أشرف البصرة، يدعوهم إلى نصرته، فأخذه المنذر بن الجارود مع الكتاب إلى ابن زياد ليلة عزمه على الخروج من البصرة إلى الكوفة، فأمر بضرب عنقه، فقتله سليمان بن عوف الحضرمي لعنه الله، ولعل غرض الشيخ رحمه الله وغيره من أنه قتل معه، قتلُه في سبيله، وعبارة زيارة الناحية المقدسة أعني قوله عليه السلام: السلام على سليمان مولى الحسين بن أمير

(١) منهم الميرزا خليل الصيمري الكمره إي في موسوعته الكربلائية «عنصر شجاعت» ٢٢٦/٣.

المؤمنين عليه السلام، ولعن الله قاتله سليمان بن عوف الحضرمي. انتهى. لا تدل على كونه قتل بالطف لأن المقتول في (سبيل) رسالته، كالمقتول بالطف في الشرف والسعادة». انتهى كلام المامقاني^(١).

وقد أضاف الميرزا الكمره إي إلى هذا الرأي عن شخصية سليمان، أن الإمام الحسن كان قد أوصى الإمام الحسين أن يتزوج بعد شهادته بزوجته، أم إسحاق بنت طلحة، وكانت كبشة أم سليمان تخدم في بيتها، إلى آخر ما تقدم.

وما أمكنني التثبت منه - من ذلك كله - هو أن الإمام الحسين تزوج «أم طلحة» بعد شهادة الإمام الحسن، وهي أم عدد من أولادهما عليه السلام^(٢).

وقفه مع ما تقدم:

ويطرح هذا الرأي إشكاليتين مركزيتين في مقام التعرف إلى رسول الإمام إلى البصرة:

الأولى: إذا ثبتت كل التفاصيل المتقدمة، فهي لا تقدم حلاً، بل تضعنا أمام التباس بين «سليمانين» أما الجزم باتحادهما، بناء على أن المقتول في سبيل رسالة الإمام كالمقتول بالطف في الشرف والسعادة، فهو ما لا يمكن الموافقة على الإتحاد بسببه، وإن كان من حيث المبدأ سليماً، وليس محل الخلاف، وهو ثابت مع الإتحاد وعدمه.

(١) الشيخ عبد الله المامقاني، تنقيح المقال في علم الرجال ٦٥/٢ الرقم ٥٢٥٣ (المطبعة المرتضوية، النجف، ١٣٥٠ هـ).

(٢) انظر: المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي ٢/ ١٧٤ و شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٦/ ٢١ والمنمق، محمد بن حبيب البغدادي ٣٨٣ وإعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي ١/ ٤٧٨ الذي يذكر أن أم إسحاق هي أم فاطمة بنت الحسين عليه السلام.

الثانية: نصح أمام خشيتين، فالجزم بالإتحاد، قد يكون المدخل إلى طمس شخصية شهيد كربلائي جليل، والجزم بعدم الإتحاد قد يكون المدخل إلى اختلاق شخصية كربلائية لا وجود لها.

والمرجع في حسم مسار البحث، أمران:

١ - أن نجد نصاً حول أن سليمان «مولى الحسين» غير الذي قتل

في البصرة

٢ - أن نجد نصاً يثبت أن سليمان بن عوف الحضرمي بصري، أو

أنه كان في البصرة، من جلاوزة ابن زياد، أو بيئته، أو ما يثبت أنه كان في عداد أهل الكوفة.

وهذا ما لم يمكنني الوصول إليه، كما لم أجد ذكراً له في أحداث كربلاء غير ما هو معروف من قتله للشهيد سليمان مولى الحسين عليه السلام^(١) ولعل الشيخ المامقاني وجد ما يدل على ذلك فقال: «فأخذه المنذر بن الجارود مع الكتاب إلى ابن زياد ليلة عزمه على الخروج من البصرة إلى الكوفة، فأمر بضرب عنقه، فقتله سليمان بن عوف الحضرمي لعنه الله» أو أنه استظهر ذلك بناء على ما عرفت من حيثيات رأيه، والراجع الإستظهار.

والنتيجة التي يخرج بها البحث في اسم سليمان، هي أن هذا البحث لا يقودنا إلى التعرف على الشهيد الكربلائي الأول، بل هو من جهة يعقد المهمة بإضافة عنصر التباس اسمه باسم شهيد آخر(?) في كربلاء، وإن كان من جهة أخرى يفتح الباب أمام إمكانية البحث عن رسول الإمام إلى البصرة الذي هو غير سليمان مولاه، الذي استشهد في

(١) ذكر المزي، تهذيب الكمال، ٢٧/٢٢٥: مجالد بن عوف الحضرمي، ويقال: عوف بن مجالد، حجازي ومثله ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/١٠.

كربلاء، خصوصاً مع ما عرفت من عدم التوافق على الإسم في المصادر، إلا أنه فتح باب على المجهول.

ولعل من المفيد هنا تسجيل ملاحظة تشكل قرينة تسهم في تحديد مناخ البحث - وليست قاعدة لا تنخرم - وهي أن طبيعة مهمة رسول الإمام إلى البصرة تختلف عن طبيعة مهمة رسول الإمام إلى الكوفة، فالأولى مهمة أمنية بكل معنى الكلمة، وإن كانت نتائجها - كالثانية - سياسية، بينما الثانية مهمة أمنية - سياسية، فقد كان أخذ الشهيد مسلم البيعة وارداً منذ البداية، والبيعة وإن كانت سراً إلا أنها السر الجماعي الذي هو بالعلن أشبه، ثم إنه توجه إلى مناخ ينتظر الإمام الحسين «فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار».

أما رسول الإمام إلى البصرة فقد كانت مهمته تقتصر على اللقاء السري بمخاطبي الإمام، وبمن يقرب وضعه من طينة الشهداء البصريين الذين التحقوا بالإمام واستشهدوا بين يديه.

ولهذا الفارق في طبيعة المهمة، يستبعد اختيار شخص معروف بعلاقته بالإمام، لأن هذا الإختصاص يكشفه، فهو يتنافى مع طبيعة المهمة.

وعلى أي حال فلا مناص من أن نطوي ملف البحث في الإسم - مؤقتاً - ونرجع إلى الكنية «أبي رزين».

وهي كما تقدم مرددة بين كونها كنية للشهيد الكربلائي الأول، أو لأبيه، مما يجعلنا لأول وهلة أمام باب موصل، ثم تطل رواية ملفته في أن ابن زياد قتل «أبا رزين» في حوالي الستين على المنارة ورمى برأسه، فتشكل منطلقاً للبحث على قاعدة ترجيح أن «أبا رزين» كنية رسول

الإمام، بدلاً من ابن أبي رزين، وهو ما يستدعي أن نحاول معرفة من هو «أبو رزين» ويأخذ البحث مسارين طوليين، الأول في المصادر الرجالية الخاصة، والثاني: في المصادر العامة، والهدف هو الإجابة على سؤال: هل تحفل المصادر الشيعية، بخصوصيات لشخص يكنى بأبي رزين، وهل تتطابق هذه الخصوصيات مع ما ورد حول رسول الإمام إلى البصرة.

* أبو رزين في مصادر الرجال

قال السيد الخوئي:

أبو رزين الأسدي: من أصحاب علي عليه السلام، رجال الشيخ^(١) وعده البرقي من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام. روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، وروى عنه أبو حمزة الثمالي. الروضة^(٢).

قال الشيخ: مسعود، مولى أبي وائل، يكنى أبا رزين^(٣) «في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام».

وقال السيد الخوئي: أبو حمزة الثمالي «يروى» عن علي بن الحسين، وأبي جعفر، وأبي عبدالله، عليه السلام، وعن أبي رزين الأسدي،^(٤).

فمن هو «أبو رزين» هذا الذي تتحدث عنه المصادر المتقدمة.

أبو رزين:

نجد بهذا الكنية، عدة أشخاص هم:

(١) انظر: الشيخ الطوسي، رجال الطوسي ٨٨ ومحمد علي الأردبيلي، جامع الرواة ٢/٣٨٥.

(٢) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ٢٢/١٦٨.

(٣) الشيخ الطوسي، رجال الطوسي ٩٦.

(٤) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ٢٢/١٤٥.

١ - أبو رزين العقيلي لقيط بن عامر بن المنتفق^(١) ولاشك أنه غير من نحن بصدد البحث عنه .

٢ - أبو رزين من أهل الصفة^(٢) .

٣ - أبو رزين والد عبد الله بن أبي رزين، وقد يكون السابق (أي من وصف بأنه من أهل الصفة) قيل إنه وابنه مجهولان^(٣) . وقيل إن عبد الله هو ابن مسعود بن مالك، والقائل واحد^(٤) . إلا أن الراجح تقديم الرأي الأول لتأخر تاريخه، كما يأتي في الحديث عن «عبيد» .

٤ - أبو رزين الأسدي مولى سعيد بن جبير . واسمه مسعود بن مالك (بن معبد)^(٥) .

٥ - أبو رزين الأسدي مولى أبي وائل، واسمه أيضاً: مسعود بن مالك^(٦) .

٦ - أبو رزين مولى علي (يروى قتل عمار لعبيدالله بن عمر)^(٧) .

ولا يملك الباحث أمام الإحتمالات المتقدمة، إلا أن ينطلق في البحث عن شخص كنيته، «أبو رزين» يصعب تمييزه بالإسم، بل لا بد من رصد القرائن التي تميزه عن غيره .

(١) انظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٥/٥١٨ .

(٢) ابن الأثير أسد الغابة ٥/١٩٣ .

(٣) ابن حجر، الإصابة ٧/١١٦ .

(٤) ابن حجر، تقريب التهذيب ١/٤٩٢ وانظر: الدوري، يحيى بن معين، تاريخ ابن معين ١/٣٦٢ والرازي، الجرح والتعديل ٩/٣٧١ .

(٥) الرازي، الجرح والتعديل ٨/٢٨٤ . والبخاري، التاريخ الكبير ٧/٤٢٣ . وابن حبان، الثقة ٧/٥٠١ .

(٦) ابن حبان، الثقة ٥/٤٤١ . وأحمد بن حنبل، ٤٧٧ . و١/٥١٣ .

(٧) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٥/٢٠ ولعله نفسه الذي يروي حديث أفضل ثوب لبسه علي عليه السلام، انظر: الدوري - يحيى بن معين، تاريخ ابن معين ٢/٣١ .

وستكون المفاجأة الكبرى، رغم أنها لا تحل المشكلة جذرياً، ما يذكره المزي وابن حجر، من أن أبا رزين قد قتله عبيد الله بن زياد في البصرة سنة ستين أو حولها، وهذه بعض النماذج منه:

* قال المزي:

مسعود بن مالك، أبو رزين الأسدي، أسد خزيمة، مولى أبي وائل الاسدي الكوفي. روى عن: زر بن حبيش الاسدي، وعبد الله بن عباس (ت)^(١) وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب (عس)، وعمرو ابن أم مكتوم الاعمى (دق)، والفضيل بن غزوان، ومصدع أبي يحيى (خد)، ومعاذ بن جبل (سي)، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة (بخ م د س ق). روى عنه: إسماعيل بن أبي خالد، وإسماعيل بن سميع (م مد)، والزبير بن عدي. وسليمان الاعمش (بخ م د س ق)، وعاصم بن أبي النجود، وابنه عبد الله بن أبي رزين الأسدي (عس)، وعبيد بن مهران المكتب، وعطاء بن السائب (سي)، وعلقمة بن مرثد، وغالب أبو الهذيل، ومغيرة بن مقسم الضبي (خد)، ومنصور بن المعتمر، وموسى بن أبي عائشة (مد)، وأبو صفية شيخ لعبد العزيز بن صهيب. قال عبد الرحمان بن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عن أبي رزين، فقال: اسمه مسعود كوفي ثقة. وقال أبو حاتم: يقال: إنه شهد صفين مع علي. وقال غيره: كان أكبر من أبي وائل، وكان عالماً فهماً. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: قال لي أبو وائل: ألا تعجب من أبي بكر (كذا)

(١) هذا الحرف وما يأتي هي رموز استعملها المزي، وتجد تفسير المراد بها في تهذيب الكمال ج ١ / ٩٤ و على سبيل المثال: ت = الترمذي. عس = مسند علي عليه السلام، الخ، والمراد بيان مظان الروايات التي وردت عن المترجم له. ومن المفيد الإشارة إلى أن المزي المعروف باقتراانه بابن تيمية قد اختار أن يرمز لكل مصدر أو باب بحرف أو عدة أحرف، إلا في خصائص «أمير المؤمنين علي»، فقد اختار أن يكون الرمز «صلى الله عليه وآله» وقد نقله عنه كذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب ١ / ٦٦.

رزين قد هرم، وإنما كان غلاماً على عهد عمر (و أنا) رجل وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات». وقال أبو بكر بن (أبي) داود: أبو رزين الاسدي يقال: اسمه عبيد ضربت عنقه بالبصرة على منارة مسجد الجامع، ورمي برأسه. روى عن علي، ويقال: إنه مولى علي، وأبو رزين آخر أسدي، روى عن سعيد بن جبير اسمه مسعود بن مالك. وذكر عبد العزيز بن صهيب عن أبي صفية أن أبا رزين قتله عبيدالله بن زياد^(١).

وقال ابن حجر:

أبو رزين مسعود بن مالك الاسدي مولاهم وقيل مولى علي اسمه عبيد نزل الكوفة وروى عن ابن أم مكتوم وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وغيرهم وعنه ابنه عبد الله وإسماعيل بن أبي خالد وعطاء بن السائب والأعمش ومنصور وموسى بن أبي عائشة ومغيرة بن مقسم وآخرين قال أبو حاتم يقال إنه شهد صفين مع علي وذكره البخاري في الطهارة من صحيحه تعليقاً من فعله وأسند له في الأدب المفرد وأخرج له مسلم والأربعة من روايته عن الصحابة وذكره ابن شاهين في الصحابة وتعقبه أبو موسى وقال لا صحبة له ولا إدراك ثم ساق من طريق عاصم بن أبي وائل قال ألا «ت» عجب من أبي رزين قد هرم وإنما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل. وقال غيره كان أكبر من أبي وائل وكان عالماً فهماً كذا وقع بخط المزي في التهذيب وتعقبه مغلطاي) بأن قوله فهماً بالفاء غلط وإنما هو بالباء المكسورة^(٢) كذا ذكره البخاري في التاريخ عن يحيى القطان عن أبي بكر قال كان أبو

(١) المزي، تهذيب الكمال ٤٧٧/٢٧ - ٤٨٠. بتصريف يسير: أبو موسى. وآخرون.

(٢) اختلف القوم في عبارة «و كان عالماً فهماً» هل هي «و كان عالماً بهما، والأرجح الأول، لأنه لو كان المراد الثاني فلامعنى للتعبير بقوله «عالماً» وإنما كان المتعين أن يقول «عارفاً بهما» فلاحظ.

رزين أكبر من أبي (وائل) قال يحيى وكان عالماً بهما ووثقه أبو زرعة والعجلي وغيرهما قلت وله رواية عن معاذ بن جبل وهي مرسلة وأنكر أبو الحسن بن القطان أن يكون أدرك ابن أم مكتوم وقال شعبة في ما حكاه ابن أبي حاتم عنه في المراسيل لم يسمع من ابن مسعود قيل قتله عبيدالله بن زياد بعد سنة ستين وقيل عاش إلى الجماجم بعد سنة ثمانين وأرخه ابن قانع سنة خمس وتسعين^(١).

* ونكون مع هذين النصين الأول «للمزي» والثاني لابن حجر،
أمام الإحتمالات التالية:

١ - تعزيز الإحتمال المتقدم حول جلاله قدر رسول الإمام إلى البصرة. من خلال بروز احتمال أن يكون «أبو رزين» الشهيد الكربلائي الأول، هذا الفقيه الكبير، والعالم الفهم الذي يقال إنه صحابي وإنه شهد صفين، وهو الذي قتله ابن زياد، ولا يضر تعبير «بعد سنة ستين» فسوف يأتي من قائله خلافه.

ولابد هنا من أن نتذكر ماتقدم من أن الشيخ الطوسي أورد في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام : مسعود، مولى أبي وائل، يكنى أبا رزين، وقد صرح غيره بأن أبا رزين الذي هو مولى أبي وائل هو مسعود بن مالك، وهو غير مسعود بن مالك مولى سعيد بن جبير.

٢ - أن شهادته كانت على المنارة!

٣ - ترجيح اتحاد المقتول بالبصرة، مع مسعود بن مالك، الذي عرف بملازمته لأبي وائل شقيق بن سلمة.

وهي معطيات بالغة الأهمية، إلا أنها تتسبب بعقتين جديدتين، هما الفارق الكبير بين الأسماء المتداولة للشهيد وبين الإسمين الجديدين.

(١) ابن حجر، الإصابة ٧/٢٦١.

فمن جهة يلح علينا القسمان الأخيران من النصين، بأن المراد هو رسول الإمام إلى البصرة.

والقسمان المذكوران هما:

أ - «أبو رزين الاسدي ..» ضربت عنقه بالبصرة على منارة

مسجد الجامع، ورمي برأسه . روى عن علي، ويقال: إنه مولى علي»

ب - قيل قتله عبيدالله بن زياد بعد سنة ستين .

ومن جهة أخرى تطالعنا العقبات التالية:

أ - أنه كما يصرح بعضهم أو يوحي كلام بعض آخر «مسعود بن

مالك» .

ب - وعقبة أخرى، يزرعها في طريق البحث تعبير «يقال: اسمه

عبيد»، وتعبير: «اسمه عبيد» .

فهل نحن أمام شخصين يدعى كل منهما مسعود بن مالك ويعرف

أحدهما أيضاً ب «عبيد» أم أننا أمام ثلاثة أشخاص، عبيد واثنان اسم كل

منهما مسعود .

ولعل من الأفضل المبادرة إلى التعامل مع عقبة اسم عبيد»

باعتبارها الأسهل، رغم صعوبتها، ليتفرغ البحث لعقبة اسم «مسعود بن

مالك» لنرى هل يمكن تجاوز هذه العقبة والوصول إلى نتيجة مقنعة؟

* عبيد؟

ذكر هذا الإسم مرتين، أولاهما في النص المتقدم للمزي في

تهذيب الكمال وهو كما يلي: قال أبو بكر بن داود: أبو رزين الاسدي

يقال: اسمه عبيد ضربت عنقه بالبصرة على منارة مسجد الجامع، ورمي

برأسه .

والثانية: في نصوص ابن حجر التي ترجع جميعاً إلى رأي واحد، رغم توزيعها على عدة كتب.

ويجدر استعراض سائر نصوص ابن حجر في المقام، للمقارنة بينها وتقويمها.

فبالإضافة إلى نصه المذكور آنفاً عن «الإصابة» نجد له النصين التاليين:

أ - في «تهذيب التهذيب»:

مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي أسد خزيمة مولى أبي وائل الأسدي الكوفي . روى عن معاذ بن جبل وابن مسعود وعمرو بن أم كلثون (كذا) وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وابن عباس ومصدع أبي يحيى والفضل بن بندار وغيرهم . وعنه ابنه عبد الله واسماعيل بن أبي خالد وعاصم بن أبي النجود وعطاء بن السائب والاعمش ومنصور وموسى بن أبي عائشة واسماعيل بن سميع ومغيرة بن مقسم والزبير بن عدي وعلقمة بن مرثد وغيرهم .

قال ابن أبي حاتم سئل أبو زرعة عن أبي رزين فقال اسمه مسعود كوفي ثقة وقال أبو حاتم شهد صفين مع علي وقال يحيى كان أكبر من أبي وائل وكان عالماً فهماً، وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم قال لي أبو وائل ألا تعجب من أبي رزين قد هرم وإنما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل . وقع ذكره في البخاري في الحيض من صحيحه وذكره ابن حبان في الثقة وذكر عبد العزيز بن صهيب عن أبي صفية ان ابن زياد قتل أبا رزين، وقال أبو بكر بن أبي داود أبو رزين الاسدي وقال (يقال) اسمه عبيد ضربت عنقه بالبصرة . روى عن علي ويقال إنه مولاه وأبو رزين آخر أسدي . روى عن سعيد بن جبير اسمه مسعود بن مالك

وأما الحاكم أبو أحمد في الكنى فجعلهما واحداً اسمه مسعود بن مالك وذلك وهم . قلت : بالغ البرقاني فيما حكاه الخطيب عنه في الرد على من زعم أنهما واحد وسبب الاشتباه مع اتفاقهما في الاسم واسم الأب والنسبة إلى القبيلة والبلد، أن الأعمش روى عن كل منهما فتلخص أن أبا رزين مختلف في اسمه والأصح أنه مسعود بن مالك ومختلف في ولائه أيضاً، وأما الراوي عن سعيد بن جبير فهو أصغر منه بكثير لكنه شاركه في الأصح في اسمه والله تعالى أعلم ولكن الذي ظهر لي أن أبا رزين الأسدي المسمى بعبيد (تصحيف عبيد) وهو المقتول زمن عبيدالله بن زياد بعد سنة ستين أو قبلها وإن أبا رزين المسمى بمسعود بن مالك آخر تأخر إلى حدود التسعين من الهجرة والله تعالى أعلم وقد أرخ ابن قانع وفاته سنة خمس وثمانين وقال خليفة مات بعد الجماجم^(١).

ب - في «تقريب التهذيب» :

مسعود بن مالك الأسدي الكوفي مقبول من السادسة « . . » مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي الكوفي ثقة فاضل من الثانية مات سنة خمس وثمانين وهو غير أبي رزين عبيد الذي قتله عبيدالله بن زياد بالبصرة ووهم من خلطهما^(٢).

ويسجل على نصوص ابن حجر ورأيه، ما يلي :

١ - أن ابن حجر لم يترجم لعبيد الذي قتله ابن زياد في باب عبيد في كتبه الثلاثة التي تحدث فيها عنه، وهي تهذيب التهذيب وتقريبه، والإصابة.

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٠

(٢) ابن حجر، تقريب التهذيب ٢ / ١٦٧.

٢ - أنه لم يقدم دليلاً على استنتاجه، مكتفياً في تهذيب التهذيب بقوله «ولكن الذي ظهر لي» وبقوله في تقريب التهذيب «وهو غير أبي رزين عبيد»

٣ - أن نص الإصابة المتأخر عن تهذيب التهذيب، وتقريبه^(١) يخلو من هذين العنصرين، الإستظهار والجزم، ويقتصر على قوله: «قيل قتله عبيدالله بن زياد بعد سنة ستين وقيل عاش إلى الجماجم بعد سنة ثمانين وأرخه ابن قانع سنة خمس وتسعين».

٤ - الإضطراب في تحديد تاريخ قتل ابن زياد لمن قتله سواء أكان «عبيد» أو

«مسعود» فهو في تهذيب التهذيب «بعد سنة ستين أو قبلها» بينما هو في الإصابة «بعد سنة ستين» وأما في تقريب التهذيب فهو مسكوت عنه.

٥ - أن نص الإصابة المتأخر هذا، يناقض ما ورد في تهذيب التهذيب وتقريبه من أن مسعود بن مالك غير عبيد، فقد ورد فيه قول ابن حجر: أبو رزين مسعود بن مالك الأسدي مولاهم وقيل مولى علي اسمه عبيد!

٦ - أن في نص تهذيب التهذيب تخليطاً، ولعله السبب في إعراض ابن حجر عنه في الإصابة، فهو يقول: «قلت: بالغ البرقاني فيما حكاه الخطيب عنه في الرد على من زعم انهما واحد وسبب الاشتباه مع

(١) من الثابت في محله أن ابن حجر ألف تهذيب التهذيب، ثم لخصه في تقريب التهذيب، انظر تهذيب التهذيب ٢٤/١ «المقدمة» وهو في الإصابة يحيل إلى تهذيب التهذيب، كما تجد في ج٤/٣٤٢ و٣٥٠، ثم إن الإصابة هو عمدة أعماله الرجالية على أهميتها جميعاً فقد استغرق عمله «المتراحي» فيه حوالي أربعين عاماً، حيث بدأ تأليفه في سنة ٨٠٩هـ، واستمر العمل فيه إلى ثالث ذي الحجة سنة ٨٤٧هـ أنظر مقدمة الإصابة ١/١٢٣ مما يعني خصوصية مميزة لآرائه الواردة فيه.

اتفاقهما في الإسم واسم الأب والنسبة إلى القبيلة والبلد، أن الأعمش روى عن كل منهما».

فإذا كان الإسم واحداً واسم الأب كذلك ومثلهما النسبة إلى القبيلة والبلد، فكيف يكون أحدهما «عبيد» والآخر «مسعود»، إلا إذا كان المقصود أن أحد المسعودين يقال إن اسمه عبيد، وهو ما لا يرتأيه ابن حجر، في تهذيب التهذيب، و تقريبه، وإن كان يمكن استظهاره من كلامه في الإصابة، ويأتي مزيد إيضاح.

* أمام هذه الثغرات البينة، في كلام ابن حجر في كتابيه الأولين، والتي يعضد تهافتها احتمال وجيه حول إعراض صاحبها عنها، نجد الحاجة ماسة للرجوع إلى النصوص المتقدمة على زمن ابن حجر، وبالرجوع إليها نجد في ما سبق زمنه بأكثر من قرن، بعض النصوص التي ترجع بدورها إلى القرن الرابع فنبحث فيها عن ضالتنا، ونعاود في ضوئها الكرة للتعامل مع نصوص ابن حجر، بما يستجد من معطيات.

وسنجد أن هذه المعطيات، وإن كانت متضمنة لاحتمال كون اسم من قتله ابن زياد «عبيد» إلا أنها لا تجزم بذلك كما يبدو من ابن حجر ودون دليل.

لقد بدأ ابن حجر تأليف الإصابة عام ٨٠٩^(١) بينما «بدأ المزي يضع كتابه» (تهذيب الكمال) بصيغته النهائية المبيضة في اليوم التاسع من محرم سنة (٧٠٥) ولم ينته منه إلا يوم عيد الاضحى من سنة (٧١٢)^(٢) وهو ينقل عن الحاكم أبي أحمد (وفاته ٣٧٨) ما جعله ابن حجر محوراً للتفنيد.

(١) أنظر: الهامش المتقدم.

(٢) أنظر مقدمة تهذيب الكمال ج١/٤٢

ولدى التأمل - مجدداً - في نص المزي المتقدم، نخرج بالإستنتاجات التالية:

أولاً: أن المترجم له «مسعود بن مالك» من كبار الفقهاء، كما يدل عليه أمران:

١ - اقترانه بأبي وائل، الذي يأتي بيان بعض خصائصه.

٢ - وكونه «عالمًا فهماً».

ثانياً: أن من بين من يروي عن مسعود بن مالك: سليمان الأعمش، وعاصم

بن أبي النجود، وأبو صفية وهو أبو حمزة الشمالي، وليكن ذلك ببالك فستأتي الحاجة إليه.

ثالثاً: أن المزي يفرق بين اثنين مشتركين في الإسم «مسعود» مشتركين في القبيلة «الأسدي» ويجعل المائز بينهما الرواية عن سعيد بن جبير، فمن روى عنه ليس أبا رزين الذي هو بصدد ترجمته. ويؤكد ذلك أنه أفرد لكل منهما ترجمة مستقلة، وهو يذكر مولى سعيد بن جبير بهذا الإسم: مالك بن مسعود بن معبد.

رابعاً: أن المزي يورد كلام أبي بكر بن (أبي) داود^(١) في سياق الترجمة لأبي رزين، مما يدل على اعتقاده بأن من قتله عبيدالله بن زياد هو مسعود بن مالك أبو رزين الذي لم يرو عن سعيد بن جبير، وعلى

(١) ورد اسمه في المطبوع من الكمال في هذا المورد «ابن داود» والمراد «ابن أبي داود» بدلالة ما نقله ابن حجر عن الكمال، ثم إن ابن أبي داود معروف والإستشهاد بنصومه في المصادر مستفيض، وهو عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، ابن «أبي داود» الشهر صاحب السنن المتوفى ٢٧٥ وقد ولد الإبن الذي يستشهد المزي بنصه عام ٢٣٠ وتو في عام ٣١٦. انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق ٢٩/٧٩ والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٩/٢٤٧

هذا الأساس فلا ينبغي أن يضعنا قول ابن أبي داود «يقال اسمه عبيد» أمام شخص ثالث، كما يظهر من ابن حجر، وإن كان ما في الإصابة يوحى بتراجعه كما مر.

والنتيجة التي نخرج بها هي تبني المزي لكون من قتله ابن زياد هو أبو رزين «مسعود بن مالك» الذي قال عنه ابن أبي داود «و يقال اسمه عبيد» وهو غير مسعود بن مالك مولى سعيد بن جبير.

* وفي ضوء هذه النتيجة تجدر الوقفة بشيء من التفصيل مع نص ابن حجر الذي تضمن ما أورده المزي، ونصوصاً أخرى إضافية لبعض كبار أئمة علم الرجال.

وما تمس الحاجة إليه هو القسم الأخير من نصه المتقدم عن تهذيب التهذيب حيث يقول:

«وأما الحاكم أبو أحمد^(١) في الكنى فجعلهما واحداً اسمه مسعود بن مالك وذلك وهم . قلت: بالغ البرقاني^(٢) فيما حكاه الخطيب^(٣) عنه في الرد على من زعم أنهما واحد وسبب الإشتباه مع اتفاقهما في الإسم واسم الأب والنسبة إلى القبيلة والبلد، أن الاعمش روى عن كل منهما فتلخص

(١) أبو أحمد الحاكم * الامام الحافظ العلامة الثبت، محدث خراسان، محمد بن محمد بن أحمد إسحاق النيسابوري الكرابيسي، الحاكم الكبير، مؤلف كتاب «الكنى» في عدة مجلدات . ولد في حدود سنة تسعين ومثتين، وتوفي سنة ٣٧٨ (الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٧٠ - ٣٧٦) وهو إمام عصره في هذه الصنعة، كثير التصنيف، مقدم في معرفة شوارد الصحيح، والاسامي والكنى . المصدر ١/ ٣٥٧ عن تذكرة الحفاظ . وتجدر الإشارة إلى أن كتاب المقتنى للذهبي ليس إلا تشديباً لـ«الكنى» للحاكم، كما صرح الذهبي في مقدمته، وهو ما يشير إلى مكانة الحاكم وكتابه .

(٢) قال الذهبي: «البرقاني الامام العلامة الفقيه، الحافظ الثبت، شيخ الفقهاء والمحدثين، أبو بكر، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، الخوارزمي، صاحب التصانيف ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وسكن بغداد، وبها مات في أول رجب سنة خمس وعشرين وأربع مئة (سير: ١٧/ ٤٦٤ - ٦٤٦)

(٣) أحمد بن علي، المعروف بالخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد والعديد من المؤلفات (٣٩٢ - ٤٦٣) والبرقاني من أبرز شيوخه .

أن أبا رزين مختلف في اسمه والأصح أنه مسعود بن مالك ومختلف في ولائه أيضاً وأما الراوي عن سعيد بن جبير فهو أصغر منه بكثير لكنه شاركه في الأصح في اسمه والله تعالى أعلم ولكن الذي ظهر لي أن أبا رزين الأسدي المسمى بعبد (تصحيف عبید) وهو المقتول زمن عبيدالله بن زياد بعد سنة ستين أو قبلها وأن أبا رزين المسمى بمسعود بن مالك آخر تأخر إلى حدود التسعين من الهجرة والله تعالى أعلم وقد أرخ ابن قانع وفاته سنة خمس وثمانين وقال خليفة مات بعد الجماجم.

و السؤال هو:

هل يريد ابن حجر أن ثمة ثلاثة أشخاص وقع التداخل بينهم، وهم:

١ - مسعود بن مالك الأسدي مولى سعيد بن جبير. وهو الأصغر سناً.

٢ - مسعود بن مالك الأسدي «أبو رزين» وهو الأكبر، تأخر إلى حدود التسعين، الخ.

٣ - أبو رزين عبید الذي قتله ابن زياد.

إنه في حين يبدأ نصه بالحديث عن أن الحاكم جعل الأول والثاني واحداً، وينقل عن البرقاني تشديده النكير - بحق - على من يقول بذلك، يختم كلامه بأن الإثنين ثلاثة. إلا أن يكون مراده التنبيه على أن الأول غير الثاني وهو ما لاشك فيه، لكن يظهر أنه يميل إلى التثليث، وإن كان بالإمكان حمل كلامه على ما تقدمت الإشارة إليه، وسيأتي في النتائج، كونهما اثنين يرجح أن أحدهما يعرف بالإضافة إلى اسم مسعود بـ«عبید»^(١).

(١) وقد عرفت سابقاً بعض الثغرات في كلام ابن حجر.

* النتائج:

ويخلص البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: حول الإسم:

١ - لا يؤدي البحث إلى تسليط الضوء على النقاط الحرجة، حيث نجد أنفسنا في مقام البحث عن اسم الشهيد الكربلائي الأول، أمام الإحتمالات التالية:

أ - ذراع وزراع ولا قائل بذلك غير الشيخ الجليل ابن نما، وهو يذكر معه اسم سليمان، فهو إذاً يذكر الأول ولا يجزم به وإن كان يرجحه.

ب - عبيد ولا قائل به على سبيل الجزم غير ابن حجر، حيث يطالعنا استظهاره في بعض نصوصه أو رأيه بحسب بعضها الآخر أن أبا رزين الأسدي الذي قتله ابن زياد يسمى «عبيد».

غير أن ذلك لا يقترن منه بتقديم دليله ليتمكن التعامل معه، مما يحتم - وقبل أن نحكم بأن ما ذكره دعوى بدون دليل - أن نبحت في المصادر عن «عبيد».

ولدى البحث في كتب ابن حجر نفسه، وفي غيرها من المصادر الرجالية، لا نجد شيئاً يرتبط بعبيد المقتول على المنارة، في المسجد الجامع، فلا يسعنا الركون إلى ما قاله ابن حجر، وقال ما يبدو أنه نقيضه، إلا أن نأخذ بهذا النقيض لتأخر التاريخ، وهو عنصر مرجح في أبحاث الباحث الواحد، وهو المطلوب.

ت - سليمان وهو الغالب في المصادر التي تورد اسمه، وفي

المصادر التي تذكر اسم ذراع، وتطالعنا النصوص التي تتحدث عن سليمان مولى الحسين عليه السلام الذي قتله سليمان بن عوف الحضرمي، وجزم بعضهم بأنه رسول الإمام إلى البصرة، وهو ما يفتح الباب على زيادة الشك في كون اسم رسول الإمام إلى البصرة «سليمان» لما تقدم بيانه.

ث - مسعود بن مالك، وهو لا يذكر في سياق أحداث كربلاء من قريب أو بعيد، إلا أن الإجماع قائم على أن كنيته «أبو رزين»، ويأتي في الحديث عن الكنية مزيد إيضاح.

والدليل قائم على أن مسعود بن مالك مولى أبي وائل غير مسعود بن مالك مولى سعيد بن جبير، وتجد لكل منهما ترجمة مستقلة كما مر ثم إن ابن حجر قال في «الإصابة»: «أبو رزين مسعود بن مالك الأسدي مولاهم وقيل مولى علي اسمه عبيد»!

وقد عرفت الكلام في «عبيد».

ثانياً: في البحث حول الكنية:

١ - نجد المصادر الرجالية تتحدث عن شخص كنيته «أبورزين» من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي صلى خلفه، وشهد صفين معه - بالإضافة إلى ماتقدم من حديثها عن شخص اسمه مسعود وكنيته «أبو رزين» من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، ولانعرف شيئاً عن بقية أخباره، ثم نجد الحديث عن رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة والراجع في كنيته أبو رزين، ونجد كذلك أن ابن زياد قتل «أبا رزين» الذي «يقال بأنه مولى علي». على المنارة في البصرة حوالي سنة ٦٠ كما نجد ذكر عدة خصوصيات تنسجم مع كونه مولى للإمام الحسين عليه السلام،

من قبيل أنه «مولى علي» «صلى خلف علي» «شهد صفين مع علي» «مولى الإمام الحسن».

٢ - لم أتمكن من الوصول إلى «الكنى» للحاكم أبي أحمد، ولم أجد في «المقتنى» للذهبي الذي هو تهذيبه ما ينفع، كما لم أعر علي كلام البرقاني الذي نقله ابن حجر عن الخطيب، ويشكل ذلك ثغرة في التوصل إلى نتائج حاسمة كما لا يخفى. ولعل غيري يوفق لذلك .

٣ - في مقام التعرف على الشهيد الكربلائي الأول يطالعنا أن من بين المصادر المعتبرة من يذكر أن كنيته «أبو رزين».

ونجد أن «أبا رزين» قد قتله عبيدالله بن زياد حوالي سنة ستين في البصرة، على المنارة في المسجد الجامع، ورمي برأسه.

ولا دليل على أن أبا رزين المقتول هذا هو الشهيد الكربلائي الأول، حيث لم يرد التصريح بشيء يدل على ذلك، إلا أن التاريخ يناسب تاريخ استشهاد رسول الإمام في البصرة، وطريقة القتل تكاد تصرح بأنه هو المراد، والعمدة في المقام الكنية، فلا يمكن تجاوز هذا الإتحاد في الكنية والتاريخ، وهذه الدلالة في طريقة القتل دون بذل الجهد في محاولة حسم الموقف.

ثالثاً: القرائن المرجحة:

ويبقى أمامنا محاولة اصطلياد القرائن التي قد تساعد على كشف الحقيقة، وبعد جمعها يجري تقويم مدى دلالة كل منها ومدى دلالة تراكمها، هل يرقى ذلك إلى مستوى الدليل؟ أم أنه يقف عند حدود الإحتمال أو الظن؟

* وفي هذا السياق ينبغي الوقوف على ما يلي:

١ - أن «أبارزين» مسعود بن مالك، مولى أبي وائل، من كبار التابعين، وربما كان صحابياً، وقد عرف باقترانه بأبي وائل «شقيق بن سلمة»^(١) ولدى التأمل في سيرة أبي وائل نجد أنه كان من قمم العلم والعبادة والجهاد^(٢)، وأنه كان من أصحاب السر^(٣) الذين لا يسهل الوصول إلى غورهم، وأن علاقاته كانت مع أمثال سلمان الفارسي^(٤) وسلمان بن ربيعة الباهلي^(٥) وزيد بن صوحان^(٦) وحذيفة بن اليمان^(٧)، وأنه حضر صفين والنهروان مع أمير المؤمنين عليه السلام^(٨) مما يدل على حقيقة معتقده، ولا يضر في ذلك بعض ما ينسب إليه مما هو - على الأرجح - محمول على التقية^(٩) كما يدل على ذلك حسن تخلصه من احتمال تولية الحجاج له^(١٠).

- (١) قال ابن عدي: «شقيق بن سلمة الاسدي أبو وائل الكوفي، عالم الكوفة، الثقة الثبت، أخرج حديثه الستة، مات سنة ٨٢هـ». له ترجمة في تذكرة الحفاظ ١: ٦٠، تهذيب التهذيب ٤: ٣١٧-٣١٨. عن «الكامل، عبدالله بن عدي ١/٥٦». وتعتمد المصادر عادة في ترجمة أبي رزين مصطلح «مولى أبي وائل» للتمييز بينه وبين من شاركه الكنية أو الإسم، وقد أورد ابن سعد نصاً يدل على أنهما كانا يسكنان في دار واحدة، قال: «كان أبو وائل إذا جاءه إنسان يستفتيه قال له اذهب فسل أبا رزين ثم ائتني فأخبرني ما رد عليك قال وكان أبو رزين معه في الدار» ابن سعد، الطبقات الكبرى ٦/٢٧٢.
- (٢) عن عاصم قال كان لأبي وائل خص من قصب هو فيه وفرسه فكان إذا غزا نقضه وإذا قدم بناه. الخطيب، تاريخ بغداد ٩/٢٧١.
- (٣) عن عاصم قال كان أبو وائل إذا خلا نشج ولو جعل له الدنيا على ان يفعل ذلك وأحد يراه لم يفعل. نفس المصدر.
- (٤) انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق ٣١/١٢٦.
- (٥) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٩/٢٠٤.
- (٦) انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨/٤٤٠.
- (٧) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٨/٢٨٨. وابن عساكر تاريخ دمشق ٢١/٢٥٩.
- (٨) المصدر ٩/٢٦٩ وحول صفين، انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى ٦/٩٦ - ١٠٢.
- (٩) انظر: المعجلي، معرفة الثقة ١/١٠٨ و٤٦٠.
- (١٠) حول ذلك، وللمزيد الوافي، انظر «محمد بن سعد»، الطبقات الكبرى ٦/٩٦ - ١٠٢ وأقول ذلك مع الالتفات جيداً إلى ماورد في كلمات الكثيرين من ذمه.

٢ - أن أبا رزين يروي عن «زر بن حبيش» وهو من فضلاء أصحاب أمير المؤمنين^(١) وهو معروف بحبه له عليه السلام كما يأتي في الفقرة التالية.

٣ - أن من بين من يروي عن أبي رزين «عاصم بن أبي النجود» وهو أشهر القراء السبعة^(٢) وتكشف نصوصه عن معرفة بخصوصيات أبي وائل وزر بن حبيش، وقد تقدم بعض ذلك، ومنه قوله «قال كان أبو وائل عثمانياً وكان زر بن حبيش علوياً وكان مصلاهما في مسجد واحد ما رأيت واحداً منهما قط يكلم صاحبه في شيء مما هو عليه حتى ماتا وكان أبو وائل معظماً لزر»^(٣) وكذلك قوله: «إذا كان زر وأبو وائل في مجلس لم يتكلم أبو وائل لأن زراً أكبر منه»^(٤).

٤ - وتطل بنا النصوص على اسم آخر بارز في هذه البيئة هو «ابن أبي صفية» وهو أبو حمزة الشمالي^(٥) الذي يروي عن أبي رزين^(٦).

ويكشف تتبع نصوص زر وشقيق «أبي وائل» وعاصم، وابن أبي صفية، أننا أمام بيئة شيعية في وسط محارب للتشيع، مما فرض درجة عالية من الحكمة، مرت الإشارة إلى بعضها لدى الحديث عن أبي وائل.

(١) قال الشيخ (الطوسي) في كتاب الرجال في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: زر بن حبيش وكان فاضلاً. (اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي ج ١ ص ٢٤٧) وقال السيد الخوئي: «وكان فاضلاً من أصحاب علي عليه السلام، (رجال الشيخ). أخذ عنه عاصم القراء، ذكرناه في كتاب البيان في تفسير القرآن».

(٢) أنظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ١٠/١٩٥. وابن سعد، الطبقات الكبرى ٢/٣٤٣ و٦/٢٣٠. وابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/٣٥. وسليمان بن خلف الباجي، التعديل والتجريح ٣/١١١٨.

(٣) أنظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٩/٢٩ - ٣٠.

(٤) أنظر: سليمان بن خلف الباجي، التعديل والتجريح ٢/٦٣٣.

(٥) أنظر: الشيخ الطوسي، رجاله ١٢٩، والفهرست ٩٠، وابن داود الحلبي، رجاله ٥٩. والشيخ حسن صاحب المعالم، التحرير الطاوسي ٩٩. والسيد بحر العلوم، الفوائد الرجالية ١/٢٥٩. والفرشي، نقد الرجال ١/٣١١. والأبطحي، تهذيب المقال ٤/٢٧٩. وابن عدي، الكامل ٢/٩٣.

(٦) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ٢٢/١٤٥. والمزي، تهذيب الكمال ٢٧/٤٧٧.

وأغلب الظن أن هذه البيئة في الكوفة التي شكل أبو وائل محورها، وتواصلت عبره مع سلمان الفارسي وحذيفة، كانت تخطط لنشر أحاديث رسول الله ﷺ حول أهل البيت عليهم السلام، خلافاً للجو المحموم السائد آنذاك، وقد استطاعت تحقيق ذلك ولم يتنبه لها ذلك الجو إلا بعد فوات الأوان، فانبرى لمحاربتها لأنها أفسدت حديث الكوفيين^(١).

ومحل الحاجة من هذا كله أن هذه البيئة هي بيئة أبي رزين مسعود بن مالك، وهو ما يشكل قرينة لصالح أن يكون هو الشهيد الكربلائي الأول.

٥ - ومن الملفت أن ابن أبي صفية، أبا حمزة الشمالي، يصرح بأن ابن زياد قتل أبا رزين، كما مر في نصي المزني وابن حجر، حيث ورد فيهما «وذكر عبد العزيز بن صهيب^(٢) عن أبي صفية أن أبا رزين قتله عبيدالله بن زياد، وهو نص شديد الأهمية، لأنه ينقل الحديث عن أبي رزين - الذي قتله ابن زياد ولا يدري من هو - إلى أبي رزين الذي كان ركناً في هذه البيئة».

٦ - ومن القرائن التي يجدر الوقوف عندها ملياً احتمال اتحاد أبي رزين مولى علي عليه السلام - الذي شهد صفين وروى قتل عمار بن ياسر

(١) أنظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/٥٩ والذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/٢٩٩ وميزان الاعتدال ٣/٢٧٠ و٢/٢٢٤ والمزني، تهذيب الكمال ٢٢/١١٣ وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٦/٢٣٣ وسليمان بن خلف الباجي، التعديل والجرح ٢/٨٥٧ وعبد الله بن عدي، الكامل ١/١٤١ والمباركفوري، تحفة الأحوذى ٣/٥٤١.

(٢) قال ابن سعد: «عبد العزيز بن صهيب وكان يقال له عبد العزيز بن العبد مولى أنس بن مالك وكان ثقة». الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ٧ ص ٢٤٥. «مات سنة ثلاثين ومائة» مشاهير علماء الأمصار - ابن حبان ص ١٥٦. روى عن: «أنس بن مالك»، «أبي صفية صاحب أبي رزين» تهذيب الكمال - المزني ج ١٨ ص ١٤٧. «وإنما قيل له البناني لأنه كان ينزل سكة بنانة بالبصرة». تهذيب التهذيب - ابن حجر ج ٦ ص ٣٠٥.

لعبيدالله بن عمر والذي يبدو أنه نفسه الذي يروي حديث أفضل ثوب لبسه علي عليه السلام ، والذي يبدو أيضاً أنه هو نفسه من يذكره الشيخ الطوسي وغيره في عداد أصحاب أمير المؤمنين - مع أبي رزين مسعود بن مالك الذي ثبت أنه شهد صفين مع علي عليه السلام كما مر في نصي المزني وابن حجر، ويمكن تأييد ذلك بأن الشيخ الطوسي قد أورد «مسعود بن مالك» في عداد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، كما تقدم.

٧ - ومن القرائن أيضاً السابقة الجهادية لأبي رزين مسعود بن مالك، التي تشكل مع الموقع العلمي، ميزتين أساسيتين للقيام بمهمة رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة، فقد كانت مهمة شديدة الحرجة، تحمل دعوة لم يألفها المسلمون من قبل، في حين كان بطش معاوية، وإغواؤه، قد أدخل الأمة في نفق شل الإرادة، واليأس من حلم التغيير.

ثم إن المخاطبين في هذه المهمة من أركان العالم الإسلامي آنذاك، ومن مداميك القدرة العسكرية للدولة الفتية المترامية الأطراف، ولئن كانت البصرة يومذاك الحاضرة الثانية الأهم بعد الكوفة، فإن موقعها الجغرافي على تخوم مناطق الفتح الإسلامي الشاسعة، والبعيدة عن المركز، كان يهيؤها أن تكون وحدها - في كثير من الأحيان - نقطة التجمع والإنطلاق، وهو ما يمنح رؤوس الأخماس والأشراف فيها موقعية عملية متقدمة، ترقى إلى دائرة صنع القرار على مستوى العالم الإسلامي كله.

لذلك كان من الطبيعي جداً أن يتم اختيار من تؤهله مقوماته الدينية، ومكانته الإجتماعية للوصول في مثل هذا المناخ إلى أفضل النتائج الممكنة.

وبعيد أن يكون صاحب هذه المؤهلات مغموراً لا تكشفه إلا طريقة إدارته الحوار مع مخاطبيه.

الأقرب هو أن يتم اختيار مؤهل لذلك، تسبقه شهرته، إما لأنه من أهل البيت عليه السلام، أو لأن خصوصياته الدينية علماً وعبادة وجهاداً في المقام الرفيع الذي يسهل لصاحبه مثل هذه المهمة الحرجة.

ولأن المحور هو الجهاد، والثغر المعني بالمهمة، هو البصرة أي دار الجند الثانية، فمن الطبيعي أن يتم اختيار قائد جهادي تشهد له سوح النزال. وهذه هي الخصيصة البارزة في شخصية أبي رزين مسعود بن مالك.

جاء في ترجمة أخيه حمّال: أما حمال بتشديد الميم وبالحاء المهملة، فهو حمال بن مالك الاسدي، أخو مسعود بن مالك، شهدا جميعاً القادسية مع سعد^(١).

٨ - يبقى من الضروري الوقوف عند فقرة «أن الأعمش روى عن كل منهما» التي تكرر ورودها في النصوص المتقدمة، فإن في هذه العبارة ما يمكنه أن يغير النتيجة جذرياً، إلا أن يثبت خطأه.

توضيح ذلك: لقد اعتبر ابن حجر أن رواية الأعمش عنهما (أي مسعود مولى أبي وائل، ومسعود مولى سعيد بن جبير) من أوجه الالتباس بينهما فهل هذا صحيح؟

(١) ابن ماكولا، إكمال الكمال ٥٤٤/٢، وجاء في هامش المصدر: بهامش الأصل: وهما اللذان قتلا الفيل في يوم من أيام القادسية فيما ذكر سيف، وقال سيف أيضاً: استعمل سعد على الرجال يومئذ حمال بن مالك الاسدي. لا يضر بما أنا بصده حول أبي رزين القول بأن أخاه حمال من مختلفات سيف كما هو الشأن في مروياته عن الصحابة. وتجدر الإشارة هنا إلى احتمال أولي أن يكون مسعود بن مالك بن عامر الذي ورد في بعض المصادر أنه شهد بدرأ هو أبو رزين المختلف في صحبته. ابن الاثير، أسد الغابة ٣٥٧/٤.

إذا ثبتت صحته فلامجال أبدأ للقول بأن أبا رزين مسعوداً مولى أبي وائل هو رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة لأن الأعمش ولد في سنة ٦١ للهجرة على أشهر الأقوال^(١) وكان أبو رزين الذي يرجح أنه مولى أبي وائل قد استشهد، فكيف تصح رواية الأعمش عنه؟

والجواب: لدى الرجوع إلى روايات الأعمش وما قيل فيه يتضح مايلي:

١ - أن الأعمش رغم تراوح الآراء فيه بين الرمي بالتشيع^(٢) وإفساد حديث الكوفيين^(٣) وبين جلاله قدره وأنه لشدة حفظه وضبطه «المصحف» كما عبر عنه بعضهم^(٤) إلا أن من المتسالم عليه أنه كان «يدلس»^(٥) أي أن كلامه يوحي أحياناً بأنه سمع من شخص ولا يكون الأمر كذلك، ولهذا السبب يتوقف في ما لا يصرح فيه بقوله حدثنا وما يشبهه.

٢ - أن ما يرويه عن أبي رزين ليس فيه تصريح بالسماع منه، فهو على ثلاثة أقسام:

أ - «عن أبي رزين»^(٦) ب - «عن أبي رزين وأبي صالح» أو العكس

(١) ابن حجر، تقريب التهذيب ١/٣٩٢. والعصفري، تاريخ خليفة بن خياط ١٧٦ والأميني، الغدير ١/٦٦ عن الذهبي في تذكروته ١/١٣٨. وعبد الحسين الشبستري، أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ٢/٩٤.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٢٤/٢٩٩ و٦٤/٢٢٩ والماحوزي، كتاب الأربعين ٧٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٤٦/٢٣٣.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/١٩٦.

(٥) ابن حجر، طبقات المدلسين ٣٣ والمباركفوري، تحفة الأحوذى ١/٥٧ و٦٢ و٢٨١ و٢/٣٩٥ و٢/٣٩٥ و٤/١٤٠ والعظيم آبادي، عون المعبود ١/٢٤٢.

(٦) إسحاق بن راهويه، مسند ابن راهويه ١/٢٨٣ و٢٨٤ والطبراني، المعجم الكبير ٩/٧٦.

بتقديم أبي صالح^(١) ج - «عن مسعود بن مالك»^(٢) وهو في ذلك لا يقول حدثنا أو أخبرنا أو شبههما مما يدل على سماعه منه، ورغم أن الذهبي استثنى من عموم تدليسه ما يرويه عن شيوخه الذين أكثر الرواية عنهم، إلا أنه حين نص عليهم لم يورد «أبا رزين» بينهم^(٣).

٣ - لم يتضح لي وجه تصريح ابن حجر بأن الأعمش «روى عن كل منهما» فما يرويه الأعمش عن أبي رزين منه ما يصرح فيه باسم ابن جبير^(٤) ومنه ما ليس كذلك^(٥) ولا سبيل - في ما يبدو - للجزم بأنه مولى أبي وائل.

٤ - من الملفت ضحالة نقل الأعمش عن يكنى بأبي رزين، حيث لا يتجاوز مجموع رواياته عنه الست بعد حذف المكررات مع أن الأعمش رغم تأخر التحاقه ببيئة أبي وائل إلا أنه أصبح ركناً فيها لصيقاً بأبي وائل أثيراً عنده^(٦) ولو كان يروي عن أبي رزين الملازم الدائم لأبي وائل أو الذي كان أبو وائل ملازماً له لعرف الأعمش بانقطاعه إليهما معاً، وهذه الملاحظة من الأهمية بحيث إنها يجب أن تضاف إلى قرائن أن أبا رزين الأسدي هو رسول الإمام إلى البصرة، لتضاف إلى قرينة انقطاع أخبار «مولى أبي وائل» بعد حوالي ستين للهجرة، ولا ينافي ذلك مانقله ابن حجر عن ابن قانع وخليفة من أن وفاته كانت بعد «الجماجم» أو «سنة

(١) الدارقطني، سنن الدارقطني ٦٣/١ ووكيع ابن الجراح، نسخة وكيع ٧٦ وابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة ٥١/١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٦٩/١٤ والفضل بن شاذان الأزدي، الإيضاح ٤٧٠ وابن حنبل، مسند أحمد ٢٢٣/١.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/٢٢٤.

(٤) ابن حنبل، مسند أحمد ٢٢٣/١ وأبو خيثمة النسائي، كتاب العلم ١٨.

(٥) ابن حنبل، العلل ٢/٣٧٦.

(٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٧٤/٢٣ - ١٧٥.

خمس وثمانين» فهو لا يستند إلى وقائع منقولة تثبت حياته بعد سنة ٦١ للهجرة، وإنما هو إخبار يحتمل أنه ناشيء من الإلتباس بين «مسعودين».

يستنتج من ذلك كله أن الأعمش يروي عن «أبي رزين» الذي هو مولى سعيد بن جبير، ولادليل على روايته عن «مولى أبي وائل».

وينبغي الإشارة هنا إلى أن ماورد حول أبي رزين من وصفه بأنه «صاحب أبي هريرة»^(١) ينطبق عليه ماتقدم من أن التباسه بين مسعودين لايمكن من الجزم بنسبته إلى أبي رزين الأسدي مولى أبي وائل.

* وفي مقابل جميع ما تقدم، ينبغي أيضاً تسجيل الآتي:

١ - لا دليل على أن أبا رزين الذي قتله عبيدالله بن زياد، هو رسول الإمام الحسين عليه السلام، فقد يكون شخصاً آخر قتل في التاريخ الملتبس مع تاريخ استشهاد الإمام.

٢ - ليس بين المصادر التي تتحدث عن رسول الإمام إلى البصرة أدنى ذكر لاسم مسعود بن مالك، بل هي كما تقدم تراوح بين سليمان وذراع وزراع وفي عصر ابن حجر طرح اسم عبيد.

٣ - لو كان القتيل على يد ابن زياد، أبارزين، لذاع خبر ذلك، لمكانة أبي رزين الاجتماعية المرموقة.

وهذه النقاط الوجيهة عموماً، لا ترقى كما هو واضح إلى تسويغ الجزم بأن أبا رزين المقتول على يد عبيدالله ليس رسول الإمام إلى البصرة.

لذلك فهي لا تصلح رداً على ما أنا بصدده من أن كون الشهيد

(١) أنظر مثلاً: ابن حبان، الثقة ٤٤١/٥.

الكربلائي الأول، هو مسعود بن مالك، يتجاوز عتبة الإحتمال ليرقى إلى درجة الظن المعتضد بقرائن غاية في القوة.

والنتيجة النهائية في خاتمة المطاف كما يلي:

أعتقد أن القرائن المذكورة آنفاً، تبلغ بنا مشارف الإطمئنان بأن أبا رزين الذي هو رسول الإمام إلى البصرة هو أبو رزين مسعود بن مالك، الذي عده الشيخ الطوسي في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وعده البرقي في أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، وهو نفسه الذي ذكره الشيخ باسم مسعود مولى أبي وائل وهو الذي يروي عنه أبو حمزة الثمالي، ويخبر بأن ابن زياد قتله إلى غير ذلك مما عرفت أهميته.

وحول إقامته في الكوفة نجد في الحديث عنه أنه «نزل الكوفة» فهو إذاً لم يكن فيها، ثم إن التعبير عنه بالأسدي يرجع إلى اختصاصه بأبي وائل الأسدي، ولا ينافي ذلك أن يكون قبل نزوله الكوفة مولى لغير الأسديين، وبذلك يمكن الجمع بين ما ورد في الحديث عن ولائه، خاصة إذا لاحظنا التطورات السياسية غير المؤاتية لموالي أهل البيت عليهم السلام.

أما الخلاف حول اسم رسول الإمام، فقد مرت الإشارة إلى توفر دواعي الكتمان، فلم يكن من مصلحة أحد ممن استقبل الشهيد أن يكشف عن ذلك، كما أنه لم يكن من مصلحة أحد من معارف الشهيد وبيئته، أن يترسل في الحديث عن الشهيد، بالإضافة إلى أن كنية الشهيد - في ما يبدو - كانت غالبية على اسمه إلى حد أن نجد في المصادر السؤال عن أبي رزين، والجواب بأنه: مسعود بن مالك^(١).

(١) أنظر: ابن حنبل، العلل ٤٧٧/٣.

ويبدو أن اسم سليمان قد أطلق على رسول الإمام إلى البصرة بسبب اشتراكه مع الشهيد سليمان الذي قتل بين يدي الإمام في ساحة المعركة، في أن كلاً منهما يطلق عليه لفظ مولى الحسين عليه السلام.

وينبغي أن يلحظ في هذا السياق، وسياق عدم انتشار هوية الشهيد بما يتناسب مع مكانته الإجتماعية، أمران، أن الشهيد لم يتكلم بشيء، حين ألقى القبض عليه، وأن مجيء المنذر بن الجارود بالشهيد إلى ابن زياد وقتل ابن زياد له لم يستغرق أكثر من جانب من سواد ليلة، لأن ابن زياد كان على جناح السفر بأقصى سرعة ممكنة إلى الكوفة.

ويأتي مزيد إيضاح بحوله تعالى عند الحديث عن شهادته.

رابعاً: الرسالة: المضمون والنتائج

أولاً: المضمون

تجمع المصادر - عموماً - على نص مقتضب ورد في بعضها أنه الرسالة التي حملها الشهيد الكربلائي الأول إلى البصرة، وورد في البعض الآخر ما يشعر بأنه بعض الرسالة، وينفرد عدد من المصادر بإضافة ما يقرب من ضعفي النص المشار إليه آنفاً، مع ملاحظة لابن كثير^(١) تعتمد على التخمين، حول أن بعض «الشيعة» تلاعبوا بالنص، ولكن الأرجح في المقابل احتمال أن يكون آخرون قد تلاعبوا حقيقة بمحتوى النص فأضافوا إليه فقرة تخرجه من سياقه الحسيني.

قال الدينوري:

«و قد كان الحسين بن علي رضي الله عنه كتب كتاباً إلى شيعته من أهل البصرة مع مولى له يسمى (سلمان) نسخته: (بسم الله الرحمن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٧٠.

الرحيم، من الحسين بن علي إلى مالك بن مسمع، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، سلام عليكم، أما بعد، فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع، فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد، والسلام»^(١).

وقال البلاذري:

«وقد كان الحسين بن علي عليه السلام كتب إلى وجوه أهل البصرة يدعوهم إلى كتاب الله، ويقول لهم: «إن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت ونعشت»^(٢).

وقال الطبري:

«كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتابا قال هشام قال أبو مخنف حدثني الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهدي قال كتب حسين مع مولى لهم يقال له سليمان وكتب بنسخة إلى رؤس الاخماس بالبصرة وإلى الاشراف فكتب إلى مالك بن مسمع البكري وإلى الاحنف بن قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمرو بن عبيدالله بن معمر فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها أما بعد فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه (وآله) وسلم على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه (وآله) وسلم وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا

(١) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال / ٢٣١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف / ٨٧.

ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه (وآله) وسلم فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله^(١).

وبين هاتين الصيغتين الموجزة والمطولة أو ما يقرب منهما تراوحت نصوص الرسالة في المصادر^(٢).

* نظرة في المضمون

قبل الرجوع إلى سند الرواية الذي أورده الطبري، ترجح كفة النص المقتضب الذي أورده البلاذري وآخرون، نظراً إلى أن الظرف كان يستدعي تعبئة الأمة ضد من أمات السنة وأحيا البدعة، وهو ما يحتم الإبتعاد عن النقاط الحرجة التي يؤدي التعرض لها إلى نقض غرض التعبئة، ولذلك يستبعد أن يكون الإمام قد تعرض للفترة السابقة على حكم معاوية.

إلا أن الرجوع إلى السند يقودنا إلى نتيجة مغايرة، تستتبع حكماً التشكيك في فقرة من النص يبدو أنها أضيفت إليه^(٣).

(١) الطبري ٤/٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) يقرب من صيغة البلاذري، ما ورد في مثير الأحزان، لابن نما، والبحار والعوالم ولواعج الأشجان للسيد الأمين، واكتفى السيد ابن طاوس في اللهوف، بقوله «يدعوهم فيه إلى نصرته ولزوم طاعته» كما اكفى الخوارزمي في «مقتل الحسين» / ٢٨٨ بقوله «يدعوهم لنصرته والقيام معه» ويقرب من صيغة الطبري ما ورد في البداية والنهاية، لابن كثير. ولم يذكر مسكويه في تجارب الأمم (ط: أولى، دار سروش، طهران، ١٤٠٧) شيئاً عن كتاب الإمام، أو رسوله إلى أهل البصرة، كما أن الشيخ المفيد لم يذكره في الإرشاد، ولم يذكره كذلك الطبرسي في إعلام الوري.

(٣) أورد الطبري النص - كما تقدم - عن أبي مخنف عن الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي، أما أبو مخنف فهو «لوط بن يحيى بن سعيد - بالياء - بن مخنف - بكسر الميم، واسكان الخاء المعجمة، وفتح النون - بن سالم الأزدي الغامدي بالغين المعجمة أبو مخنف رحمه الله». العلامة الحلي، إيضاح الإشتباه/ ٢٥٩ و«من أصحابنا الأقدمين» على حد تعبير أبي غالب الزراري في تاريخ آل زراراة ٢/٦١ =

وتوضيح ذلك أن قوة السند تلزمنا بالتعامل مع النص كما أورده الطبري عن أبي مخنف، وهو نص يتحدث فيه الإمام الحسين عليه السلام عن وصية رسول الله ﷺ، بالخلافة والولاية لأهل البيت، وأن القوم استأثروا عليهم، وآثروا هم سلام الله عليهم عدم المواجهة، رغم أنهم أحق بهذا الحق ممن تولاه، ثم يقول النص: «وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وإنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه (وآله) وسلم فان السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله».

وهو ما يطرح سؤالين:

= و«شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم» رجال النجاشي/ ٣٢٠ وأقل ما قيل في حقه أنه «ثقة مسكون إلى روايته» السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ١٥/ ١٤٢ وأما الصقعب «بقاف بوزن جعفر» تقريب التهذيب، ابن حجر/ ٤٤٠ فهو خال أبي مخنف، الذي قال: «حدثني خالي الصقعب بن زهير بن عبد الله بن زهير ابن سليم الأزدي» المزني، تهذيب الكمال ٥/ ١٤٤. ولم أجد له ترجمة في ما لدي من المصادر الرجالية الشيعية، وقد نصت المصادر السنية على توثيقه، والتأمل في الروايات التي أورد الكثير منها أبو مخنف في مقتله، وما ذكره نصر بن مزاحم في وقعة صفين/ ٥١٩ وكذلك ما أورده السيد علي خان في موارد عديدة من: الدرجات الرفيعة، واعتماد أبي مخنف عليه يوضح مسوغات الإهتمام بما يرويه. وينبغي التنبيه إلى وصف ابن حبان له بأنه «بصري» الثقة، ابن حبان/ ٦/ ٤٧٩ و وصف ابن حجر له بالكوفي، تهذيب التهذيب - ٤/ ٣٧٩ وتقريب التهذيب ١/ ٤٤٠، فربما يكون قد نزل البصرة، مما يعطي لحديثه عن رسول الإمام إلى البصرة ميزة المتحدث من داخل الجو، وستعزز هذه الملاحظة في ما يأتي الآن عن النهدي.

وأما أبو عثمان النهدي فهو «عبد الرحمن بن مل - بضم أوله وكسر اللام - بن عمرو بن عدي النهدي أبو عثمان الكوفي، أسلم وصدق، ولم ير النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم. ابن شبة النميري، تاريخ المدينة ٢/ ٤٨٢، وكان أبو عثمان النهدي من ساكني الكوفة وله بها دار في بني نهد فلما قتل الحسين عليه السلام تحول فنزل البصرة وقال لا أسكن بلداً قتل فيه ابن ابنة رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم» الطبري، المنتخب من ذيل المذيل ١٢١. وقد اشترك في قيام المختار وكان من بين معاونيه الأبرز. انظر: الطبري ٤/ ٥٠٠ و ٥٠٥ وعليه فإما أن يكون عاد إلى الكوفة واستقر فيها، أو أنه عاد في فترة قيام المختار. وهكذا يتضح أن أبا مخنف يحدث عن اثنين نزل أحدهما البصرة حتماً وهو النهدي وقيل ذلك عن الآخر، وهو الصقعب.

١ - هل يشمل كلام الإمام عن السابقين، معاوية ومرحلته، أم لا؟
 على الأول فهو مشمول بالمدح - والعياذ بالله - وعلى الثاني فالنص مضطرب معنى لأنه ينتقل من مرحلة الولاية الثلاثة، إلى مرحلة يزيد.
 ٢ - كيف يصح الانتقال من الحديث عن أن الماضين قد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق، إلى الحديث عن الجهاد لأن السنة قد أميتت إلخ،
 وإذا حذفنا الفقرة التي يبدو أنها دخيلة، استقام المضمون واتسق اللاحق مع السابق، فيكون النص كما يلي:

أما بعد فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه (وآله) وسلم على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه (وآله) وسلم وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه « . . » وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه (وآله) وسلم فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله .

* المخاطبون بالرسالة

حمل الشهيد الكربلائي رسالة في عدة نسخ^(١) إلى وجوه البصرة^(٢) والأشرف، ورؤوس الأخماس فيها^(٣).

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين (م. م) ٢٨٨

(٢) البلاذري في نصه المتقدم

(٣) الطبري، كما تقدم.

والمقصود برؤوس الأخماس أن البصرة كانت مقسمة إلى خمسة أقسام لكل خمس منها أمير، وقد ورد في حديث المصادر عن الرسالة، أكثر من خمسة أسماء، مما يدل أن تعداد الأسماء ليس خاصاً برؤوس الأخماس بل يشمل بعض الوجوه والأشراف: وقد أورد الطبري الأسماء التالية:

مالك بن مسمع البكري^(١).

الأحنف بن قيس^(٢).

(١) مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب بن قلع واسمه علقمة بن عمرو أبو غسان الرافعي له إدراك قال ابن عساكر ولد على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان سيد ربيعة في زمانه مقدما رئيسا وفيه يقول حصين بن المنذر حياء أبي غسان خير لقومه لمن كان قد قاسى الامور وجربا ومات سنة ثلاث أو أربع وسبعين. الإصابة - ابن حجر ٢١٧/٦ و: مسمع بكسر أوله وسكون المهملة وفتح الميم ذكره أبو جعفر الطبري . المصدر ٢٣٣. وكان مالك من أعمدة البصرة لفترة طويلة حافلة بالأحداث الجسام والمتغيرات، قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع تضعض طودا وائل بعد مالك وأصبح منها معطس العز أجدعا. السيد المرتضى، الأمالي ج ١/٦.

(٢) قال السيد الخوئي: الأحنف بن قيس: التميمي، أبو بحر، سكن البصرة، إسمه الضحاك، ذكره الشيخ في رجاله من أصحاب رسول الله ﷺ. وعده من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ ومن أصحاب الحسن ﷺ. « . . . معجم رجال الحديث، السيد الخوئي ١٦٦/٣ وقيل اسمه صخر. ابن عساكر ٣٠٤/٤٢ وقال ابن عساكر: أن الأحنف بن قيس دخل على معاوية فقال أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين والمخذل عن أم المؤمنين فقال يا معاوية لا ترد الأمور على أدبارها فإن السيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا والقلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا والله لا تمد إلينا شبرا من غدر إلا مددنا إليك ذراعاً من ختر، وإن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو من عفوك قال فإني أفعل. تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج ٤٢/٣٢٦) وأورد ص ٣٢٧ «أن عبيدالله بن زياد أمر الأحنف بن قيس يخطب الناس ويسب الحسين بن علي بعد قتله وأن الأحنف قال أنا لأبغض أجاكم يعني قريشاً، فعزم عليه ليفعله فقام الأحنف خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هذا يعني الحسين بن علي بعث إليه الناس وكانت ألسنتهم معه وأيديهم عليه سار بقدر وبلغ يومه ثم نزل». و انظر: الشيخ المفيد، الكافية/ ٢٢ - ٢٣ حوار مع عائشة حين قدومها البصرة في حرب الجمل. وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى/ ٤/ ٢٣٠ اجتماعه مع أبي ذر بالشام وفيه وصفه له «رأيت أبا ذر رجلاً طويلاً آدم أبيض الرأس واللحية» ويعتبر الأحنف - مع سوء العاقبة - أبرز الشخصيات العربية من بين جميع شيوخ العشائر، وقادة الظل، ولا يقاس به أكثر القادة الذين تأمروا على الأمة بالغلبة والقهر، وبه يضرب المثل في الحلم، وقد أذعن له تميم أربعين سنة (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٣١٦. أدرك (الأحنف) زمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووفد إلى عمر بن الخطاب وهو الذي افتتح مرورود، (وبلخ وغيرهما، ابن عساكر ٤٢/١٤) وقيل: له صحبة. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٣٠٩. وتوفي سنة ٦٧ في أيام مصعب بن الزبير. العصفري، تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٣.

المنذر بن الجارود^(١).

مسعود بن عمرو^(٢).

قيس بن الهيثم^(٣).

- (١) المنذر بن الجارود واسم الجارود: بشر بن عمرو بن حبش بن المعلى بن زيد بن حارثة بن معاوية العبدى، أمه أمامة بنت النعمان قال ابن عساكر: ولد في عهد النبي ولأبيه صحبة وقتل شهيدا في عهد عمر، وأمر علي عليه السلام، المنذر على اصطخر وقال يعقوب بن سفيان: وكان شهد الجمل مع علي، وولاه عبيدالله بن زياد في أمرة يزيد بن معاوية الهند، فمات هناك في آخر سنة احدى وستين أو في أول سنة اثنتين ذكر ذلك ابن سعد وذكر أنه عاش ستين سنة. وقال خليفة: ولاءه ابن زياد السندي سنة اثنتين وستين فمات بها والله أعلم. هامش الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي ٢/ ٥٢٢ وانظر: ابن سعد، الطبقات ٥/ ٥٥٩ - ٥٦١. وانظر: السمعي - الانساب - ج ٤ ص ١٣٨. قال الشريف الرضي - رحمه الله تعالى - المنذر هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: إنه لنظار في عطفيه، مختال في برديه، تفال في شراكيه. ابن أبي الحديد، شرح النهج ١٨/ ٥٤. وقد أورد ابن أبي الحديد ترجمته. وكان زعيم عبد القيس، وهو من أصحاب السوابق البارزة في عدم الاستقامة وسوء السلوك
- (٢) أحد محاور الأحداث السياسية في البصرة في تلك المرحلة، وكان رئيس الأزدي كلها بعد المهلب بن أبي صفرة (الدينوري - الاخبار الطوال - ص ٢٨٣) وقد قتل بالبصرة بعد موت يزيد وانتقاض الأمر على ابن زياد الذي لجأ إلى داره دون علمه وبالتواطؤ مع بعض أقاربه (انظر: العصفري - تاريخ خليفة بن خياط - ص ١٩٨) وفي جمهرة ابن حزم: وذكر الكلبي أن مسعودا المعروف بالقمر الذي قتلته تميم بالبصرة هو مسعود بن عمرو بن عبد بن محارب بن صنيم بن مريح بن شرطان بن معن بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس قال علي (أي ابن حزم) وهذا خطأ وهو مسعود بن عمرو بن الأشرف العتكي (ابن ماكولا - إكمال الكمال ج ٧ ص ٢٩١):
- (٣) قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي. ابن الأثير، أسد الغابة ٥/ ٧٥. قيس بن الهيثم السلمي بصري جد عبد القاهر بن السري له صحبة. الرازي، الجرح والتعديل ٧/ ١٠٥. قيس بن الهيثم السلمي وقيل السامي بالمهملة ذكره البخاري وقال له صحبة روى عنه عطية الدعاء وهو جد عبد القاهر بن السري وكذا قال ابن أبي حاتم وقال ابن منده ذكره البخاري في الوجدان من الصحابة ولم يذكر له حديثا وقال أبو نعيم ذكره أبو أحمد العسال في التابعين من أهل البصرة. ابن حجر، الإصابة ٥/ ٣٨٤. كان أحد وجوه البصرة البارزين وأحد رجال الفتح مع عبد الله بن عامر، وقد تولى خراسان مرارا، وتولى غيرها من مدن الفتح. العصفري، تاريخ خليفة بن خياط ص ١٥٥ و: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٢٨/ ١٠ و ٣٤/ ٣٤٣. كما تولى البصرة عام أربعة وأربعين. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٢٩/ ٢٦٥. وقد مكنته الأدوار المختلفة التي قام بها أن يكون مرجعية سياسية على مستوى البصرة، ولذلك كتب إليه الضحاك بن قيس يطلب منه أن لا يتفرد أهل البصرة بتحديد الموقف بعد موت يزيد. ابن الأثير، أسد الغابة ٣/ ٣٧. ولم أعثر على تاريخ وفاته، إلا أنه كان حيا بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير، فقد رثاهما. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٢٨/ ٢٥٥.

عمر (و) بن عبيدالله بن معمر^(١).

وقد تقدم أن الدينوري يورد أسماءهم كما يلي:

مالك بن مسمع.

الأحنف بن قيس.

المنذر بن الجارود.

مسعود بن عمرو.

قيس بن الهيثم.

ولم يذكر السيد ابن طاوس ولا الشيخ ابن نما كل الأسماء، فقد

(١) لم أجد ترجمة لعمر بالواو، ويبدو أنه تصحيف عمر بدون الواو وهو «عمر بن عبيدالله بن معمر بن عثمان أبو حفص القرشي التيمي أحد الأجواد والامراء الامجاد، فتحت على يديه بلدان كثيرة، وكان (والياً) لابن الزبير على البصرة، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم، وهو الذي قتل قطري بن الفجاءة، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما، وعن عطاء بن أبي رباح، وابن عون، ووفد على عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين . ابن كثير - البداية والنهاية ٥٦/٩ . وقال ص ٥٧: «توفي عمر بن عبيدالله بن معمر هذا بدمشق بالطاعون، وصلى عليه عبد الملك بن مروان، ومشى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته» قال ابن عساكر: «صلى عليه عبد الملك ثم قعد على قبره فقال أم والله لقد فقدت قريش ناباً من أنيابها» وأبوه عبيدالله، ابن عم طلحة بن عبيدالله الذي قتل في حرب الجمل . انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٠٢/٢٥ . وقد أورد الطبري في حوليات سنة ٦٤ في تعداد بعض ولاة ابن الزبير و«على البصرة عمر بن عبيدالله بن معمر التيمي». تاريخ الطبري ٤/٤٥١ . ويؤكد أنه عمر بن عبيدالله بن معمر وليس عمرو الخ أن اسمه هكذا عمر مستفيض في المصادر، وعن جده وأبيه قال ابن الاثير في أسد الغابة ٤/٤٠١: «معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي كان ممن أسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم وابنه عبيدالله بن معمر له أيضا صحبة أخرجه أبو عمر «وعن أبيه وعنه قال ابن حجر: عبيدالله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي والد عمر بن عبيدالله الأمير أحد أجواد قريش روى عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم . ابن حجر، الإصابة ٤/٣٣٥ . ويحسم الأمر نهائياً حول أن الطبري يريد عمراً لا عمرواً أنه هو نفسه لم يورد إسمه بزيادة الواو إلا في هذا المورد (رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة) كما يتضح من مراجعة كافة الموارد التي ذكره فيها ومنها ما هو في نفس الجزء من تاريخه، كالمورد المتقدم أعلاه، وانظر أيضاً ج ٤/٢٣٥ و ٤٠٦ و ٨٧ و ٥١ و ٥٥٩ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٩١ .

قال السيد: «الى جماعة من أشرف البصرة منهم يزيد بن مسعود النهشلي^(١) والمنذر بن الجارود العبدى» فيما قال الشيخ: «الى وجوه أهل البصرة منهم الأحنف بن قيس وقيس بن الهيثم والمنذر بن الجارود ويزيد بن مسعود النهشلي».

والجمع بين ذلك وغيره ممكن، بلحاظ أن تعبير الوجوه والأشرف

(١) النهشلي: «بفتح النون وسكون الهاء وفتح الشين المعجمة وفي آخرها اللام هذه النسبة إلى بني نهشل، وفي «اللباب»: هذه النسبة إلى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، بطن كبير من تميم، ينسب إليه جمع كثير. قال ابن الاثير في «اللباب»: «قلت: فاته النسبة إلى نهشل بن عدي بن جناب بن هبل بن عبدالله، بطن من بني كلب بن وبرة، منهم المنذر بن درهم بن أنيس بن جندل الشاعر العدوي النهشلي. (السمعاني، الانساب ج ٥ ص ٥٤٦) وقال السيوطي: «بفتح اوله والمعجمة الى نهشل بطن من تميم ومن كلب» (لب اللباب في تحرير الأنساب - جلال الدين السيوطي ص ٢٦٩) وممن ينسب إلى نهشل «الحر بن يزيد الحنظلي ثم النهشلي» (ابن كثير - البداية والنهاية ج ٨ ص ١٨٤).

ولم أجد ذكراً ليزيد بن مسعود الذي هو بالتأكيد من ورد اسمه هنا إلا في نص وحيد حول شكوى بني نهشل وقيم الفرزدق - عندما هجاهم - إلى زياد بن أبيه عندما كان والي البصرة، فقد أورد الطبري عن الفرزدق قوله: «لما هاجيت الأشهب بن رميلة والبعيث فسقطا استعدت علي بنو نهشل وبنو فقيم زياد بن أبي سفيان» ثم قال الطبري: «وزعم غيره أن يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربيع بن سلمى بن جندل بن نهشل استعدى أيضا عليه» الطبري، تاريخه، ج ٤/١٧٩. ويؤكد كونه الذي استجاب لدعوة الإمام الحسين عليه السلام، أن الشيخ الطوسي قال في ترجمة أبي بكر ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أمه ليلي بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربيع بن سلمة بن جندل بن نهشل من بني دارم». انظر رجال الشيخ ١٠٦، وابن داود الحلي ٢١٥. والسيد الخوثي، معجم رجال الحديث ٢١ / ٨٨ ٨٩ وج ٢٢ / ٧٠ كما أورد ابو الفرج الاصفهاني نسب ليلي أمه هكذا: «ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربيع بن سلم بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم» مقاتل الطالبين - ص ٥٦. وانظر الطبري ج ٤/١١٨. وقد أورده ابن سعد في الطبقات ج ٣ / ٢٠ باختلاف يسير فقال: «ليلى بنت مسعود بن خالد بن ثابت بن ربيع بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم». إلا أنه في ج ٥/١١٧ قال: «ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربيع بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم» فرجع إلى ما ذكره الشيخ وغيره، وتفرد ابن عساكر - في ما يبدو - بذكر النسب هكذا: «ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربيع بن سلمى بن جندل بن أبيير بن نهشل». يتضح إذاً أن يزيد بن مسعود هو أخو ليلي زوجة أمير المؤمنين عليه السلام وأم ابنه اللذين استشهد أحدهما مع سيد الشهداء في الطف وقتل الآخر ليلة المواجهة الفاصلة بين المختار ومصعب بالمدار.

يتسع لكثيرين، وربما كان ما أورده الدينوري خاصاً برؤوس الأخماس أما الأسماء المغايرة عند الطبري وغيره فهي لوجوه في البصرة، من خارج التركيبة الإدارية، كما سنلاحظ ذلك لدى الحديث عن ردود الفعل، ومهمة الشهيد في البصرة.

وينبغي التنبه إلى أن عدم ذكر شخص في عداد المخاطبين لا يعني الجزم بأنه لم يكن بينهم، خصوصاً إذا لاحظنا أن بعض المصادر تكشف عبارته أنه ليس بصدد الحصر، كما لا تدل عبارة أكثرها على الحصر.

كما ينبغي التنبه إلى أنا - في ما أعلم - لا نملك دليلاً على رواية موقف يزيد بن مسعود إلا ما أورده الشيخ ابن نما، الذي تفرد بذكر سند واضح، هو: «داود ابن أبي هند، عن الشعبي» وهو سند لا يمكن التعويل عليه^(١).

أما السيد ابن طاوس فعبارته لا تدل على اعتماده سنداً معيناً^(٢).

وبالتأمل في سند ابن نما، أو ما ذكره من سنده يتضح أن داود بن أبي

(١) ابن أبي هند هو: «داود بن أبي هند: القشيري السرخسي: يكنى أبا بكر واسم أبي هند دينار، من أهل سرخس وبها عقبه، مات في طريق مكة سنة ٣٩، من أصحاب الباقر عليه السلام. رجال الشيخ (السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ج ٨/٩٦). وانظر: محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٧/ ٢٥٥ وأحمد بن حنبل، العلل ١/٣٢٨ وفيه، داود بن أبي هند بصري كانوا يقولون إن أصله خراساني».

والشعبي هو «عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كباد بن حنبل، العلل ٣/٤٦٨» وقال ابن داود: «عامر بن شرجيل أبو عمرو الفقيه». الخوئي، المعجم ١٠/٢١٠

(٢) قال السيد ابن طاوس ص ١٨: «أخبرني جماعة وقد ذكرت أسماءهم في كتاب غياث سلطان الوري لسكان الثرى بإسنادهم إلى أبي جعفر محمد بن بابويه القمي في ما ذكر في أماليه بإسناده إلى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام». وقال ص ١٩: «وحدثني جماعة منهم من أشرت إليه بإسنادهم إلى عمر النسابة رضوان الله عليه في ما ذكره في آخر كتاب الشافي في النسب بإسناده إلى جده محمد بن عمر». ثم اقتصر في الصفحات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ على قوله: «قال». لذلك لا يمكن الجزم بالسند الذي اعتمده، ولا تخمينه. ولعل التطابق الكبير بين اللهوف ومثير الأحزان يرجع إلى أن مستندهما واحد، وإن كان الراجع أن السيد اعتمد ما أورده الشيخ، لكن لاسيما إلى الجزم بذلك.

هند وإن كانت مصادر الفريقين توثقه، إلا أنه يروي هنا عن الشعبي الذي نص بعض كبار علماء الجرح والتعديل على عدم قبول ما يرويه مطلقاً^(١).

ويعني ما تقدم الدخول في تحليل النص المروي عن يزيد بن مسعود، وما قاله في جوابه رؤساء البطون التميمية الذين دعاهم إلى ذلك الإجتماع، وكذلك النص المروي عن سيد الشهداء حين وصول رسالة ابن مسعود إليه، على قاعدة أن ما لم يثبت سنده قد يكون صحيحاً، إلا أنه لا يمكن الجزم به، واهتماماً بما أورده العلمان الشيخ ابن نما والسيد ابن طاوس اللذان لا يخفى عليهما أمر الشعبي ولو كان النقل منحصرأ به لنبا إلى ذلك.

وبديهي أن ما تقدم لا ينطبق على رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى وجوه أهل البصرة، حيث يكفي أن أبا مخنف قد أوردها بسنده الذي عرفت اعتباره.

* يزيد بن مسعود: الموقع

يتضح من التدقيق في خصوصيات جميع الذين ورد ذكرهم في عداد المخاطبين برسالة الإمام الحسين عليه السلام - كما مر في الهوامش -

(١) في معرض حديثه حول سند فيه الشعبي، قال صاحب المعالم: «وهذا السند ضعيف جداً، لأصل له تارة بجهالة الشيخ اليمامي، وتارة بما يعرف من حال الشعبي الشاهد بالقدح فيه من طرق المخالف، وأما من طرقنا فالامر ظاهر» التحرير الطاوسي/٣١٦ وجاء في هامشه قول المامقاني في تنقيح المقال ج٢/ ١١٥ «وقد أدرك هذا الرجل كبار أصحاب علي عليه السلام ولم يرو عنه عليه السلام ولا عن الحسين عليه السلام ولا السجاد عليه السلام ولا الباقرين وقد أدركهم جميعاً سلام الله عليهم ولم يؤثر عن أحد من أصحابهم الأخذ والرواية عنه، وذلك آية كونه معلوماً لديهم انه ليس منهم ولا رأيه كرايهم». وقال العلامة الحلي: «قال الكشي في طريق فيه الشعبي». «خلاصة الأقوال/١٢٢» مما يشير إلى أن مجرد ورود اسم الشعبي في سند علامة التوقف فيه. وقال السيد الخوئي «من الغرائب أن يعده ابن داود في القسم الأول، وهو الخبيث الفاجر الكذاب المعلن بعدائه لأمر المؤمنين عليهم السلام، وقد ذكرنا شطراً من مخازيه في تفسيرنا (البيان) عند التعرض لترجمة الحارث الأعور» معجمه ج١٠/٢١٠

أنهم كانوا من أبرز الشخصيات السياسية والاجتماعية في البصرة، وهذا يعني أن كل دعوة تغييرية، ينبغي أن تتعامل معهم ولا تتجاهلهم، يؤكد ذلك أن هؤلاء الأشخاص أنفسهم - باستثناء يزيد بن مسعود - كانوا في مصب ضوء الحدث السياسي والاجتماعي حتى الوفاة.

أما يزيد بن مسعود فيبدو في ضوء ما وصلنا عنه أنه من طينة مختلفة، لا تبهرها أضواء أهل الدنيا وبهارجهم،

ابن مسعود الجليل هذا هو أخو ليلى بنت مسعود النهشلية التي تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، والقائلة: «مازلت أحب أن يكون بيني وبينه [سبب] منذ رأيتَه قام مقاماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١). وهي أم اثنين من أبناء أمير المؤمنين عبد الله الشهيد بكربلاء بين يدي سيد الشهداء، وعبيدالله الذي يرجح أنه تم اغتياله، ليلة الواقعة الفاصلة بين المختار ومصعب بن الزبير^(٢).

وعليه فإن مترجمنا خال أخوي الإمام الحسين عليه السلام، وقد كانت أخته في بيت أمير المؤمنين عند استشهاده^(٣) مما يدل على أن علاقة آل مسعود ببيت أمير المؤمنين استمرت حتى إثر شهادته عليه السلام مباشرة.

وكما تندر المعلومات حول يزيد بن مسعود كذلك هي نادرة حول أبيه مسعود الذي صاهره أمير المؤمنين عليه السلام، وما وجدته عنه هو ما

(١) إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات، ج ١ ص ٩٣

(٢) هناك خلاف حول هذه النقطة يظهر من الشيخ المفيد في الإرشاد كونها معاً من شهداء كربلاء، وقد صرح ابن إدريس في السرائر ١٥١، نقلاً عن: المجلسي، بحار الأنوار ٣١/٣٠٨، بخطاً ذلك قطعاً، ويظهر من السيد الخوئي (معجمه ١٢ / ٨٨ - ٨٩) الميل إلى ما قاله في السرائر، مع التوقف في من كنيته منهما أبو بكر، وما ذكرته هو الراجح عند الأكثر

(٣) أنظر: محمد بن سليمان الكوفي، مناقب أمير المؤمنين ٤٨/٢ «قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده أربع حرائر: أميمة بنت أبي العاص، وأسماء بنت عميس وأم البنين بنت حزام الكلابية وليلى بنت مسعود النهشلية».

ذكره ابن حجر حيث قال: «مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم التميمي الدارمي له إدراك وهو والد ليلي امرأة علي ذكره الزبير بن بكار وهشام بن الكلبي»^(١). وقد ذكر ابن حجر، والد مسعود «خالد» مع نبذة يسيرة عنه^(٢).

ولا تذكر المصادر أن مسعود بن خالد (والد يزيد ويلي) استقر في البصرة، إلا أن النصوص تتحدث عن ابنه نعيم، كما سيأتي وعن حفيد نعيم (ثولا)^(٣) اللذين كانا من الوجوه البارزة في الأحداث في البصرة، إلا أن الملفت غياب اسم يزيد بن مسعود - في حدود ما وصلت إليه - ما عدا النص الذي تقدمت الإشارة إليه^(٤).

ويصل التركيز على نعيم بن مسعود في حدث مفصلي يعني بعض بطون بني تميم ومنها بنو حتظلة وبنو سعد - وقد ورد اسماهما في مداولات يزيد بن مسعود - الحد الذي يخيل معه للمتبع أن الذي استجاب لدعوة الإمام الحسين عليه السلام هو نعيم بن مسعود، وأنه ربما كان ثمة خطأ أدى إلى ذكر يزيد بن مسعود، إلا أن اكتشاف وجود اسم يزيد في النص المذكور والمشار إليه آنفاً، ينفي سلامة هذا التخيل.

وحيث أن تفصيل ما ذكر حول نعيم يلقي بعض الضوء على الدور المشابه ولو من بعيد، الذي يُنقل أن أخاه يزيداً قام به، حين تسلم رسالة الإمام، فمن المفيد بيانه.

أورد ابن سعد في الطبقات أن «عبيدالله بن علي قدم من الحجاز

(١) ابن حجر، الإصابة ٦/٢٣١. وانظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين ٥٦.

(٢) ابن حجر، الإصابة ٢/٢١٣.

(٣) أنظر: ابن ماكولا، إكمال الكمال ١/٣٧.

(٤) أنظر: هامش ترجمته المتقدم.

على المختار بالكوفة وسأله فلم يعطه وقال أقدمت بكتاب من المهدي؟ قال لا فحبسه أياماً ثم خلى سبيله وقال اخرج عنا فخرج إلى مصعب بن الزبير بالبصرة هارباً من المختار فنزل على خاله نعيم بن مسعود التميمي ثم النهشلي وأمر له مصعب بمائة ألف درهم ثم أمر مصعب بن الزبير الناس بالتهيؤ لعدوهم ووقت للمسير وقتاً ثم عسكر ثم انقلع من معسكره ذلك واستخلف على البصرة عبيدالله بن (عمر بن عبيدالله بن) معمر فلما سار مصعب تخلف عبيدالله بن علي بن أبي طالب في أخواله وسار خاله نعيم بن مسعود مع مصعب فلما فصل مصعب من البصرة جاءت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى عبيدالله بن علي فقالوا نحن أيضاً أخوالك ولنا فيك نصيب فتحول إلينا فإننا نحب كرامتك قال نعم فتحول إليهم فأنزلوه وسطهم وباعوا له بالخلافة وهو كاره يقول يا قوم لا تعجلوا ولا تفعلوا هذا الأمر فأبوا فبلغ ذلك مصعباً فكتب إلى عبيدالله بن عمر بن عبيدالله بن معمر بعجزه ويخبره غفلته عن عبيدالله بن علي وعمما أحدثوا من البيعة له ثم دعا مصعب خاله نعيم بن مسعود فقال لقد كنت مكرماً لك محسناً فيما بيني وبينك فما حملك على ما فعلت في ابن أختك وتخلفه بالبصرة يؤلب الناس ويخدعهم فحلف بالله ما فعل وما علم من قصته هذه بحرف واحد فقبل منه مصعب وصدقه وقال مصعب قد كتبت إلى عبيدالله ألومه في غفلته عن هذا فقال نعيم بن مسعود فلا يهيجه أحد أنا أكفيك أمره وأقدم به عليك فسار نعيم حتى أتى البصرة فاجتمعت بنو حنظلة وبنو عمرو بن تميم فسار بهم حتى أتى بني سعد فقال والله ما كان لكم في هذا الأمر الذي صنعتم خير وما أردتم إلا هلاك تميم كلها فادفعوا إلي ابن أختي فتلاوموا ساعة ثم دفعوه إليه فخرج حتى قدم به على مصعب فقال يا أخي ما حملك على الذي صنعت فحلف عبيدالله بالله ما أراد ذلك ولا كان له به علم حتى فعلوه

ولقد كرهت ذلك وأبيته فصدقه مصعب وقبل منه وأمر مصعب بن الزبير صاحب مقدمته عباداً الحبطي أن يسير إلى جمع المختار فسار فتقدم وتقدم معه عبيدالله بن علي بن أبي طالب فنزلوا المذار وتقدم جيش المختار فنزلوا بإزائهم فبيتهم أصحاب مصعب بن الزبير فقتلوا ذلك الجيش فلم يفلت منهم إلا الشريد وقتل عبيدالله بن علي بن أبي طالب تلك الليلة»^(١).

وهنا ملاحظتان:

١ - أن المحور في شأن يعني بني حنظلة وبني سعد وتميم عموماً هو نعيم بن مسعود، ولا ذكر ليزيد أخيه.

٢ - أن الأمر وإن كان يعني تميماً كلها إلا أن الذي تصدى هو غير الأحنف بن قيس، شيخ تميم الذي ثبت له وسادتها أربعين عاماً كما مر في ترجمته.

والواقع أن كلتا الملاحظتين لصالح يزيد بن مسعود، وتوكيد موقفه الفريد - في البصرة على الأقل - أما الأولى فلأن غيابه عن مسرح الأحداث - على فرض بقاءه على قيد الحياة - ينسجم مع رؤيته الأصيلة - التي يأتي مزيد إيضاح لها - كما يظهر جلياً من حديثه في الاجتماع الذي عقده لاكتشاف إمكان نصرته الإمام عليه السلام، ويتضح هذا الإنسجام خصوصاً في ظل حكم ابن زياد للبصرة، وتوالي الأحداث - على مستوى العالم الإسلامي آنذاك بعد فرار ابن زياد من البصرة - في الإتجاه الذي لا يلتقي مع صاحب هذه الرؤية من قريب أو بعيد، أضف إلى أن شهادة الإمام عليه السلام، كفيلاً أن تجعل من وقف هذا الموقف يتجنب الأضواء،

(١) الطبقات ج ٥ ص ١١٨ وانظر ابن عساكر، تاريخ دمشق ج ٢٥ ص ١١٣.

فليست الإنتهازية وحب الظهور من طباعه، وإذا كان قد نمي إلى ابن زياد شيء عن موقفه من رسالة الإمام، فإن التصدي للمواقع، يعرضه للمطالبة بموقفه والمحاسبة عليه، وربما يكون اجتنابه التصدي للشأن العام مع ثقل تميم وموقعه فيها وحسن تدبير الأحنف، شكلت عناصر عدم التعرض له، فمن البعيد جداً أن يبقى ما قام به يزيد بن مسعود بمنأى عن عميق تغلغل عيون ابن زياد وجواسيسه، كما تكشف ذلك بوضوح طريقة عمل ابن زياد في الكوفة.

وأما أن الملاحظة الثانية لمصلحة يزيد بن مسعود أيضاً فلأن التشكيك الأول الذي يمكن أن يواجهه به الحديث عن الدور الذي قام به عند وصول رسالة الإمام إليه هو جمعه لبطون من تميم متجاوزاً الأحنف بن قيس، شيخ تميم بلا منازع.

ولولا وجود هذه الملاحظة الثانية (وهي أن جمع تميم على يد غير الأحنف كان طبيعياً) بين أيدينا لأمكن التشكيك في أصل قيام ابن مسعود بهذا الدور، إلا أن قيام أخيه نعيم بدور مشابه في ظرف آخر، دليل على أن زعامة الأحنف كانت تتسع لنفوذ واسع من رؤوس البطون، وهو ما ينسجم مع «حلم الأحنف».

يؤيد ذلك أن الأحنف كان يتصرف مع بعض كبار التميميين باحترام واكبار يصلان إلى حد التعبير عنه بـ «سيدنا» ويوقف إصدار الأمر على التشاور معه ويلتزم برأيه^(١).

يؤكد ذلك أن زعامة الأحنف لتميم لا تنافي أن يكون يزيد بن مسعود قد دعا إلى هذا المجلس التشاوري المصيري، كما يأتي.

(١) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق ١/٣٩١.

* والموقف

ولم يصلنا من رد فعل وجوه البصرة على رسالة الإمام إلا جواب الأحنف وجواب يزيد بن مسعود، وإخبار المنذر بن الجارود لابن زياد بالرسالة والرسول.

* أما الأحنف فقد كتب إلى الإمام عليه السلام : أما بعد فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون»^(١) وهو جواب يشكّل منجم التعرف على شخصية الأحنف، بعيداً عن كل ما سمعت في ترجمته المتقدمة، فلم يكن الأحنف أهلاً لما سمعه الصحابة من رسول الله ﷺ ، ولو بسماعه من أحدهم سماع وعي ويقين، كما كان شأن الشهيد زهير بن القين مثلاً، لذلك انبرى الأحنف إلى «وعظ» الإمام!

ولئن خفف من فظاظة هذا الوعظ أنه أراد أن يكتب بلغة أمنية، فليس ثمة ما يخفف من فظاظة رده دعوة الإمام، في مثل ذلك الظرف المصيري.

* «وأما يزيد بن مسعود النهشلي فانه أحضر بني تميم^(٢) وبني حنظلة وبني سعد وقال:

يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟

(١) ابن نما، مشير الأحزان ١٧.

(٢) لدى ملاحظة أن بني حنظلة وبني سعد بطنان من «تميم» كما يدل عليه خطابه لهم بقوله: «يا بني تميم» وملاحظة أن بطون تميم الرئيسة هي بنو عمرو بن تميم وبنو حنظلة وبنو سعد، يظهر أن سقطاً في النص أربكه، وأن العبارة في الأصل «أحضر بني عمرو بن تميم وبني الخ، يدل على ذلك ما تقدم في نص مبايعة بني سعد لعبد الله بن علي بن أبي طالب، فقد توجه نعيم بن مسعود إلى البصرة واجتمع ببني عمرو بن تميم وبني حنظلة وجاؤوا معه إلى بني سعد، كما يدل عليه كلام جريرة بنت مرة بن غالب مع معاوية في خصائص بطون تميم. ابن طيفور، بلاغات النساء ص ٧٣. وانظر: عمر كحالة، معجم قبائل العرب ١/١٢٦ - ١٢٧.

فقالوا: أنت فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً
وتقدمت فرطاً.

قال: قد جمعتمكم لأمر أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه

قالوا: نمحضك النصيحة ونجهد لك الرأي.

قال: إن معاوية هلك فأهونُ به هالكاً ومفقوداً، (ألا وإنه قد انكسر
باب أخذ بيعة عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه وهيئات والذي أراد اجتهد
والله ففشل وشاور فخذل وقد قام ابنه يزيد شارب الخمر ورأس الفجور
وأنا أقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين افضل من جهاد
المشركين)^(١). وهذا الحسين بن علي بن رسول الله ﷺ ذو الشرف
الأصيل والعلم والسابقة والسن والقراية يعطف على الصغير ويحنو على
الكبير فأكرم به راعي رعية^(٢) وإمام قوم، وجبت لله به المحجة وبلغت
به الموعظة فلا تعشوا عن نور الحق ولا تسكعوا في هـد^(٣) الباطل فقد
كان صخر بن قيس انخزل^(٤) بكم يوم الجمل فاغسلوها مع ابن
رسول الله ونصرته ولا يقصر أحد عنها إلا ورثه الله الذل في ولده والقلّة
في عشيرته وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها وادرعت بدرعها من لم
يقتل يمت ومن يهرب لم يفت فاحسنوا رحمكم الله رد الجواب.

فتكلم بنو حنظلة فقالوا:

-
- (١) ما بين القوسين مصحح على ما ورد في اللهوف.
(٢) في المصدر «رعيتة» وهو تصحيف.
(٣) الوهدة المكان المنخفض، والجمع هـد وأوهـد ووهاد. (العين للخليل، والصحاح للجوهري ولسان
العرب لابن منظور)
(٤) في المصدر انخزل، ومعنى انخزل انقطع، وهو ما ورد في عدة مصادر، كما أنه الأنسب بالمقام.
والمراد بصخر بن قيس هو الأحنف الذي كان قد اعتزل الفريقين يوم الجمل. أنظر: الطبري ٥١٦/٣
- ٥١٧. ونصر بن مزاحم، وقعة صفين ٢٤.

يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك إن رميت بنا أصبت
وإن غزوت بنا فتحت لا تخوض والله غمرة إلا خضناها ولا تلقى والله
شدة إلا لقيناها ننصرك بأسيافنا ونقيك بابداننا إذا شئت فقم^(١).

وتكلمت بنو سعد بن يزيد فقالوا:

يا أبا خالد إن أبغض الأشياء إلينا خلافاً والخروج من رأيك وقد
كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا رأيه وبقي عزنا فينا فأمهلنا
نراجع الرأي ونحسن المشورة ويأتيك خبرنا واجتماع رأينا.

وتكلمت بنو عامر^(٢) بن تميم فقالوا:

أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك لا نرضى إن غضبت ولا نغضب
إن رضيت ولا نقطن إن ظعنت ولا نظعن إن قطنت والأمر إليك والمعول
عليك فادعنا نجيبك وأمرنا نطعك والامر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد لئن فعلتموها لا رفع عنكم السيف أبداً ولا
زال سيفكم فيكم.

ثم كتب الى الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد وصل إلينا كتابك وفهمت ما
ندبتني إليه ودعوتني له من طاعتك و(الفوز) بنصبي من نصرتك وإن الله
لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل سبيل نجاة وأنتم حجة
الله على خلقه ووديعته في أرضه تفرعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها

(١) من القيام بمعنى الثورة.

(٢) يبدو أن الصحيح «بنو عمرو بن تميم» وهو يؤيد ما تقدمت الإشارة إليه، ولم أجد في بطون تميم «بنو عامر» وذكر بني عمرو مستفيض. والملفت أن كل من نقل عن الشيخ ابن نما مصرحاً أو بلا تصريح، أورد هذه العبارة كما وردت هنا «بنو عامر بن تميم» كما تجد في اللهوف والبحار والعوالم ولواعج الأشجان وكلمات الإمام الحسين للشريفي. والله العالم.

وأنتم فرعها فأقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذلت لك أعناق بني تميم
وتركتهم أشد تهافتاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم
خامسها^(١) وقد ذلت لك (رقاب بني) سعد وغسلت درن صدورها بماء
سحابة مزن حتى (استهل)^(٢) برقها فلمع.

فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال: ما لك آمنك الله يوم الخوف
وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر.

فلما تجهز المشار إليه للخروج الى الحسين صلوات الله وسلامه
عليه بلغه قتله قبل أن يسير فجزع لذلك جزعا عظيماً لما فاته من
نصرته^(٣).

* ولا يمكن فهم حقيقة موقف هذا القائد الجليل، إلا في ضوء
استحضار أن تسارع الأحداث بدءاً من خروج الإمام الحسين من مكة
مروراً بالإنهيار الكوفي المدوي، وصولاً إلى شهادته عليه السلام، كان خارج
المألوف، ولم يكن للقراءة الإعتيادية أن تحيط به وتبني عليه، بالرغم من
كل ماهو معروف من تلؤن الكوفيين كما سبق بيانه.

ويجب أن يلاحظ في هذه النقطة احتمال تقدم تاريخ رسالة الإمام
إلى أهل البصرة على تاريخ رسالته إلى أهل الكوفة، ووصول رسائل
الكوفيين إليه، كما هو صريح تعبير السيد ابن طاوس «و كان
الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشرف البصرة»، إلا أن التعبير
في سائر المصادر في هذا المورد لا يعضده.

(١) في أغلب المصادر المشار إليها التي نقلت عن مثير الأحزان «يوم خمسها» وهو الصواب، قال
الجوهرى في الصحاح: «الخمس بالكسر من إظماء الإبل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع» وقال
الخليل في العين: «الخمس شرب الإبل يوم الرابع من يوم صدرت، لأنهم يحسبون يوم الصدر فيه».

(٢) نص الرسالة مصحح على ما في اللهوف والبحار والعوالم ولواعج الأشجان.

(٣) ابن نما، مثير الأحزان ١٩.

وعلى أي حال، لم يتوان ابن مسعود في التوجه إلى الإمام بل أرسل إليه الجواب على أساس أن يكون في الأثر، كما يدل عليه ما ورد في آخر النص المتقدم «فلما تجهز المشار إليه للخروج إلى الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلغه قتله قبل أن يسير فجزع لذلك جزعاً عظيماً لما فاته من نصرته».

* ولا بد - والسياق لتحليل الموقف - من التأمل في النقاط التالية:

١ - موقعه في تميم.

٢ - المعدن المحمدي الكربلائي لهذا القائد الكبير، الذي هو نفس معدن أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دونه عليه السلام.

٣ - مواقف المدعوين.

٤ - رسالته إلى الإمام.

وهذا ما يتم استعراضه في ما يلي:

١ - موقعه في تميم

«فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطاً».

هذا هو موقع ابن مسعود في تميم، والمحيّر أن من هذه مكانته، لا ذكر له باستثناء المورد الذي تقدمت الإشارة إليه.

٢ - المعدن المحمدي

ترسم الكلمات في المنعطفات الحرجة الروح التي تنطلق منها وتغرف من فيضها، حتى ليتاح لك أن تستشف منها كل خصائص هذه الروح.

ولاشك أن الروح المؤمنة الموقنة، التي يصوغها القرآن الكريم،

محمديّة بامتياز، وهو ما يعني أنها موالية لأهل البيت إلى حد إخضاع كل الموازين لرضا الله تعالى الذي يعرف برضاهم.

مثل هذه الروح موقنة بالغيب ترى أن الحاكم المطلق هو الله تعالى، وإن سننه ماضية في خلقه، وإرادته نافذة، فلا تخدعها بروق المطامع، ولا بهارج العاجل، وهي والغد الآتي بعد الموت كمن رآه، فكيف بالغد القريب في هذه الدنيا الزائلة.

وليس الإيمان بالغيب واليقين به إلا فرادة وعي، ونفاذ بصيرة بهذه الحياة الدنيا، لذلك يتلازم الوعي الحقيقي باليقين الحقيقي، ومن هنا كان وعي ابن مسعود لنظرية الحكم وخصائص الحاكم نوعياً.

ومن هنا أيضاً كان إدراكه لحقيقة يزيد سابقاً لعموم أهل المدينة وغيرها بسنواتٍ من عمر الزمن، وكانت معرفته بالحسين عليه السلام نبراساً لمعرفة المعصوم «وهذا الحسين بن علي بن رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الاصيل والعلم والسابقة والسن والقراة يعطف على الصغير ويحنو على الكبير فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم، وجبت لله به المحجة وبلغت به الموعدة».

محمديّ بامتياز، موالٍ لأهل البيت بوعي، لم يحجب رؤيته أنه كان في محيط تسكع فيه الأكثرون في وهـد الباطل، موقن بأن الوقوف مع الحسين هو عز الدنيا والآخرة، وأن العشى عن نصرته، الذلُّ في الولد والقلة في العشيرة، و«من لم يقتل، يمت، ومن يهرب لم يفت»!

هذا هو القائد الجليل يزيد بن مسعود النهشلي رضوان الله عليه.

٣ - مواقف المدعوين

ما تجدر الوقفة عنده هو الفجوة بين كلام بني سعد في اللقاء، وبين ما جاء في رسالة ابن مسعود إلى الإمام «ذلت لك رقاب بني

سعد، وغسلت درن صدورها» مما يدل بوضوح على مداولات أدت إلى تبدل في موقف بني سعد، وحل العقد التي كانت قد نجمت - في ما يبدو - عن تحميلهم مسؤولية موقفهم في حرب الجمل، وهو لا يتنافى مع احتمال أن يكون الأحنف قد استجاز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالإعتزال، لأنه إنما فعل ذلك لما رأى قومه مصرين على الحرب ضد الأمير عليه السلام (١).

٤ - رسالته إلى الإمام

ولا يمكن تجاوز الحديث عن هذا القائد الكبير، دون أداء بعض فروض الإحترام والإكبار لروحه الإلهية التي ارتسمت معالمها في رسالته إلى الإمام، فالمصطلحات في الرسالة قرآنية والمنطلقات عقائدية، ولذلك يصبح الموقف الإستشهادي فوزاً، ويصبح الخروج على الحاكم الجائر مهما بلغت خطورته سلوكاً لسبيل النجاة، بدلالة الدليل، الذي هو حجة الله على عباده، وقد قضى سبحانه أن لا تخلو الأرض من حجة، متفرعة من زيتونة أحمدية لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء، المصطفى الحبيب أصلها وآله الأطهار فرعها.

هذه هي الروح التي أمكنها بنفس الرحمن أن تذلل أعناق بني تميم فتجعلهم أشد تهافتاً في طاعة سيد الشهداء من شديد السغب يتقحم الماء الزلال، وتجعل قلوباً من بني سعد ران عليها حب الدنيا بالأمس، مرآة صافية بلغ صقلها الغاية، فاستهل برقها فلمع.

ولئن كانت القلوب التي جلاها ابن مسعود حسينية إلى هذا الحد فما ظنك بقلبه الحسيني العظيم.

(١) أنظر: الطبري ٣/٥١٦ - ٥١٧.

هنيئاً لأصحاب النعيم نعيمهم .

ولتهنك صحبة الحسين يا ابن مسعود، فقد حملك جناحا نفاذ
البصيرة ونقاء السريرة إلى خيم سيد الشهداء لتبحث الأجيال عنك مع
الشهداء عابس بن أبي شبيب وزهير وحبیب وبرير وسائر الوجهاء عند الله
تعالى بالحسين عليه السلام .

ليهنك الوسام الحسيني بنسخته الفريدة «أمك الله يوم الخوف
وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر» .

أوليس ابن مسعود في عداد أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم
دون الحسين عليه السلام ؟

ولئن كنت لا أملك المعطيات التي تخولني الحديث عنه كشهيد
الحسرة على سيد الشهداء عليه السلام ، فإن الحديث عن ذلك كاحتمال
شاخص، في غاية الإنسجام مع الجزع العظيم الذي تحدث عنه النص
المتقدم، ومع غيابه عن مسرح الأحداث، بحيث لم أجد له ذكراً بعد
الحديث عن الحسرة والجزع، عدا مرة يتيمة كما تقدم .

* * *

كانت هذه أبرز نتائج مهمة رسول الإمام إلى البصرة، ونجانب
الدقة حين نحصر النتائج بأبرزها، حيث لا يمكن تغييب عنصرين:
الأول: الآثار المستقبلية لهذا الاجتماع الذي عقده ابن مسعود
لوجوه تميم، في أحداث البصرة التي كان يحكمها من أجمع التميميون
على الخروج عليه، ويمكن رصد هذه الآثار في اضطرار ابن زياد إلى
التخفي ثم الهرب من البصرة متسللاً تحت جناح الظلام^(١) مشدوداً في
بعض مراحل الطريق إلى بطن ناقة كما تقدم .

(١) انظر: الدينوري، الأخبار الطوال/٢٨١ والطبري ٤/٤٠٢ .

الثاني: العلاقة بين مهمة رسول الإمام إلى البصرة وبين الشهداء البصريين الذين التحقوا بالإمام في مكة أو غيرها، واستشهدوا بين يديه، فمن الطبيعي جداً أن يكون رسول الإمام قد تواصل معهم، وقد يكون شارك في بعض لقاءاتهم في بيت مارية العبدية الذي كان منتدى لهم يجتمعون فيه ويتبادلون الرأي، ومنه انطلقت كوكبة الشهداء البصريين الخمسة بقيادة الشهيد يزيد بن ثبيط^(١).

ويؤكد هذا الإحتمال الذي يكاد أن يكون بديهياً، ما يأتي في «الشهادة» من أنه كان مختفياً في بعض بيوت الشيعة^(٢).

* الشهادة

تجمع المصادر على أن الذي أخبر ابن زياد برسول الإمام إلى البصرة هو المنذر بن الجارود العبدي، الذي تقدمت ترجمته، وكان ابن زياد صهره على ابنته بحرية، وتختلف في ذلك، في عدة مجالات:

الأول: الدافع الذي حمل المنذر على فعلته

والإختلاف هنا على أقوال، فمن المصادر ما ينص على أنه ظن ذلك حيلة من ابن زياد^(٣) ومنها ما يعتبر ذلك زعماً منه^(٤) ليتخلص من عار فعلته، ومنها ما يصرح بإفشائه الأمر^(٥) ومنها ما ينقل الواقعة دون رأي خاص.

(١) الطبري ج ٤/٢٦٣ وفيه يزيد بن نبيط.

(٢) انظر نص الخوارزمي الآتي

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف/٧٨. والخوارزمي، مقتل الحسين ٢٨٨.

(٤) الطبري ج ٤/٢٦٦.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال/٢٣١.

الثاني: حول كيفية إطلاع المنذر ابن زياد على خبر رسول الإمام

فهل جاء بالرسول إليه^(١) أم اكتفى بإخباره بأمره^(٢). و إطلاعه على الكتاب^(٣).

والراجع أن المنذر، الوجيه المصلحي، والمترف المغرور، وصاحب السابقة المشابهة في التخلي عن استجار به من ابن زياد فأجاره^(٤) قد أخبر ابن زياد بأمر الرسول وأعطاه الكتاب تزلفاً، ولم يأت بالرسول إليه لا لأنه يريد حمايته، بل لأن عار سابقته في إخفار ابن مفرغ، كان ما يزال يلاحقه، ولذلك فإن من الطبيعي أن لا يمكن خصومه من مستمسك جديد.

الثالث: كيفية الشهادة

والإختلاف بين المصادر في ذلك - بالإضافة إلى مجيء المنذر به إلى ابن زياد - يتراوح بين ضرب عنقه دون إضافة وبين ضرب عنقه على المنارة وبين الصلب، كما نجد في النصوص التالية:

١ - قال الطبري:

«فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشرف الناس كتبه غير المنذر بن الجارود فانه خشي بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبیدالله فجاءه

(١) ابن نما، مشيرالأحزان / و١٧ ابن طاوس، اللهوف / ٢٩ والطبري ج٤ / ٢٣٢

(٢) الدينوري / ٢٣١

(٣) البلاذري / ٧٨

(٤) هو الشاعر ابن مفرغ الذي كان قد هجا عباد بن زياد أخاعبيدالله وهرب منه واستجار بعدة من زعماء البصرة، فأجاره المنذر، ثم أسلمه عندما أمر ابن زياد بعقابه، فطيف به في البصرة على دابة في حال مزرية منكرة، فهجا ابن مفرغ المنذر وعبد القيس عموماً في شعر مقذع. وابن مفرغ هو القاتل في مجريات هذه الحادثة، الشاهد الشهير: عدس مالعباد عليك إمارة أمنت وهذا تحملين طليق. انظر:

الطبري ٢٣٥ / ٤ وابن عساكر، تاريخ دمشق ١٨٨ / ٥٦

بالرسول من العشية التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة وأقرأه كتابه
فقدم الرسول فضرب عنقه»^(١).

٢ - وقال الدينوري:

«فأقبل (أي المنذر) حتى دخل عليه، فأخبره بالكتاب، وحكى له ما
فيه، فأمر عبيدالله بن زياد بطلب الرسول، فطلبوه، فأتوه به فضربت
عنقه، ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم، فاجتمع له الناس، فقام،
فقال: أنصف القارة من رامها، يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين قد
ولاني مع البصرة الكوفة، وأنا سائر إليها»^(٢).

٣ - وقال الشيخ ابن نما:

«فلما وصل الكتاب كتموا على الرسول إلا المنذر بن الجارود فانه
أتى عبيدالله بالكتاب ورسول الحسين لأنه خاف أن يكون الكتاب قد دسه
عبيدالله إليهم ليختبر حالهم مع الحسين لأن بحرية بنت المنذر زوجة
عبيدالله فلما قرأ الكتاب ضرب عنق الرسول»^(٣).

٤ - وقال السيد ابن طاوس:

«وأما المنذر بن الجارود فإنه جاء بالكتاب والرسول إلى
عبيدالله بن زياد لأن المنذر خاف أن يكون الكتاب دسيسا من
عبيدالله بن زياد وكانت بحرية بنت المنذر زوجة لعبيدالله بن زياد فأخذ

(١) الطبري ٢٦٦/٤. ويقرب منه ما في البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٧

(٢) الأخبار الطوال/ ٢٣٢ والقارة قبيلة معروفة بالرمي، والمثل بمعنى التحذير من التعرض لسطوته.

(٣) ابن نما، مثير الأحزان، وينبغي التنبيه إلى أن النسخة المتداولة لمثير الأحزان للشيخ ابن نما تذكر هذه
النقطة مرتين ص ١٧ وص ١٩ وفي الأولى «ضرب عنق الرسول» وفي الثانية «فصلبه» والراجح أن أحد
النصين لم يكن في أصل الكتاب، وحيث أن أحدهما وهو الثاني قد أورده السيد ابن طاوس فيرجح أنه
الذي كان في الأصل.

عبيدالله بن زياد الرسول فصلبه، ثم بات تلك الليلة، فلما أصبح استتاب عليهم أخاه عثمان بن زياد وأسرع هو إلى قصد الكوفة»^(١).

٥ - وقال البلاذري :

«و [كلهم] كنتموا كتابه إلا المنذر بن الجارود العبدى فإنه خاف ان يكون عبيدالله بن زياد، دسه إليه، فأخبره به وأقرأه إياه، فخطب عبيدالله بن زياد الناس بالبصرة، فأرعد وابرق وتهدد وتوعد، وقال: انا نكل لمن عاداني وسمام لمن حاربني واعلمهم انه شاخص إلى الكوفة، وإنه قد ولى عثمان بن زياد اخاه خلافته على البصرة، وأمرهم بطاعته، والسمع له، ونهاهم عن الخلاف والمشاقة وشخص إلى الكوفة»^(٢).

٦ - وقال الخوارزمي :

«فكل من قرأ كتاب الحسين كتبه إلا المنذر بن الجارود، فإنه خشي أن يكون هذا الكتاب دسيساً من ابن زياد، وكانت بحرة (كذا) بنت المنذر بن الجارود تحت عبيدالله بن زياد، فأتى ابن زياد وأخبره فغضب، وقال: من رسول الحسين إلى أهل البصرة، فقال المنذر: رسوله إليهم مولى يقال له «سليمان» قال فعلي به: فأتى به، وكان مختفياً عند بعض الشيعة بالبصرة، فلما رآه ابن زياد لم يكلمه بشيء دون أن قدمه فضرب عنقه صبراً، ثم أمر بصلبه، ثم صعد المنبر وقال: «إن يزيد قد ولاني الكوفة، وأنا سائر إليها»^(٣).

٧ - وقال المزني :

«قال أبو بكر بن (أبي) داود: أبو رزين الاسدي يقال: اسمه عبيد

(١) اللهوف / ٢٩ وعنه: المجلسي، البحار ج ٤٤ / ٣٣٩

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف / ٧٨

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين (م. م) ص ٢٨٨ - ٢٨٩

ضربت عنقه بالبصرة على منارة مسجد الجامع، ورمي برأسه روى عن علي، ويقال: إنه مولى علي^(١).

ولابد من التأمل في أمور:

الأول: أن المصادر التي تحدثت عن شهادة رسول الإمام عليه السلام، تذكر أن شهادته كانت على مشارف توجه ابن زياد إلى الكوفة، لمواجهة التطورات هناك، وتتراوح المدة الفاصلة بين الشهادة وبين خروج ابن زياد من البصرة، بين ليلة وبين ضحاها، فإما أن يكون أمر بقتله، ليلاً وسافر في اليوم التالي، وإما أن يكون قد قتله في صبيحة اليوم الذي غادر فيه البصرة.

الثاني: أن ابن زياد كان على عجلة من أمره شديدة، فيزيد قد كتب إليه: «إن كان لك جناحان فطر إلى الكوفة»^(٢) وهو شديد الحرص على التقاط هذه الفرصة السانحة لتعزيز موقعه كوالٍ للمصريين، ومن يدري فلعله كان يحدث نفسه منذ ذلك الحين بالخلافة التي تصدى لها بعد موت يزيد، فلم يتح له ذلك^(٣) وربما دل على ذلك أنه كان يغذ السير إلى الكوفة بشغف حمله على عدم الإكتراث بتساقط من معه، كما حمله على عرض جائزة على مهران مولاه، مائة ألف، إن تحامل على نفسه حتى دخول الكوفة^(٤).

ومحل الشاهد من هذا هو أن ابن زياد لم يكن أمام أدنى متسع من الوقت يسمح له بالتدقيق في تداعيات مهمة رسول الإمام إلى البصرة، لأن ذلك قد يشكل فتقاً في النسيج الاجتماعي والسياسي، يستحيل رتقه

(١) المزني، تهذيب الكمال ج ٢٧/٢٧ - ٤٧٧ - ٤٨

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢٩٩/٣

(٣) الطبري ج ٤/٤٠٣

(٤) المصدر ٢٦٧.

في مثل هذه الفرصة المحدودة جداً، أضف إلى ذلك أن انصرافه إلى معالجة ما ينجم عن التحقيق في هذه المهمة يعرضه للإنكشاف أمام يزيد، الأمر الذي قد يضيّع منه ولاية الكوفة، فلا يكون الثاني بعد أبيه الذي جمع له المصران.

لذلك قرر الإكتفاء بقتل الرسول والركون إلى ثقل رصيده من الرعب في نفوس البصريين، فكانت خطبته النارية:

«أما بعد فوالله ما تقرن بي الصعبة ولا يقعق لي بالشنان وإني لنكل لمن عاداني وسم لمن حاربنى أنصف القارة من رامها يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة وأنا غاد إليها الغداة وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان وإياكم والخلاف والإرجاف فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لاقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الأذنى بالأقصى حتى تستمعوا لي ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم»^(١).

الثالث: أن هذه العجلة المفرطة التي طبعت حركة ابن زياد في هذه الفرصة، تنسجم مع قتل رسول الإمام على المنارة وصلبه، عنيت أنها تشكل قرينة على أن المراد بأبي رزين الذي قتل على المنارة بالبصرة على يد ابن زياد هو الشهيد الكربلائي الأول، وذلك لأن المطلوب آنذاك هو إيصال أقسى رسالة ممكنة إلى من يظن أن يكون الإمام كاتبهم، وستبقى هذه الرسالة ناقصة ما لم تكن دموية مدوية.

ولقد كان من شأن قتل الرسول على المنارة ثم صلبه، أن يحقق ذلك، ليكون في منطق طاغية كابن زياد مجرد إشارة أولى إلى الحساب العسير للمشاق، الذي تكفلت خطبته ببيانه.

(١) الطبري ٤/٢٦٦.

وبهذا يتضح الجواب على استبعاد أن يكون المقتول على المنارة رسول الإمام بتوهم أن مصلحة ابن زياد التي كانت تقتضي التكتّم على مهمته، تحول دون ذلك.

لقد جمع ابن زياد بين التكتّم على مهمة الرسول، وإيصال الرسالة اللازمة إلى من يعنيه الأمر.

الرابع: وقد اتضح مما تقدم أنه يمكن الجمع بين النصوص التي تتحدث عن ضرب العنق، وعن الصلب، وعن الرمي عن المنارة.

الخامس: كما اتضح كذلك - على غرابة - السبب في عدم تحقيق ابن زياد، مع الشهيد قبل قتله، كما في ما تقدم من كلام الخوارزمي «فلما رآه ابن زياد لم يكلمه بشيء دون أن قدمه فضرب عنقه صبراً».

ولا ترتفع الغرابة إلا بأن يكون مرجع الضمير في «يكلمه» هو الشهيد، إلا أن العبارة لا تساعد عليه.

سلام على الحسيني الأول، فاتحة المصحف الكربلائي، الذي يبدأ به السلام على أصحاب الحسين، ولا تكتمل الصلاة على الحسينين إلا بقراءته.

ولئن كان المعروف منهم مجهولاً عندنا معاشر الأرضيين، فكيف بمن أصر على أن يكون من أهل السر الذين عبدوا الله تعالى بدمهم سرّاً، فأوردتهم سبحانه مقعد الصدق سرّاً.

سيدي، نظرة من عليائك إلى وهد الباطل التي نتردى فيها ونهوي، تكون معراج الصعود، وجسر العبور إلى رحاب المصطفى، عبر رحاب من قال المصطفى فيه:

«و أنا من حسين»

ملحق في تحديد «المضيق» من بطن الخبت^(١)

* المضيق من بطن الخبت

كل ما يملكه الباحث في محاولة تحديد المكان الذي روي أن الشهيد مسلم بن عقيل توقف فيه بعد أن ضل الدليلان الطريق، وكتب إلى سيد الشهداء منه يستعفيه إن رأى ذلك، هو هذه الرسالة المتقدمة والتي ورد تحديد المكان فيها هكذا:

«بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت». فأى خبت هو المراد، وأي قرية تدعى «المضيق»؟

ومن المفيد التنبيه إلى أن تحديد هذا المكان يجعلنا ندرك حقيقة رسالة الشهيد إلى الإمام، ونضعها في موقعها الطبيعي.

* الخبت أم الخبيت؟

مر في هامش الرسالة بعض ما قاله الحموي حول الخبت، ومن الضروري هنا إيراد كلامه بتمامه، فقد قال:

«خبت: بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وآخره تاء مثناة، وهو في الأصل المظمن من الأرض فيه رمل، وقال أبو عمرو: الخبت سهل في

(١) نبه إلى بعض خصوصيات هذه المنطقة وقربها من مكة، آية الله الكمره إي في كتابه القيم «عنصر شجاعت... ٤٠١/٤٠٠ - ٣٩٦ - ٤٠١».

الحرّة، وقال غيره: هو الوادي العميق الوطيّ ينبت ضروب العضاء^(١) وقيل: الخبت ما تطامن من الأرض وغمض، فإذا خرجت منه أفضيت إلى سعة، والجمع الخبوت: وهو علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال له خبت الجميش. وخبت أيضا: ماء لكلب. وخبت البزواء: بين مكة والمدينة. وخبت: من قرى زبيد باليمن^(٢).

وقال السيد المقرم: «في الطبري ج ٦ ص ١٩٨، وابن الأثير ج ٤ ص ٩ الخبيت بالخاء المعجمة والباء الموحدة ثم المثناة من تحت وبعدها المثناة من فوق، وفي إرشاد الشيخ المفيد الخبت بالخاء المعجمة ثم الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوق، وفي نص الأخبار الطوال ص ٢٣٢ الحربث بالحاء والراء المهملتين ثم الباء الموحدة وبعدها ثاء مثلثة وهو غير مراد قطعا لأن الحربث كما في تاج العروس ومعجم البلدان نبت طيب، وأما ما في الإرشاد فيمكن إرادته لأنه في تاج العروس ج ١ ص ٦١٤ ذكر من معانيه المتسع من الأرض والوادي العميق الوطيّ ينبت العضاء وقرية لزبيد في البر مشهورة وماء لكلب كما أن الأول يمكن إرادته لأن الخبيت كما في معجم البلدان والمعجم مما استعجم للبكري ماء لبني عبس وأشجع يقع في العالية وهي الحجاز، وفي المستعجم أنه موضع على بريدين من المدينة»^(٣).

والنتيجة هي أن الإحتمالات كما يلي:

١ - الخبت صحراء بين مكة والمدينة، كما ذكر الحموي، أو قرية لزبيد في البر مشهورة، أو ماء لكلب كما قال الحموي في معجم البلدان والزبيدي في تاج العروس.

(١) العضاء: كل شجر يعظم وله شوك. (صحاح الجوهري).

(٢) الحموي، معجم البلدان ٣٤٣/٢.

(٣) المقرم، الشهيد مسلم بن عقيل ٦٤.

٢ - الخبيت برواية الطبري، وهو إما على بريدين من المدينة كما عن المستعجم، أو ماء لبني عبس كما عن معجم ما استعجم.

وأمام تعدد الإحتمالات يتعين الآتي:

أولاً: محاولة الجمع بينها إن أمكن فلعل بعض المواصفات تعابير مختلفة عن حقيقة واحدة.

ثانياً: ترجيح ما يمكن ترجيحه منها.

ثالثاً: محاولة تحديد «المضيق» الذي هو «بطن الخبت» فلعله السبيل إلى تحديد الخبت نفسه، وأشير هنا إلى أنني لم أعر في المصادر الحديثة والمعاصرة من الخرائط الرسمية السعودية والمواقع الإعلامية لبعض الوزارات التي تأتي الإشارة إليها على وجود منطقة محددة تسمى بالخبت أو الخبيت.

وفي المجال الأول: الجمع بين النصوص: ينبغي ملاحظة أنه لا منافاة بين ما تقدم من كلام الحموي وبين كون الخبت على بريدين من المدينة، ويأتي مزيد إيضاح، كما أنه لا منافاة بينه وبين ما ذكره الزبيدي في تاج العروس حول الخبت الذي هو قرية لزبيد، فقد أضاف الحموي أنه باليمن فهو غير ما نحن بصدده، ولا دليل على المنافاة بين الخبت الذي هو بين مكة والمدينة وبين الذي هو ماء لكلب أو لبني عبس فهو بعموميته فضفاض، وقد ينزل قسم من قبيلة في مكان وفيه ماء فيعرف باسمهم، وفي المصادر حديث عن ارتباط بعض الأماكن القريبة من هذه المنطقة باسم بني عبس^(١). كما أن الرجوع إلى نص الزبيدي الذي أورده السيد المقرم يكشف عن تنمة له لم يذكرها السيد لأنه لم يكن بصددها

(١) انظر: البكري: معجم ما استعجم ٣/١٠٦٥

وهي إشارة إن لم تكن نصاً في أن الخبت الذي فيه هذا الماء يقع بين مكة والمدينة، فقد قال الزبيدي في آخر نصه المتقدم: «ثم ان هذا الذي قاله من أنه ماء لكلب قيّده غير واحد من أصحاب الأخبار والأماكن أنه بالشام لأن بنى كلب به فهما واحد»^(١).

وفي المجال الثاني: الترجيح بين النصوص: من الطبيعي ترجيح نص المختص بموضوع البلدان والأماكن على غيره ممن ليس هذا الموضوع اختصاصه.

* في أي خبت؟

وفي المجال الثالث: تحديد «الخبت» الذي يقع «المضيق» في بطنه: ينبغي ملاحظة الآتي:

أولاً: صرح الحموي بأن الخبت «صحراء بين مكة والمدينة» وقد عرفت عدم تنافي الأقوال الأخرى مع ذلك.

وقال في مكان آخر: «براق خبت: بفتح الخاء المعجمة، وسكون الباء، وتاء فوقها نقطتان، وخبت: صحراء بين مكة والمدينة، وقيل: خبت ماء لبني كلب، قال بشر: فأودية اللوى فبراق خبت عفتها العاصفات من الرياح وقال أيضاً:

**أتعرف من هنيذة رسم دار بأعلى ذروة وإلى لواها
ومنها منزل ببراق خبت عفت حقباً وغيرها بلاها»^(٢)**

ويقصد الشاعر ما بين مكة والمدينة، وذلك بقرينة «اللوى» و«ذروة» كما ورد تحديدها في المعاجم.

(١) الزبيدي، تاج العروس ١/٥٤٠.

(٢) الحموي، معجم البلدان ١/٣٦٥.

وقال الحموي في مكان ثالث: «خبيت: تصغير خبت، آخره تاء، وقد تقدم تفسيره: وهو ماء بالعالية يشترك فيه أشجع وعبس، وفي شعر نابغه بني ذبيان:

إلى ذبيان حتى صبحتهم ودونهم الربائع والخبيت

وقال أبو عبيدة: هما ماءان لبني عبس وأشجع، قال كثير:

وفي اليأس عن سلمى وفي الكبر الذي أصابك شغل للمحب المطالب.

فدع عنك سلمى إذ أتى النأي دونها وحلت بأكناف الخبيت
فغالب»^(١).

وقال الزبيدي: «خبث الجميش، برفع خبت والجميش. وخبث بالتونين والجميش بالرفع، ويجوز أن يضاف فيقال خبت الجميش قال القتيبي سألت الحجازيين فأخبروني أنه صحراء بين الحرمين الشريفين أي بين المدينة المشرفة والجار»^(٢) يعرف بالخبث والجميش الذي لا ينبت، ومما يستدرك عليه الخبيت مصغراً ماء بالعالية يشترك فيه أشجع وعبس وموضع آخر أسفل ينبع يواجه الحرة وقيل بطريق الشام»^(٣).

ويبدو أن المراد بالعالية هنا منطقة بين مكة والمدينة، وعليه فالخبيت - المصغر - الذي يشترك فيه أشجع وعبس لا يقع في مكان آخر بحيث يؤثر في نتيجة البحث. قال الزبيدي نفسه في تحديد العالية: «والمسمى بالعالية قرى بظاهر المدينة المشرفة، وهي العوالي وأدناها من المدينة على أربعة أميال، وأبعدها».

(١) المصدر ٢/٣٤٥. وفائدة الإستهاد بالشعر ضبط الاسم بحسب الوزن.

(٢) الجار: موضع بين ينبع وجدة. الحموي ١/٣٧١ ويبعد عن بدر ليلة، المصدر ١/٣٥٧. وعن المدينة يوم ليلة. المصدر ٢/٩٢.

(٣) الزبيدي، تاج العروس ١/٥٤٠.

وقال الحموي في تحديد العالية أيضاً: «والعالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها إلى تهامة فهي العالية، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة «..» وقال قوم: العالية ما جاوز الرمة إلى مكة..»^(١).

والنتيجة العملية التي يمكن أن يؤسس عليها هي أن هناك مكانين أحدهما باسم الخبت وهو الأشهر والثاني باسم الخبيت، إلا أن الذي يميز أيهما كتب الشهيد مسلم منه رسالته إلى سيد الشهداء عليه السلام، هو أن «المضيق» يقع في الخبت لا في الخبيت، كما سيأتي.

* في أيها يقع المضيق؟

ثانياً: ولدى تتبع أهم نصوص الحموي وغيره مما ورد فيه ذكر «المضيق» نجد الآتي:

قال الحموي: «آرة جبل بالحجاز بين مكة والمدينة، يقابل قدساً، من أشمخ ما يكون من الجبال، أحمر، تخرج من جوانبه عيون على كل عين قرية، فمنها: الفرع، وأم العيال، والمضيق، والمحضة، والوبرة، والفغوة، تكتنف آرة من جميع جوانبها، وفي كل هذه القرى نخيل وزروع، وهي من السقيا على ثلاث مراحل، من عن يسارها مطلع الشمس، وواديها يصب في الأبواء ثم في ودان، وجميع هذه المواضع مذكورة في الأخبار»^(٢).

وسيأتي أن السقيا تبعد عن الجحفة اثنين وخمسين ميلاً.

وقال الحموي: أيضاً: «المضيق»: قرية في لحف آرة بين مكة

(١) الحموي، معجم البلدان ٧١/٤.

(٢) المصدر، ٥٢/١.

والمدينة، أغارت بنو عامر ورئيسهم علقمة بن علاثة على زيد الخيل الطائي فالتقوا بالمضيق فأسرهم زيد الخيل عن آخرهم وكان فيهم الحطيئة فشكا إليه الضايقة فمنَّ عليه، فقال الحطيئة:

«فما نلتنا غدرًا ولكن صبحتنا غداة التقينا في المضيق بأخيل
كريم تفادي الخيل من وقعاته تفادي خشاش الطير من وقع أجدل»^(١)

* أين تقع السقيا؟

تقدم في كلام الحموي أن الفرع التي تقع فيها قرية المضيق تبعد عن السقيا ثلاث مراحل أي ثلاث منازل، فأين تقع السقيا؟

قال البكري الأندلسي: «وبين الرويثة والمدينة سبعة عشر فرسخاً، ومن الرويثة إلى السقيا عشرة فراسخ»^(٢). وقال: «السقيا، بضم أوله، وإسكان ثانيه، بعد الياء أخت الواو، مقصورة: قرية جامعة قد تقدم ذكرها في رسم الفرع، وفي رسم قدس، وهي في طريق مكة، بينها وبين المدينة»^(٣).

وقال البكري أيضاً: «والطريق إلى مكة: من المدينة على العقيق. من المدينة إلى ذي الحليفة ستة أميال، وقيل سبعة، وهو الميقات للناس، وهنالك. منزل رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وارداً وصادراً، ثم إلى الحفين ثمانية أميال من ذي الحليفة، ثم إلى ملل ثمانية أميال، ثم إلى السبيالة سبعة أميال، ثم إلى الروحاء أحد عشر ميلاً، ثم إلى الرويثة أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى الصفراء اثنا عشر ميلاً، ثم إلى بدر عشرون ميلاً. وطريق آخر إلى بدر: تعدل من الروحاء في المضيق

(١) المصدر، ١٤٦/٥.

(٢) البكري، معجم ما استعجم ٦٨٦/٢.

(٣) المصدر ٧٤٢/٣.

إلى خيف نوح، اثنا عشر ميلاً، ثم إلى الخيام أربعة أميال، ثم إلى الأثيل ثلاثة عشر ميلاً، والأثيل من الصفراء، ثم إلى بدر، ويستقيم الطريق من بدر إلى الجحفة يومان في قفر به آبار عذبة. وطريق آخر من الرويثة، وهو أكثر سلوكاً: من الرويثة إلى الاثاية اثنا عشر ميلاً، ومن الاثاية إلى العرج ميلاً، ومن العرج إلى السقيا سبعة عشر ميلاً، ومن السقيا إلى الأبواء تسعة عشر ميلاً، ومن الأبواء الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً، وربما عدل الناس عن الأبواء، فساروا من الشفيا؟ (السقيا) إلى ودان، وهي وراء الأبواء، ناحية عن الطريق، بينهما نحو ثمانية أميال، ومن ودان إلى عقبة هرشي خمسة أميال، وعقبة هرشي إلى ذات الأصافر ميلان، ثم إلى الجحفة، وليس بين الطريقين إلا نحو ميلين. فهذا ذكر الطريق من المدينة إلى الجحفة. وعلى سبعة أميال من السقيا بئر الطلوب، وهي بئر عادية، وهي التي اطلع فيها معاوية، فأصابته اللقوة، فأغذ السير إلى مكة»^(١).

والنتيجة المهمة هنا أن السقيا في الطريق إلى مكة، على بعد اثنين وخمسين ميلاً من الجحفة.

* هل السقيا من قرى الفرع؟

تقدم في كلام الحموي أن الفرع تبعد عن السقيا ثلاث مراحل، إلا أن البكري الأندلسي يرى أن السقيا «من عمل الفرع» فقد قال:

«الفرع بضم أوله ثانيه، بالعين المهملة: حجازي من أعمال المدينة الواسعة. والصفراء وأعمالها من الفرع، ومنضافة إليها. وروى الزبير عن علي بن صالح عن هشام بن عروة، أن الفرع أول قرية مارت إسماعيل

التمر بمكة، وكانت من ديار عاد. وروى الأسلميون عن أشياخهم، أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم نزل في موضع المسجد بالبرود، في مضيق الفرع، فصلى فيه. والفرع على الطريق من مكة إلى المدينة «...» والفرع: من أشرف ولايات المدينة، وذلك أن فيه مساجد لرسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، نزلها مراراً، وأقطع فيها لفغار وأسلم قطائع، وصاحبها يجبي اثني عشر منبراً: منبر بالفرع، ومنبر بمضيقها، على أربعة فراسخ منها، يعرف بمضيق الفرع، ومنبر بالسوارقية، وبسابة، وبرهاط، وبعمق الزرع، وبالجحفة، وبالعرج وبالسقيا، وبالأبواء، وبقديد، وبعسفان، وبإستارة. هذه كلها من عمل الفرع. وقال الزبير: كان حمزة بن عبد الله بن الزبير قد أعطاه أبوه الربض والنجفة، عينين بالفرع تسقيان أزيد من عشرين ألف نخلة. قال ابن إسحاق: وبناحية الفرع معدن يقال له بحران، وإليه بلغ رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم بعقب غزوة السويق، يريد قريشاً، وأقام به شهرين، وانصرف ولم يلق كيداً^(١).

* أين تقع بحران؟

وسواء أكانت السقيا من عمل الفرع أم لم تكن فإن الفائدة العملية هي تحديد المنطقة التي تقع فيها قرية «المضيق» وقد اتضح حتى الآن - إجمالاً - أنها ضمن الدائرة المحيطة بالمدينة المنورة على مسافة تقرب من المائة وخمسين كيلو متراً، ويأتي مزيد إيضاح وتأكيد.

وينفع في هذا السياق الوقوف عند «بحران» التي ورد في آخر نص للبكري عن ابن إسحاق قوله: «و بناحية الفرع معدن يقال له بحران».

(١) معجم ما استعجم ٣/ ١٠٢٠.

قال الحموي: بحران بالضم، موضع بناحية الفرع. قال الواقدي: بين الفرع والمدينة ثمانية برد «..» كذا قيده ابن الفرات بفتح الباء ههنا، وقد قيده في مواضع بضمها وهو المشهور^(١).

وقال الزبيدي: «.. بحران بالفتح، ويضم، وهو بناحية الفرع»^(٢).
وجاء في موقع «وادي حجر» ما يلي:

«وقال الجاسر في كتاب الجوهرتين: أنه يقع على طريق مكة من المدينة، الطريق النجدية، وأنه يبعد عن المدينة بما يقارب مسيرة يومين بسير الإبل، وناحية الفرع لا تزال معروفة واسم بحران لا يزال معروفاً على مقربة من الفرع، يطلق على جبل يقع بين وادي حجر ومر، ويبعد عن الفرع جنوباً نحو خمسين كم، وعن بلدة رابع نحو مئة كم «شرقها». يمر السائر منها إلى حجر بسفحه على مقربه من وادي الأكل. وبحران يبعد عن وسط قرى حجر بمسافة تقارب ٢٥ كم شمال غرب. ويبعد عن أقرب قرية من قرى وادي الفرع بنحو ثلاثين كم جنوباً، ويبلغ طوله أكثر من ٧ كم وبعرض لا يتجاوز ٤ كم في أعلاه تقريباً يتناقص عرضه تدريجياً كلما اتجه إلى الجنوب الغربي مكوناً أكمات متصلة ببعض تمتد مسافة تصل إلى ٢ كم»^(٣).

* وعورة المنطقة

وقال البكري: «قدس، بضم أوله، وإسكان ثانيه، بعده سين مهملة: من جبال تهامة. وهو جبل العرج يتصل بورقان «..» وقدس

(١) الحموي، معجم البلدان ١/٣٤١.

(٢) الزبيدي، تاج العروس ٣/٣١.

(٣) انظر: www.hajor.8m.com «بتصرف يسير».

ينقاد إلى المتعشى، بين العرج والسقيا، ويقطع بينه وبين قدس الآخر الأسود عقبة يقال لها حمت. قاله السكوني. قال: ونبات القدسين العرعر والقرظ والشوحط، وهما لمزينة وفيهما أوшал. «..» وقال مزرد بن ضرار لكعب بن زهير:

وأنت امرؤ من أهل قدس وآرة وأحلتك عبد الله أكناف مبهل

ورواه ابن دريد: فقدس لمزينة، وآرة لجهينة. وقال يعقوب: هما لجهينة. وقوله «أحلتك عبد الله»: يعني عبد الله بن غطفان. ومبهل: لهم. وقال يعقوب بن السكيت: هما مبهلان: واديان يتماشيان من بين ذي العشيرة، وبين الحاجز (الحاجر؟)، حتى يفرغان في الرمة، كثير حمضهما، وهما لعبد الله بن غطفان. قال: رهمان: وادٍ أيضا يماشيها. نقلت ذلك من خط يعقوب. وآرة التي ذكر: جبل شامخ، يقابل قدساً الأسود، من عن يسار الطريق، وقال يعقوب: قدس وآرة: لجهينة، بين حرة بني سليم وبين المدين. وقال السكوني: ينفجر من جوانب آرة عيون، على كل عين قرية. فمنها قرية غنّاء يقال لها الفرع، وهي لقريش والأنصار ومزينة. ومنها قرية يقال لها المضيق، وقرية يقال لها المحضة، وقرية يقال لها خضرة، وقرية الفعو، يكتنف هذه القرى آرة من جميع جوانبها. وفي هذه القرى نخل وزرع، وهي من السقيا على ثلاث مراحل، عن يسار مطلع الشمس، وواديها يصب في الأبواء، ثم في ودان، وودان: من أمهات القرى، لضمرة وكنانة وغفار وفهر قريش، ثم في الطريقة، وهي قرية ليست بالكبيرة على شاطئ البحر. واسم وادي آرة حقل، وقرية يقال لها خلص، وأخرى يقال لها ونعان. «..» ويقابل القدسين عن يمين الطريق للمصعد جبلان، يقال لهما نهبان، نهب الأسفل، ونهب الأعلى، وهما لمزينة، ولبني ليث، فيهما شقص، وفي نهب الأعلى ماء عليه نخلات، يقال له ذو خيم، وفيه

أوشال غير هذه البئر المذكورة ويفرق بين النهبين، وبين قدس وورقان الطريق. وفيه العرج، ووادي العرج يقال له مسيحة، نباته المرخ والأراك والثمار. ويتصل بالقدسين جبال كثيرة ليست بشوامخ، تسمى ذروة، وهي مذكورة في مواضعها^(١).

وقد ذكر البكري في مكان آخر أن من هذه الجبال «الحشا» فقال عنه: «(الحشا) بفتح أوله وثانيه مقصور: جبل شامخ مرتفع، وهو جبل الأبواء، وهي منه على نصف ميل، وهو عن يمين آرة، يمين الطريق للمصعد». إلى مكة^(٢).

ثالثاً: ولدى البحث في المصادر الحديثة اتضح ما يلي:

١ - أن في بلاد الحجاز التي تعرف الآن بالمملكة العربية السعودية على مقربة من هذه المناطق التي يرد ذكرها في تحديد الخبت، مكانين باسم «المضيق» يبعد أحدهما عن المدينة باتجاه مكة أكثر من الآخر.

(١) البكري، معجم ما استعجم، ٣/١٠٥٠ - ١٠٥٢.

(٢) المصدر ٢/٤٤٩. تحدث الميرزا الكمره إي عن وعورة هذه المنطقة التي ضل فيها الدليلان الطريق مع الشهيد مسلم، واستند في ذلك إلى بعض المصادر من جهة، وإلى مشاهداته في الطريق إلى الحج، ومما قاله في هذا المجال: لقد رأيت هذه السنة في سفر الحج هذه الصحراء في بر السعودية. «حيثما توجهت لم أزد إلا تحيراً. حذار هذه الصحراء وهذه الطريق التي لا تنتهي» «مضمون بيت» على مرمى النظر ترى الرمل إلى حد أنك تتصور أن العالم رمل، ثم ترى لونا آخر إذ يظهر بدلاً من الرمل الأرض المفروشة بالحجارة، ويتو إلى التحجر فيتراءى لك أن العالم حجر، ثم ترى الصحراء صافية ملساء والطريق ممتداً فيها ومسطحاً إلى الحد الذي تظن معه أن العالم ليس سوى هذه الصحراء المنبسطة، ثم تصل إلى الجبال والهضاب في سلسلة متصلة ممتدة إلى حيث تظن أن العالم جبل. كانت هذه الصحراء مخوفة جداً بحيث أن خوف الغرق في البحر ليس أقل من خوف الغرق فيها. كان برؤها الحارق بحصائه يلوح بسرابه من بعيد كأنه البحر. الشجيرة الصغيرة كانت تبدو للعين من بعيد كالشجرة المقلوبة الغارقة في ذلك السراب الملتبس بالماء. وعندما نصل فلا ماء ثمة ولا شجرة ولا موجاً. . . . بعض سائقي السيارات الخبراء بالطريق من الكويتيين والحجازيين ضلوا الطريق. ضابط شرطة سعودي قال وهو في الرمل: نحن أهل هذه المنطقة قد نتيه عن الطريق. كنا نستقل سيارات سريعة وبعد عدة أيام لم نر فيها إطلاقاً عصفوراً يطير في الهواء، استبد بنا الفرح لأننا اقتربنا من الماء وال عمران. «عنصر شجاعت» (م.م) ٤/٣٩٨ - ٤٠٠ بتصرف يسير.

والثاني: هو الذي يبدو أن الحموي تحدث عنه وهو يقع بمنطقة وادي الفرع التي تضم عدة قرى لم يذكر المصدر أسماءها جميعاً، وأورد من قرية المضيق الصورة التالية:



منازل أثرية بقرية المضيق^(١)

٢ - يقع «وادي الفرع» الذي تعتبر قرية «المضيق» إحدى قرأه على بعد حوالي مائة وخمسة وأربعين كيلومتراً جنوبي المدينة المنورة كما ورد في صفحة إمارة المدينة المنورة^(٢) وينبغي التنبه إلى أن قرية المضيق تبعد عن المدينة أكثر من ذلك، فهي في مركز «وادي الفرع» الذي يضم عدداً كبيراً من القرى.

(١) نقلاً عن: www.momra.gov.sa صفحة وزارة الشؤون البلدية والقروية - السعودية. وسيأتي نقلاً عن شبكة الفرقان السلفية أنه يبعد عن المدينة ١٧٥ كلم وتعداد القرى الواقعة فيه وإن قرية «أبو ضباح» آخرها.

(٢) انظر: www.imaratalmadinah.gov.sa/arabic/madinah.php3

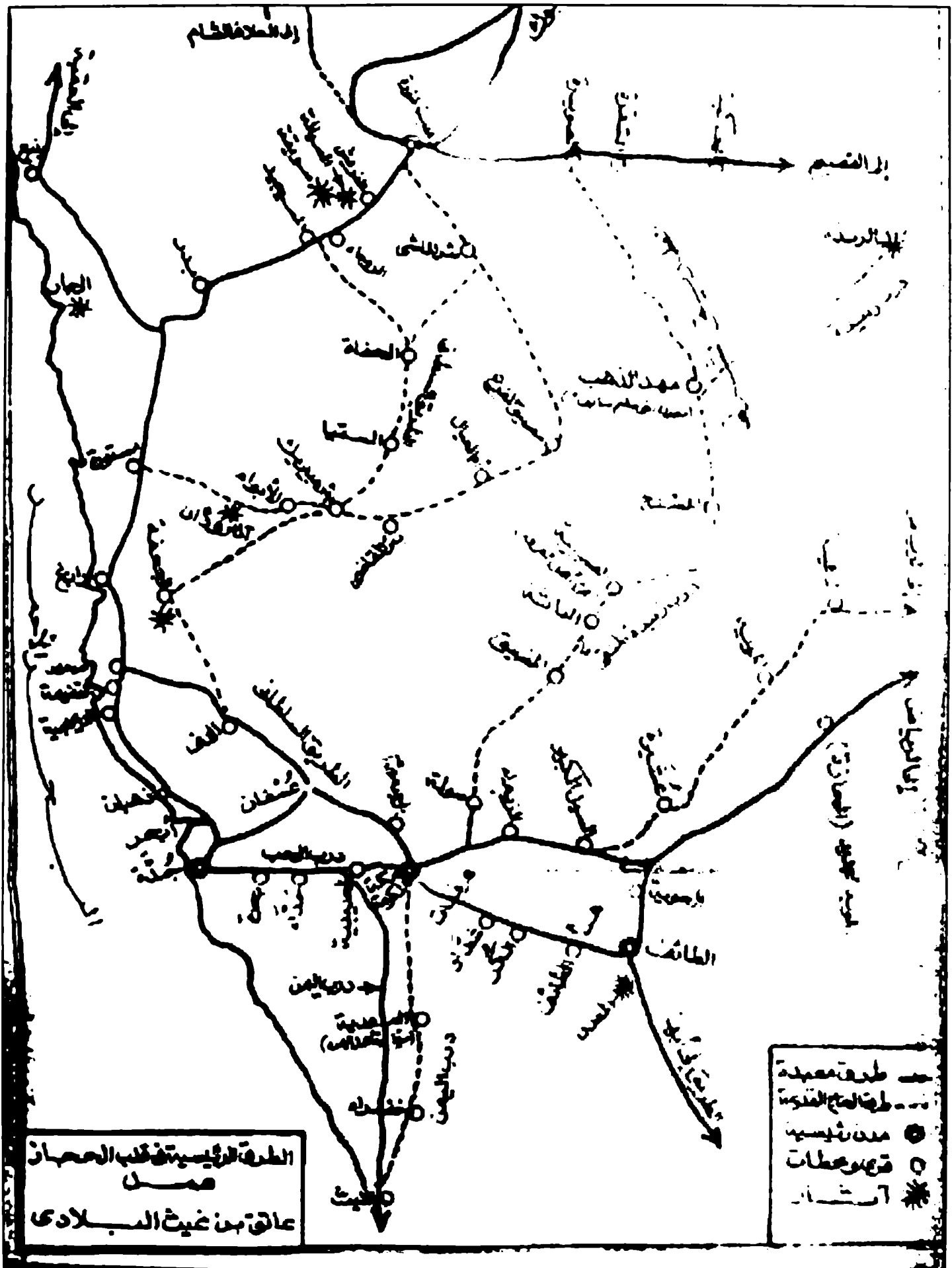
٣ - وبحسب موقع «شبكة الفرقان السلفية» على الأنترنت، فإن المسافة أكثر من ذلك فقد ورد فيه: «يسكن بنو جهم قرية «أبو ضباع» وهي آخر قرى وادي الفُرع الذي يتكون من عدة قرى، وهي: (الريان، الفقير، السدر، المضيق، أم العيال، أبو ضباع). ووادي الفُرع يبعد عن المدينة النبوية قرابة ١٧٥ كلم على طريق مكة. وجميع قرى وادي الفُرع أهلها من بني عمرو الحروب السنة إلا قرية أبو ضباع التي تعتبر مركز الرفض في الوادي التي يسكنها بنو جهم وبعض الأشراف الراضية. وهي عدة خيوف (الخيف هو المنطقة التي يكثر فيها أشجار النخيل)».

جاء ذلك في معرض شنشنة تُعرف من أخزم عن «الراضية» في هذه المنطقة^(١).

وبناء على ما تقدم يتضح أن الشهيد مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه كان قد توجه من المدينة باتجاه العراق فرأى أنه بعد أن ضل الدليلان قد اقترب من مكة بدل أن يكون على بعد مسير يومين تقريباً من المدينة من الجهة المغايرة لجهة مكة، وكان لابد من التوقف بعض الوقت للإستراحة قبل مواصلة المسير، ولمعرفته بحقيقة رأي الإمام عليه السلام في أهل الكوفة كتب إليه كما عرفت.

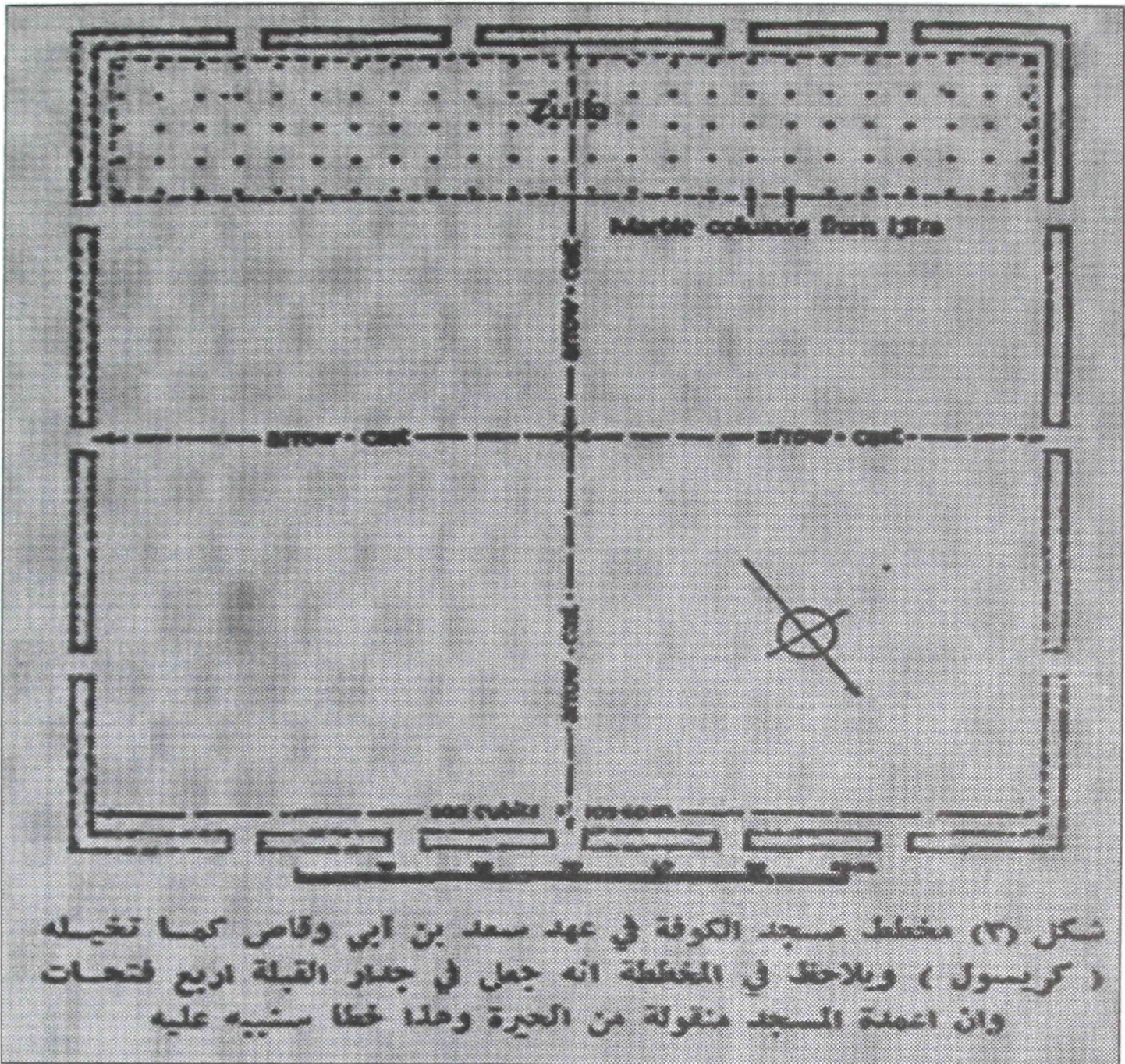
وفي مايلي ملحق بخرائط تظهر فيها المنطقة التي وردت أسماء عدة معالم منها في الحديث عن المضيق من بطن الخبت.

(١) انظر: news.1027.html/http://www.sahab.ws4036 شبكة الفرقان السلفية.

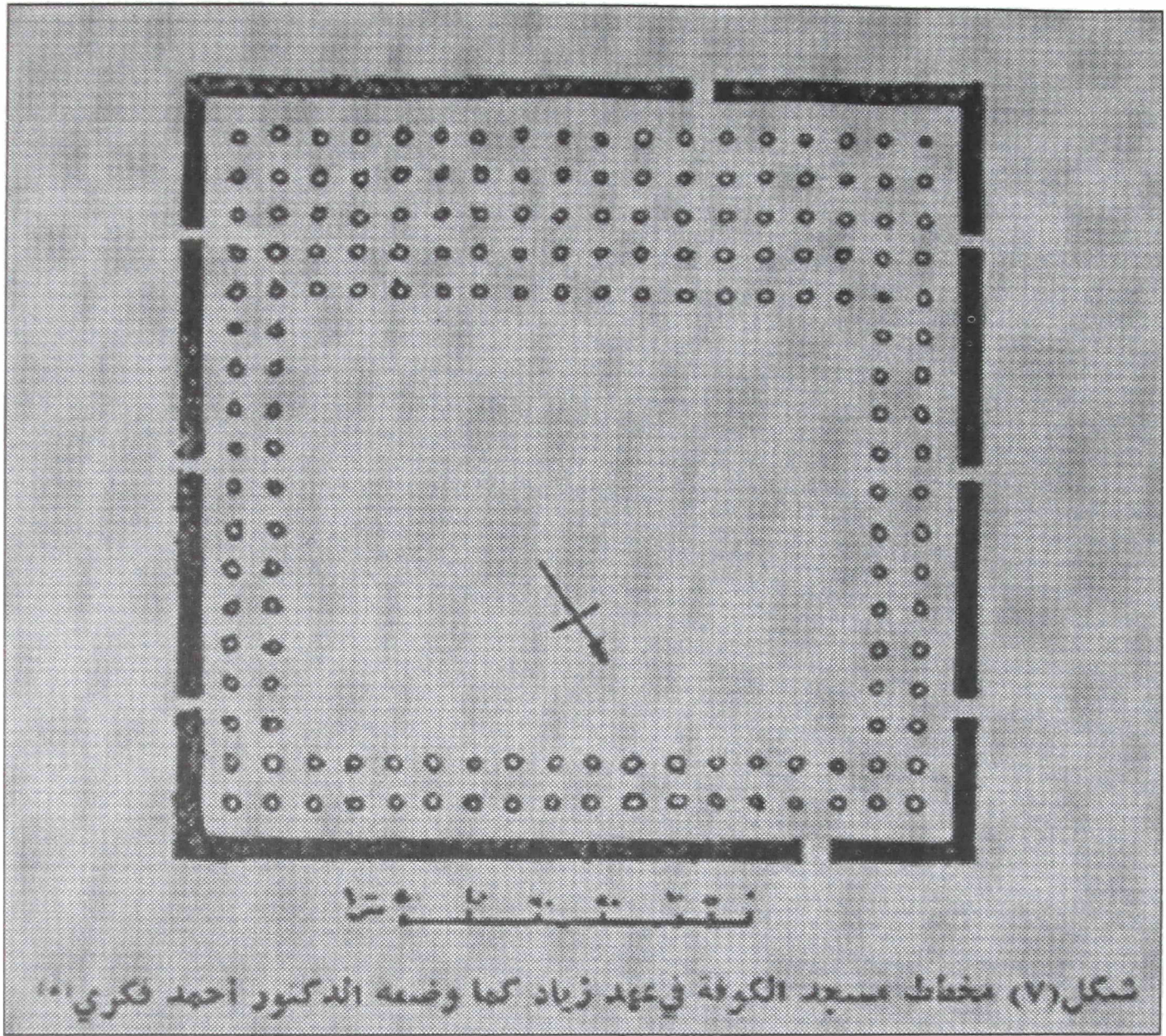


خريطة رقم ٤ تظهر فيها المناطق الواقعة بين مكة والمدينة، وكان الشهيد مسلم ومن معه في المنطقة الواقعة على الخريطة بين القصيم وتبوك، إلا أن عورة المكان وعدم خبرة الدليلين أوصلتهم إلى «المضيق» وكما ترى هناك مكانان بهذا الاسم إلا أن ما يدل عليه تحديد الحموي هو «مضيق الفرع» وليس «المضيق» وإذا كان الثاني هو المراد فهو إلى مكة أقرب، إلا أن الراجح بل المتعين هو الأول، وتوضح الخريطة المسافة التي تفصل بينه وبين الجحفة ومكة.

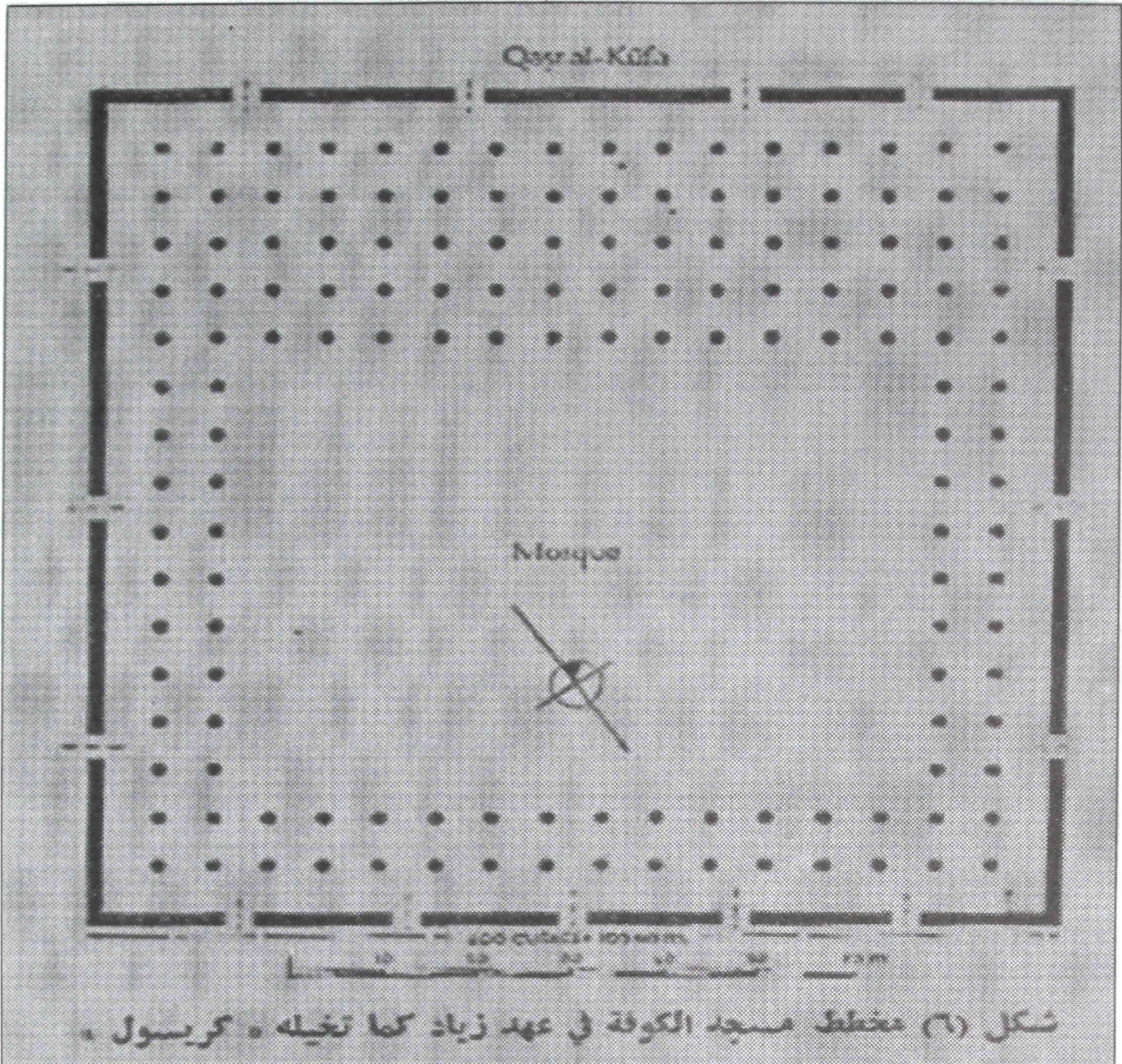
ملحق خرائط الكوفة



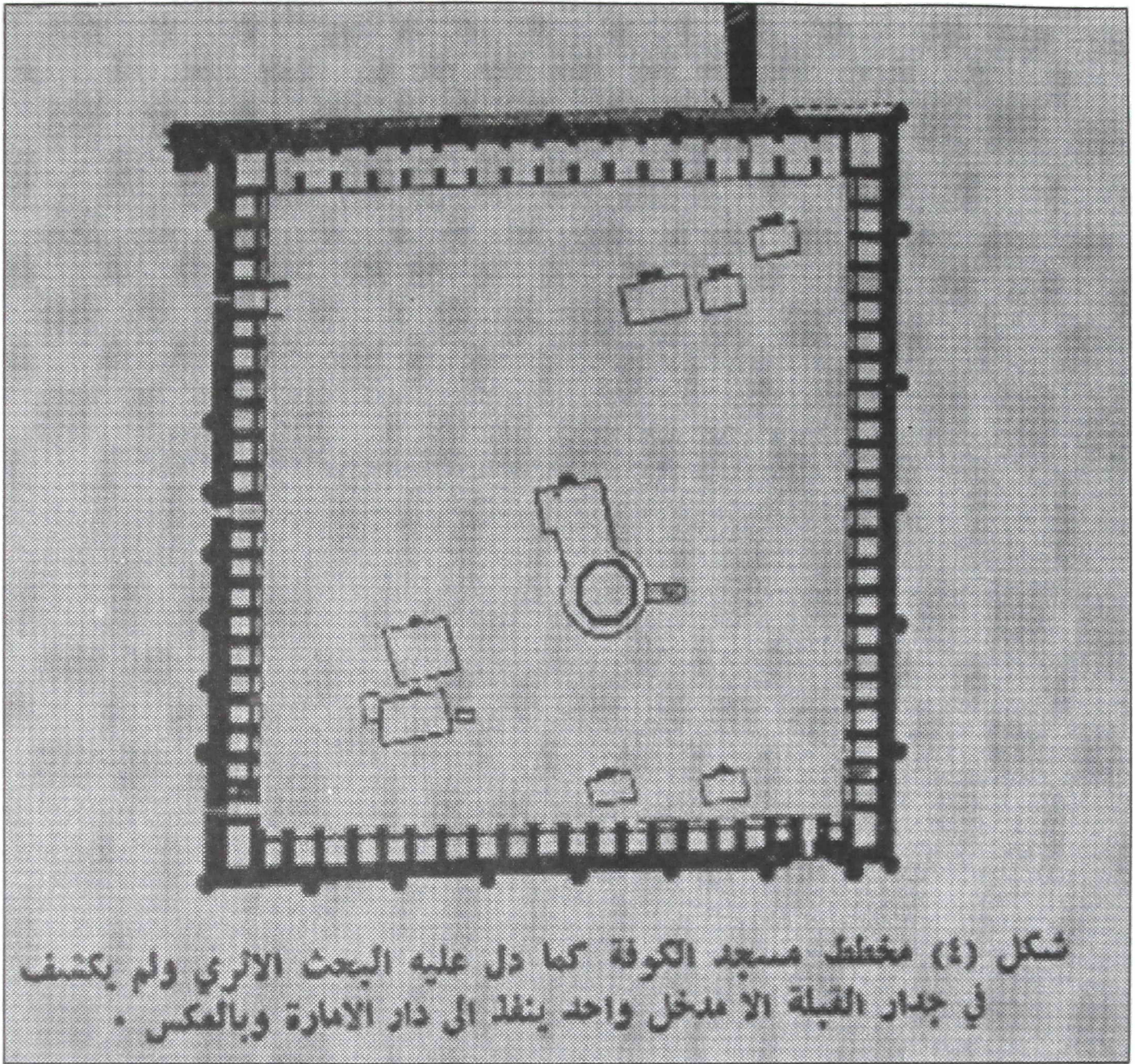
كان في مقدمة المسجد مساحة مسقفة هي التي فيها النقط التي يرمز كل منها إلى عمود، ومثل هذه الظلة أقيم في البناء التالي للمسجد كما يأتي. وترمز كل فتحة في الجهات المختلفة إلى باب، ومحل الحاجة أبواب الجهة القبليّة حيث كان على يمينها باب كندة، وفي المساحة المتلاصقة من جدار المسجد القبلي وسور القصر المداخل السرية من القصر إلى المسجد وبالعكس.



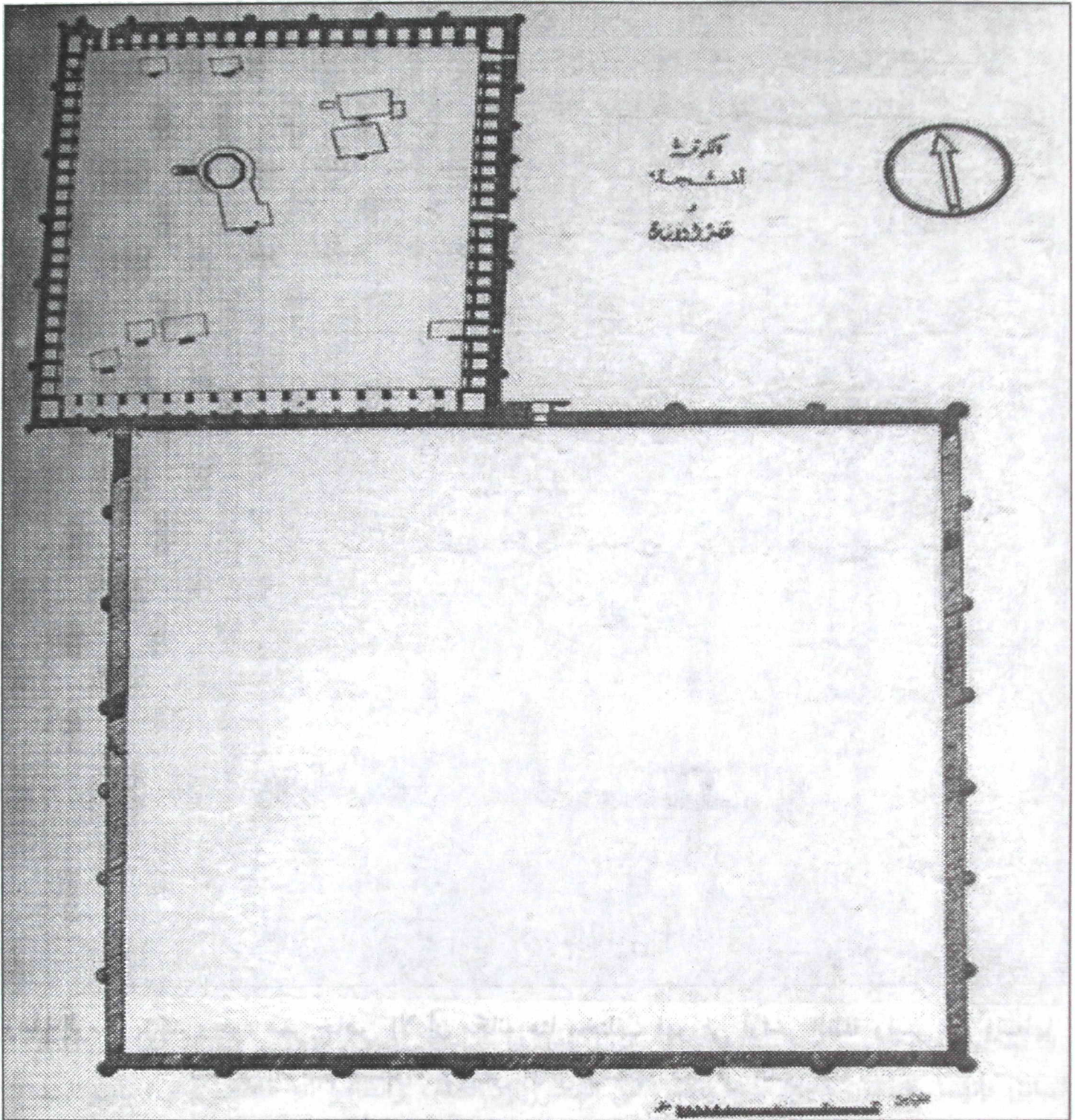
وفي عهد معاوية بن زياد بن أبيه المسجد، فأضاف إلى الظلة المسقفة مساحات آخر مسقفة أيضاً كما يظهر في هذا الرسم ويلاحظ هنا أن المدخل بين المسجد والقصر واحد وليس متعدداً كما في الرسم السابق.



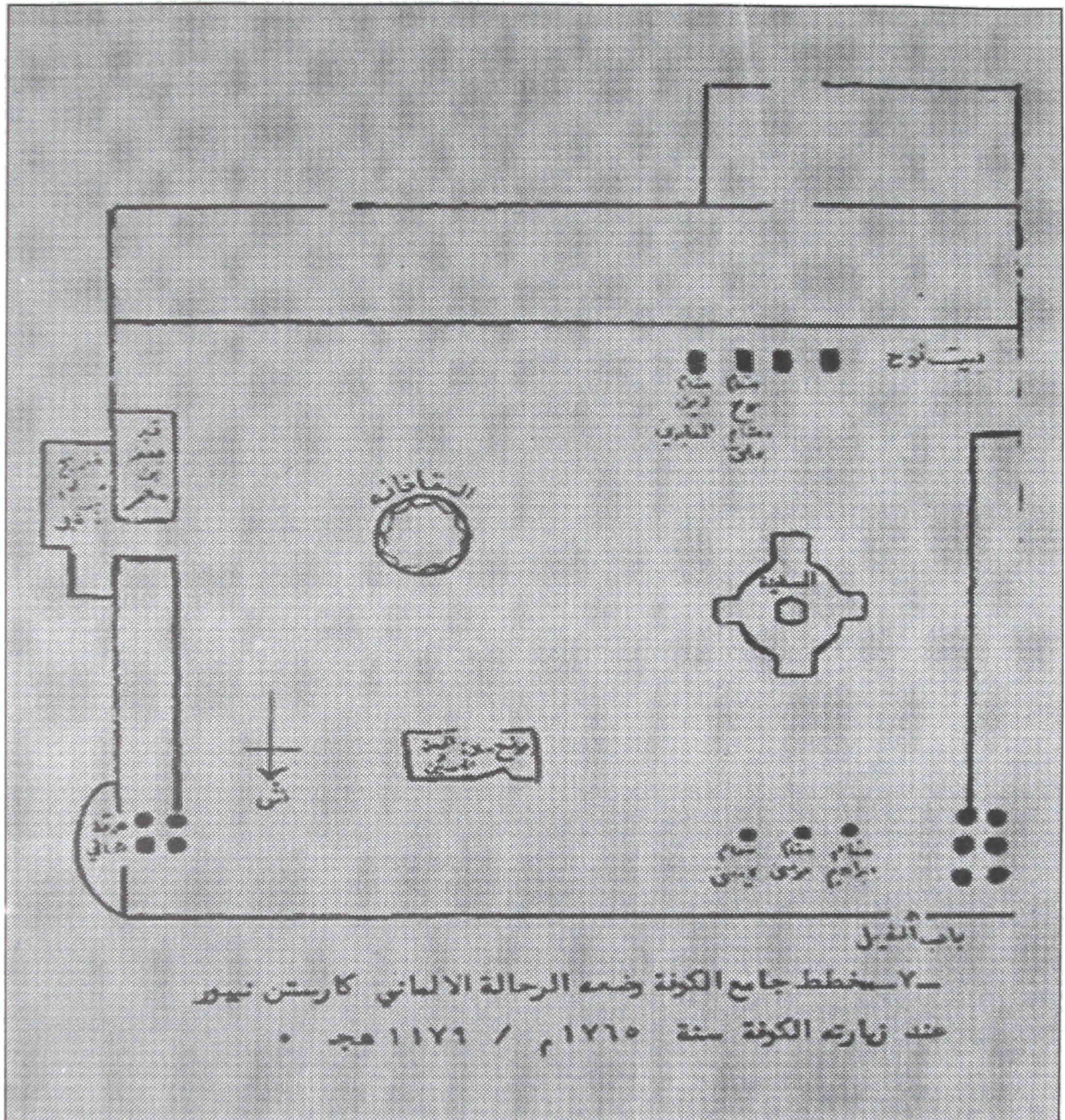
لا يختلف هذا الرسم عن سابقه إلا في تعدد المداخل بين المسجد والقصر، وسواء أخذنا بهذا أو السابق فإنهما يكشفان وجود باب يفضي من القصر إلى الظلة، والظاهر أنه المقصود بـ «باب السدة» الذي خرج منه ابن زياد إلى المسجد بعد تفرق الناس، والفتحة الأولى التي على يمين المتوجه إلى القبلة، هي «باب كندة». وتشير بعض النصوص إلى أن عدة أبواب كانت تقع في تلك الجهة، وعنها كان يعبر بـ «أبواب كندة».



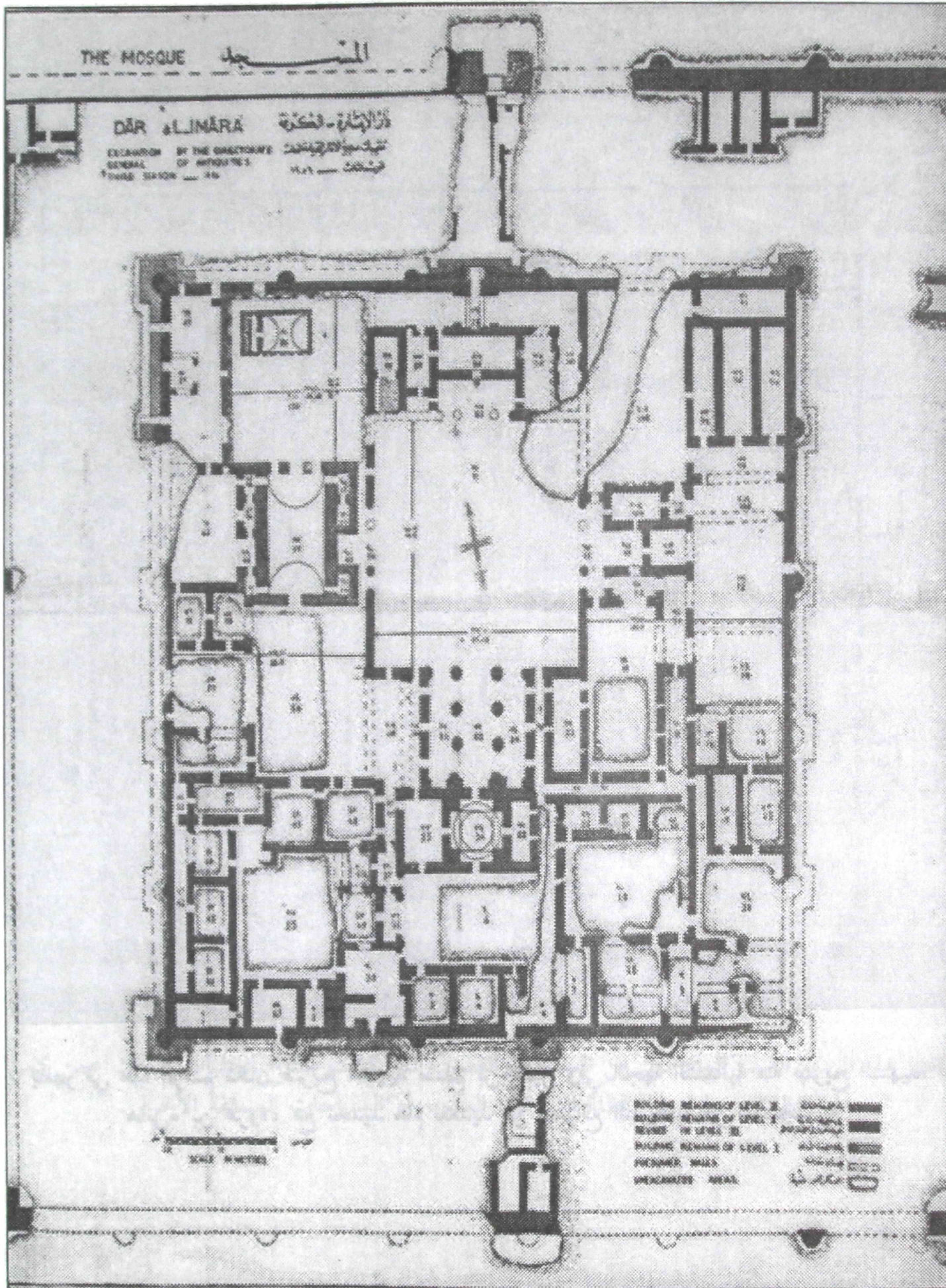
وهذا الرسم يؤكد وجود ممر خاص إلا أن مكانه هنا مختلف فهو في أواخر الظلة وليس في وسطها كما في الرسم السابق، ولا في أوائل وسطها كما في الذي قبله.



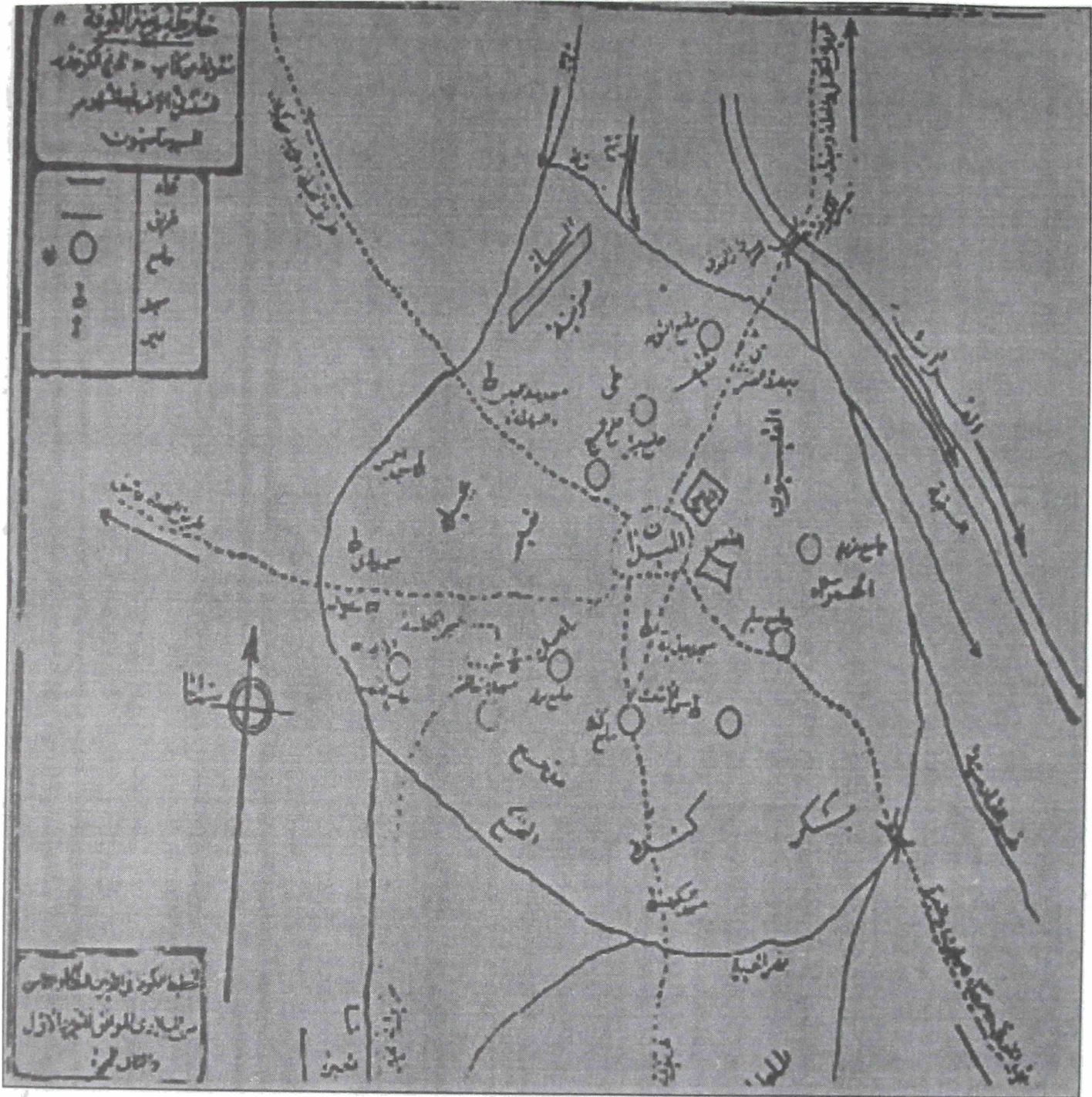
يظهر هذا الرسم القسم المتلاصق من المسجد والقصر والتي كانت مسرح عمليات البحث عن كمن في الظلال، سواء في الظلة التي فيها المنبر، أو المساحات المسقفة الأخرى.



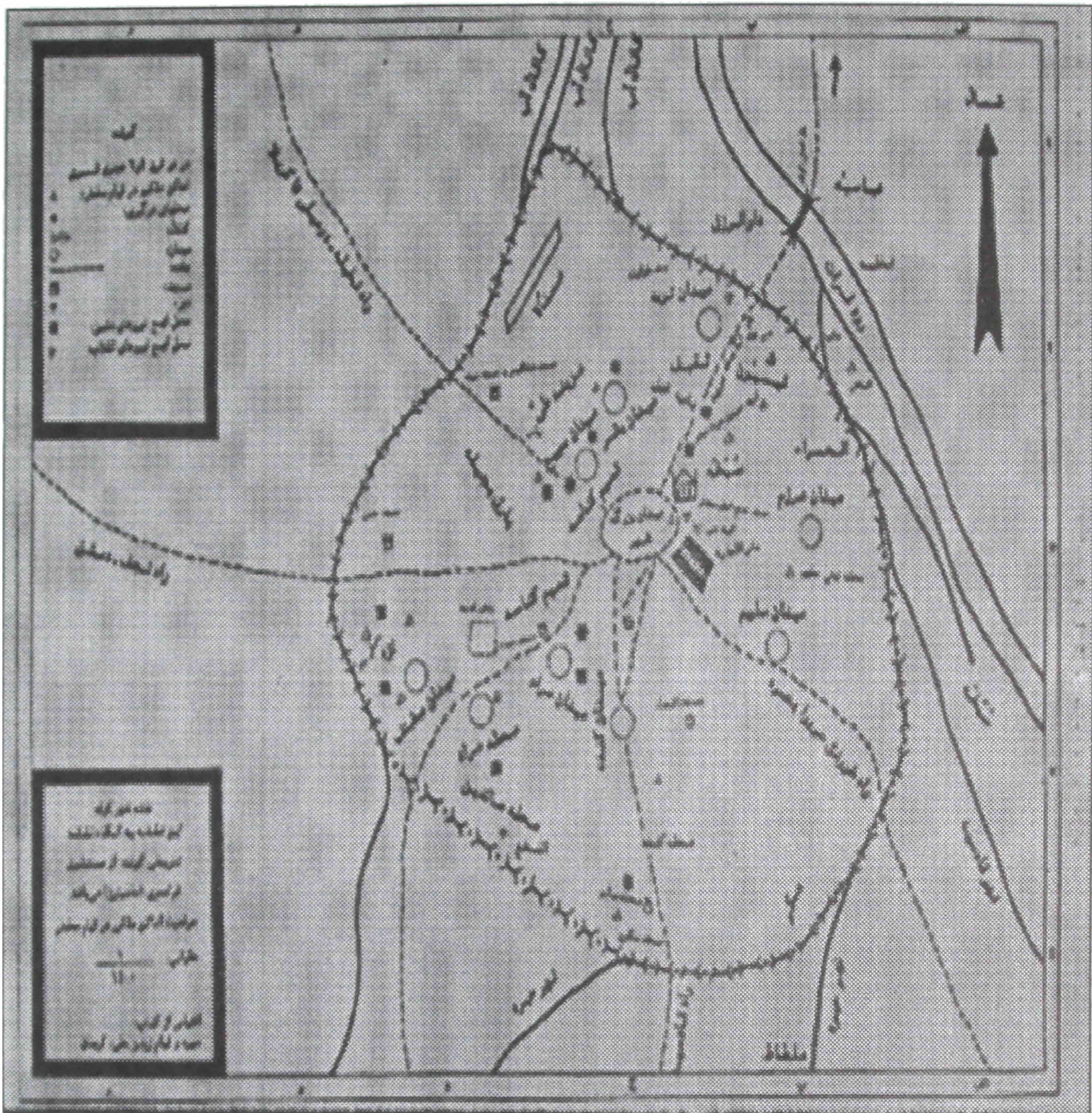
يظهر في هذا الرسم مكان ضريح الشهيد مسلم بن عقيل وفي الجهة الشمالية منه ضريح الشهيد هانيء بن عروة، مع تحديد هام للعديد من المواقع التاريخية في المسجد.



مخطط عام لقصر الإمارة كما أظهرته عمليات التنقيب.



خريطة عامة للكوفة وتوزيع القبائل على أحيائها، وبيان عدد من المواقع المهمة، وتظهر فيها منطقة «مذبح» و«مراد» حيث كان بيت الشهيد هانيء بن عروة الذي حل فيه الشهيد مسلم. عن: تاريخ الكوفة للبراقى مع تحقيقاته الأهم للسيد محمد صادق بحر العلوم.



نفس الخريطة مترجمة إلى الفارسية مع إضافات، تظهر فيها منطقة العباسية والنخيلة التي كانت الكناسة فيها أو قريباً منها، حيث تم صلب الشهيدين، بعد أن سحبا إليها من القصر. عن كتاب: قيام مختار. سيد أبو فاضل أردوكاني. (فارسي). إصدار مركز مطالعات وتحقيقات إسلامي.

فهرس المصادر^(١)

بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة:

- * إصار العين / السماوي، محمد بن الشيخ طاهر، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.
- * أخبار الزمان ومن أباده الحدثان / المسعودي، أبو الحسن علي عبد الحسين بن علي.
- * الأخبار الطوال / الدينوري، أحمد بن داود.
- * الإستغاثة / أبو القاسم الكوفي (علي بن أحمد بن موسى).
- * أسد الغابة في معرفة الصحابة / ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني).
- * الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي.
- * إعلام الوری بأعلام الهدى / الطبرسي، الفضل بن الحسن.
- * الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين / الزركلي، خيرالدين.

(١) معظم هذه المصادر طبقاً لنسخة برنامج المعجم الفقهي (قرص ممغنط) الإصدار الثالث. ونظراً إلى أن تحويل البطاقات إلى ملف قد يقلب ترتيب أرقام الأجزاء والصفحات فيجعل ٢٣ مثلاً ٣٢ فليلاحظ ذلك في أرقام الصفحات بشكل خاص، فلعله لم يتم التنبه لبعض الموارد.

- * الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام / الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- * الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب / ابن ماكولا.
- * الأمالي / الشريف المرتضى (أبو القاسم علي بن الحسين).
- * الأمالي / الشيخ الصدوق (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي).
- * الإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / الطبسي، نجم الدين.
- * الإمامة والسياسة / ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري)؛ تحقيق علي شيري.
- * أنساب الأشراف / البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر.
- * أنصار الحسين عليه السلام / شمس الدين، محمد مهدي.
- * الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية / النقدي، جعفر.
- * إيضاح الإشتباه / العلامة الحلي (الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي).
- * الإختصاص / الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- * إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) / الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).
- * الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- * بحار الأنوار / المجلسي، محمد باقر.

- * البداية والنهاية / ابن كثير (إسماعيل بن كثير الدمشقي).
- * بلاغات النساء / ابن طيفور (أبو الفضل بن أبي طاهر).
- * تاج العروس من جواهر القاموس / الزبيدي، محمد مرتضى.
- * تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون).
- * تاريخ آل زرارة / أبو غالب الزراري (أحمد بن محمد الزراري).
- * تاريخ الأمم والملوك / الطبري (محمد بن جرير الطبري).
- * تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس / الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع.
- * التاريخ الكبير / البخاري، محمد بن اسماعيل.
- * تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية) / ابن شبة النميري، عمر.
- * تاريخ بغداد أو مدينة السلام / الخطيب البغدادي (أحمد بن علي).
- * تاريخ خليفة بن خياط / العصفري، خليفة بن خياط.
- * تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي).
- * تجارب الأمم / مسكوية، دار سروش، طهران، ١٤٠٧ هـ.
- * التحرير الطاوسي / حسن بن زين الدين (صاحب المعالم).
- * ترجمة الإمام الحسين عليه السلام / ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي).
- * تقريب التهذيب / ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي.

- * تلخيص الشافي / الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).
- * تنقيح المقال في علم الرجال / المامقاني (الشيخ عبد الله المامقاني)،
المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٢ هـ.
- * تهذيب التهذيب / ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي.
- * تهذيب الكمال في أسماء الرجال / المزي (أبو الحجاج يوسف المزي).
- * تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال / الأبطحي، محمد علي الموحد.
- * الجرح والتعديل / الرازي (عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الرازي).
- * جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبيطالب عليه السلام / ابن
الدمشقي (محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي).
- * حياة الإمام الحسين عليه السلام / القرشي، باقر شريف.
- * الخرائج والجرائح / الراوندي، قطب الدين.
- * خصائص الأئمة / الشريف الرضي (محمد بن الحسين بن موسى
الموسوي البغدادي).
- * خلاصة الأقوال في معرفة الرجال / العلامة الحلبي (أبو منصور
الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي الحلبي).
- * الدر النضيد في مرآة السبط الشهيد / الأمين، السيد محسن، مطبعة
الإتقان، دمشق، ١٩٤٦.
- * الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة / المدني الشيرازي، السيد علي خان.
- * دلائل الإمامة / الطبري الإمامي، محمد بن جرير بن رستم.
- * الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج / السيوطي، عبد الرحمن بن
أبي بكر.

- * ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى / الطبري، أحمد بن عبد الله.
- * رجال ابن داود / ابن داود الحلبي، الحسن بن علي.
- * رجال الطوسي / الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).
- * رجال النجاشي / النجاشي الأسدي الكوفي، أحمد بن علي.
- * روضة الواعظين / الفتال النيسابوري (محمد بن الفتال النيسابوري).
- * سير أعلام النبلاء / الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي).
- * شرح النهج / ابن أبي الحديد (عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني).
- * شرح مائة كلمة / ابن ميثم البحراني (ميثم بن علي بن ميثم البحراني).
- * الشهيد مسلم بن عقيل / المقرم، عبد الرزاق الموسوي.
- * الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية / الجوهري، إسماعيل بن حماد.
- * الضعفاء الكبير / العقيلي، محمد بن عمرو بن موسى.
- * الطبقات الكبرى / ابن سعد (محمد بن سعد).
- * طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال / البروجردي، السيد علي أصغر.
- * عدة الداعي ونجاح الساعي / ابن فهد الحلبي (أحمد بن فهد الحلبي).
- * عنصر شجاعت يا فداكارى هفتاد ودوتن ويك تن (فارسي، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة السيد المرعشي، قم.) / كوه كمره إي، الميرزا خليل الصيمري.
- * عوائد الايام / المحقق النراقي (المولى أحمد النراقي).

- * العوالم - الإمام الحسن عليه السلام / البحراني، عبدالله.
- * الغارات / الثقفي الكوفي، إبراهيم بن محمد.
- * فتوح البلدان / البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر.
- * فتوح الشام / الواقدي.
- * فرسان الهيجاء (فارسي) / المحلاتي، ذبيح الله، مركز نشر كتاب، طهران، ١٣٩٠ هـ.ج.
- * الفوائد الرجالية (رجال بحر العلوم) / بحر العلوم الطباطبائي، السيد محمد مهدي.
- * قاموس الرجال / المحقق التستري (محمد تقي التستري)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٥ هـ.ج.
- * القاموس المحيط / الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب.
- * كتاب الأربعين / القمي الشيرازي، محمد طاهر.
- * كتاب الثقات / ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي).
- * كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى / ابن ادريس الحلبي، أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد.
- * كتاب العين / الفراهيدي، الخليل بن أحمد.
- * كشف الغمة في معرفة الائمة / الإربلي (أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي)، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ.ج.
- * لب اللباب في تحرير الأنساب / السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر.
- * لسان العرب / ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري).

- * اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس (ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر).
- * لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام / الأمين، السيد محسن.
- * مثير الأحزان / ابن نما الحلبي (محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلبي).
- * مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي، الفضل بن الحسن.
- * المحبر / البغدادي، محمد بن حبيب.
- * مروج الذهب / المسعودي، أبو الحسن علي عبد الحسين بن علي ، دار الأندلس، بيروت.
- * مستند الشيعة / المحقق النراقي (المولى أحمد النراقي).
- * مشارق الشموس في شرح الدروس / المحقق الخوانساري (حسين بن جمال الدين محمد الخوانساري).
- * المعارف / ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري).
- * معجم البلدان / الحموي (ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي).
- * معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة / السيد الخوئي (الموسوي الخوئي، أبو القاسم).
- * معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / البكري (عبد الله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي).
- * مقاتل الطالبين / الأصفهاني، أبو الفرج.
- * مقتل الحسين (برواية أحمد بن أعثم الكوفي) / الخوارزمي، تحقيق السماوي، دار أنوار الهدى.

- * مقتل الحسين أو حديث كربلاء / المقدم، عبد الرزاق الموسوي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- * مقتل الحسين عليه السلام (مقتل أبي مخنف المتخذ من تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري) / أبو مخنف (لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي)؛ تحقيق حسن الغفاري.
- * مقدمة الطبقات الكبرى / عباس، إحسان.
- * مقدمة فتح الباري: شرح صحيح البخاري / ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي.
- * مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب (محمد بن علي بن شهر آشوب).
- * مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام / الكوفي القاضي، الحافظ محمد بن سليمان.
- * المنتخب من كتاب ذيل المذيل / الطبري (محمد بن جرير الطبري).
- * منتهى الآمال / المحدث القمي (الشيخ عباس القمي).
- * مواقف الشيعة / الأحمدي الميانجي، علي.
- * موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام / محمود شريف (معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام).
- * ميزان الاعتدال في نقد الرجال / الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي).
- * نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين / الزرندي الحنفي، محمد بن يوسف بن الحسن.

* نفس المهموم / المحدث القمي (الشيخ عباس القمي)، مكتبة بصيرتي، قم، ١٤٠٥ هـ.

* النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني).

* وسيلة الدارين / الزنجاني، السيد إبراهيم. مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٢ هـ.

* ينابيع المودة لذوي القربى / القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم.

—

الفهرس

٥	الإهداء
٧	المقدمة
٧	حول مادة الكتاب
١٠	المنهج المعتمد
١٧	الفصل الأول: المعارضة في الكوفة
١٩	مهمة الشهيد مسلم: الجو العام
٢٣	يزيد: البيعة أو القتل
٣١	ماذا جرى في الكوفة؟
٣٩	الكوفة: الحاضرة الإسلامية الأبرز
٣٩	تمصير الكوفة
٤٣	غير العرب والمسلمين
٤٥	حدودها
٤٦	المصر الأعظم
٥١	من هو الشهيد مسلم بن عقيل؟
٥١	على أعتابه
٥٣	محاوور التعريف بالشهيد
٥٤	في المحور الأول: الأسرة.

- ٦٠ وفي المحور الثاني: السُّرْب
- ٦٠ أخي وثقتي من أهلي
- ٦٢ ملامح من شخصية الشهيد
- ٧٤ الواقدي و«فتوح الشام»؟
- ٧٧ المحطة الثانية: قيمة نصوص «فتوح الشام»
- المحطة الثالثة: استعراض أهم ما في نصوص «فتوح الشام» حول الشهيد
- ٧٩ مسلم بن عقيل
- ٨٢ المحور الخامس: مهمة الشهيد مسلم في الكوفة
- ٨٦ في الطريق؟
- ٩٣ دخول الكوفة
- ٩٤ هل نزل مسلم في دار المختار
- ٩٨ بيعة الكوفيين
- ٩٩ رسالته إلى الإمام
- ١٠١ رسالة الإمام، بعد البيعة
- ١٠٢ الإفادة من الممكن
- ١٠٥ إتمام الحجّة:
- ١٠٧ تنفيذ المهمة: الخطوط العامة
- ١١١ الفصل الثاني: حبّ الدنيا يلوّن الكوفيين
- ١١٣ النعمان بن بشير
- ١١٧ ابن زياد، إلى الكوفة
- ١١٩ كيف دخل الكوفة؟
- ١٢٠ الإستبدال الكوفي

- ١٣٠ في بيت الشهيد هانيء بن عروة
- ١٣٠ إلى بيت هانيء
- ١٣٢ على أعتابه
- ١٣٢ ضبط الإسم
- ١٣٣ أبرز الملامح
- ١٣٦ اعتراضات مردودة
- ١٤٠ البيت وما حوله
- ١٤١ شريك بن الأعور
- ١٤٣ إغتيال ابن زياد: فكرة أم محاولة؟
- ١٥٧ الإختراق الأمني لعرين الثورة
- ١٥٧ معقل: جاسوس الجهاد بالمال!
- ١٦١ كيف واجه مسلم بن عوسجة الموقف؟
- ١٦٢ معقل يخترق عرين الثورة
- ١٦٧ الفصل الثالث: كيف تم تفكيك المعارضة
- ١٦٩ التخطيط لاستدراج هانيء
- ١٧٣ الإستدراج
- ١٧٨ هانيء في مجلس ابن زياد
- ١٨١ الخوف من ردة الفعل
- ١٨٤ عمرو بن الحجاج يمثل دوره!
- ١٨٥ عالم البلاط، غطاء لباعة الضمير
- ١٨٨ من هو شُريح؟
- ١٩٢ ومن هو عمرو بن الحجاج؟

- ١٩٧ وهانيء ينتظر
- ١٩٨ مسلم يعلن النفير
- ٢٠٠ تعبئة الجيش
- ٢٠٢ بوادر الإنهيار
- ٢٠٣ الجيش يطوق قصر الإمارة
- ٢٠٧ وجاء دور رؤساء العشائر
- ٢١٥ قراءة في الموقف
- ٢١٦ من هو كثير بن شهاب؟
- ٢١٩ لماذا لم يتم اقتحام القصر؟
- ٢٢٢ لماذا لم يحكم الحصار على القصر؟
- ٢٢٤ وما حكاية «باب الروميين»؟
- ٢٢٥ وما هي أبعاد التخويف بجيوش الشام؟
- ٢٣٣ الفصل الرابع: الانقلاب الثاني على الأعقاب
- ٢٣٥ الزلزال الكوفي
- ٢٣٦ ابن زياد، لا يُصدّق!
- ٢٣٨ القصر والمسجد: بعض الخصائص
- ٢٤٠ عمليات البحث المضنية
- ٢٤٤ وامتلاً المسجد مجدداً
- ٢٤٥ ماذا جرى لمسلم؟
- ٢٥٠ من هو الأشعث، مولى طوعة؟
- ٢٥٢ طوعة: الموقف المدرسة
- ٢٥٤ وشاية آل الأشعث

- ٢٥٥ ابن الأشعث يقود المهاجمين
- ٢٥٧ المواجهة
- ٢٦٤ كيف اعتقل؟
- ٢٦٥ هل أُعطي الأمان؟
- ٢٦٧ في الطريق إلى القصر
- ٢٧١ التعاطف المزعوم
- ٢٧٢ «الوجهاء» جلوس بالباب!
- ٢٧٥ نصوص الحوار العاصف: ما هو لي بأمير!
- ٢٩٠ قراءة في الحوار: أعمال كسرى وقيصر
- ٢٩٣ وصية الشهيد
- ٢٩٥ الشهادة
- ٢٩٩ الدروس الخالدة
- ٣٠١ شهادة هانيء: متى قتل؟
- ٣٠٢ وأين؟
- ٣٠٧ التمثيل بالشهيد
- ٣٠٧ الجر بالحبال
- ٣٠٩ الصُّلب: أول قتيل هاشمي يصلب
- ٣١١ نصب الرأسين في الشام: أول رأس هاشمي يحمل إليها!
- ٣١٢ نظرة في الأسباب
- ٣١٧ الفصل الخامس: تداعيات الإنهيار الكوفي
- ٣١٩ الكوفة بعد الشهيد
- ٣٢٣ المختار في مازق

- ٣٢٨ من المشهد الكوفي: التواري، وأخذ الأمان
- ٣٢٩ الحلقات المفقودة
- ٣٣١ عبرتان برسم الأجيال
- ٣٣٤ الشهداء في الكوفة
- ٣٣٤ أبرز تداعيات الانهيار الكوفي - بعد الشهيدين - أمران:
- ٣٣٦ الشهيد عبد الله بن بقطر
- ٣٣٦ على أعتابه
- ٣٣٧ ضبط الإسم
- ٣٣٨ محاور التعريف بالشهيد
- ٣٤٨ الشهادة
- ٣٥٧ الشهيد قيس بن مُسهر الصيداوي
- ٣٥٧ على أعتابه
- ٣٥٨ ضبط الإسم
- ٣٥٩ محاور التعريف بالشهيد
- ٣٧٨ الشهيد عبد الأعلى بن يزيد الكلبي
- ٣٧٨ على أعتابه
- ٣٧٨ ضبط الإسم
- ٣٧٩ محاور التعريف بالشهيد
- ٣٨٢ الشهادة
- ٣٨٦ الشهيد عمارة بن صلخب الأزدي
- ٣٨٦ على أعتابه
- ٣٨٦ ضبط الإسم

- ٣٨٧ محاور التعريف بالشهيد
- ٣٩٦ الشهيد ميثم التمار
- ٣٩٦ على أعتابه
- ٣٩٨ ضبط الإسم
- ٤٠٠ محاور التعريف بالشهيد
- ٤٠٤ عاشر عشرة، أصحاب الأخدود
- ٤٢٠ لم تثبت شهادتهم أو ثبت عدمها
- ٤٢٥ ١ - الشهيد رُشيد الهجري
- ٤٢٧ ٢ - العباس الجدلي
- ٤٣١ ٣ - عبد الله بن عزيز الكندي = عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي؟
- ٤٣٥ ٤ - عبد الله بن الحارث
- ٤٤١ الشهيد الكربلائي الأول
- ٤٤٤ الشهيد أبو رزين رضوان الله تعالى عليه
- ٤٤٤ على أعتابه
- ٤٤٦ محاولة التعرف على الشهيد
- ٤٤٩ ضبط الإسم
- ٤٥٢ بين «سليمانين»
- ٤٥٤ وقفة مع ما تقدم:
- ٤٥٧ أبو رزين في مصادر الرجال
- ٤٦٢ عبيد؟
- ٤٧٠ النتائج:
- ٤٧٠ أولاً: حول الإسم:

- ٤٧١ ثانياً: في البحث حول الكنية:
- ٤٧٢ ثالثاً: القرائن المرجحة:
- ٤٨٢ رابعاً: الرسالة: المضمون والنتائج
- ٤٨٤ نظرة في المضمون
- ٤٨٦ المخاطبون بالرسالة
- ٤٩٢ يزيد بن مسعود: الموقع
- ٤٩٨ والموقف
- ٥٠٦ الشهادة
- ٥١٣ ملحق في تحديد «المضيق» من بطن الخبت
- ٥١٣ المضيق من بطن الخبت
- ٥١٣ ألخبت أم الخبيت؟
- ٥١٦ في أي خبت؟
- ٥١٨ في أيها يقع المضيق؟
- ٥١٩ أين تقع السقيا؟
- ٥٢٠ هل السقيا من قرى الفرع؟
- ٥٢١ أين تقع بحران؟
- ٥٢٢ وعورة المنطقة
- ٥٣١ ملحق خرائط الكوفة
- ٥٤٣ فهرس المصادر